

# مصطفى أمين

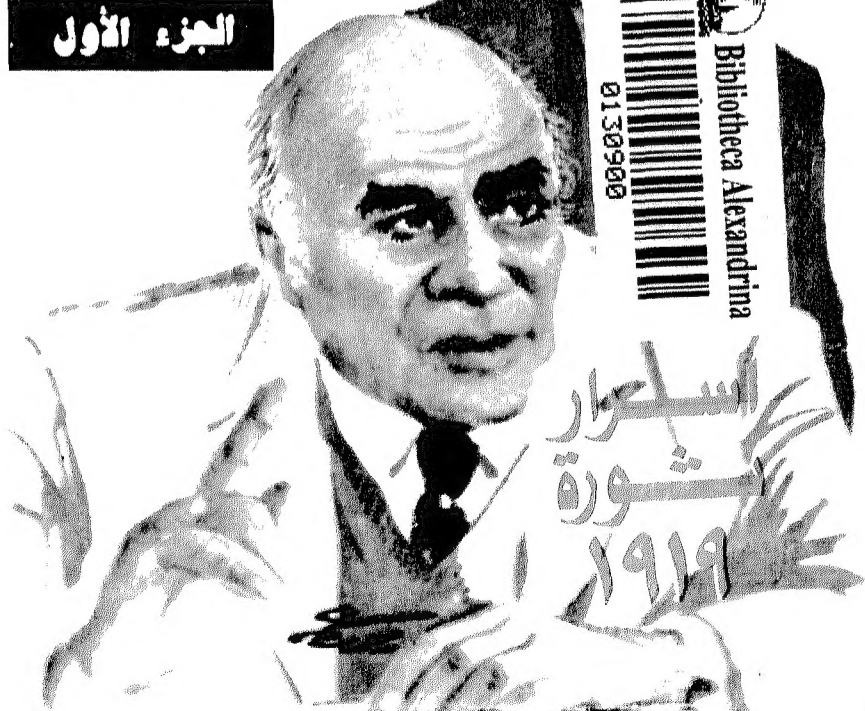
مطبوعات

كتاب اليوم

يصدر عن مؤسسة اخبار اليوم

الكتاب  
المنوع

الجزء الأول





**مصطفى أمين**

# **الكتاب المنوع**

**أسرار ثورة ١٩١٩**

**الجزء الأول**

■ **المشرف على التحرير : جمال الفيصلاني**

● العدد ٤ ● ١٥ يناير ١٩٩١ ●



مطبوعات

كتاب اليوم

انتبه

مصطفى أمين وعلى أمين

سلسلة الشوامخ

رئيس مجلس الإدارة

محمّد منقّبيل

العدد جمادى الآخر ١٤١١ هـ

٤٠ ١٥ يناير ١٩٩١ م

كانون الثاني

المصحفة ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس بولي ٩٢٢١٥ - مجل ٩٢٢٨٢

● الغلاف : محمد عمر

● الملكية : محمد عفت





## الكتاب المتنوع !

في عام ١٩٦٣ قمت ببحث عن ثورة ١٩١٩ وأسرار الجهاز السري للثورة ،  
من مذكرات أعضاء الجهاز السري أنفسهم ومذكرات زعيم الثورة سعد زغلول .  
وبدأت نشر التحقيق الواسع في جريدة « الأخبار » .  
وكنت استأذنت الرئيس جمال عبد الناصر في النشر ، وأذن . . .  
ثم قال لي الرئيس جمال عبد الناصر إنه تلقى تقارير من الأجهزة المختلفة يقول  
بعضها إن الغرض من هذا التحقيق الكبير هو التقليل من قيمة ثورة ٢٣ يوليو ١ . .  
وأضاف الرئيس أنه لا يعتقد صحة ذلك ، وطلب مني أن أستمّر في النشر . .  
ثم اتصل بي الرئيس وقال لي أن بعض الأجهزة تؤكد أن الغرض من هذا  
التحقيق إثبات أن في قدرة الشعب الأعزل أن يثور على الجيش المسلح . . . لكن  
الرئيس طلب مني أن أستمّر - مع ذلك - في النشر . . .

وفجأة قامت قيادة مراكز القوى ، وادعت أن الغرض من هذا التحقيق هو  
تحريض الشعب على الانقضاض على الثورة . . . وصدر الأمر بوقف النشر في  
صحيفة « الأخبار » !

وتوقفت عن النشر . . .

واتفقت مع الدكتور « السيد أبو النجا » ( المشرف العام على دار المعارف )  
على نشر هذا التحقيق في كتاب . . .

وتم ذلك الاتفاق في شهر يوليو سنة ١٩٦٣

وفجأة صدر أمر بعدم طبع الكتاب . . .

واستمر المنع ١١ عاماً ! .

دخل الكتاب إلى السجن في عام ١٩٦٣

دخلت أنا إلى السجن في عام ١٩٦٥

ثم جاء عصر العبور . . .

وتم الإفراج عني . . .

وكان لا بد أن يتم الإفراج عن الكتاب الممنوع !

مصطفى أمين

## كلمة لا بد منها . .

كان موضوع رسالتى فى الماجستير فى جامعة (جورج تاون) بالولايات المتحدة هو «سعد زغلول وثورة ١٩١٩» . وكانت الرسالة باللغة الإنجليزية ، وتبلغ مع ملحقاتها حوالى الألف صفحة . . .

ومع ذلك أحسست دائماً أن ثورة ١٩١٩ فى حلجة إلى أن تشرح فى عدة كتب وعلة مجلدات !

وكان الدافع إلى اهتمامى بثورة ١٩١٩ أننى ولدت فى بيت الأمة ، بيت سعد زغلول ، وكان هذا البيت هو مركز قيادة الثورة ، وأننى عشت مع قائد الثورة ١٣ سنة فى بيت واحد . فقد كان سعد زغلول خال أبى ، وكان قد تبناها بعد وفاة أبيها . وكنت أنادى سعد زغلول : « يا جدى » ، وأنادى زوجته أم المصريين صفية زغلول : « يا سنى » . . . وعشت أحداث الثورة يوماً بيوم : حضرت مواكبها وحتايزات شهدائها ، عاصرت انتصاراتها وهزائمها ، رأيت المعارك بين الإنجليز المسلحين بالمدافع وبين المصريين المسلحين بالطوب ! .

ثم اطلعت على مذكرات سعد زغلول ، ومذكرات قادة الثورة .

وأذكر أننى رأيت فى أوراق سعد زغلول الخاصة أوراقاً فهمت منها أن الأستاذ عبد الرحمن الرافعى كان عضواً فى المجلس الأعلى للاغتيالات أثناء ثورة ١٩١٩ ! ودعلت ! .

فلأننى قرأت كل الكتب التى ألفها المؤرخ الكبير ، ولم أجد إشارة واحدة إلى هذا

الموضوع . وكنت أعرف عبد الرحمن الرافعي معرفة عائلية ، فقد كان شريكاً لوالدي في مكتب للمحاماة في المنصورة ودمياط ، وكانت تربطنا صداقة عائلية ، وكثيراً ما حضرته وهو يتبادل ذكرياته ، ولم يذكر مرة واحدة أنه كان عضواً هاماً في الجهاز السري للثورة .

وذهبت إليه وسألته : هل كان حقيقة عضواً في المجلس الأعلى للاغتيالات ؟ قال : نعم . قلت : لماذا لم تذكر هذا في كتبك ومذكراتك ؟ . قال : لأنني أفسمت اليمين ألا أفتح في ما دمت حياً . قلت : لماذا لا تكتب هذه الأسرار وتطلب ألا تنشر إلا بعد موتك ؟ . قال ضاحكاً : لو كتبت ذلك أكون قد حدثت في اليمين .

وقد استطعت أن أحصل على مذكرات كثير من أعضاء الجهاز السري ، وهي شهادات هامة للتاريخ . . .

إن ثورة ١٩١٩ كانت ثورة شعبية أصيلة . خرجت من القرى والكفور ، قبل تخرج من المدن والبتادر . انطلقت من الأزقة والحواري قبل أن تنطلق من الشوارع المفتوحة والميادين الواسعة . كانت ثورة شعب بأكمله لا ثورة فريق دون فريق . جمعت لفقراء والأغنياء . الأميين والمتقنين . الرجال والنساء . الباشوات والفلاحين . الموظفين والعمال .

إن قيمة هذه الثورة في أنها قامت بعد أيام من خروج بريطانيا من الحرب العالمية الأولى ، وهي أقوى إمبراطورية في العالم ، الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس . فلم ينقض الشعب المصري على مهزوم ، وإنما انقض على أعظم دولة منتصرة في تاريخ العالم !

وسبقت مصر في ثورتها الهند وسوريا ومراكش وليبيا ، وجميع الدول العربية ،  
وأستطاعت أن تؤثر في كل ثورات المنطقة . . .

وأحب أن أوضح أنني لم أكتب عن هذه الثورة بالأسلوب التقليدي ، بل تركت  
الوقائع حية تتكلم ، وتحكى ، وتروى ، وتكتب . . .

غير أن كتابة تاريخ الثورة بهذا الأسلوب المتحرك قد حثمت تداخل الوقائع في  
بعضها البعض ، وتشابك الأحداث في تتبعها وترباطها ، لأن الثورة كانت مشوبة  
متدفقة على أوسع نطاق وفي أكثر من مكان . وهذا هو السبب في أنك تجد  
شيئاً من التكرار في عرض بعض الوقائع التي تضمنتها الوثائق والتقارير .

ولعل أكون قد أدبت بعض الواجب الذي في عني نحو ثورة ١٩١٩ .



## الفصل الأول

**حاول الإنجليز القضاء على ثورة ١٩١٩  
فلجأوا لنعيم الثورة بعرض مصر  
سعد زغلول يعمل لإعلان الجمهورية**

**هل** حاول الإنجليز القضاء على ثورة ١٩١٩ بتعيين زعيم الثورة ملكاً على مصر ؟ . وهل عرض مصر على سعد زغلول ؟

هذا سؤال لم يجب عنه التاريخ بعد ، ومن واجبنا ونحن نحقق ثورة سنة ١٩١٩ أن نكشف الستار عن هذا السر !

في أواخر شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ زار مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية السابق مدينة القاهرة . وفي يوم الأحد ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣١ أقام عبد الفتاح يحيى باشا وزير الخارجية مأدبة غداء كبرى في فندق هليوبوليس بالاس لتكريم الضيف الكبير . وحضر المأدبة سير برسي لورين المندوب السامي البريطاني ، والوزراء ، وكبار رجال قصر الملك فؤاد ، وكبار رجال دار المندوب السامي البريطاني .

وفي أثناء الغداء تبسط لويد جورج في الحديث والتفت إلى الوزراء وقال لهم :

« إن هندي سراً كبيراً عن مصر لا تعرفونه ! لقد كنت رئيس وزراء بريطانيا أثناء ثورة مصر ، وذات يوم جاءني لورد كيرزون وزير الخارجية وسعد عجموطة برقيات من لورد ألنبي المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، وإذا بلورد ألنبي يقول إن سعد زغلول يريد أن يقوم باقتراب في مصر كاتقلاب هوائي باشا ، وبعد ذلك

جاء تلغراف بأن ثورة دموية هائلة ستحدث إذا بقي سعد زغلول في مصر . وأن هذه الثورة ستنتهي في خلال ٢٤ ساعة إذا نفينا من مصر ، ووافقنا على نفيه إلى جزيرة سيلان . . . وقد كنت أظن أنها جزيرة تشبه جهنم إلى أن زرتها قبل أن أحضر إلى القاهرة ووجدت أنها جميلة جداً ١١

وما كدنا نوافق على نفي سعد زغلول حتى جاءت البرقيات متتابعة : كل يوم يقتل الإنجليز في القاهرة في رابعة النهار ولا يعثر على القتلة ! وخشيت أن يثور الرأي العام البريطاني بعد أن كذبت نبوءة لورد ألنبي بانتهاء الثورة بعد ٢٤ ساعة من نفي سعد زغلول . ورأيت أن أظن " ثورة مصر بطريقة حاسمة — كما استطعت في تلك الأيام نفسها أن أظن " ثورة أيرلندا بعمل اتفاق مع زعماء الثورة — فوضحنا خطلة بأن نرسل أحد ضباط المخابرات الذين يخدمون العريية إلى عدن ، بعد أن نعطيهم تعليمات بأن يعرض على سعد زغلول أن يكون ملكاً على مصر ، على أن يقبل بقاء الحماية البريطانية ، ويقبل فصل السودان عن مصر !

وأبرقنا إلى حاكم عدن بأن يبقى سعد زغلول معتقلاً عنده ، ولا يرسله إلى ( سيلان ) إلى أن يصل ضابط المخابرات من لندن إلى عدن ومعه التعليمات اللازمة . وذهب ضابط المخابرات إلى عدن ، واجتمع بسعد زغلول وعرض عليه أن يتولى عرش مصر ، ورفض سعد زغلول . وأبرق ضابط المخابرات بنتيجة مسعاه ، وعندما علمت بذلك أمرت بأن ينقل سعد زغلول فوراً إلى سيلان ، بل إلى جزيرة أسوأ منها في المحيط الهندي هي جزيرة ( سيشل ) ، وقد اخترتها لأن أحد أصدقائي مات فيها !

ثم ضحك لويد جورج وقال : « وأنا مندهش لأنني لا أرى تمثالاً لزغلول هنا .. لولاه لما كنتم هنا أيها السادة ! »

ونزل هذا الكلام كالصاعقة على الوزراء الموجودين ، وكثير رجال قصر الملك



خزاد . . . وأراد سير برسي لورين - المتعوب السامى - أن يقعد الموقف ، فهمس في أذن لويد جورج بأن هؤلاء خصوم سعد زغلول ، وأنهم هم الذين رفضوا أن يقيموا له مثالا !

وخضحك لويد جورج ، وأراد أن يتنصل من المرح فقال : « على كل حال لو قبل زغلول هذا العرض لما كان هناك أى خطر عليكم ! فقد حدث في ديسمبر سنة ١٩٢١ - قبل حكاية زغلول بثلاثة أشهر - أن وقعت اتفاقاً مشابهاً مع زعماء ثورة أيرلندا الأربعة : وإذا بواحد منهم يمس له الناس السم ويموت ، والثاني يضطر إلى الحرب إلى روما ، والثالث يقتله الشعب ربيعاً بالرصاص ، والرابع يقتله أنصاره بملغم رشاش ! »

ويومها لم يستطع واحد من الوزراء وكبار رجال القصر الحاضرين أن يضحك من النكتة ، فقد كان معنى ذلك أن يشتهه الملك خزاد !

وكانت هذه التصريحات يومها ملحمة . . . وقال الوزراء وكبار رجال القصر في تبريرها إن مستر لويد جورج شرب قبل الغداء وأثناءه ، كمية كبيرة من الخمر ، ولأنه كان مخموراً وهو يتكلم ، وإن الذى قاله كلاماً طويلاً ، وفي الوقت نفسه توأمت الوزراء بالكتمان !

ولكن توفيق دوس باشا وزير المواصلات ، وكان وزيراً جريئاً وصديقاً حميماً للويد جورج ، روى لى القصة ، وقد كان حاضراً هذا الغداء ، وكانت ابنته الآنسة ليلي دوس حاضرة في أثناء روايته هذه القصة الملحة !

هذه القصة كانت تتناقلها الأفواه في تلك الأيام ، ولكن لا يمكن للتورخ أن يحدد عليها لأنها قصة بلا مستندات .

## عراي رقم ٢

وقد حدث بعد ذلك أن سمحت الحكومة البريطانية للمؤرخين بالاطلاع على بعض — لا كل — البرقيات السرية التي تبادلها لورد ألكني مع لورد كيرزون وزير الخارجية أثناء الثورة . . فإذا في بعض هذه البرقيات ما يؤيد الرواية التي رواها مستر لويدي جورج في القاهرة . .  
مثلا برقية هذا نصها :  
دار الحماية — القاهرة

١٨ أبريل سنة ١٩٢١ .

من لورد ألكني المندوب السامي  
إلى لورد كيرزون وزير الخارجية  
لأنني أعتقد أن سعد زغلول في حالة من الزهو والترفح حتى إنه لا يستبعد أن يقوم بانقلاب كاتقلاب عراي باشا .

ألكني

ثم أرسل لورد ألكني برقية أخرى :  
دار الحماية — القاهرة

٨ ديسمبر سنة ١٩٢١

من لورد ألكني المندوب السامي  
إلى لورد كيرزون وزير الخارجية

أهلب سعد زغلول الموقف في مصر . وصل إلى درجة الغليان . أطلب تفويضاً  
بإذاره هو وثمانية من أنصاره ، بمنعه من الخطابة ، ومن شهود أى اجتماع عام ، ومن  
استقبال الوفود ، أو أن يكتب في الصحف ، أو أن يقوم بأى عمل من الأعمال  
السياسية ، وأن يغادر القاهرة فوراً ، ويقيم في منزله في الريف تحت رقابة البوليس !  
أللنبي

ثم أرسل لورد اللنبي برقية ثلاثة :  
دار الحماية - القاهرة

٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١

من لورد اللنبي المندوب السامى  
إلى لورد كيرزون وزير الخارجية  
وجهت اليوم إلى سعد زغلول إنذاراً نهائياً . . إذا لم يخضع هو وثمانية من زملائه  
فوراً فسأقبض عليهم وأنفيهم في الحال خارج مصر !

أللنبي

وفي اليوم التالى أهرق لورد اللنبي :

٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

تم القبض على سعد زغلول . الحالة هادئة جداً .  
إن سيلان أوتق مكان ، لأنها مقرونة في الأذهان باعتقال عرابى باشا ، واسمها  
سيحدث في الشعب تأثيراً عظيماً .

أللنو،

وبعد يومين أبرق لورد أُلنبي برقية جديدة :  
دار الحماية — القاهرة .

٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢١

من لورد أُلنبي المتدوب السامى  
إلى لورد كيرزون، وزير الخارجية  
هذا بيان الأمكنة الموجود بها التسعة الأشخاص الذين أمرتهم بالكف عن  
الأعمال السياسية . . . ستة منهم الآن في السويس ينتظرون الإبحار من السويس  
على باخرة تطل في ٢٨ ديسمبر . . وثلاثة أطلعوا أمرى وهم تحت مراقبة البوليس .  
عيد ميلاد سعيد .

أُلنبي

هذه البرقيات المستيرية كلها تؤيد رواية لويد جوزج عن الحالة التي كان فيها  
اللورد أُلنبي المتدوب السامى البريطانى في مصر !  
وهذا جزء من الرواية . . ولكن ما هو نصيب بقية الأجزاء من الصفحة ٢  
إن مستر سيلفستر — السكرتير الخاص للويد جوزج — ألف كتاباً بعنوان « لويد  
جوزج الحقيقى » جاء في صفحة ٦٦ منه عن زعماء ثورة أيرلندا الذين وقعوا الاتفاق --  
اللى أشار إليه لويد جوزج — قوله بالحرف الواحد :  
« إنهم وقعوا المعاهدة . ولكن ماذا حدث ؟ . . » جريفت « مات مسموماً ،  
و » كولتز « ضرب بالرصاص : و » دافى « فر إلى روما ، و » بارتون « قتل ،  
و » تشيلندز « قتل أيضاً » .  
ولكن أين هى الوثيقة التى تدل على أن العرش عرض على سعد زغلول ؟ إن

الصحف والمجلات بقيت صامته لا تستطيع أن تفتح فيها . فتذكر أو تشير إلى السر الخفي !

ومات الملك فؤاد . .

وبعد وفاته خرجت مجلة ( آخر ساعة ) في يوم ١٤ يونيو سنة ١٩٣٦ . وألقت القنبلة ! . . . فقد كتبت تقول بالحرف الواحد : « هناك صفحة من تاريخ مصر الحديث ضائعة . أو حلقة مفقودة في التاريخ السري للثورة المصرية الأخيرة . ولا نعرف هل آن أوان نشر هذه الصفحة أم لا ، ولا نعرف كيف ستقابل هذه المعلومات من حضرات الزعماء ومن رجال السراى . ولكنها خدمة نقدمها لأولادنا الذين سيكتبون غداً تاريخ مصر كما يجب أن يكون !

والسؤال هو : « هل عرض عرش مصر على سعد زغلول ؟ »

والجواب : « نعم ! » . وهناك شهود أحياء ووثائق تاريخية لهذا العرض الذى تم في عام ١٩٢٢ : فعندما نفت السلطة العسكرية سعداً إلى سيشل ، تقدم إليه في مدينة عدن مندوب رسمى من حاكم عدن ، وطلب مقابلته مقابلة خاصة .

وكان أن أبلغ مندوب الحاكم العام سعد زغلول أن الحكومة البريطانية تعرض عليه أن يختار لنفسه أمراً من اثنين : أن يصير على الاشتغال بقضية الاستقلال . وسوف تكون نتيجة هذا الإصرار نفيه إلى سيشل ليبقى بها مدى حياته . ( وذكر له المندوب مدى الأحوال التى سوف يصادفها ! ) . . . أو أن تنصبه الحكومة البريطانية سلطاناً على مصر تحت الحماية البريطانية ، وتضمن له استقلالاً ذاتياً فى حدود هذه الحماية ! .

وأجاب سعد زغلول بلا تردد : « إننى أفضل أن أكون خادماً فى بلادى المستقلة ، على أن أكون سلطاناً فى بلادى المستعبدة المختلة ! »

وسأله مندوب الحاكم : « هل هذا هو الرد الأخير ؟ »

فأجاب سعد : « إنه كذلك »

وهكذا انتهت المقابلة الخطيرة .

ولقد دون سعد هذه المقابلة في مذكراته بتفصيل دقيق ، ومعهها أنا شخصياً من المغفور له فتح الله باشا بركات ، وأنا أعرف أنه دونها في مذكراته ، للوجود الآن عند الدكتور بهي الدين بك بركات .

وأعرف أن أم المصريين تعرف هذه القصة بالتفصيل من سعد زغلول . وأعرف أن عدداً من أعضاء الوفد وعلى رأسهم الرئيس الجليل ، ومعالى مكرم عبيد باشا يعرفون القصة ( وهما الوحيدان على قيد الحياة من زملاء سعد في سيشل ) . . . .

انتهت الكلمة التي نشرتها مجلة ( آخر ساعة ) في العدد ١٠١ الصادر يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٦ في الصفحة ١٢ ، منذ ٣٨ عاماً ! .

## أزمة في القصر !!

وقيمة هذه الرواية في أنها نشرت والمملك السابق فاروق ، ابن الملك فؤاد ، لا يزال ملكاً ! . . وأن الشهود الذين تحدثت عنهم آخر ساعة كانوا موجودين : فإن صفية زغلول كانت على قيد الحياة . . ومصطفى النحاس كان رئيساً للوزارة . . ومكرم عبيد كان وزيراً للمالية . .

ولكن الذي حدث يومها أن الأمير محمد علي رئيس مجلس الوصاية احتج على هذا النشر ، وتحدث في ذلك إلى عبد الفتاح الطويل الوكيل البرلماني لوزارة القصر ، وتحدث أيضاً إلى مكرم عبيد باشا ، فقال له مكرم : « إن الرواية صحيحة مائة

في المائة ! » وقال الأمير محمد على يومها إنه لا يعترض على صحة الرواية، ولكن نشرها فيه إساءة للأسيرة المالكة !

ولم ينشر تكذيب لهذه القصة !

وما كاد الأمير محمد على يتنفس الصعداء ، حتى ظهر كتاب « سعد زغلول » للأستاذ عباس العقاد ، وقد جاء في صفحة ٤٠٥ منه ما يأتي :

« نزل سعد وأصحابه في قلعة عدن ، فلم يلبثوا قليلا حتى جاءهم رسول من مصر هو موظف سوري كبير كان يعمل في دار الحماية ، فاستأذن في لقاء سعد على انفراد وخرج معه في ركبه الرياضي ، وافتتح معه حديثا وجيزاً عن المفاوضات والحلول المعروضة . . ثم فاجأه بكلمة مقتضبة لا علاقة لها بمحدثه السابق ، قائلا : « ستكون ملكاً على مصر ! . . . »

فدهش سعد لهذه المفاجأة ، وأجاب في حدة واستغراب : « مالنا ولهذا ؟ وما شأني أنا والملك ، ولست إلا واحداً من الرعايا ؟ » فعاد الرجل إلى الكلمة يكررها وأضاف إليها : « إنك زعيم الأمة الذي لا ترتضى سواه ، ولو قبلت ما يعرضه الإنجليز عليك وعلى الأمة لما خالفك أحد » . فاحتصر سعد هذه الحادثة ، وقال للرجل : « إنني أفضل أن أكون فرداً في أمة مستقلة على أن أكون ملكاً لبلاد مستعبدة في ظل حماية أجنبية ! » ولزم الصمت في عودته إلى القلعة ، بعد أن قال له — على ما أذكر — : « إنني أحب لو أنني لم أسمع شيئاً مما تقول ، ولا أود أن أسمعه مرة أخرى ، منك أو من سواك » .

هذا هو ما كتبه الأستاذ العقاد . والعقاد حجة في تاريخ سعد زغلول . : « ولكن المؤرخ يبحث دائماً عن مستند مكتوب . . فإن أحداً من أبطال القصة لم يتكلم . . ويزيد في أهمية هذا التحقيق أن سعد زغلول لم يكن قبل الثورة . :

هو بعد الثورة . . كان قبل الثورة فرداً ، وبعد الثورة زعيماً وقائداً ! . . كان يقف وحده ، ثم أصبح يقف معه الملايين . : ومن هنا يتغير الرجل ، فإن ثقة الشعب وإيمانه يرفعان الرجل من الأرض ، ويجعلانه فوق الرؤوس . .

فقد كان سعد زغلول قبل الثورة يطمح في أن يكون وزيراً للأوقاف في وزارة حسين رشدي ! . . وقد رشحه رئيس الوزراء للسلطان فؤاد ، ووافق السلطان وبقي سعد زغلول ينتظر ، بل إنه اعترف بأنه كان لا ينام الليل وهو يفكر في هذا المنصب : يتولاه أو لا يتولاه . .

ثم جاء الرد من نائب ملك إنجلترا برفض ترشيح سعد زغلول وزيراً . . ونزل النائب كالصاعقة على سعد زغلول ، واعترف بأنه تضايق لأنه لم يصبح وزيراً للأوقاف ! وكان هذا قبل الثورة بشهور . .

وقبل ذلك رشح وزيراً للزراعة في عهد السلطان حسين . . فقد حدث أن انتحرت إحدى السيدات ، وظهر أن لها علاقة بوزير الزراعة في تلك الأيام . . وكانت السيدة ابنة أحد زملاء وزير الزراعة وزوجة لأحد كبار الموظفين . . ثم ضبعت السيدة مع وزير الزراعة . . واضطر وزير الزراعة أن يعتقل من الوزارة استقالة مشهورة . .

ورشح سعد زغلول وزيراً للزراعة خلفاً للوزير المستقيل . . ورفض لورد كتنشر - نائب الملك في ذلك الحين - تعيين سعد زغلول وزيراً للزراعة ! . . واعترف سعد زغلول بأنه كان يأمل أن يكون وزيراً للزراعة . . وأنه أصيب بخيبة أمل عندما رفض لورد كتنشر تعيينه في هذا المنصب . . بل إن لورد جورج لويد ، المندوب السامي البريطاني ، قال في صفحة ١٨١ من مذكراته التي نشرها بعنوان : « مصر منذ عهد كرومر » :



« إن سعد زغلول في أثناء الحرب طمع في أن يعين مديراً لمكتب البعثات في باريس خلفاً ليعقوب أرئين باشا . . وإن لورد كتشنر المندوب السامي البريطاني يومها رفض أيضاً تعيينه في هذا المنصب . . وإن السر هو أن سعد زغلول كان يهاجم لورد كتشنر ولا يحترمه ! »

### سعد فكر في أن يهاجر من مصر

ولقد اعترف سعد زغلول مرة بأنه فكر في أن يهاجر من مصر — في أثناء الحرب العالمية الأولى — بعد أن أقفلت جميع الأبواب في وجهه . . كانت الأحكام العرفية معلنة ، ولا يستطيع أحد أن يفتح فيه ! وكان السلطان معيناً بقرار أصدره وزير الخارجية البريطانية ! كانت الرقابة مفروضة على الصحافة . . كان القصر يكرمه ، وكان الإنجليز يمحنتونه . . وكان يشعر أنه أصبح متعطلاً بلا عمل ! ومن هنا كان يطمع في أن يكون وزيراً !

فكيف أصبح هذا الرجل — بعد عامين اثنين من هذه الرغبة في الحصول على منصب وزير الأوقاف — يرفض أن يكون ملكاً على مصر ! ؟ . إن هذه الرواية لا تزال في حاجة إلى مستند .

إن رواية لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا هي أنه عرض العرش على سعد في عدن . . ولقد بقى سعد زغلول في عدن من أوائل يناير إلى ٢٨ فبراير — وهذا يؤيد رواية لويد جورج بأن أمراً صدر إلى حاكم عدن باستبقاء سعد زغلول فيها — فلو أنه تقرر سفره إلى سيلان أو سيشل كما أعلن أولاً ، فلماذا يبقى في عدن طوال

هذه المدة ، إلا إذا كان هناك حقيقة سبب لهذا الاستيقاظ ١٩  
إذن فالسبب في بقاءه هو أن يستطيع «الرسول» أن يسافر من لندن إلى عدن  
ويجتمع بسعد زغلول ، كما ورد فيما ذكر عن هذا الاجتماع الخطير !

### مذكرات فتح الله بركات

ولنبحث عن مذكرات الذين كانوا منفيين مع سعد زغلول في عدن . . لقد  
حصلنا على مذكرات فتح الله بركات باشا السرية ، وفيها يقول في صفحة ٦ تحت  
عنوان «تابع يوم الاثنين ١٣ فبراير سنة ١٩٢٢» ما يأتي :

«تم حضر (جاسنا) الكاين استيل مرة ثانية . . وسأل الرئيس إذا كان  
يريد التريض اليوم أو غداً . فقال الرئيس : أريد اليوم . وتعينت الساعة الرابعة  
بعد الظهر موعداً له . وفي الموعد عاد الكاين ونزل مع الرئيس . وفي أثناء نزولهما  
قابلهما رجل طويل القامة ، عليه بذلة ملكية وبريطة عسكرية ، أشقر اللون  
مع ميل إلى الصفرة ، تناهز سنه الستين ، فحسبه الرئيس أولاً صاعداً عند  
الفرقة العسكرية النازلة معنا . ولكنه بعد أن قدمه الكاين استيل للرئيس عاد  
غزول معهما ، وتكلم بعربية فصيحة عن اللواء والصناعة ، حتى وصلوا إلى السيارة  
فركب مع الرئيس ، وانصرف استيل بدون كلام . .

«وأخذ الرجل يتكلم بالعربية كما ابتداءً ، وليس من المتيسر إثبات ما دار  
من الكلام حسب ترتيبه ، ولكن يمكن تلميح أهم تقطع فيه بأن الرجل أخذ بعد  
الكلام عن اللواء والصحة — يسأل عن راحتنا ، وما إذا كان الرئيس ورفاقه  
يخرجون للرياضة ويقرون الجرائد . فأجابه الرئيس بأنه لم يحصل الإذن له بالرياضة

إلا هذه المرة : بأنه لم يخرج من السجن من بعد دخوله إلا مرتين فقط لزيارة أحد رفقاته في الاستبالية التي كان قد نقل إليها . فقال الرجل : « إنكم تكبرون الإنجليز ! » . فجاوبه الرئيس : « إن الأمة المصرية لا تكبر أمة من الأمم إلا من يريد التغلب عليها وحكمها . وهي بالعكس تريد محالفة الإنجليز ومصادقتهم ، ولكنهم هم يريدون حكمها » .

وقال الرجل : « إن المصريين يسبون الإنجليز ! » . فأجابه الرئيس : « إنهم ليسوا بسباين . ولكنهم يفضبون لإرادة التسلط عليهم » . قال الرجل : « إن الإنجليز أمة ظلمة ! » . فأجابه الرئيس : « أنظن ؟ » . قال الرجل : « نعم ، وإنى أحب الترك والعرب . وكنت منع الجيش التركي ، وإنى هنا مدة ست عشرة سنة وفي مصر ثلاث سنين » . فقال الرئيس : « إن المصريين لا يحبون الترك ، ولا يحبون أحداً يتسلط عليهم لا من الترك ولا من الإنجليز » . قال الرجل : « إن هناك قلقاً عظيماً في الهند . وإن الهند تطلب الاستقلال » . قال الرئيس : « هل هذا حقيقى ؟ » . فأجابه : « نعم » ، وأضاف أنه كان في الهند وعاد منها منذ خمسة أيام فقط ، وأن ما تطلبه هو حقها . فلم يجبه الرئيس عن ذلك بشئ .

وسأل عن السلطان الخالى وعن اسمه . فلم يحضر الرئيس اسمه ( اسم السلطان ) وأخذ يتذكره ، وبعد قليل - بعد التذكر - أوردته . فقال الرجل : « نعم » إنه فؤاد . ماذا تقول فيه ؟ » . فأجابه سعد : « من أى جهة ؟ » . قال : « هل هو محبوب وله نفوذ ؟ » . فأجابه الرئيس : « إن الناس لا يفكرون في شأنه ، وليس له نفوذ ولا أهمية » . ثم سأل عن عبدى باشا . فأجابته بأنه لا أهمية له ، وليس رئيساً للحزب .

فسأله إذا كان متفقاً الآن مع الرئيس ؟ فأجاب بأن لا أهمية لاتفاقه أو خلافه ما دام لا حزب له ، والبلد كله كتلة واحدة ، لا اختلاف فيه ويريد الاستقلال ، أى أن يحكم نفسه بنفسه ، مع محالفة الإنجليز ومصادقتهم . قال الرجل : « لا أظنك تحب أن تبقى بعيداً عن بلادك ، لا بد من العودة عاجلاً أو آجلاً » . ثم قال في موضع آخر : « لا بد أن تصبح ملكاً » . فأجابه الرئيس : « إني لا أبحث عن ذلك ، ولكن الذى أبحث عنه هو استقلال بلادى » فكرر الرجل ذلك مراراً ، فلم يظهر الرئيس اهتماماً . وجاء فى كلامه أنه موظف فى الأمور السياسية ، وأن له ابناً ضابطاً فى الجيش المقيم بعدن . وجاء فى كلامه أنه يعرف اللورد اللبني ، وامتلحه .

انتهى نص ما كتبه فتح الله بركات عن مقابلة سعد زغلول مع الرسول الذى أرسلته إليه حكومة لندن . .

ولكن فتح الله بركات لم يحضر المحادثة الخطيرة .

ولا بد أن يعتمد المؤرخ على رواية أحد الشخصين اللذين حضرا هذا الاجتماع . إنهما الرسول الإنجليزى ، وسعد زغلول ! .

ولكن هل كتب سعد زغلول فى مذكراته عن عدن قصة هذا الاتصال ؟

إن سعد زغلول دون فى مذكراته عند نفيه إلى مالطة كل التفاصيل الدقيقة . . فلا بد أنه فعل ذلك عندما كتب عن قصة نفيه إلى عدن ، ثم إلى سيشل . .

## الملك سرق القنطرة !!

وهنا تظهر مفاجأة مذهلة . .

إن الكراسة التى فيها مذكرات سعد عن القبض عليه فى مصر ، ونفيه من مصر ،

وسجنه في عدن .. مخفية ! .. ولقد قيل هذا يوم تسلم الدكتور بهي الدين بركات -  
باسم ورثة سعد زغلول - هذه المذكرات من خزانة بنك مصر التي أودعها فيها الرئيس  
السابق مصطفى النحاس . . وكانت محكمة مصر قد حكمت بهذا التسليم .

قيل إن الدكتور بهي الدين بركات سجل في محضر الاستلام أن هناك مائتي  
صفحة اختفت ! . . وأثبت الدكتور بهي الدين بركات في المحضر أن سجلات البنك  
لا تقول إن الخزانة الخاصة المودعة فيها المذكرات قد فتحت منذ أودعت فيها  
المذكرات عام ١٩٢٧ . . في حين ثبت أن هذه المذكرات فتحتها الرئيس السابق  
مصطفى النحاس أكثر من مرة . .

فهل فتح مجهول هذه الخزانة وأخذ منها جزءاً من المذكرات وهو الخاص بعرض  
العرش على سعد زغلول ؟ .

إن الرئيس السابق مصطفى النحاس ليس صاحب مصلحة في إخفاء هذه الحقيقة ..  
فن هو صاحب المصلحة فيها ؟ . من هو الذي يعرف أن هذا الجزء بالذات يحوى  
مسألة خطيرة جداً هي عرض العرش على سعد زغلول ؟ . . ألا يجوز أن يكون  
صاحب المصلحة في ذلك هو القصر الملكي ؟ ! . . وألا يجوز أن يكون أحد كبار  
رجال قصر الملك فؤاد الذين كانوا موجودين في الحفلة التي أقيمت لاويد جورج  
في ديسمبر سنة ١٩٣٠ قد أسرع وأبلغ الملك فؤاد ما قاله لاويد جورج عن عرض  
العرش على سعد زغلول في عدن ؟ !

وألا يجوز أن يكون الملك فؤاد قد استطاع بوسائله الخاصة أن يفتح خزانة بنك  
مصر المودعة فيها مذكرات سعد زغلول ، وأن أحد رجاله انتزع الكراسي التي بها  
الجزء الخاص بنفى سعد زغلول إلى عدن ، وعرض العرش عليه ، وبذلك يستطيع أن  
يخفى إلى الأبد أن فلاحاً أبى أن يجلس على عرش مصر في ظل حراب الإنجليز ؟ ! .

إن الثابت أن كراسة تبدأ صفحاتها من صفحة ١٤٢٦ إلى صفحة ١٤٨٢  
قد اختفت من خزانة بنك مصر ! . . إن هذا أكثر من مجرد استنتاج .. إنه  
حقيقة ، لأنه لا يوجد سبب وجيه لأن يحتفى من مذكرات سعد زغلول الجزء الخاص  
بنفيه في عدن ؛ إلا أن يكون الملك فؤاد أو أحد رجال القصر أراد أن يخفى عن  
التاريخ إلى الأبد هذا الجزء الخطير من تاريخ مصر ! . . إن هذه الست والخمسين  
صفحة المختفية يمكن أن تكون هي الحاوية لهذا الحدث الخطير المجهول ! .

ولكن هناك مفاجأة أكبر !

إن الذى سرق هذا الجزء من المذكرات لم يخطر بباله قط أن سعد زغلول قد دون  
القصة في جزء آخر ! إنه لم يتكلم أثناء حديثه عن نفيه إلى سيشل ، وعرض  
العرش عليه ، مجرد حديث شفى . . . ولكننا عثرنا على القصة الكاملة « بخط سعد  
زغلول نفسه » ! . . إنه كتبها وهو منفي في جبل طارق ، بعد ذلك بأشهر . . . كتب  
سعد زغلول بالحرف الواحد في صفحة ٢٥٠٤ من المذكرات :

جبل طارق

يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٢

« ذكرت اليوم أمام حرمي وصاحبتها فهيمة « ثابت » قصة « يعقوب » الذى  
قابلنا في عدن ، وركب معي في الأنوميل ، وتكلم في شئون مصر ، ولحق لي بقرب العودة  
وزوال الشدة ، وأنى أصبح ملك مصر ، فقلت له إنى لا أبحث عن « وظيفة » ،  
ولا أبني إلا استقلال بلادى ، أما السودان فإنه لازم لمصر ، ولا يمكنها الاستغناء  
عنه !

فقلت فهيمة إن اللورد أألني أشار في كلامه مع وفد السيدات إلى هذه المقابلة ، بقوله إننا رغبتا في الاتفاق معه هنا وفي عدن فلم يقبل . وقالت حرمي إنه قال لهذا الوفد : إننا لا نعرف ماذا يريد ، وهو لم يقبل الاتفاق معنا .

فتأكدت من ذلك أن ما ظننته وأصحابي عن هذه المقابلة كان صحيحاً ، وأن يعقوب هذا كان رسولا ، وأن حضوره بعد ذلك في الباخرة الحربية لم يكن إلا سترأ لتلك المقابلة ، مع إثباتها بالإمضاء الذي رجاني في توقيع على الدفتر ، وكل الدلائل تدل على صحة هذا الظن ، لأنه لم يكن يؤذن لي في الخروج للترفة مع شدة إلحاحي في طلبه ، ولكن في يوم تلك المقابلة عرض عليّ الضابط استيل المكلف بشئوننا أن نخرج في ذلك اليوم أو غده . فاخترت ذلك اليوم في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وفي هذه الساعة نزلت معه إلى أسفل المكان أو « القلعة » التي كنا سجناء فيها . وفي أثناء ذلك قابلنا يعقوب هذا صاعداً ، فلما قابلنا عاد معنا ، وسبقنا الضابط استيل نازلاً . فتكلم معي بالعربية . . . . . ولما وصلنا إلى الأوتومبيل انصرف الضابط استيل ، وذهبتنا بالأوتومبيل إلى الترفة ، وفي أثناء ذلك حدثت تلك الحادثة .

ولما عدت في الساعة الخامسة انصرف هو ، وصحبني الضابط النوبتجي الذي كان في انتظارى ، ولما وصلت إلى إخواني قصصت القصة عليهم فأعجبوا كل الإعجاب بكلامي فيها ، وقد أملتيتها على مصطفى بك النحاس فأثبتها عنده ، كما كتبها فتح الله باشا ، ولا أذكر تاريخ اليوم بالضبط ، وربما كان في أوائل فبراير .

وقد صرح لي الرجل بأنه كان ضابطاً في الجيش ، ثم خرج منه ، والتحق بالوظائف السياسية ، وأن له ابناً ضابطاً في الجيش ، ومع ذلك فإن قومندان الباخرة أنكر أنه موظف ، وقال إنه انفصل من الخدمة منذ زمان طويل .

« ولا أتممت القصة لحرى وحدها قبلتى ، وأبدت إعجابها بتعفى وزهادتى ،  
وقالت : الآن أفهم أن الإنجليز لا يسمحون بعودتك ، لأنهم اعتقدوا أن إرضاءك  
ليس فى مقدورهم ، ما داموا لا يفرطون فى مصر ، وهذا هو الرأى الراجح ، فقلت  
لها : إنه لا بنية لى فى هذه الخلية إلا أن أرى بلادى مستقلة ، وكل ما دون هذه  
للتأية ضئيل فى عيني ، مهما علا شأنه ومظم قدره ، وإن تلك القصة على أهمية  
ما عرض فيها وخلايته ، لم يؤثر على شىء ، بل كنت قد نسيت أمرها كل النسيان ،  
وما تذكرته إلا لما جاءت مناسبة لل ملك .

قلت لها : « وإلى إذا مات الآن أموت مستريحاً من جهتك ، فقد عرفك الناس ،  
وأخلت بينهم مكانة عليا ، فلست كغيرك من السيدات : شخصيتك منطوية فى  
شخصية زوجك ، وندجى فيها ، بل إن لك شخصية قائمة بذاتها ، وصفات عالية  
عرفها الناس ذيك ، فلا ضمير عليك بعدى . . . »

هذا هو ما دونه سعد زغلول بالحرف الواحد فى مذكراته .

ولكن ، هل انتهت القصة ؟



## لا نقبل هذا السلطان !

### صفحات ممزقة من مذكرات سعد

في

٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩ تناولت الغداء مع أحمد باشا الباسل وكيل الوفد المصرى على مائدة الأستاذ محمد عبد الرحمن الجليلي مدير إدارة المساجد بوزارة الأوقاف في تلك الأيام . وكان معنا المرحوم الأستاذ توفيق صليب ، والمرحوم كامل الشناوى ، وعلى أمين .

وبعد الغداء جلس حمد باشا يروي ذكرياته السياسية الممتعة . قال إنه كان مع الوفد المصرى في باريس سنة ١٩٢٠ . ولاحظ أن نفوس الأعضاء لم تكن متألقة . كان الأعيان من الأعضاء يقولون إن سعد زغلول يريد إعلان الجمهورية في مصر ، ويعتقدون أنه بذلك سيخرب البلد ، ولم يكن سعد زغلول في أول الثورة من أنصار الجمهورية . ولكن بعد شهر من قيامها بدأ يفكر فيها . والسبب أننا كنا منفين في الماطة وجاءت برقية تقول إن إحدى المديريات أعلنت استقلالها وأعلنت الجمهورية .

واهتم سعد زغلول بهذا النبأ ومكث يحدثنا فيه حتى الصباح . وكنت أنا مع إسماعيل صدق في غرفة واحدة . وقلت له إنني شعرت أن رأس سعد زغلول دار بفكرة الجمهورية ، وكان من رأى صدق أن إعلان الجمهورية كارثة . وعندما ذهبنا إلى باريس كان سعد يلمح إلى ذلك ، وقد رفض يوماً اقتراحاً بأن يتكون برلمان يعيد انتخاب السلطان فؤاد سلطاناً . وقال إن البلد هو الذى ينتار نوع الحكم بعد الاستقلال : وكان أعضاء الوفد - وخصوصاً الأعيان منهم - يرون أن هذا اتجاه جنونى . وأنه سيؤدى

إلى انقضااض الأعيان عن الثورة وإلى قيام البلشفية ، وقال عبد العزيز فهمي :  
« إذا كنا لا نستطيع أن نحتمل سعد زغلول كرئيس وفد فكيف نحتمله لو أصبح  
رئيس جمهورية ؟ »

وكان سعد يسمى المعارضين في خلع السلطان : « جمعية عبيد السلطان ! »  
وقال حمد باشا : « وذهبت إلى سعد باشا وقابلته منفرداً ، ونصحتة بأن يعمل  
على تصفية القلوب ، وأن الأعضاء يشكون في نواياه ، وأنه يحسن أن يصحب الجرحى  
قبل سفر الوفد المصري إلى لندن للمفاوضة مع ملتر ، ويضمد الجروح . ولكن  
سعداً لم يهتم كثيراً برأى ، ولم يكن يعتقد أن الأمر سيؤدى إلى انشقاق . . وسافر  
الوفد إلى لندن ، وفي أحد الاجتماعات اختلف الأعضاء على من يتولى مفاوضة اللورد  
ملتر ، فقد خشنا أن يثير سعد زغلول مسألة الجمهورية — مخالفاً أغلبية الوفد —  
وكان عدلى قد قال إن سعداً أثارها في مقابلته مع اللورد ملتر ، بغير اتفاق معنا :  
وقال سعد إن من رأية أن الاستقلال هو أن يختار الشعب بنفسه النظام الذى يراه ،  
جمهورياً أو ملكياً ، ويجب أن ينص على هذا في المعاهدة . وقال إن من رأيه عزل  
السلطان باعتباره أثراً من آثار الحماية ، وأن الشعب ينتخب حاكمه بعد الاستقلال :  
واشتدت المناقشة بيننا . . واتهمنا سعد بأننا نعارض في خلع السلطان وإعلان  
الجمهورية ، من أجل مصالحنا الشخصية !

قلت : « أنا طلبت من سعد باشا في باريس أن يفتش عن الشيوخ ويلحمها  
قبل سفرنا إلى لندن ! »

قال سعد باشا متضايقاً : « شيوخ إيه ؟ »

قلت : « الشيوخ التى فى الوفد يجب أن تفتش عنها . »

قال سعد باشا : « أنا يا سيدى عملتك أنت المفتش . »

وأجاب حمد باشا : « إذن أنا أقبل الوظيفة : . لكن أول من سأقشحه هو أنت ! »

فتضايق سعد باشا وقال : « أنت لا تفهم ما تقول . . . . . فثرت في وجهه ، وقامت مناقشة عنيفة بيننا اشترك فيها سينوت حنا بك . وقلت لسعد باشا : « إن رأينا فيك أنك مجنون ، وأنتك تريد أن تخرب الحركة بإثارة هذه المسألة ، وإن عدلى باشا قال إن الإنجليز مصممون ألا يعقدوا محالفة إلا مع السلطان ! » .. وقال سعد زغلول إنه لا يعترف بالسلطان ، وإن السلطان موظف إنجليزي ، وإنه يجب أن يخرج بخروج الموظفين الإنجليز ، وإن السلطان فؤاداً مجرد جندي في جيش الاحتلال ، ويجب أن يخرج مع جيش الاحتلال ! .. وثار واصل غالى ضللى ، وثار على ماهر ضللى :

« وخرجت من هذا الاجتماع وأنا متعصب على السفر في اليوم التالي إلى مصر . ولكن حمد محمود باشا والمرحوم عبد اللطيف للكباتي بك أقنعاني بأنى على خطأ في توجيه هذه العبارات العنيفة إلى سعد زغلول ، وأن الواجب أن أعتذر لسعد . وقال لى باقى أعضاء الوفد نفس هذا الكلام ، ونزلت على رأى الأغلبية :

وفي اليوم التالى دخلت اجتماع الوفد فوجدت جميع الأعضاء موجودين فقلت : « سلامو عليكم . . . فقال الأعضاء : « عليكم السلام . . . فقلت : « يظهر أنى كدرت صفوكم أمس ، وأنا أعتذر لكم عما بدر من جانبي . . . فقال سعد باشا : « هذا الكلام ما ينفعش . تعال هنا . . . قلت له : « أنا لا أوجه الكلام لمعاليك ، وإنما أوجهه للجميع . . . فقال سعد باشا : « تعال اقعد بجانبى . . .

ثم وقف سعد وقال : « ليس حمد باشا هو الذى يجب أن يعتذر ، بل أنا الذى يجب أن أعتذر ، فأنا الذى بدأت بالعنوان ، ولهذا أقدم لصديقى حمد أسنى واعتذارى ، وأنا متمسك برأى ، ولكنى أحترم رأيه ولا أقره . »

هذا ما قاله حمد الباسل باشا يومئذ : ولكن هل يمكن للمؤرخين أن يكتبوا بشهادة الذين حضروا هذه الرواية ، للتليل على أن سعد زغلول كان فعلا يريد إعلان الجمهورية ؟ . . ذلك أنه ليس في أقوال سعد المنشورة أى كلام عن إعلان الجمهورية ، أو ما يحى بأن ثورة سنة ١٩١٩ كانت متجهة إلى الجمهورية ، وأنه لولا الأعيان وكبار الإقطاعيين من أعضاء الوفد لانتجبت ثورة سنة ١٩١٩ إلى الجمهورية !

ترى هل كانت مصالح الإقطاعيين هى التى منعت الثورة من هذا الاتجاه الثورى ؟ وهل معنى هذا أن ثورة ٢٣ يوليو كانت على حق عندما بدأت أولا بتصفية الإقطاع ، ثم أعلنت الجمهورية بعد ذلك ، وأنها لو لم تفعل ذلك لما استطاعت أن تعلن الجمهورية ؟ وهل كان الشعب المصرى فى تلك الأيام مستعداً لإسقاط الحكم الملكى ، والاتجاه إلى النظام الجمهورى ؟

إن الرد على هذه الأسئلة الخطيرة لا يكفى فيه برواية منقولة غير مكتوبة ، وخاصة أن هذه الواقعة بالذات - برغم تأكيد حمد الباسل باشا لها - لم تذكرها أو تشر إليها أى جريدة من الجرائد . صحيح أن شركة روتر وزعت بوقية فى أوائل يناير سنة ١٩٢٠ على جميع صحف العالم هذا نصها : « صرحت جريدة "التيمس" بأن لديها وثائق تثبت أن قلب السلطة المصرية سيكون من أولى نتائج انتصار المتطرفين فى مصر » . . ولكن جريدة "التيمس" يومها لم تنشر هذه الوثائق ، وقيل إنها أرادت بذلك إيقاع الخلاف بين الأمراء وبين سعد زغلول الذى كانت تسميه جريدة للتيمس « زعيم المتطرفين » ! .

إذن لابد من مستند لتركز عليه هذه الواقعة التاريخية . فهل هناك مستند ؟ نعم .. إن بين يديّ مذكرات المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا عندما

كان رئيساً لتحرير السياسة . إنه يتحدث عن المعركة الانتخابية لانتخاب أول مجلس نواب بعد ثورة سنة ١٩١٩ ، وكيف حاول الأحرار الدستوريون وقف سعد زغلول ، وإذا به يكتسحهم اكتساحاً لم يسبق له مثيل في التاريخ . . حتى بعد أن اتهموه بأنه يريد خلع الملك فؤاد !

كتب الدكتور هيكل في مذكراته يقول : « لست أقف عند ما قيل في هذه الخطب ، اللهم إلا خطاباً ألقاه محمد على علوبة بك كان له شأن خاص . كان علوبة بك سكرتير حزب الأحرار الدستوريين ، وكان قبل ذلك أمين صندوق الوفد حين كان الوفد في باريس . فلما ألقى خطابه وجه إلى سعد باشا شخصياً تهماً اهتز الحاضرون لسماعها ، وكانت عبارته ” إني أتهم سعد زغلول باشا علناً . . “ ، وهو يلقيها بصوته الجمهوري ، تقابل بالكثير من الدهشة لتصرف رجل يسميه أنصاره ” نبي الوطنية “ . . فقد أتهم سعداً بعدة تهم ، منها أنه استول لنفسه على مال الوفد وقدره ثلاثة وثمانون ألفاً من الجنيهات ، ومنها أنه أثناء محادثات ملتر طاب عزل السلطان فؤاد ، بحجة أنه أثر من آثار الحماية !

ونخرجنا بعد هذا الخطاب ، والناس يتهايمون : ” بماذا عسى أن يواجه سعد هذه التهم ؟ “ . سألتني الدكتور حافظ عفيفي إذا كنت سأنتشر هذا الخطاب كما هو في جريدة السياسة التي تصدر صباح السبت - فلم تكن السياسة تصدر صباح الجمعة - وأجبت بكل بساطة أنني سأنتشر الخطاب كما هو ، فحمد على علوبة عام كبير ، وكان عضواً في الجمعية التشريعية ، وعضواً بالوفد ، وعضواً بالجنة الدستور . ثم إنه السكرتير العام لحزب الأحرار الدستوريين ، فلا يجوز ألا ينتشر خطابه كما هو . فقال الدكتور حافظ : ” يحسن أن تقابل عدلى باشا ، وتحدث إليه في هذا الأمر “ . قلت : ” فليكن “ . . وعلمت في الصباح أن عدلى باشا

يبتظرني بمتزله فى الساعة الحادية عشرة قبل ظهر ذلك اليوم .

وقابلت عدلى باشا ، وذكرت له ما ذكرته للدكتور حافظ عفيفى ، فطلب إلى أن أتلو عليه فقرات الاتهام . قتلوها أكثر من مرة . وتداولنا الحديث . فقلت : " لعل الفقرة الوحيدة التى يصح حذفها هى المتعلقة بحديث سعد مع ملتر حول السلطان فؤاد ، وذلك احتراماً لمقام المجلس على العرش ، لا لأى اعتبار خاص بالمسئولية " .

ولم تنته إلى رأى فيما ينشر أو لا ينشر ، واستصحبني عدلى باشا إلى " كلوب محمد على " ، وسأل عن ثروت باشا وصدق باشا ، وتقدمنى إلى غرفة خاصة . وجاء صدق باشا وهدنا إلى الحديث فى خطاب محمد بك على علوبة ، فأبدى صدق باشا تردده فى صواب النشر ، وفيما قد يترتب عليه من مسئولية . أما ثروت باشا فقيل إنه ترك منزله ذاهباً إلى " الكلوب " . .

وبينا أنا أحاول إقناع صدق باشا برأى دخل ثروت باشا ، واشترك معنا فى الحديث ، ثم تناول الخطاب وتلا فقرات الاتهام فقرة بعد فقرة ، فكان إذا فرغ من إحداها قال : " إنه لا بأس مطلقاً من نشرها " . فلما وصل إلى الفقرة الخاصة بالسلطان فؤاد ، قال : " أنا أشارك الدكتور هيكل فى أن المجاملة تقتضى الاكتفاء بالإشارة إلى هذه الفقرة . أما سواها فالدكتور هيكل على حق فى وجوب نشرها " .

واقترع عدلى باشا وصدق باشا برأى ثروت باشا . وخرجت وذهبت إلى ( السياسة ) ، ودفعت بالخطاب إلى المطبعة ، بعد أن وضعت بين أقواس ، فى مكان الفقرة الخاصة بالسلطان ، أننا لا ننشرها " تأديباً وبجاملة " !

• • •

هذا ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته بالحرف الواحد ! : ٥

فهل يمكن الاكتفاء بهذا كستند عن اتجاه سعد زغلول في شأن الجمهورية ؟ . .  
 إن المؤرخ لا يستطيع أن يقبل أى شئ على عواهنه ، بل قد يسأل : « ألا يكون  
 كلام الدكتور هيكل هو كلام خصم عن خصم ؟ ألا يحتمل أن يكون هذا الاهتمام  
 ملفقاً ، وأن الأحرار الدستوريين تصوروا أنه يسىء إلى سعد زغلول أمام الشعب ،  
 ففوجئوا بالشعب يسقطهم جميعاً في الانتخابات ، بعد أن ظنوا أنهم يوجهون لسعد  
 زغلول تهمة الخيانة العظمى عندما يقولون إنه طالب بخلع السلطان فؤاد باعتباره أثراً  
 من آثار الحماية ؟ . . صحيح أن رواية الدكتور هيكل تؤيد رواية حمد الباسل  
 باشا . . ولكن هل يمكن أن يكون هذا دليلاً على أن سعد زغلول كان يفكر في أن  
 تتجه الثورة نحو الجمهورية ؟ . . صحيح أن سعد زغلول طالب بخلع السلطان . .  
 ولكن ربما لأنه كان يريد أميراً آخر ليتولى العرش بدلاً من الملك فؤاد . .

ربما كان يريد الأمير عمر طوسون مثلاً !

ربما كان يريد الخديو عباس .

فما هو الدليل على أنه كان ضد الأسرة المالكة كلها ؟

وما هو الدليل على أنه كان يريد أن يكون رئيس الدولة بالانتخاب ، كما  
 يقضى النظام الجمهورى ؟

### الرسائل السرية

لقد حصلنا على نص الرسائل السرية المتبادلة بين سعد زغلول وبين عبد الرحمن بك  
 فهمى الذى كان يرأس الجهاز السرى للثورة ، ( فقد كان سعد في باريس يحاول عرض  
 قضية مصر على مؤتمر الصلح ، وكان يدير الثورة من باريس )  
 وقصة هذه الرسائل مثيرة : كان سعد زغلول يكتبها بالخبز السرى في باريس

فوق مجلات فرنسية : . وكان يحملها رسول من باريس إلى القاهرة . . وكان الدكتور أحمد ماهر هو المستول عن عملية حل الشفرة . وكانت طريقة حل الشفرة عجيبة : وهي أن يمرر الدكتور ماهر مكواة ساخنة على الورق ، فتظهر رسالة سعد زغلول على الفور . ولكن العين المجردة ما كانت لتستطيع أن ترى الخبر السرى ، بل إنك تقلب المجلة فتجد صفحاتها عادية لا كتابة فيها !

إن هذه الرسائل السرية تدل على أن سعد زغلول كان يرى أن يكون رئيس الدولة في مصر بالانتخاب ، لا بالتعيين ، ولا بالوراثة ، وهذا هو النظام الجمهورى . أو كما يقول في إحدى هذه الرسائل السرية بالحرف الواحد : « يجب التحذير من الاقتراب من هذا المركز — مركز رئيس الدولة — إلا بإرادة الأمة ، وبناء على انتخابها ، بعد الحصول على استقلالها التام . وإن كل قبول لهذا المركز تحت سلطة الإنجليز مهما كان اسم هذه السلطة يعد " حماية " ، أو " مخالفة " . . يعد خيانة للأمة ! »

ولكن نصوص الرسائل السرية أقوى من هذا التلخيص . . إنها تدل على أن سعد زغلول كان يعطى من باريس تعليمات لجهاز الثورة في القاهرة : بأن يحاربوا السلطان فؤاد . وأن يحاربوا الخديو عباس ، وأن يحاربوا الأمراء جميعاً . . وهذه نصوص الرسائل السرية الخطيرة :

**لا نريد أن نخرج من رق الممالك إلى رق الأمراء !**

٢٧ يناير سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمى في القاهرة .  
« سرنا أن ظهر الآن بعض من أعلیاء الشأن -- الأمراء -- في الميدان ، بعد أن



لبثوا في الخفاء كثيراً من الزمان ، بل بعد أن عاكس بعضهم الحركة بأقواله وأمواله .  
أظهرنا سرورنا بلخولهم فيما أرسلناه لكم ونشرتموه في الجرائد ، ولكننا وجلنا بتصريحهم  
خالياً من ذكر الوفد ، ولم يتصل بنا أنهم تمكنوا عليه بشيء من أموالهم . وبلغنا أنه  
انفقد اجتماع عند بعضهم في الإسكندرية تقرر فيه إسناد الزعامة إليه — عمر طوسون .  
إن الأمة أجمعت أمراً قبل دخولهم على طلب الاستقلال التام ، وسارت في الطريق  
شوطاً بعيداً بلونهم ، كأنهم لم يكونوا موجودين ، فدخلهم في الحركة بعد ذلك إن لم  
يكن لصالح يملونه ، أو توكيل يعطونه ، فما ذا تكون الفائدة من انضمامهم الآن ؟  
وهل يستتبع من ذلك أنهم أرادوا المنازعة في الزعامة لتكون الرئاسة لهم ؟ . . وهل يكون  
دخولهم على هذه النية في صالح القضية ؟ أم يكون يعلم عنها أفيد لها ؟ !  
ربما كان محمد سعيد باشا يد في هذه الحركة ، كما يرضع لذلك ، بما تكتبه  
جريدة « الأهالي » لسان حاله يوماً فيوماً عن الوفد وموقفه والأمراء ودخولهم في الحركة ،  
فهل أنتم مترقبون لهذه الأحوال واقفون على أسرارها ، وعاملون على اتخاذ الوسائل  
لمنع أضرارها ؟ . . إن الرئاسة لا تهتم في شيء ، ولكن يهمني أن تبقى في الأمة هذه  
الروح التي أدهشت العالم بجلالها وكبرها . . وأن تبقى الحركة قومية ، ترمي إلى تحرير  
البلاد من ربق الاستعباد ، وأن تتمتع بالحرية الحقيقية لا أن نخرج من رقب للماليك  
إلى رقب الأمراء !

سعد زغلول

٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠

سري

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس .  
« إن الأمراء بعد صلور ياتهم لم تبد منهم أي حركة يفهم منها انضمامهم إلى

القائمين بالحركة ، وهذا هو السر في عدم نشر صورة جوابكم الذي أرسلتموه إلى  
الأمراء لغاية الآن . إننا تأكدنا من أن الأمير عمر طوسون مشايخ لـ محمد سعيد باشا .  
ونحن نثبت أن تأثير عليه أقوال سعيد فيصد منا بجواب ينشره في الجرائد بعد نشر جوابكم  
ولا يكون في مصلحتنا ، ولذا نريثنا حتى يعود الأمير يوسف كمال من الوجه القبلي .  
ونتفق معه على نشر الجواب !

عبد الرحمن فهمي

احذروا الأمير عمر طوسون !

پاریس فی ۱۱ أبريل سنة ۱۹۲۰

سری

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة  
: : : هل للأمير عمر طوسون غاية تعلمونها ؟ أو يمكنكم أن تعرفوها ؟ إلى  
أشكركم كثيراً إذا كلغتم أنفسكم أن تحيطوني علماً بالحقيقة ! ،

سعد زغلول

۱۴ أبريل سنة ۱۹۲۰

سری

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس  
« حامت الظنون حول مسلك الأمير عمر طوسون نحو الوفد وخطته ؛ أردت أن

أقف على الحقيقة تماماً . طلبت من إخواني الذين توجهوا إلى ( الرحمانية ) أن يضعوا  
في برنامجهم موعداً لزيارة الأمير ويتكلموا معه في المسائل الهامة ، فإن وجدوه مؤمناً  
بأعمال الوفد يطلبون منه مساعدته المالية ، وبذلك يقضى على كل ظن سيئ نحوه . .  
وبالفعل زاروه ، وتكلموا معه طويلاً ، فقال لهم الأمير بصريح العبارة إنه ليس  
لديه ثقة في نتيجة أعمال الوفد . وبذلك ترون أن الرأي القائل باشتراكه مع محمد  
سعيد باشا ، وبأنه المورد الثاني الذي يدور عليه المال ، فكر صائب .  
عبد الرحمن فهمي

### الاهتاف للخدوي في الثورة !

٢٠ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس  
ظهرت في الأيام الأخيرة حركة غريبة جداً ، وهي الاهتاف للخدوي « عباس  
حلمي » . . . وبالبحث علمنا أن من بين المشجعين عليها الحزب الوطني ، ولا أعلم  
إن كانت يد الإنجليز هي المحركة من بعيد لهذه الحركة أم أن سخافة أعضاء الحزب  
الوطني هي التي دفعت بعض القوم إلى ذلك ، وهكذا تتنوع الحركة المضادة لمصلحتنا  
العامة ، وتليس كل يوم ثوباً جديداً . . . نحن نخشى اتساع هذه الحروق التي  
تعملها يد الدسائس ، ونقود الأعداء ا نرجو التعجيل بتوفير المبالغ اللازمة للأعمال  
السرية حتى يمكن مكافحة هذه الحركات الجديدة ، والقضاء عليها .

عبد الرحمن فهمي

١٢ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة  
أرجو أن تكونوا وقَّعتم على مصدر الحركة الموالية للخديو عباس ، وعلى القائمين  
بها ، وأمل أن تبدلوا همكم في القضاء عليها ، لأنه لا شيء يشوه حركتنا ، ويعطل  
سير قضيتنا أكثر من أن تنسب إلى عامل أجنبي . أو عامل ذي سلطان سابق .  
أو طامع في سلطان لاحق !

سعد زغلول

٢٨ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس .  
... بحثت عن سبب المنادة بحياة الخديو عباس ، وجدت أنها ذريعة  
آتية من محمد سعيد باشا ، باتفاقه مع أعضاء الحزب الوطني - العرفاني -  
فحاربتهم بحاربة شديدة إلى أن زال أثرها والحمد لله .

عبد الرحمن فهمي

الشعب يهتف بسقوط السلطان !

١٢ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس  
أعدت السراى صورة خطبة ، وأرسلتها إلى وزارة الأوقاف ليختبئ بها -

المساجد يوم الجمعة ٢٦ مارس ، وهو عيد ميلاد السلطان . كانت وزارة الأوقاف طبعت الخطبة ووزعتها على خطباء مساجدها . ولكن ياليتها ما فعلت ! النتيجة أتت بعكس ما كان يأمله واضع الخطبة على خط مستقيم : حيث حصل في جميع المساجد مظاهرة ضد السلطان ، وفادى الجمع المحتشد في معظمها بسقوطه ! وفي بعضها أنزل الخطيب قهراً من فوق المنبر الذي علاه غيره وخطب خطبة اعتيادية — وذلك بمسجدي الأزهر والسيدة زينب — أما في باقي المساجد فالخطباء لم يترددوا في إطاعة نداء الجهمور وطويت خطبة وزارة الأوقاف ، وخطبت خطبة اعتيادية ، بعد أن زلزل الجمع جوانب الجامع بصوته العالي منادياً بسقوط السلطان !

عبد الرحمن فهمي

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة  
إن السخط الذي قام به المصلون لتغيير خطبة الجمعة . وما ترتب عليه ،  
أوجب كل ارتياح لدينا ، لدلالته على شدة تغيظ الأمة ، وتمكن روح التضامن  
فيها . ندعو الله أن تبقى هذه الروح وأن يبعد عنها إفساد المفسدين المضللين .

سعد زغلول

### تشريقات السلطان !

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة  
لم نتخبرونا عن سبب تشريقات « السلطان » التي دعا الناس إليها في الإسكندرية  
خلافًا لما وعدتم . أرجو أن توافونا بما وصل إليه علمكم في هذا الموضوع .

سعد زغلول

١٢ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من عبد الرحمن فهمى إلى سعد زغلول  
أعلن عن تشريفات عامة لتقديم التهنئة والتبريك للسلطان يوم الجمعة ٢٦ مارس  
وهو عيد ميلاده ، ولكن لم يحضرها إلا التبرك القليل جدا ، لأن أقاليم برمتها لم يحضر  
منها إلا مديريها ، وأقاليم لم يحضر مع مديريها إلا ما يعد على أصابع اليد الواحدة  
أو اليدين ! ولم يحضر التشريفات من رجال الجمعية التشريعية إلا أربعة مع مظلوم باشا  
وهم : مرقس سمكة باشا ، ويوسف قطاوى باشا ، وخالد لطفى باشا ، وحسن باشا  
توفيق ، وكلهم من المعينين من قبل الحكومة . قامت مظاهرات كثيرة حول السراى  
تنادى بسقوط السلطان تارة وبسقوط الوزارة تارة أخرى !

عبد الرحمن فهمى

أصابع الأمراء !

١٣ فبراير سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمى في القاهرة  
... علمنا من بعض الجرائد الإنجليزية أن حركة قامت في الإسكندرية ضد  
محمد سعيد باشا لأنه يلبس الدسائس للوفد ويسعى لتسوية سمعته ، فلعلكم تكتبون  
إلينا بتفصيل عن هذه الحركة ، وما زلنا نتظر رأيكم فيما يختص بالأمراء وانضمامهم  
للحركة ؟

سعد زغلول

أول مارس سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة  
أشركم في رسالتكم إلى عودة محمد سعيد باشا إلى بث بذور الفتنة ، ودس  
دسائس الشقاق ، وأنكم مجتهدون في إحباط عمله وتخريب أمله : وقد شعرنا من زمن  
بأن لبعض الأمراء يدأ معه في هذه الدسائس ، أو أنه هو يدهم .  
وفي الإعلان الذي صدر منهم ، ما كان جوابنا لكل منهم إلا جساً لبضهم ،  
وطلباً للوقوف على حقيقة أمرهم ، حتى إذا نشروه علمنا أن ذلك وهم منا ، وإذا  
طووه وكنموه تحقق لدينا ما فهمنا . ولكن إبراهيم سعيد باشا كتب إلى بأن هذا  
الجواب لم يصلهم ، فمع أنه أرسل إلى كل منهم مؤمناً عليه ، فإذا كانوا مستمرين  
في كتمانهم ، فما ذلك إلا لما أشرنا إليه . وعلى كل حال نرجو أن تجلوا لنا الحقيقة  
يتفصيلها .

سعد زغلول

## الشعب ينتخب حاكمه

١٥ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة  
 . . . إن الأفكار الإنجليزية لا يبعد أن تكون متجهة إلى تعيين الأمير عمر  
 طوسون خلفاً للسلطان فؤاد ، وهماً منهم بأنه بواسطة ميل الأمة إليه ونفوذه فيها ،  
 وما له من الأعوان بين رجالها ، يمكن أن يجعل الأمة تقبل النظام الذي يريدون  
 وضعه لمصر ، على مبادئ بعيدة عن الاستقلال التام في الباطن . وقرينة منه في  
 الظاهر . وأن يكون انضمام الأمير للأمة إنما هو تمهيد لهذا التعيين . فهل عندكم  
 شعور بشيء من هذا ؟ إلى أخشى كثيراً أن يكون هناك سعي في هذا الموضوع ،  
 لأنه إذا تحقق ترتب عليه على الأقل انقسام في الأمة ، وكل انقسام مضر بالقضية  
 المصرية ضرراً كبيراً ، لأنه ليس لها من معين غير الاتحاد والتضامن بين أفرادها ،  
 فأى انقسام يطرأ عليها يؤثر تأثيراً كبيراً فيها .

وفي ظني أنه يمكن محاربة هذا المشروع بالنشرات السرية التي تحت على التحذير  
 من الاقتراب من هذا المركز إلا بإرادة الأمة وبناء على انتخابها بعد الحصول على  
 استقلالها التام ، وأن كل قبول لهذا المركز تحت سلطة الإنجليز مهما كان اسم هذه  
 السلطة - « حماية » أو « محالفة » - يعد خيانة للأمة . .

أرجو ألا تعلموا أحداً بهذه الفكرة ، وأن يكون ما تفعلونه أمام غيركم ممن تثقون  
 به ، كأنه صادر منكم أنتم ، لا بناء على رأينا .  
 أرجو أن تفيدوني بكل ما يتعلق بهذا الموضوع سريعاً .

سعد زغلول



سرى

من عبد الرحمن فهمى فى القاهرة إلى سعد زغلول فى باريس  
لم يهنا لى نوم قبل أن أقف على الرسالة الأخيرة . وبالفعل حالت رموزها ليلا .  
ستبقى التعليلات محفوظة لا تتعدى ذاكرتى . سأنفذها بتمام الدقة والعناية .

عبد الرحمن فهمى

• • •

ولكن هل كان سعد زغلول عندما قاد الثورة يفكر فى أنه سينادى فيها بالجمهورية؟  
إن سعد زغلول فى مذكراته كان يهاجم الخديو عباس ، وكان يهاجم السلطان  
حسين ، وكان يهاجم الملك فؤاد ، ولكنه لم يتحدث قبل الثورة عن الجمهورية . .  
لأنه لم يكن يتصور أن الثورة ستكون بهذه القوة ! . . فلقد كتب فى مذكراته  
، أثناء نفيه فى مالطة يعلق على ما سمعه لأول مرة عن انفجار الثورة فيقول :

الطلة فى ٢ أبريل سنة ١٩١٩

« أنخبار ما حصل من المظاهرات عقب قيامنا ، ومن أجل إبعادنا ،  
ملأت قلوبنا سرورا وابتهاجا ، حتى كادت تحجب السجن إلينا ، وأفعمتنا شكرا  
لأمتنا ، وهانت علينا نفوسنا ، نفدى بها هذه البلاد .  
نعم ، ما زج هذا السرور كثير من الأسف على النفوس التى أزهقت ،  
والمدين التى أحرقت ، ولكن أى مجد قام بغير هذه الضحايا ، وأى أمة بلغت  
مناها ، بغير أن يخاطر أبناؤها بأعز ما لديهم ؟ . . لقد ساءنا أن تداخل بعض  
الأشرار فى الحركة وارتكبوا جرائم فظيمة ، ولكن متى هاجت الأمم فلا يعلم  
إلا الله مقدار هيجانها ! ولكن المشول عن هذا الاختلال هم الذين أساءوا  
إليها من قبل .

زعم بعض رجال السياسة في مجلس العموم أننا هددنا السلطان ، وعطلنا تشكيل الوزارة ، ولكن سياستهم الخرقاء هي التي ترتب عليها هذا التعطيل ، لأنهم منعونا من السفر لإبداء مطالب قومنا ، واستغفت الوزارة الرشدية بسبب هذا المنع . لم يكن في مصر بعد هذا الاستعفاء ، لهذا السبب ، من جرؤ على قبول الوزارة ؛ لا خوفاً منا . بل خشية أن تختقره أمته ، التي مسودرت في إرادتها . والسبب الذي حمل رشدي باشا على الاستعفاء هو الذي منع غيره من أن يخل محله !

والكتاب الذي أرسلته للسلطان لا شيء فيه من التهديد ، بل هو مملوء من الأدب معه والاحترام لشخصه والحرص على مقامه ، وإيقافه على ما في نفوس أمته . فإن كان يعد رفع رغبات الأمة إلى سلطانها تهديداً له ، فنعم هذا التهديد . ومن الفخر الكبير أن نتحمل مسئوليتيه أمام أية سلطة شرعية . ولقد توهم حزب الاستعمار أن يتلع مصر بمجرد أن يبعد بعض أبنائها عن بلادهم . ولكن ساء فألم فإن البلاد من أقصاها إلى أقصاها تطلب الاستقلال . ولا تحمل للطامعين فيها إلا كل حقد وضغينة . وهما كانت طبيعة الحوادث التي حصلت في مصر بعد قيامها فإنها جاءت فارعة وشديدة ، فوق ما كان يقدر المقادرون ، وعكست القصد على حزب الاستعمار ، فألننت أنتم كله إلى أن هناك أمة مظلومة تطلب الإنصاف .

هذا هو ما كتبه سعد زغلول عن أثر انفجار الثورة في نفسه . وفي نفس . وم كتب سعد . . عن فكرة الجمهورية لأول مرة فقال :  
« وما يدهش القارئ ما روته جريدة " التيمس " من أنه نودي في الزقازيق بأنها جمهورية ! فهل تبدلت الأمة المصرية في هذه البرهة

الوجيزة التي مضت منذ سفرنا من البلاد ؟ أو أن القوم يكبرون في الحوادث  
ويبالغون في شأنها بغية الوصول إلى غرض يرمون إليه ؟ »

( انتهى بالنص ما كتبه سعد زغلول )

إن هذه الفقرة من كلام سعد زغلول تؤيد ما قاله حمد الباسل باشا بعد ذلك  
بعشرين سنة :

« لم يكن سعد زغلول في أول الثورة من أنصار الجمهورية . ولكن  
بعد شهر من قيامها بدأ يفكر فيها ، والسبب أننا كنا منفيين في مالطة وجاءت  
برقية تقول إن إحدى المديريات أعلنت استقلالها وأعلنت الجمهورية ،  
واهتم سعد زغلول بهذا النبأ . ومكث يحدثنا فيه حتى الصباح ، وكنت أنا مع  
إسماعيل صدق في غرفة واحدة وقلت له إن رأس سعد زغلول دار بفكرة  
الجمهورية . وكان من رأى صدق أن إعلان الجمهورية كارثة » .

ولكن هناك جزءاً هاماً لم يثبت بعد من رواية حمد الباسل باشا ، وهو : هل أثار  
سعد زغلول وهو في أوروبا مسألة حق مصر في أن تعلن نفسها جمهورية ؟ وهل ما قاله  
محمد علي علوبة صحيح من أن سعد زغلول طالب بعزل السلطان ، بحجة أنه أثار  
من آثار الحماية ؟ أو كما قال لحمد الباسل أنه « موظف إنجليزي يجب أن يخرج  
من مصر مع الموظفين الإنجليز . وجندى في جيش الاحتلال يجب أن يخرج مع  
جيش الاحتلال ؟ ! »

ان في مذكرات سعد زغلول مفاجأة في هذا الموضوع :

## لولا الإقطاعيون لأعلنت ثورة ١٩١٩ الجمهورية ! رسائل سرية تداع لأول مرة

فتح فتح مجهول الكراسة التي فيها مذكرات سعد زغلول ، عن أسرار ثورة سنة ١٩١٩ ، واخترق بأصبعه إحدى الصفحات ، وقطع بيده هذا الجزء من وسط الصفحة . وجزءاً صغيراً في أعلى الصفحة نفسها ، وقطع بيده الصفحتين التاليتين في الكراسة !

إنه فعل ذلك على عجل ، لأنه لو كان لديه وقت لهذه العملية البسيطة لقطع هذا الجزء بموسى ، أو بمقص . أو على الأقل شطب بالسيف على هذه الكلمات التي يريد أن يخفيها من المذكرات ، ولكن يبدو بوضوح أنه فعل ذلك متعجلاً ، كأنه يخشى خطراً داهياً . أو كأنه يتوقع أن أحداً سيفتح عليه الباب وبراء يرتكب هذه الجريمة !

ذلك لأن الجزء المقطوع والصفحات المنزوعة هي أخطر ما في مذكرات سعد زغلول عن ثورة سنة ١٩١٩ !

إنه الجزء الخالص بيوم ٨ يوليو سنة ١٩٢٠ - ويسميه سعد زغلول في المذكرات ( ٨ منه ) - إنه الجزء الذي كان يتكلم فيه سعد زغلول في مفاوضات ملتر عن حق مصر في أن تكون جمهورية ، وعن طلب الأمة عزل السلطان فؤاد . إنها الحملة التي أشار إليها حمد الباسل عندما قال إن سعداً كان يقول إن السلطان فؤاداً جندي بريطاني وأنه يجب أن يخرج مع جيوش الاحتلال ، وهي الحملة التي أشار إليها خصومه باعتبارها جريمة الخيانة العظمى ، عندما وقف محمد على علوبة باشا بعد ذلك بأربع

سنوات يقول : « إني أتهم علناً سعد زغلول باشا بأنه في أثناء محادثات ملنر طلب عزل السلطان فؤاد لأنه أثر من آثار الحماية ! »  
 إن معنى هذا أن شخصاً مجهولاً أراد أن يخفي هذا السر الخطير الكبير من أسرار ثورة سنة ١٩١٩ .

ولا يمكن أن يكون هذا المجهول فأراً ، لأن الدائرة المتروعة قطعت بالأصبع ، وليس فيها أثر أسنان فأر . وليس من المعقول أن فأراً يأكل الصفحتين التاليتين ، ولا يترك فيهما أثراً .

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن موظف القصر الذي فتح خزانة بنك مصر الخاصة بعد وفاة سعد زغلول . وانتزع منها الكراسة التي تحوى قصة عرض العرش عليه ، والتي تبدأ أرقامها من صفحة ١٤٢٦ إلى صفحة ١٤٨٢ هو نفسه الذي قام بعملية حذف الصفحة الخطيرة . ونزع الصفحتين التاليتين !

ولكن المفاجأة الثانية أن هذا الحادث الخطير لم يقع بعد وفاة سعد زغلول ، وبعد تسليم المذكرات للرئيس السابق مصطفى النحاس وإيداعها في بنك مصر . . . فبعد وفاة سعد زغلول مباشرة تسلمت صنية زغلول المذكرات . وتولت الآنسة « فريدا » وصيفة سعد زغلول ترقيمها باللغة العربية في وجود صنية زغلول . فالأرقام التي وضعها الوصيفة متتابعة : إن اجتماع سعد زغلول مع ملنر في صفحة ٢٢٥٢ بخط الآنسة فريدا ، والصفحة التالية هي صفحة ٢٢٥٣ . ومعنى ذلك أنه لم تنتزع أى صفحة من المذكرات بعد أن تولت الآنسة فريدا ترقيمها ! . . ولكن الأرقام التي وضعها سعد زغلول بخط يده هي غير المتتابة ! فإن القصة تبدأ في صفحة ٥٩ ، وفجأة تجد نفسك في صفحة ٦٢ ! و صفحة ٥٩ هي التي فيها الجزء المتزوع !

ولكن صفحة ٦٠ غير موجودة ، و صفحة ٦١ غير موجودة أيضاً ! . . ومعنى

هذا أن عملية اختفاء وتشويه هذه الصفحات تمت في حياة سعد زغلول .  
 فهل هو الذى انتزع هذه الصفحات ، وهل هو الذى أراد أن يطمس معالمها ؟  
 هل ندم على أنه طالب بخلع السلطان ، وإعطاء مصر الحق في إعلان الجمهورية  
 فبادر وخرق بأصبعه هذه الصفحة ، ومزق الصفحتين ؟ إنه لو أراد ذلك لاستطاع أن  
 يصل إلى النتيجة نفسها ، لو أنه أمسك قلمه وشطب بالحبر على الأجزاء التي يريد  
 أن يخفيها . . ولاستعمل مقصاً أو موسى ، ولما ترك هذا الأثر الذى يدل على أن  
 شيئاً غير عادى حدث في هذه المذكرات !  
 أم أنه خشى أن يعثر السلطان على هذه الوثيقة فيعلم أنه طالب بخلعه ونادى  
 بالجمهورية . . ويرد على ذلك بأن سعد زغلول لم يقل ما قاله سرّاً ، وإنما قاله أمام  
 شهود ، فإنه ذكره أمام أعضاء الوفد ، وذكره أمام عدلى يكن ، وذكره أمام لورد  
 ملر ، وكل هؤلاء شهود عدول عليه !

### فتشوه ١٣ مرة !

إذن لا بد أن سعد زغلول خشى أن تفتش السلطة البريطانية داره ، وتحصل  
 على المذكرات ، وفيها يخط يده أنه طالب بخلع السلطان ! . . فالتأبث التاريخي  
 أن بيت سعد زغلول فتشه الإنجليز ١٣ مرة في أثناء الثورة . وكان الجنود الإنجليز  
 لا يكتفون بالتفتيش العادى ، والاستيلاء على الأوراق الموجبة . بل إنهم كانوا  
 يفتشون جسم الموجودين في البيت . وكانت سيدة إنجليزية تحضر معهم لتتولى التفتيش  
 اللداني للسيدات ، للبحث عن وثائق سرية مخبئة ! . . فهل خشى سعد زغلول أن  
 يقع هذا الجزء في يد السلطات البريطانية . أو السلطات المصرية التي تقوم بالتفتيش .

أو السلطان . . فتولى نزع الصفحات الخطيرة التي تؤكد أنه من أنصار الجمهورية ، وأنه يطالب بخلع السلطان ؟

وقد يقال هنا إنه بعد هذه المفاوضات التي طالب فيها بخلع السلطان عاد إلى مصر وقبض عليه الإنجليز بعد عودته ، فقد تكون مخبرات الثورة علمت بأن الإنجليز سيقبضون عليه ، أو أنها حصلت على البرقية السرية التي أرسلها لورد ألنبي المندوب السامي البريطاني في ٨ أبريل ١٩٢١ إلى لورد كيرزون وزير الخارجية ، والتي قال فيها إن سعد زغلول سيقوم بانقلاب في مصر كإنتفاضة عراقى باشا . . ولهذا السبب أسرع ونزع هذه الصفحات ، وقطع بيده الجزء الذي يتحدث فيه عن خلع السلطان ، وعن الخلاف الذى حدث فى الوفد بشأن الجمهورية ؟ . . وربما نسى سعد زغلول فى عجلته أن يقطع الورقة الثالثة التي تحوى قصة الخلاف فى الوفد بشأن خلع السلطان ، والتي رواها حمد الباسل وقال فيها . إن سعد زغلول كان يسمى المعارضين فى خلع السلطان أعضاء جمعية « عبيد السلطان » . . وأنه عندما شتم حمد الباسل سعد زغلول غضب على ماهر وغضب محمد محمود ، وتدخل واصف غالى ، وأن لطفى السيد اعترض على تصرف سعد زغلول ، وأن سعد زغلول اتهمهم بأنهم يخشون على مصالحهم الشخصية إذا تم خلع السلطان !

### حديث مع « ملتر »

ذلك أنه فى صفحة ٥٩ التي فيها حديث سعد زغلول مع ملتر عن السلطان ، وقول ملتر إنه لا يستطيع تحمل مسئولية البحث فى خلع السلطان ، نجد أن الصفحة تنتهى بكلمة على لسان ملتر ، يقول فيها « فكذا أقول لك » . . وفجأة ينقطع كلام ملتر ، وينتقل إلى الخلاف الذى حدث فى الوفد ، فيقول سعد زغلول بالحرف الواحد :

وقلت ذلك استمراراً في الفكر من غير التفات إلى ما أضمره السائل ،  
وإلى ما أستحسنه ، وبلغت بعد ذلك أن هذا الرأي أثار في غير أعضاء  
الجمعية منهم ثائرة الغضب ، واتخذة لطف السيد وسيلة للتنديد بي ، ويظهر أن  
"على ماهر" اشتد في القول معهم ، كما اشتد محمد محمود ، ودخل فيها واصف  
غالى . ولما بلغنى هذا الاضطراب أخذ منى الاستغراب من قوم يغضبون ممن لم  
يرد لإغضابهم ، وينظرون لصوالجهم الشخصية من نوافذ المصلحة العامة .

ولكن هذا الاستنتاج أيضاً لم يثبت أمام البحث والفحص . . فإن المفروض  
أن سعد زغلول — وهو كاتب المذكرات — يعرف أين هي الأمانة التي دون فيها هذه  
الآراء الخطيرة فيحذفها . . ولكن الصفحات التالية بعد ذلك تشير إلى رأى سعد  
زغلول في خلع السلطان ، ولو أن سعد زغلول هو الذى حذفها لحذف بطبيعة الحال  
ما جاء في الصفحات التالية عن هذا الموضوع الدقيق ! . . ثم إن سعد زغلول ما كان  
في حاجة إلى أن يقوم بهذه العملية لو أنه أراد أن يخفى المذكرات . . كان يستطيع  
أن يخفيها عند أحد أصدقائه ، أو عند شخص فوق الشبهات . . والثورة التي استطاعت  
إخفاء القنابل والمسدسات والمنشورات ، والتعليقات السرية ، وأسماء أعضاء الجهاز  
السري ، لا تعلم وسيلة لإخفاء كراسة فيها مذكرات سعد زغلول !

ولكن المفاجأة الكبرى أن سعد زغلول ليس هو الذى قام بهذه العملية ، بدليل  
أن هذا الجزء المحذوف كله موجود بكامله في كراسة أخرى من مذكرات سعد زغلول  
عن مفاوضات ملر ، ولو أنه أراد أن يحذف هذا الموضوع ، لحذفه من الكراستين  
معاً : : ففي يوم ٩ يونيو سنة ١٩٢٠ كتب سعد زغلول يصف جلسة المفاوضات في  
وزارة المستعمرات — وكان الحاضرون : سعد زغلول ، وعلى يكن ، ومحمد محمود ،



ولطفي السيد ، من المصريين : : ولورد ملتر وزير المستعمرات ، سير رونيل رود -  
كتب سعد زغلول يقول ، في صفحة ٢٠٢٣ من المذكرات :

« قال لورد ملتر : « لا نريد أن نتدخل في النظام الدستوري ، ولكن  
في مبادئه الأولية » : قلنا : « إنه لا مانع أن تشمل المعاهدة على التصريح  
بأن مصر دولة حرة مستقلة ، دستورية ، جمهورية أو ملكية . لا مانع من  
اشتمال المعاهدة على هذا » .

وكان هذا الذي قاله سعد زغلول في المفاوضات قبله : : إنها أول مرة يطالب  
فيها سعد زغلول بحق مصر في أن تكون جمهورية أو ملكية : : بل إنها أول مرة  
ذكر فيها احتمال أن تصبح مصر جمهورية !

وأثار هذا الرأي دويًا . . ويبدو أن أحداً من المفاوضين لم يتوقع هذا من سعد  
زغلول ، لأن أعضاء الوفد دهشوا أن يتكلم سعد زغلول عن الجمهورية ، في مفاوضات  
رسمية مع لورد ملتر ! : : وفي هذا يقول حمد الباسل : « إن الأعيان من أعضاء  
الوفد غضبوا لأن سعد زغلول يثير مسألة الجمهورية ضد رأيهم ، ومن غير استشارتهم ،  
وأنه اتهم المعارضين للجمهورية بأنهم يعارضونها لمصالحهم الشخصية ، أو كما قال  
في مذكراته :

« أخلق الاستغراب من قوم يغضبون ممن لم يرد إغضابهم ، وينظرون  
لمصالحهم الشخصية من فوائد للمصلحة العامة » !

وكان سعد زغلول قد تحدث في هذا مع لطفي السيد في باريس ، فقد كان  
سعد يرى أن من الديمقراطية أن يختار الشعب حاكمه ، وإذا بلطفي السيد يجد حلاً

للخلاف بين سعد وزملائه . وفي مذكرات سعد زغلول قصة هذا الخلاف قبل ذلك بشهور :

إن سعد زغلول يريد أن يكون رئيس الدولة بالانتخاب ، وعدد من أعضاء الوفد يعارض في أن يمس العرش بسوء ! . . . ووجد لطفي السيد حلاً وسطاً : وهو أن تؤلف هيئة شعبية من العلماء ورجال الدين وأعضاء الهيئات النيابية ، وهؤلاء يجتمعون ويقررون تأييد انتخاب السلطان فؤاد سلطاناً .. وبذلك نكون أرضينا «مالك وابن حنبل» أي جعلنا اختيار رئيس الدولة بالانتخاب ، وفي الوقت نفسه احتفظنا بالسلطان . . . ورفض سعد هذا الحل !

وهذا هو ما كتبه سعد زغلول عن هذا الحل الوسط الذي اقترحه لطفي السيد . فقد جاء في مذكرات سعد زغلول في ٥ يناير سنة ١٩٢٠ (صفحة ١٩٧٣) ما يأتي بالحرف الواحد : «قرأ لطفي السيد على مشروعي ، وضعه بغية النظر فيه ، عرض تأييد انتخاب السلطان ، من العلماء والرؤوس الروحانيين وأعضاء الهيئات النيابية ، ثم انتخاب وزارة ، وهيئة تشريعية ، وعندئذ تحصل المفاوضات بالطريقة الشرعية . فلاحظت له على القضية الأولى وتأييد انتخاب السلطان « فقبل حلفها . . . » :

### موقف «الأرستقراطيين»

ولقد كان واضحاً منذ كان الوفد في باريس أن عدداً من أعضاء الوفد لا يتصور أن تمس الثورة السلطان ، أو أن تجعل من أهدافها أن يكون رئيس الدولة بالانتخاب :: فلم يكن من المعقول مثلاً أن يقبل على يكن باشا - وهو من أصحاب الأسرة المالكة ، ويمثل أرستقراطية الأسرة الحاكمة - أو يتصور أن يخرج حكم مصر من يد هذه الأسرة !

لم يكن من المعقول كذلك أن يتصور مليونير من أعضاء الوفد - هو على شعراوي باشا الذي يملك أكثر من عشرين ألف فدان - أن من الممكن التخليص من الأسرة المالكة والسلطان ١ . . وهنا يبرز السر في أن ثورة سنة ١٩١٩ فشلت في تحقيق هذا الهدف . فلولا أن أغلبية أعضاء الوفد كانوا من طبقة ملاك الأراضي ، لما ترددوا في الإقدام على المطالبة بالجمهورية . . ولو أن سعد زغلول ، عزل هؤلاء في الحال عن قيادة الثورة واعتمد على المحرمين الذين كانوا وقود الثورة وضحاياها ، لفضت الثورة في تحقيق هذا الانتصار الشعبي العظيم . .

ومن أخطاء ثورة سنة ١٩١٩ أنها لم تكشف عن هدفها هذا ، وأخفته ١ : « صحيح أن الرسائل السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي أوضحت اتجاه سعد زغلول ، ولكن الثورة نفسها لم تعلن هذا الاتجاه ، اللهم إلا بعد ذلك بخمس سنوات عندما استقال سعد زغلول من رئاسة الوزارة احتجاجاً على اعتداء الملك فؤاد على الدستور ، وخرجت جماهير الشعب تحاصر قصر عابدين وتهدف : « سعد أو الثورة » بصوت كالرعد ، حتى اضطر الملك إلى الخضوع ورفض استقالة سعد زغلول ، وأجاب كل مطالبه !

### جورج الخامس يفاوض جورج الخامس !

ولقد كان واضحاً أن الخلاف بين زعماء الثورة كان على مسألة واحدة : « هل الشعب هو الذي يختار حاكمه ويمثله ، أو هو السلطان ١ ؟ » . كان سعد يقول إن السلطان معين بقرار من وزير خارجية إنجلترا ، فكيف يفاوض الموظف رئيسه ، وإلا فيكون جورج الخامس هو الذي يفاوض جورج الخامس !

وقد اعترف عبد العزيز فهمي باشا في مذكراته بهذا فقال بالحرف الواحد : « استقبل الشعب سعد زغلول استقبال الفاتحين . أى أنه لم يبق في البلد أمير ولا وزير ولا حقير إلا هرع للملاقاة ، بل حتى إخوانه الذين هدمهم من قبل كانوا في الإسكندرية أول المستقبلين له عند رسو الباخرة . رؤوس عالية تنحني ، وزينات تقام ، فزاد ذلك من اعتداد سعد . فلما جاء دور الكلام عن وفد المفاوضات تشبث سعد بأنه رئيس الأمة ، فله رئاسة الوفد ، فنبه عدلى إلى أن دعواه خطيرة ، لأن للأمة رئيساً واحداً ، وهو إذ ذاك عظمة السلطان فؤاد ، وإلى أن التقاليد توجب أن يكون رئيس الحكومة هو رئيس الوفد في الخارج !

وعلى الرغم من ذلك أبى سعد إلا الرئاسة ، ولما كانت إجابته إلى طلبه مستحيلة ، يأبأها كل نظام ، فقد رفضها عدلى ، عندئذ قامت القيامة . وأخذ سعد يخطب قائلا عبارته المشهورة : « إن حورج الخامس يفاوض جورج الخامس ! »

هذا ما قاله عبد العزيز فهمي . وهو كلام صريح لا يحتاج إلى إيضاح . ولقد أخطأت ثورة سنة ١٩١٩ عندما لم تكشف الحقيقة للشعب ، وهو أن الخلاف لم يكن بين سعد وعدلى ، وإنما كان بين حق الشعب وحق السلطان . ولو أن سعد زغلول يومها أعلن هذه الحقيقة بصراحة لوقف الشعب معه ، ولو أنه قرن هذه المطالبة بمطالب التغيير الاجتماعي ، وبالمطالبة بالقضاء على الإقطاع ، لكانت ثورة ١٩١٩ أذى مما كانت . فلقد كان واضحاً من اليوم الأول أن الشعب في معسكر ، والسلطان والإقطاعيين في معسكر آخر . وأنهم لم يتصوروا يوم قيام الثورة أنها ستتطور إلى موجة ثورية ، ويقوم فيها هذا النضال الشعبي العنيد . ولكن سعد زغلول لم يفعل ذلك ، ولعله لم يتصور أن الشعب كان مستعداً أن يقف معه . ! والأسرار التي عرفت بعد ذلك كشفت أن طبقة الإقطاعيين فرغت من تطور الثورة .



« في هذا اليوم حصلت هذه الزيارة الخصوصية فاستقبلنا اللورد استقبالا حسناً ، وبعد تبادل الكلام في السفر وما فيه من راحة ومشقة دار الكلام في موضوع المسألة المصرية . . . ونخلاصته أن في مصر نظاماً موحداً ، وأنتم تريدون أن تغيروه فجأة ، فما هو النظام الذي تريدون أن تضعوه مكانه ؟ » . . . قلت : « أنا أريد نظاماً دستورياً تكون فيه الحكومة مصرية صرفة ، مؤلفة من برلمان ، ووزارة مسئولة ، وحاكم » : « فقال : « وهذا يخشى من حصول اضطرابات إذا حصل هذا التغيير فجأة ، ويحدث في مصر ما حدث في غيرها من البلاد الشرقية كالترك مثلاً ؟ » .

وفي صفحة ٢٠١٦ كتب سعد زغلول يقول إن لورد ملر قال له : « يهنا جداً أن تكون مصر هادئة منتظمة متقدمة ، حتى لا يحدث في مملكتنا أقل اضطراب منها ، وإننا نخشى كثيراً من حدوث الاضطراب فيها عند تغيير نظاماتها فجأة ، وكذلك يخشى أن يعتدى الغير عليها كالتاليان واليونان وغيرهم . . . »

وفي ١٤ يونيو سنة ١٩٢٠ كتب اللورد أللني إلى لورد كيرزون وزير الخارجية يقول : « أبلغني المسيو جاك سوارس قنصل البرتغال أنه اجتمع اليوم بالسلطان ، وأن السلطان قال له إن الإنجليز يفاوضون زغلول من وراء ظهري ، وإن معنى ذلك أنني أصبحت كية مهملة ، وأنتى إذا ذهبت فلن يستطيع الإنجليز البقاء بعدى ، وأنه يجب أن يكون للسلطان ممثلون في المفاوضات » .

### السلطان ، وفصالح ذوى الأملاك !

وفي يوم ١٦ يونيو سنة ١٩٢٠ كتب أللني إلى وزير الخارجية البريطانية يقول : « زارني مسيو خاليه معتمد إسبانيا في القاهرة ، وذكر أنه في مقابله مع السلطان شعر منه أنه قلق جداً بسبب ما يتلقاه من أنباء عن نوايا المصريين في لندن نحو

العرش ، وأنه سمع أن زغلول سيثير مسألة العرش والوراثة على العرش ، وأن السلطان يرى أن أى تغيير فى الحالة الراهنة للعرش يعرض مصالح الأجانب ومصالح ذوى الأملاك للخطر . وأبدى كبار رجال الجالية البريطانية فى القاهرة والإسكندرية أنهم - مع كراهيتهم للسلطان ومعرفتهم بأغلاطه - يرون أن بقاءه على العرش هو الضمانة للمصالح البريطانية . وأن تسليم الحكم للوطنيين بغير بقاء العرش بصفة (فرامل) سيؤدى إلى أسوأ النتائج ، وطلبوا ضرورة بقاء الموظفين الإنجليز فى الحكومة ، وبقاء موظف إنجليزى فى الداخلية ووزارة المحاماة ليكون فى ذلك ضمان للأمن والعدالة بالنسبة للأجانب ، وبالنسبة لكبار أصحاب الأملاك الذين سوف يتعرضون للخطر فى حالة تولي الوطنيين الحكم .

وفى يوم ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٠ كتب لورد ألباني إلى وزير الخارجية البريطانية يقول إن الكولونيل « دى ستر يورك » ياور جلالة الملك - ملك إنجلترا - قابل السلطان ، وأن السلطان قال له إن بريطانيا أخذت كالبترقالة ومصتنى ، ثم تريد أن ترمى ، وإن السلطان يشكو أنه بعد أن وقف مع بريطانيا منذ قيام الحرب ، وكسب كراهية المصريين لهذا السبب ، وعداوتهم لعدم تشجيعه الثورة ، أصبح الآن يشعر أنه أصبح صفرًا على الشمال ، وأن المفاوضات تجري مع من ليس لهم صفة ، وأنه كان يتوقع أن تجعل الحكومة الإنجليزية وجوده على العرش شرطاً للاتفاق مع مصر ، وأنه يهجه أن يتولى لورد ملتر لفهام زغلول صراحة أن بريطانيا متمسكة بالسلطان ، وذكر السلطان أنه خسر كثيراً جداً بسبب التضحية التى قدمها بوقوفه مع الخلفاء من اليوم الأول ومقاومته سياسة الخديو المشايعة للألمان ، وأن الموقف الراسخ أضعفه كثيراً . وإنى أؤيد وجهة نظر السلطان تمام التأييد ، وأعتقد أن التخلي عنه معناه التخلي عن جميع مراكزنا ، وخاصة أن الوطنيين غير موثوق بهم ، ولا تطمئن

الجاليات الأجنبية إلى نواياهم بالنسبة لأموال الأجانب ومصالحهم ، بل لأموال كبار المصريين أنفسهم . وقد علمت أن الأمير عمر طوسون نفسه يرى أن تسليم الأمور لزغلول وشيعته عمل جنونى ، وقد أبدى هذا رأى عدد من الأمراء الذين اجتمعت بهم .

ولم تكن هذه الأنباء غريبة عن سعد ، ولا مفاجئة له ، فقد كان سعد يعتقد أن السلطان لا يريد استقلال مصر . وأنه مستعد أن يقبل أنصاف الحلول ، بشرط أن يبقى على العرش ! وكان يستند فى رأيه هذا إلى معرفته الشخصية بالسلطان فؤاد . وكان يستند إلى المقابلة الباردة التى فاعله بها السلطان بعد أن تقدم فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ بمطابى مصر . وكان يستند إلى الأخبار التى يتلقاها من الجهاز السرى للثورة فى القاهرة . .

فى أثناء وجوده فى باريس تلقى سعد الرسالة التالية :

١٧ مارس ١٩٢٠

سرى

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس . . قال السلطان فؤاد لمحمود بك فايد من الوفد : دول طالين الاستقلال التام ، والإنجليز الأمة العظيمة الكبيرة دى كيف أنها تخرج من هنا ؟ إحنا يرضينا خمسين فى المائة من حقنا أو حتى ٤٥ فى المائة : : :  
نخرج محمود بك فايد من عند السلطان وأتى لنا ليلا وقص علينا كل هذه الحكاية .

عبد الرحمن فهمى



مصرى

مايو سنة ١٩٢٠ ( ليس فى الرسالة تحديد اليوم ) :

من عبد الرحمن فهمى فى القاهرة إلى سعد زغلول فى باريس

السلطان يتميز غيظاً من اتجاه مقايضة الإنجليز للوفد ، بدون أن يلتفت أحد إليه ، وهو يعمل على السعى فى إيجاد حزب بالبلد ينادى بتوكيله ، وإنابته فى المقايضة . . هذه الفكرة هى التى دعت إلى تغيير الوزارة . يقولون إن نسيم باشا تعهد للسلطان ببذل الجهد لتحقيق هذه الغاية . . نحن لا نخشى نتيجة هذه اللسيسة الجديدة . الحكومة مهما تدرعت بوسائل الوعود والوعيد فلن يمكنها أن تصل إلى نتيجة تفخر بها ، ولكن على كل حال لاشك أن هذا المظهر الجديد — إذا قدر ووصل إلى شىء ولو تأفه من النجاح — فإنه يظهر الأمة بمظهر الانقسام :

لذلك ستخذ احتياطات فوق العادة لإخفاق هذه اللسيسة الجديدة ، وإلحاقها بغيرها من اللسائس السابقة .

عبد الرحمن فهمى

وفى أثناء المفاوضات وصل إلى لندن فجأة واصف غالى عضو الوفد . . وكتب سعد زغلول فى ٩ يونيو سنة ١٩٢٠ فى صفحة ٢٠٢٠ :

« حضر أمس واصف بك غالى ، وأكد بأن الحالة حسنة فى مصر ، ولكن هناك دسائس تبث من ناحية السراى وغيرها لمرقلة أعمال الوفد ، وبلغه أنهم يسعون فى ( تخنيم ) الناس على أوراق ضد ( الوفد ) وأن ثقة أخيره عن زيور باشا أن المفاوضات لا يمكن أن تتم بدون أن يحضرها بعض الوزراء الحاليين » .

ولكن ماذا فى الصفحتين المختفيتين من مذكرات سعد زغلول ؟

إن كل ما ذكرناه موجود في المذكرات وليس في الصفحات المتروكة ! ولكن كل هذا ليس أخطر ما في المذكرات . . ففي صفحة ٢٠٤٨ كتب سعد زغلول يقول تحت عنوان ( ٧ منه ) ، أى ٧ يوليو :

« حضر مستر ولرنز ( مندوب اللورد ملنر ) الساعة السادسة مساء ، وأخبرنى بأن اللورد ملنر كان أرسل تلغرافاً إلى اللورد ألابي ( المندوب السامى البريطانى فى مصر ) فى ٣٠ يونيو ، جواباً على أسئلته المتكررة عن سير المفاوضات . وأطلعنى على هذا التلغراف بالإنجليزية ، وترجمه هو بمساعدة محمد محمود باشا . وجاء فى التلغراف : « الغرض الذى نرى إليه هو عقد محالفة بين بريطانيا ومصر تضمن إنجلترا بواسطتها استقلال مصر وسلامة كيائها بصفة كونها مملكة ملكية ودستورية »

وجاء فى التلغراف : « كل معاهدة من هذا القبيل ستأخذ شكل محالفة بين جلالة الملك والسلطان ، ويعير من الضرورى تدخل السلطان عند انتهاء المفاوضات بمجرد تحقق اللجنة من أن زغلول وزملاءه يؤيدون هذه المعاهدة ، ولم يحصل الكلام فى جميع المحادثات التى جرت عن مركز السلطان ولا عن قانون الوراثة . وكان المتفق عليه فى أول الأمر أن هذه المحادثات لا تكون إلا جساً للنقض ، ثم إذا أخذت شكلاً مرضياً — كما هو المنتظر — يكون من الضرورى تجاوز هذا الدور إلى الدور الرسمى مع مندوبين رسميين يتعينون من الحكومة المصرية لوضع مشروع معاهدة يعرض على الجمعية التشريعية . ويلزم أن يكون تعيين هؤلاء المندوبين بواسطة السلطان الذى يحتل المكان الأول فى المفاوضات . ومن البلى أن « زغلول » وواحداً أو اثنين من زملائه ، وعلى يكن باشا — الذى كان لوجوده تأثير حسن معتدل — يلزم أن يكونوا من ضمنهم . ولا شك فى أن السلطان يريد أن يعين من له ثقة بهم مثل مقالوم باشا . ومن المهم أن يكون هؤلاء من الذين يعطفون على السياسة المتبعة الآن :

فليتكلم المندوب السامى حالا مع السلطان ، ويعرض عليه الحالة الموجودة الآن ،  
ويقنعه بأنه لم يكن فى نية حكومة جلالة الملك فى وقت من الأوقات أن تصل إلى حل من  
وراء ظهره ، وهناك بالطبع تفاصيل كثيرة يمكن حلها عند الوصول إلى وضع المعاهدة .  
ملنر

وكتب سعد زغلول فى صفحة ٢٠٥١ يقول بالحرف الواحد : « فاعترضت  
أعتراضاً شديداً على ما تضمنه هذا التلغراف . وقلت لمستر ولرند : " إذا كان اللورد  
ملنر أطلعنى عليه قبل إرساله لكان غير مضمونه . وإذا لم يكن أطلعنى عليه ، فلم  
يكن لى من حق فى نقده . أما وقد أرسله لى . فقد حق لى الاعتراض عليه بأننا  
لم نقبل ولن نقبل أية تسوية تقتضى أية مراقبة لإنجلترا على مصر . لا باطنة ولا ظاهرة .  
ونعتبر الشعور الذى قام باللورد ملنر مجرداً عن كل أساس . ثم إننا لا نقبل بأى حال  
من الأحوال بقاء عسكري واحد من جيش الاحتلال ، كما لا نقبل وضع نظام  
خاص للبوليس . . وكذلك نرفض أن نتفاوض بأمر السلطان بالاشتراك مع أى  
إنسان كان . بل لا نقبل هذا السلطان " .

ثم استطرد سعد فى مذكراته : « وأنصرف (مستر ولرند ) مندوب اللورد ملنر )  
بعد أن أبدى من الأقوال ما لا يضبط . ولا يمكن حصر معناه ، ثم بلغت إخوانى  
الخبر فاستاءوا له . إلا لطفى السيد فإنه قال إنه فى مجمله حسن ، ولا شىء فيه يستغرب .  
حكى ذلك على طريقته من الاستخفاف . فأثر ذلك فى نفسى أسوأ أثر ، ثم طلب  
عدي أن يحضر للعشاء عندى . وهو ما لم يسبق له به عادة ، يعنى أنه لم يدع نفسه  
لدى إلا هذه الدفعة : ففهمت أنه يريد الوصول بهذه الملاطفة إلى عاية ، وكنيت  
دعائى إلى العشاء سينوت حنا . فلما علم بأمر هذه الدعوة . وأن القصد منها مناوئة ،  
تنحى .

واختليتا ، وفهمت منه أن التلغراف عرض عليه قبل يوم . وأنه لم يفاتحنى فيه ، لأنه لم يجدنى وحدى ! . . ولكنه اعتذار غير وجيه . وقد أخبرته بما دار بينى وبين ولرند ( مندوب التورد ملتر ) فأعطانى فيه حقاً . ولكنه كان يحاول من بعد تلصيف الأمر . وانتهى الأمر بأن طلبنا مقابلة ملتر ، فقابلناه فى الساعة السادسة فى وزارة المستعمرات فى يوم ٨ منه ( يوليو ١٩٢٠ ) . فقالت له ( ملتر ) : « إن مستر ولرند أطلقنى على تلغراف منكم للورد اللبى ، وهو على قسمين : الأول لا يحق لى أن أتدخل فيه . لأنه كلام بيتك وبين زميلك ، والعبرة فيه عدى هو ما يتم بيننا ويقع الاتفاق عليه ، لا بما يحكيه للغير أحدنا . وأما القسم الثانى فهو المتعلق بالانتداب مع بعض زملائى من السلطان للمفاوضة الرسمية ، لأننى لا أقبل هذا الانتداب بل لأقبل أن أتعين مكان السلطان » : فقال ملتر : « إن السلطان يلزم أن يكون فى المفاوضة ، وليس إبعاده فى إمكانى . بل هو فوق ما أقدر عليه ، ولو كلفت تخرجت من حدود وظيفتى ، والتزمت أن أتحنى عن المفاوضة لغيرى » . قالت : « لا أريد أن تصل الحال إلى هذا الحد » . قال : « إن السلطان ينبغي أن يسند أدبياً ، ولا يمكن التعدى عليه ، إلا إذا تعدى على النظام ، إذ لا تسمح إنجلترا له بذلك ، وهى ضامنة استقلال مصر » . قلنا : « لم تقبل هذا الضمان ، ولم نتناقش فيه » .. قال : « حقيقة .. » . ثم طلبنا أن تعين وزارة موثوق بها غير الوزارة الحالية . فاستصعب ذلك الآن . وحصلت المذاكرة فيما إذا كا ينبغي أن يشتمل الاتفاق على مبادئ فى النظام المصرى ، فعارضت فى ذلك ، « لكونه مسألة داخلية ، ولا ينبغي التعرض لها » . وكان هذا الذى قاله سعد لمندوب ملتر ، وملتر نفسه ، مفاجأة لمدلى يكن والمفاوضين . فقد كانوا لا يريدون إثارة هذه المسألة . . وكانوا يرون أن سعد زغلول إلا يتدرم رأيهم فى المناوشات : بل حدث أن عرض ملتر مشروعاً . قبله كل أعضاء

الوفد ورفضه سعد ! .. وأبلغ سعد ملتر أنه يرفض هذا المشروع لأنه « حماية » ، لأنه لا يوافق على بقاء قوة عسكرية ولا على وجود موظف إنجليزي في وزارة الداخلية ووزارة الحفانية ، وأنه متمسك بإعلان إلغاء الحماية . فإذا وافقت إنجلترا على ذلك أصبح المشروع قابلاً للعرض .

وهنا ندع سعد زغلول يروي ما حدث له في صفحة ٢٢٨٩ من المذكرات :  
« وحضر عبد اللطيف المكباتي وسألني سؤال السيد للعبد . والحاكم للمحكوم : كيف أتى أبديت تلك الملاحظات للأعرج ( مندوب لورد ملتر ) من غير علم الوفد ؟ قلت : « إنها ملاحظات قررها الوفد » . قال : « ولكنك إذا أخذ الأعضاء قال شيئاً من غير اطلاعك تنضب » . قلت : « نعم ، ما قاته هو باطلاع الوفد ، ومع ذلك ماذا تريد ؟ » . قال : « هذا لا يصح ! » قلت : « قد أخطأت واعتذر عن خطئي » . قال : « ولكن ياباشا لم يكن يصح .. » قلت : « وماذا تريد بعد ذلك ؟ إن كان ذلك لا يوافقكم فافعلوا ما تريدون ! » .

فانصرف .. وقال واصف غالى : « إن الأمر ليس ما قاله المكباتي ، بل الأمر هو أنك قلت للمندوب ملتر إن المشروع بعد قبول هذه الملاحظات يعد قابلاً للعرض من الوفد ، وبدونها غير قابل للعرض ، لأنهم يقولون إن ما بها مقبول وهم يمشونه ، وبغيرها يكون قابلاً للعرض » . قلت : « لا خطر ، فلم أفوت عاينهم نفعاً ، فما على الذين يريدون قبوله إلا أن يقبلوه ، والقرم يتقبأون منهم ذلك بالأحضان ، وما فعلت إلا ما يوافق الكرامة » .

واستغربت جدا من هذه الحركة ! .. ثم حضروا ( أعضاء الوفد ) وكان في مقدمتهم حمد الباسل ( باشا ) ، فقلت : « ما الخبر ؟ » . قال : « الخبر كثير » . قلت : « ماذا ؟ » . فأعاد ما رواه واصف غالى . قلت : « الأمر سهل هين . إن

كنتم مع قبول تلك الملاحظات تمضون ، فهذا شأنكم ولا حرج على حرييتكم ! .  
 قل قائل منهم : « ورأيك أنت ؟ » . قلت : « إني لا أقبله ولا أمضيه » . قالوا :  
 « كيف تحالف الإجماع ؟ » . قلت : « أنخاف كل إجماع في مسألة أساسية .  
 وهذه من أخص المسائل الأساسية ، فلا أطيع فيها غير صوت ضميري » . قالوا :  
 « ولكن مبدأ التضامن ؟ ماذا تقول فيه ؟ » . قلت : « لانتضامن مطلقاً في مخالفة الأساس ،  
 ولا أنضامن مطلقاً في هذا . وما تقدروا عليه فلکم فعله ، من محاكمة فحاكموا ،  
 أو تأديب فأدبوا ، أو رفت فارفتوا ! ولكن شيئاً واحداً لا يمكنكم ، وهو أن تقهروني  
 على الإمضاء ، فإن هذا ليس في استطاعتكم ، وما أقيد حرية أحد منكم . ولا أسمع  
 لواحد من خلق الله أن يعتدي على حريتي في اعتقادي . وافعلوا ما شئتم ، وقولوا  
 ما شئتم ! » .

• • •

هذه صورة للصراع الذي كان موجوداً في داخل قيادة ثورة سنة ١٩١٩ . كانت  
 أغلبية أعضاء الوفد من طبقة كبار الملاك في ناحية . وكان سعد والجهاز السري  
 للثورة في ناحية أخرى . ولعل قصة الجهاز السري هذه تعتبر من أخطر أجهزة  
 ثورة ١٩١٩ وأقواها ! : إنه الجهاز الذي كان لا يعلم أعضاء الوفد عنه أى شئ ! . .  
 في حين كان الجهاز هو الذي لعب الدور الأول في الثورة ! .  
 ولعله الجهاز الذي أخذ المذكرات طوال مدة الثورة !

## الفصل الثاني

### الجهاز السري لشورة ١٩١٩ كيف تم تكوينه وما هي أعماله ؟

ذلك في يوم الخميس ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ .  
وكانت أقيم في بيت سعد زغلول .

وكان مكتب سعد زغلول مزدحماً بكبار الزائرين . فجأة دخل إلى البيت شيخ وقور في الستين من عمره ، له لحية يصفاء طويلة جداً ، يرتدى الملابس البلدية ، وتقدم إلى الحاج أحمد عثمان تابع سعد زغلول الخاص ويمس في أذنه بيبضع كلمات ! وسمعت الحاج أحمد عثمان يقول : " الباشا مشغول جداً " . وإذا بالشيخ الوقور يهمس في أذن الحاج أحمد عثمان مرة أخرى ، فيصيح الحاج أحمد عثمان بصوت عال : " ١٣ يوليو إيه ! " ، وإذا بالرجل الوقور يهمس في أذن الحاج بهدوء وبخزم . . .

ويهرج الحاج أحمد رأسه في ذهول ، ويضرب كفّاً بكف ، ثم يدخل مكتب سعد زغلول ويسر إليه ما قاله الشيخ هازناً ، وإذا بسعد يقوم من مكتبه ، ويدخل الغرفة الجانبية للمكتبة ، ويهرول الحاج أحمد عثمان ويستدعي الشيخ إلى الدخول ، وبعد خمس دقائق يخرج الشيخ الوقور وفي يده لفافة ، ويمشي بخطوات سريعة في الظلام ! .

ويقول لنا الحاج أحمد عثمان إن الرجل قال له : « قل للبasha : ( الشيخ ١٣ يوليو يريد أن يقابلك ) » . وأنه ما كاد سعد يسمع هذا حتى هرع إلى مقابلته : وعلق الحاج أحمد عثمان على ذلك بأن هذا الشيخ لابد من أولياء الله الصالحين ، وأن البasha استقبله ليتبرك به ، يتلقى الدعوات الصالحات !

كان عمري يومها ثمانى سنوات ، وبقي اسم « الشيخ ١٣ يوليو » في ذاكرتي . . . وفي اليوم التالى قبض الإنجليز على سعد زغلول ونفوه إلى سيشل .

ولم يظهر الشيخ ١٣ يوليو مرة أخرى !

ولكنه ظهر بعد ذلك بأكثر من عامين . حضر الشيخ في أحد أيام شهر سبتمبر سنة ١٩٢٣ — عقب عودة سعد زغلول من منفاه في جبل طارق— وكان معه لفاة أيضاً ، وقابل سعد زغلول في غرفة المكتبة ، ثم انصرف . . ولم نر الرجل بعد ذلك إلا في شهر مايو سنة ١٩٢٦ ، فقد جاء الدكتور أحمد ماهر والأستاذ محمود فهمى النقراشى والمتهمون الذين حكم لهم بالبراءة في قضية الاغتيالات . . وكان بينهم هذا الشيخ الوفور . . وما كاد يراه سعد زغلول حتى دهش وصافحه ، ولكن الشيخ اكتفى بترديد آيات من كتاب الله ، ولم يقل أى كلمة . .

وعرفنا بعد ذلك أن هذا الشيخ هو « الحاج أحمد جاد الله » الذى كان متهماً بأنه أحد زعماء حركة الاغتيالات السياسية ! . . وعرفنا أن سعد زغلول لم يكن يعرفه ، ولم يكن يعرف أنه متهم في قضية الاغتيالات السياسية ، وأنه عندما قابله في ديسمبر سنة ١٩٢١ أبلغ سعداً أنه سيقبض عليه ، وسأله عما إذا كان يريد أن ينقل ورقاً معيناً من بيت الأمة لأنه سيعتقل في اليوم التالى ، فسلمه سعد بعض الأوراق ، ثم أعادها إليه بعد الإفراج عنه . .

وعند مراجعة أوراق سعد زغلول الخاصة ، ظهر أن كلمة ( ١٣ يوليو ) هى



بكلمة السر بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي ! . ولكن عبد الرحمن فهمي كان مقبوضاً عليه في ديسمبر سنة ١٩٢١ ، فمن الذى أرسل الحاج أحمد جاد الله إلى سعد زغلول ؟ إنه ليس عبد الرحمن فهمي قطعاً ! لابد أنه جاء بأمر رئيس الجهاز السرى الذى خلف عبد الرحمن فهمي بعد القبض عليه !

ولكن ما هى الأوراق التى تسلمها ، ثم سلمها بعد ذلك !

إننى أستنتج الآن أنها مذكرات سعد زغلول السرية . .

ولكن كيف ائتمن سعد زغلول الحاج أحمد جاد الله - العامل بالغايب - على هذه الأوراق الخطيرة ، ولم يأتى عليها أعضاء الوفد ؟

أعتقد أن سعد زغلول كان يرى أن كل أصدقائه عرضة للتفتيش . وأن هذا العامل الشيخ ليس محل شبهة . ولو أنه كان يعلم من هو هذا العامل ، بما هو دوره الخطير في الجهاز السرى ، لتردد في أن يسلمه هذه الأوراق الخطيرة . . فإن الحاج أحمد جاد الله كان هو الذى يتولى اختيار العمال الذين يشركون في عمليات إطلاق الرصاص على الإنجليز ، وكان هو الذى يتولى صنع القنابل التى يلقيها على الوزراء !

ولقد بقيت هذه المقابلة العجيبة تثير الشكوك في نفسى ، هل كان سعد يعلم أو لا يعلم ؟ . . هل كان يعلم أن مذكراته مخفية في بيت صغير في شبرا مجاور لبيت الشيخ أحمد جاد الله ، الذى تعرض لتفتيش دقيق في أيام الثورة ، ولم يعثر عنده على شيء ، سوى مسابيح وسجاجيد للصلاة والقرآن الكريم ! . . والشيء الذى لم يعرفه سعد زغلول في ذلك الوقت أن الشيخ أحمد جاد الله زار بيت الأمة بعد أن قام بعمل هام . . ففى نفس اليوم أشرف على عملية اغتيال جنديين إنجليزين في السبتية ، بجوار بيته في شبرا ، ونجا جميع المعتدين ، ثم ذهب الشيخ أحمد جاد الله

إلى بيته وتوضاً وصلى . ثم حضر إلى بيت سعد زغلول . .  
 فهل يتكهن أن نستج من ذلك أن سعد زغلول كان يعلم ببرائهم الاغتيال  
 السياسي : أو كان يقرها !  
 إن التاريخ يقف هنا حائراً .  
 ونضطر أن نفتح قوساً كبيراً ! لأننا يجب أن ندرس أولاً وثائق التاريخ ، بغیر  
 أن نعتد على رواية تختل الصدق والكذب ، وإذا كان القاضي لا يحكم بعلمه ،  
 فإن المؤرخ أيضاً يردد قبل أن يقرأ المستندات التاريخية ، ويبحثها . . والتاريخ  
 لا يتكلم بالألسنة ، وإنما يتكلم بالورق المكتوب !

### اغتيال الوزراء !

وهنا يبرز السؤال الحائر : ما هو رأى سعد زغلول في الاغتيالات ؟  
 حدث في صيف عام ١٩٢٠ أن كان سعد زغلول يفاوض ملتر ، وكان الإنجليز  
 غاضبين للاعتداءات على الإنجليز وعلى الوزراء المصريين الذين قبلوا الاشتراك في  
 الحكم برغم أن قيادة الثورة حذرتهم من الاشتراك في الحكم قبل إلغاء الحماية :  
 ففي ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ ألقى أحد الشبان قنبلة على إسماعيل سرى باشا وزير  
 الأشغال . وفي ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠ ألقى أحد الشبان قنبلة على محمد شفيق باشا  
 وزير الزراعة . وفي ٨ مايو سنة ١٩٢٠ ألقى أحد الشبان قنبلة على حسين درويش  
 باشا وزير الأوقاف . وفي صفحة ٢٠١٩ من مذكرات سعد زغلول يكتب سعد  
 ويقول إنه كان مجتمعاً مع لورد ملتر في يوم ٧ يونيو ، « وقال لورد ملتر : ” إن  
 صحافة مصر سيئة » . قلت : ” وما الذى ترتب على سؤنها ؟ ” . قال : « التعلى

على الوزراء وقتل الأبرياء !” قلت : « إن هذا ليس نتيجة الصحافة . ولكن في كل بلد يوجد متحمسون متهورون ، كما وجد في فرنسا ، وكما وجد في إنجلترا حيث حصل الاعتداء على لويد جورج رئيس الوزراء ) ، وفي غيرها من البلاد حصل الاعتداء على كثير من أكابر الرجال ، فلا يعيب مصر أن يوجد فيها أمثال أولئك المعتدين ، وإن الاضطرابات التي حدثت في مصر والدماء التي أريقتم لم تحصل إلا في المظاهرات التي تدخل البوليس فيها ، أما غيرها فلم يحدث فيه شيء من المكدرات ! ” . قال : ” هكذا يزعم بعض الناس في روسيا ، وفي غيرها من البلاد التي اختل النظام فيها ! ” . قلت : ” لا أعرف ما جرى في روسيا ، ولكن ما حدث في مصر كان كما ذكرته ، حيث قتل الآلاف من النساء والرجال والأطفال أثناء المظاهرات بيد البوليس ، وعجيب أن تهتم بحياة أفراد ، ولا تهتم بحياة شعب بتمامه إن الصحافة المصرية كان يمكن أن يقال إنها كونت شعوراً مضرراً ، ولكن من أى جهة ضرر هذا الشعور ؟ من جهة المناذاة بالاستقلال ؟ إنى لا أرى في هذا ضرراً . بل أراه واجباً ولازماً ، وأما القوة فتري هذا مضرراً بها ” .

وعند ذلك تغير الحديث !

• • •

وفي صفحة ٢٠٣٢ كتب سعد زغلول يقول في مذكراته : « تقابل عدلي باشا مع لورد ملتر قبل الظهر ، وكلمه في التعديلات التي تصيب وزراء مصر ، وعما إذا كان من الممكن أن أصدر أنا بلاغا بعدم استحسانها واستهجانى لما ؟ ، فقال عدلي لورد ملتر : ” إن سعد يستهجن هذه الخطوة ويستنكرها ، ولكن بلاغا مثل هذا يعرضه لظمن المتحمسين المتهورين ، ويساعد على رواج دسائسهم ضده ” . . وبعد خمسة أيام من هذا الحديث أُلقيت قنبلة في يوم ١٢ يونية سنة ١٩٢٠ على توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء !

وكل هذه الحوادث التي أشار إليها اللورد ملزر في حديثه مع سعد زغلول كانت من عمل الجهاز السرى للثورة !

فهل كان سعد يعرف ما يفعله جهاز الثورة السرى ؟ هل هو الذى كان يصدر إليه التعليمات والأوامر ؟ أو أن الجهاز السرى كان يتصرف كما يشاء ؟ هنا يحسن أن نبحث الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ ، وهو جهاز خطير . فقد كان عبد الرحمن فهمى بك هو رئيس الجهاز ، وكان هذا الجهاز ينقسم إلى عدة فروع : كان فى هذا الجهاز إدارة مخابرات الثورة ، وقد كان للثورة عملاء فى كل مكان . كانت لها عيون فى قصر السلطان ، وعيون فى دار الحماية ، وعيون فى قيادة جيش الاحتلال ، وعيون على الوزراء ، وكبار السياسيين !

وكان فى هذا الجهاز إدارة للاتصالات الخارجية ، لها عيون فى إنجلترا ، وفى سويسرا ، وفى إيطاليا ، وفى باريس . . وكان فى هذا الجهاز إدارة لتحريك المظاهرات والاضطرابات ، وقطع السكك الحديدية والمواصلات ، وعمليات التخريب ، وكان فى الجهاز أيضا إدارة للدعاية تشرف على توجيه الصحف وتزويدها بالأخبار . . . ثم هناك إدارة للاغتيالات !

. . وكان الذين يعملون فى كل إدارة من هذه الإدارات لا يعرفون شيئا عن باقى الإدارات . لا يعرفون أسماءهم ، بل لا يعرفون أن هناك إدارات بهذا الاسم . . وفى أثناء محاكمة عبد الرحمن فهمى أمام المحكمة العسكرية البريطانية ، وقف المستر مكسويل المدعى العام البريطانى يطلب الحكم بإعدام عبد الرحمن فهمى ! وقال فى جلسة يوم السبت ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠ : إن الجهاز الذى يشرف عليه عبد الرحمن فهمى مكون من ثلاثة أقسام ، قسم خاص بالمشورات ، وقسم للقنابل والقتل ، وقسم لشراء الأسلحة ، وقال إن السلطة العسكرية البريطانية صُرت

في الأوراق المضبوطة عند المتهمين على مستندات تثبت أن الجهاز له عيون في كل مكان . وأن له اتصالات في أفريقيا ، ودمشق ، وتركستان ، والعراق . وسويسرا . واليابان ، وإيطاليا ، وتركيا ، والسودان ، وإنجلترا ، والهند . وأن الجهاز له فروع في جميع المديريات ، وله عيون في كل الأحزاب ، وفي كل قسم في الجيش والإدارة والمخافطات . حتى في مكتب المفتي ! وذكر أن الجهاز له فروع تصدر المنشورات باسم اللجنة المستعجلة ، والشعلة ، والمصري الحر ، واليد السوداء !

وكان عبد الرحمن فهمي يشرف على هذا الجهاز الخطير ، وكان الجهاز له صيغة عسكرية ، أعضاؤه لا يعرفون بعضهم بعضا ، ولكل منهم مهمة لا يتعداها ، ولا يتصل بأحد من أعضاء الوفد !

### لماذا عبد الرحمن فهمي ؟

ولكن لماذا اختار سعد زغلول عبد الرحمن فهمي لهذا العمل ؟ إن قصة حياته ترد على هذا السؤال : كان عبد الرحمن فهمي في ذلك الوقت يبلغ من العمر ٤٩ سنة ، ومكث ضابطاً في الجيش مدة ثمانى سنوات ، وخرج منه في عام ١٨٩٨ برتبة يوزباشى ، وحصل في تلك الأثناء على الوسام المجيدى وهو ملازم ثان ، وعلى النجمة المصرية ، وميدالية الحرب المصرية ، ونيشان الامتياز من تركيا ووسام السيف السويدي - تقديرًا لبطولته في حروب السودان - ثم عين مأموراً لمركز شمالوط ، ثم وكيلاً لمديرية القليوبية ، ثم الدقهلية ، ومكث ١٨ سنة وكيلًا للمديريات . ثم عين مديراً في عام ١٩٠٦ ، وأصبح مديراً لبنى سويف ، ثم الجيزة ، ثم عين وكيلاً للأوقاف ، ثم أراد الخديو أن يشتري من ديوان الأوقاف صفقة ٢٣٠٠ فدان في المطاعنة ، ورفض عبد الرحمن فهمي الموافقة على الصفقة ، وكان للخديو مصلحة

فيها ، وقابله الخديو وحاول أن يقنعه بالموافقة ، فأصر على الرفض ، فرفته الخديو !  
 . . . وهكذا رأى سعد أن هذا الرجل هو أصلح شخص لتولى هذه المهمة :  
 إنه رجل عسكري منظم ، درس المديرية دراسة كاملة ، عرف الشخصيات  
 الموجودة في كل إقليم ، وضع إصبعه على نقط الضعف والقوة في كل مكان :  
 في الجيش ، في البوليس ، في الإدارة ، ثم إن صلاته تجعل له سيطرة كاملة على  
 الجهاز ! . . . وكانت هناك شفرة خاصة بين القيادة -- في المنزل رقم ١٥٠ شارع  
 قصر العيني ، حيث يسكن عبد الرحمن فهمي -- وبين فروع الجهاز في كل  
 مكان ! . . . وكان بين سعد وعبد الرحمن فهمي عدة شفرات : شفرة بالخبر  
 السري ، وشفرة بالحروف ، وشفرة بالأرقام !

ولعل أغرب شيء في الجهاز أن أغلب أعضائه لم يضبطوا مطلقاً ! وقد قبض  
 على عدد منهم ، ولكن كانت التهم التي وجهت إليهم بشأن أشياء بعيدة عن العمل  
 الذي يقومون به فعلاً . . . فهل كان سعد زغلول يعرف بهذا الجهاز ، وبتفاصيله ،  
 وبدقائقه ؟ الثابت أن أعضاء الوفد كانوا لا يعرفون شيئاً عن هذا الجهاز ، على  
 الرغم من أنهم قادة الثورة . ولكن هل كان يعرف زعيم ثورة سنة ١٩١٩ ما يحدث في  
 هذا الجهاز ؟

إن رسائل سعد زغلول السرية تروى أشياء غريبة عن هذا الجهاز العجيب !

### حامي مقصر !!

ولنبداً بالصحافة : إن ثورة ١٩١٩ لم تستطع في أول قيامها أن تعتمد على  
 الصحافة ، فاعتمدت على المنشورات . إن الثورة قامت فعلاً يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ .  
 حينما ذهب سعد إلى دار الحماية وطلب الاستقلال . وكانت الصحافة يومها

تحت الرقابة ! ومنعت الرقابة نشر أنباء الثورة ، بل إنه بعد حوالى شهر من قيام الثورة في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، نفتح أكبر مجلة أسبوعية في مصر ، فنجده عنواناً ضخماً : عرض صفحتها الأولى : ( استقبال عاصمة البلاد لحامى مصر وفاتح الشام ) .

فلن عدد مجلة ( اللطائف المصورة ) الصادر في يوم الاثنين ٩ ديسمبر سنة ١٩١٨ ينشر صورة ضخمة لوصول اللورد أللبي إلى القاهرة . وكانت حكومة إنجلترا أرسلت اللورد أللبي ليقضى على الثورة : فاذا قالت أكبر مجلة في مصر يومها ؟ إنها كتبت في الصفحة الأولى تقول بالحرف الواحد :

« من أجمل المشاهد التي شهدتها سكان القاهرة ، وأبهجها منظراً ، دخول فخامة الجنرال أللبي في يوم الأحد ٢٤ نوفمبر إلى مدينة القاهرة ، عائداً من ميدان الحرب في سوريا وفلسطين ، بعد أن أنهى مهمته العظيمة الشأن ، وختم فعاله الباهرة التي كللت بالنصر التام . ولقد شاءت حكومتنا السنية ، والسلطة الحربية البريطانية ، أن يكون دخول فخامته العاصمة بهيئة رسمية ، فدعت كبار رجالها وأعيان مصر ، من وطنيين وأجانب . لاستقبال فخامته على رصيف المحطة ، عند وصوله بالسلامة ، فلبوا الدعوة . وهب أهل العاصمة على بكرة أبيهم للاشتراك في استقباله ، فاحتشدوا على جانبي الطريق المؤدية من المحطة إلى سرايه في الجزيرة ، وقفوا على الشرفات والنوافذ والسطوح في البنايات التي تطل على الطريق . وكانت الأعلام تنفخ فوق الدور والمنازل والمخازن ، وهي أعلام مصر والدول المتحالفة ، فكان منها منظر مهرجان عظيم . والحق يقال إنه كان يوم عيد كبير ، واصطف جنود الجيش البريطاني على جانبي الطريق الذي اجتازه الموكب . . ووصل القطار قبل الساعة الواحدة ، فنزل القائد العظيم ، وصافح فخامته نائب الملك ، وصاحب السعادة المندوب

السلطاني ، وكبار المستقبليين . ثم فتش قره قول الشرف من الحرس السلطاني ، وخرج من المحطة : وركب أوتومبيلا جميلا ، وحف به الحرس على موتوسكلاتهم . وتبعه في أركان حربه سبعة أوتومبيلات ، وكانت الطيارات البريطانية حائمة فوق العاصمة ، مشتركة بالاحتفال . وخرج الموكب من المحطة سائرا الموبنا ، والناس تهتف وتصفق للقائد العظيم ، ولما بلغ شارع كامل (نوبار الآن) نثرت عليه السيدات الأزهار . وإجمال القول أن العاصمة استقبلت فخامة الجنرال الاستقبال اللائق بالملك الكبير ، والقواد العظام القاطنين ، ولا غرو فخامته حامي الديار ، وفاتح الأقطار والأمصار .

وقد صور مصور اللطائف فخامة الجنرال في موكبه ، وتعلف فخامته فأدار وجهه الكريم إلى جهة المصور ، كما ترى في الصورة .

هذا هو نص ما قالته مجلة اللطائف المصورة ، أكبر مجلة في مصر يومئذ ، بعد أن تحرك الشعب المصري في ١٣ نوفمبر يطالب باستقلاله التام . . ولهذا كان من الطبيعي أن يتجه الجهاز السري للثورة إلى الصحافة . والرسائل السرية التي أرسلها عبد الرحمن فهمي إلى سعد زغلول تكشف عما كان يفعله جهاز الثورة في مجال الصحافة :

سري

٢٢ أغسطس سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس  
أمكننا الآن أن نضم إلينا ثلاث جرائد وهي : جريدة مصر ، وجريدة



وادی النيل ، وجريدة النظام ، لتأييد مبدأ الوفد . . المهمة مبدولة لضم غيرها .  
عبد الرحمن فهمي

سرى

١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس  
الجزائري تطورت حركتها تطوراً وطنياً خالصاً، وتطورنا نحن معها في المعاملة  
أيضاً ، وأصبحت تأتمر بما نبينه لها ، مما ينفع الحركة ، والابتعاد عما يضرها .  
كنت أصبر كثيراً إلى هذه النتيجة ، وكنت أظن أنني لا أبلغها إلا بئس آلاف  
الجنهات . ولكن ضيق ذات اليد اضطرني إلى البحث عن طرق أخرى غير طريق  
المال ، والله الحمد نجحت فيها ، وأصبحت قابضاً تقريباً على ناصية الصحافة .  
عبد الرحمن فهمي

احترسوا . . من « صلق » !

سرى

أول أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول ياريس إلى عبد الرحمن فهمي بالقاهرة  
إسماعيل باشا صلق وعمود أبو الفتح مكاتب جريدة وادی النيل وشخص  
ثالث يدعى أحمد السيد ، يصلون مصر في نفس المركب التي يسافر عليها بلديك .  
نرجو ألا تنقوا بما يمكن أن يقوله أي واحد منهم ، ولا بما يكتبه عمود بك  
أبو النصر . لأن اللحظة التي اتبعوها جعلتهم على الأقل عملاً للشك ، وعلى الخصوص

أحمد السيد الذى بالرغم من أنه يكتب أحياناً فى الجرائد مقالات فى مصلحة مصر ،  
يقوم شخصياً بأعمال ضد هذه المصلحة !

سعد زغلول

سرى

١٨ أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول بياريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة  
لم ندر سبب كتمان أمر (محمود أبو الفتح) مكاتب جريدة وادى النيل ، مع أنه أخذ  
يكتب لجريدته بما يفيد التحريض بالوفد ، ولابد أن تكونوا اطلعتم على شيء من ذلك ،  
وهو من أذئاب محمود أبو النصر ، وأصدقاء أحمد السيد اللذين اشتغلا كثيراً ضد  
الوفد ، فلا ينبغي كتمان أمر هؤلاء عن الأمة ، بل يجب كشف الستار عن حقيقة  
أمرهم ، حتى تحذرهم الأمة ، ولا تغتر بأضاليلهم ، التى عقدوا النية على بثها عند  
عودتهم !

سعد زغلول

. راقبوا الأمراء . . وسعيد باشا .

وكانت مهمة الجهاز السرى للثورة أن يحرس الثورة من الذين يخرجون عليها ،  
أو يحطمون صفوفها ، أو يشككون فى قيادتها ، كما يبدو من هذه الرسائل  
السرية :

سرى

٢٧ يناير سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول بپاريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة  
ألفت نظركم إلى محاولة الأمراء الوصول إلى قيادة الحركة . ربما كان  
لمحمد سعيد باشا يد في هذه الحركة ، كما يرشح لذلك ، بما تكتبه جريدة الأهالى  
لسان حاله يوماً فيوماً ، عن الوفد وموقفه ، والأمراء ودخولهم في الحركة . هل أنتم  
مترقبون لهذه الأحوال ؟ واقفون على أسرارها ؟ عاملون على اتخاذ الوسائل لمنع  
أضرارها ؟

سعد زغلول

سرى

١٨ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس  
كنا مراقبين من قبل حركات وسكنات محمد سعيد باشا . أعددتا له العدة ،  
منتظرين أن يبدأ بحملاته التى رتبها فى طى الخفاء . . مجرد أن ظهر بجريدة  
الأهالى مبدأ هذه الحملة أرسلت جنودنا إلى مدينة الإسكندرية ، بعد أن سهل لنا  
الطريق ، وحملت عليه حملة صادقة عقب صلاة الجمعة ، بجميع مساجد الإسكندرية  
الشهيرة . بدأ الخطباء قولم بتفهيم العامة حقيقة أعمال الوفد ، وما وصلت إليه القضية  
بفضل مجهوداته ، وما يريده الأفاكون الآن من الحط من قيمة هذه المجهودات ،  
والخطر الذى يتناول القضية برمتها إذا أصغت الأمة لأقوال هؤلاء الأفاكين ،  
ثم بين الخطباء أن هذه اليد الأثيمة هى يد « محمد باشا سعيد » ، ولسانه الذى ينطق به

هو جريدة الأهالى . واستنزأوا اللعنات عليه ، وعلى من يحلو حذوه ، وأسقطوهم من كل مقام ومقال . ثم خرجت المظاهرات من الجوامع القريبة إلى إدارة جريدة الأهالى ، ونادت عليها بالسقوط والموت ! وأقعد عاهد الخطباء كل الموجودين فى الجوامع بالألقاب وجريدة الأهالى . ومن ذلك التاريخ ثابت جريدة الأهالى إلى رشدها ، وانقطعت عن الغمز واللمز ، الذى اعتادته دائماً ، عندما تشير إلى عمل يتعلق بالوفد ! وكنا نظن أن الحالة تحتاج إلى تكرار هذه الحملات ، ولكن لله الحمد فقد أتمتهم الحملة الأولى ،

### عبد الرحمن فهمى

وكان الإنجليز فى حيرة من قوة الجهاز السرى للثورة ، وخبرته ، وكفائته . وكانوا فى ذهول من سيطرته الخطيرة على الثورة ، وقيادته لها ، وكانوا يسألون : من الذى يقود هذا الجهاز ؟ من الذى يصدر إليه التعليمات ؟ وكانت المخابرات البريطانية تراقب سعد زغلول فى باريس فلا تعلم إلا أن أعضاء الوفد مختلفون ! وكانت المخابرات تراقب عبد الرحمن فهمى فى القاهرة فلا تجد دليلاً على أنه على اتصال مع سعد زغلول ! وكان ينهلهم قدرة الجهاز على الاتصال بفروعه فى الأقاليم ، على الرغم من أن السكك الحديدية مقطوعة ، والتليفونات مراقبة ، والبريد مراقب ، ورجال الثورة مراقبون . . ولعل هذه الرسالة السرية تحكى بعض هذه القصة :

سرى

١٧ مارس سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بلندن

أستلفت نظركم إلى ما بعث به مكاتب رويتر في القاهرة إلى الصحف الأوربية تلغرافيا حيث جاء في آخر التلغراف المذكور ما يأتى : « إن تشكيل الوفد وهيئته التنفيذية - الطلبة - بحالة من الضبط بحيث إن كل الأوامر والتعليقات يمكن توزيعها وتنفيذها في جميع أنحاء مصر في ٢٤ ساعة ! » .

وهذه أعظم شهادة تدل على كفاءة المصرى ، وأحقته فيما يطلب من الاستقلال والحرية ، ما دام أنه رغم القيود المقيده بها ، ورغم القوانين الاستثنائية ، ورغم سلطة جيوش الاحتلال المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، متمسك هيئته الوفد التنفيذية أن تبلغ أوامرها وتعليقاتها في جميع أنحاء القطر في أربع وعشرين ساعة !

عبد الرحمن فهمى

ولقد كانت قيمة هذا الجهاز فعلا أن كل من فيه من المصريين ، ليس فيهم أجنبي واحد ، وليس فيهم أحد تدرب على هذا النوع من العمل . ولم يكشف التاريخ حتى الآن كيف اختار سعد زغلول عبد الرحمن فهمى بالذات لرأس هذا الجهاز . إن المعروف أن سعداً كان يثق به ، وبكفايته في التنظيم أيام كان موظفاً ، وأنه استدعاه في يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وطلب منه أن يشرف على العملية وينظمها ، ولا يتصل بأحد سواه ، وألا يعرف أحد ما يقوم به . وكانت ميزة عبد الرحمن فهمى الكبرى أنه كئوم ، وأنه قادر على ضبط عواطفه ، وبدأ عمله بالإشراف على

عملية جمع التوكيلات من الشعب لسعد زغلول . ثم كلفه سعد زغلول بطبع المنشورات الأولى للثورة ، ثم كلفه بمراقبة الوزراء والكبراء الذين يقاومون الحركة ، وفكر في أن يختاره عضواً في الوفد ، ثم عدل عن ذلك ، وقال إن المصلحة أن يبقى رئيس الجهاز السرى في الظلام ، وأن يكون بعيداً عن الأضواء ، حتى إذا اعتقل قادة الثورة بقيت الثورة تعمل . وكان سعد يجتمع بعد الرحمن فهمي يومياً على افراد قبل نفيه إلى المألة ، ولم يترك سعد في مذكراته شيئاً عن هذه الاجتماعات ، ولم يترك عبد الرحمن فهمي شيئاً عن اللحظة التي اتفق عليها ، ولكن ظهر أن عبد الرحمن فهمي عندما كان يقوم بعملية جمع التوكيلات في الأقاليم - وهي عملية بريئة - كان يكون في أثنائها أجهزة سرية تتصل به مباشرة ، وعند نفي سعد زغلول إلى المألة ، انقطع الاتصال بين عبد الرحمن فهمي وسعد . واستمر هذا الانقطاع لمدة شهر ، ثم استؤنف بعد ذلك بانتظام عجيب مثير . . وكان من أقوى صفات عبد الرحمن فهمي أنه يشك في كل شخص ، ويراقب كل شخص ، الأصدقاء والأعداء ، وكان لهذا يستطيع أن يتغلب بخصوم الثورة قبل أن يتعبوا به ! وكانت مخابرات الثورة أكفأ من المخابرات البريطانية ، بالرغم من جيش الاحتلال ، وقيادة هذا الجيش ، وطار الحماية ، وسيطرة الإنجليز على الوزارات ! وليس أدل على ذلك من أن لندن فوجئت بالثورة .

ان البرقيات الرسمية البريطانية تفصح هذه الحقيقة :

سرى

١٦ فبراير سنة ١٩١٩

من سبر ميلين شيتهم نائب المندوب السامى بالقاهرة

إلى لود كيرزون وزير الخارجية بلندن

« يسرنى أن أخبرك أن سعد زغلول لم يعد موضع ثقة أحد . إن التهييج الذى نظموا يلفظ أنفاسه ، أو أنه أحمد على أية حال فى البلاد بصفة عامة . من الأمور الجديدة بالملاحظة أن هذا التهييج كان منذ البداية ذا طابع سلمى كلية »

ولا يزال علينا ولا شك أن نحسب حساب عدم الرضا بين الطبقات العالية ، وأصحاب الأراضى ، وأرباب المهن ، وأغلب هؤلاء الناس يرغبون بصورة مبهمة فى شكل ما من الحكم الذاتى ، مما يجعلهم أكثر أهمية كأفراد ، ولكن يبدو لى أن الموقف يختلف مادياً عنه عام ١٩١٤ عندما رفض الأمير حسين كامل وكبار الوزراء فترة طويلة أن يقبلوا حماية ، دون امتيازات لم يكن فى استطاعتنا تقديمها . . . ومع ذلك فالحركة الحاضرة لا يمكن أن تقارن فى أهميتها بحركة مصطفى كامل ، ولا يبدو أن هناك أى سبب يجعلها تؤثر على قرارات حكومة صاحب الجلالة الملك حول الشكل المناسب الذى يعطى للحماية . »

شيتهم

وأصدرت الحكومة البريطانية بعد ذلك بثلاثة أسابيع الأمر بالقبض على سعد زغلول ونقله إلى مالطة ، وهى تظن أن شيتاً لن يحدث على الإطلاق . »

وفجأة انفجرت الثورة في كل مكان ، بينما كان نائب المندوب السامي البريطاني  
نائماً على (معدة) من ريش النعام !  
وإذا به يرسل نص هذه البرقية العجيبة :

سرى جدا

٩ مارس سنة ١٩١٩

من سير ميلين شيتهم نائب المندوب السامي . القاهرة

إلى لورد كيرزون وزير الخارجية — لندن

« الحركة معادية لبريطانيا ، ومعادية للسلطات ، ومعادية للأجانب ، وهي  
ذات ميول بلشفية (شيوعية) وتستهدف تدمير الممتلكات والمواصلات أيضا  
وهي منظمة ، ولا بد من أنه ينفق عليها . وهناك شكوك قوية حول نفوذ أجنبي  
فيها . ويميل المسؤولون البريطانيون إلى الظن أنه مهما كان هناك تحريض وطني في  
الشهور القلائل الماضية ، فإن الشعور الذي ظهر الآن لا بد أنه كان ينمو خلال  
سنوات عديدة ، وأن وقوع انفجار في وقت ما كان أمرا لا مناص منه » .

شيتهم

وتصور أن نائب المندوب السامي في القاهرة اعترف بعد أسبوعين اثنين أنه  
كان مغفلا ! . . ولكن البرقية السرية التالية أعجب :



سرى جدًّا  
٩ أبريل سنة ١٩١٩

من سير ميلين شيتهم نائب المندوب السامى . القاهرة  
إلى لورد كيرزون وزير الخارجية - لندن

« سرعان ما سيظهر الدليل على أن خطة الثورة قد دبرت وتطلعت من قبل  
بعناية ، ويجدر بنا أن نلاحظ أن الخطة التي نفذت تطابق البرنامج الذى رسمه الألمان  
وحزب « تركيا الفتاة » لشن هجوم حربي فى جريف سنة ١٩١٤ والذى كشف عنه  
السلطات المصرية الجاسوس الألمانى « مورس » الذى اعتقل فى الإسكندرية أثناء  
الحرب . وعندما درسنا الحالة الذهنية ، والشعور بالقلم بين الفلاحين فإن هذه  
الأشياء لا تكفى لتحليل انعجار الثورة الحالية الخطيرة للمنظمة ، التى يمكن أن يشاهد  
فيها بوضوح يد تركيا الفتاة ، بل والعملاء الألمان . »

شيتهم

ويظهر أن وزير خارجية بريطانيا ، ومجلس الوزراء البريطانى اكتشفا بعد  
قوات الوقت سذاجة نائب المندوب السامى ، وجهل قلم المخابرات البريطانى ،  
لأنهما أرسلتا له البرقية السرية التالية فى نفس اليوم :

سرى جدًّا جدًّا

٩ أبريل سنة ١٩١٩

من لورد كيرزون وزير الخارجية . لندن  
إلى سير ميلين شيتهم نائب المندوب السامى . القاهرة  
« إن السلطات الإنجليزية المصرية أثبتت أنها بعلمة جدًّا عن إدراك الشعور الوطنى . »

أظهرت جميع السلطات افتقاراً تاماً للمعرفة وجهلاً بالموقف . وهذا هو السبب الذي جعلنا نقرر الإفراج عن سعد زغلول باشا وزملائه في مالطة .

### كيرزون

ولكن الجهاز السرى لثورة سنة ١٩١٩ لم تكن مهمته الأولى أن يعرف ما كان يدور في دارالحماية ، وفي قيادة الجيش البريطانى ، بل كانت له مهام أخطر من  
هذه !

## الفصل الثالث

### ■ الرسول الخفى بين القاهرة وباريس!

### ■ الثورة تترد على الارهاب الانجليزى

ولإذا كان الجهاز السرى لقيادة ثورة ١٩١٩ حير المخابرات البريطانية فى القاهرة ، وحير المخابرات الفرنسية التى كانت تتعاون فى باريس مع المخابرات البريطانية لمراقبة قادة الثورة أثناء وجودهم فى فرنسا لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح ، فإن هذا الجهاز حير أعضاء الوفد أنفسهم ! كانوا لا يعلمون شيئاً عنه . بل إن قيادة الثورة فى القاهرة لم تكن تعرف شيئاً عن طبيعة أعمال الجهاز السرى للثورة ، ولا عن حقيقة العمليات السرية التى كان يرسلها سعد زغلول من باريس إلى عبد الرحمن فهمى فى القاهرة !

وانتجت هذه العمليات عبد الرحمن فهمى ، فقد كان تنفيذها يتطلب مالا للقيام بها وهو لم يكن غنياً ، ويتطلب من لجنة الوفد المركزية فى القاهرة اعتمادات مالية لهذه الأعمال ، وتسأله اللجنة ما هى أعماله ، فيرفض الإجابة ! وكانت الرسائل السرية تنتقل بين القاهرة وباريس بعدة طرق ، ولعل أغربها أن عبد الرحمن فهمى اختار شاباً لم يكن له أى نشاط سياسى ، وغير مشتبه فيه ، وطلب إليه أن يتظاهر بأنه من « أولاد الحظ » الذين يحبون السهرات ويجلسون مع الغانيات ويهون الرقص !

وانتجراه عبد الرحمن فهمى ليكون الوسيط السرى بينه وبين سعد زغلول وينتقل بين القاهرة وباريس موهماً أصدقاءه أنه يحب فتاة باريسية لا يستطيع

أنا يتحمل فراقها ! ولا يكاد يصل إلى باريس حتى يلعب إلى الفتاة التي يحبها ، ويمضي معها إلى المطاعم والملاهي ، ثم تنفذ تقوده فيعود إلى القاهرة من جديد . ويكون في هذه الفترة قد اتصل بسعد زغلول ، وسلمه رسالة عبد الرحمن فهمي السرية ، وتسلم رسالة سعد زغلول إلى عبد الرحمن فهمي ! ولا يعرف أحد من أعضاء الوفد المقيمين مع سعد زغلول في باريس بما يحدث ، ولا يتصور واحد منهم أن سعد زغلول الرجل الوقور ، وعبد الرحمن فهمي المدير السابق ، قد اشتركا في وضع خطط جاسوسية ، واتفقا على طريقة شفرة ، ووضعها هذه الطريقة العجيبة للاتصال !

وكان سعد زغلول يكتب تعليماته السرية على ورق عجيب لا يخطر ببال ! إنه يكتبها بالحبر السري ، في داخل صفحات مضبطة مجلس العموم البريطاني . وعندما يقتبس الإنجليز الرسول السري ، ويقصصون ما معه من أوراق ، لا يخطر ببالهم أن مضبطة مجلس العموم البريطاني تحوي تعليمات سرية إلى ثورة مصر . فإحدى هذه الرسائل السرية ، المؤرخة في ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠ ، مكتوبة بالحبر السري فوق صفحات مضبطة مجلس العموم البريطاني المنعقد في يوم الأربعاء ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠ .

وتقلب صفحات المضبطة فلا تجد فيها شيئاً . إلى أن تصل إلى صفحة ١٧٧١ وهنا تجد الصفحة الخامسة من تعليمات سعد زغلول السرية ، مكتوبة بالحبر السري ، الذي لا يظهر إلا إذا مررت فوقه مكواة ساخنة . ثم لا تجد شيئاً في الصفحة التالية ولا التي بعدها ؟ ولا التي بعدها ، ولكن في صفحة ١٧٨٠ من المضبطة تجد الصفحة الرابعة من تعليمات سعد زغلول السرية . ثم لا تجد شيئاً في الصفحة التالية ، ولا التي بعدها ، ولكن في صفحة ١٧٨٧ تجد الصفحة الثالثة من التعليمات السرية .. وهكذا !

وتستغرق التعليقات في هذه المضبطة ٥ صفحات، ولكن العين المجردة أو النظارات  
المكبرة لا تستطيع أن تلاحظ شيئاً مكتوباً فوق مناقشات أعضاء مجلس العموم البريطاني  
المكتوبة باللغة الإنجليزية . . ولكن إذا مرت عليها المكواة الساخنة ظهرت فجأة  
تعليقات سعد زغلول ، مكتوبة باللغة العربية !

وبلغ من حرص سعد زغلول أنه كان معه في باريس بعد بداية الثورة بشهر  
سكرتير خاص يثق به كل الثقة هو المرحوم محمد بدر بك ، وبقي هذا السكرتير يعمل  
مع سعد زغلول ليل نهار عدة شهور . ثم عاد السكرتير إلى القاهرة ، وقابل عبد الرحمن  
فهوى بك . . وترك الرسائل السرية تروى ما حدث - ( ونحب أن نقول إن النقط  
الموضوعة بين قوسين هي اسم الرسول السرى ! )

سرى

٢٣ أغسطس سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهوى بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس  
زارنى أمس محمد بدر بك - (سكرتير سعد الخاص) - ودار بينى وبينه  
الحديث الآتى :

بدر : أرجو أن تبلغوا الرئيس أن يحرس من ( . . . )

أنا : لماذا ؟

بدر : لأن كثيرين أخبرونى أنه جاسوس .

أنا : وما دليلهم على ذلك ؟

بدر : الدليل هو أن ( . . . ) لا قدرة له على المعيشة بفرنسا الآن .

أنا : هل لاحظت وأنت بأوروبا أنه يصرف بغير حساب كما هي عادة

الجواسيس ؟

بدر : لا . . . ولكن هذا لا يمنع أنه يتظاهر بالصرف الضيق نى لا يلاحظ  
أحد شيئاً عليه .  
أنا : سأكتب ذلك للرئيس .  
وأنا مسرور جداً لأن مأمورية ( . . . ) لم تتجاوزكم ، وهذا يجب أن  
يكون .

عبد الرحمن فهمى

مصر

٣ سبتمبر سنة ١٩١٩

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمى : القاهرة  
عجبت من حديث محمد بدر عن ( . . . ) لأنى لم أشعر منه مدة وجوده  
هنا بشيء من ذلك<sup>٢</sup> . ومرسل لكم جواب بخصوصه في هذا الموضوع .

سعد زغلول

نحن هو ؟

ولكن من هو هذا الرسول الخفى المجهول ؟ من هو « الثلاث نقط » الموضوع  
بين قوسين في الرسائل السرية ؟ إننا نكشف اسمه لأول مرة في التاريخ !  
إن اسمه « محمد وجيه » . وكان في ذلك الوقت موظفاً صغيراً مجهولاً معدوماً ،  
« كان معروفاً بين أصدقائه بأنه لا يعرف شيئاً في السياسة » ، ولا يهتم بها ، ولا يخالط  
السياسيين ، وكان يقوم بهذه المهمة الخطيرة التى لو علم بها الإنجليز لحكروا علناً  
بالإعدام ، ونفذوا الحكم على الفور ، والعجيب أنه بقى بعد ذلك ، وبعد أن

انتهت الثورة ، وبعد أن بدأ الذين لم يشاركوا في الثورة يفاخرون بما عملوا ، بقي صامتاً ، لا يتكلم ولا يفتح فمه ، فعل ذلك لمدة ٣٧ سنة ، حتى مات عام ١٩٥٦ ، ورأى الناس يتكالبون على غنائم الثورة ، فلم يقدم كشف الحساب ، ولم يطالب بعلاوة أو مكافأة ولا بمنصب كبير ، حتى بعد أن أصبح رجال الثورة وزراء ورؤساء وزارات ! لقد فضل أن يكون متروياً ، متسياً ، قائماً بأنه قام بدور خطير ومجهول ، وأسامي في هذه الثورة !

هذا الرسول الخفي المجهول شاب عصامي ، بدأ حياته في مدينة الإسكندرية في وظيفة صغيرة في مصلحة البريد بمرتب قدره جنيهان في الشهر ! وراح يعلم نفسه ويجاهد حتى عين سكرتيراً للجامعة الأهلية سنة ١٩١٧ ، وهناك توقفت العلاقة بينه وبين سعلم زغلول ، كان هذا من بين الأسباب التي جعلت الاختيار يقع عليه لهذه المهمة الخطيرة . واستمر يقوم بهذه العملية الخطيرة دون أن يعلم أحد بما يفعل . واستطاع الجهاز السري بعد ذلك أن يضع محمد وجيه في منصب خطير بطريقة لم يكشف الستار عنها حتى الآن ، وهو منصب السكرتير الخاص لرئيس الوزراء عبد الحفيظ ثروت باشا أكبر أصدقاء سعد زغلول خلال الثورة — واستمر الاتصال مستمراً بين وجيه والجهاز السري ، ولم يعرف ثروت أن سكرتيره هو تلك الشخصية الخطيرة . ولكن « وجيه » استطاع أن يقدم خدمات ضخمة للثورة وهو في هذا المنصب .  
الدقيق !

وفي نهاية الثورة نقل إلى وزارة الخارجية ، ووصل إلى منصب مدير الإدارة السياسية ، ثم نقل إلى مصلحة البريد وعين وكيلاً لهذه المصلحة ، ثم عين مديراً للسياسة في وزارة الخارجية ، وعند إنشاء الجامعة العربية عين مديراً للإدارة العامة بها بمرتب ٨٣ جنيهاً في الشهر ، وذلك في ١٩ يونيو سنة ١٩٤٥ ، وظل بها إلى عام

١٩٥٢ إلى أن وصل راتبه إلى ١١٥ جنيهًا . ثم وقع خلاف بينه وبين مجلس الجامعة فاستقال ، وتوفي عام ١٩٥٦ ، وكان عمره وقتئذ ٧٠ سنة . وفي كل هذه الأثناء لم يقل كلمة واحدة عن دوره الخطير !

ولكن كيف اختير محمد وجيه لهذا الدور الضخم ، ومن الذى اختاره ؟ إن الدكتور أحمد ماهر كان مساعد عبد الرحمن فهمى فى إدارة الجهاز السرى ، وهو أول من فكر فى اسمه . وتولى تزكيته الأستاذ محمد صادق فهمى أستاذ الحقوق فى الجامعة المصرية القديمة وقتئذ - والذى أصبح فيما بعد مستشاراً بمحكمة النقض والإبرام - وكان محمد وجيه يومها سكرتير الجامعة ، ومشرفاً على مكتبها . وبطريقة عجيبة منحت الجامعة محمد وجيه إجازة ثلاثة أشهر ، ثم مدت الإجازة . .

وكانت الثورة لا تكتفى برحلات هذا الرسول الخفى ، بل كانت تستعمل البوستة العادية . كانت تعليمات سعد زغلول تكتب من باريس بالجبر السرى ، وترسل بعنوان مكتبة الجامعة المصرية القديمة داخل كتب علمية ، وكان يتسلمها الأستاذ محمد صادق فهمى الأستاذ بالجامعة الذى كانت مهمته استلام الكتب الجامعية المرسلة للجامعة من أوروبا . ثم يحمل الرسالة السرية إلى بيت عبد الرحمن فهمى ويجلس أحمد ماهر ومحمد صادق فهمى يملآن الشفرة . ثم سافر إلى باريس بعد عدة شهور من الثورة الأستاذ محمد كامل سليم ، وتولى هو كتابة تعليمات سعد زغلول السرية . وكانت الشفرة التى يقيم فيها بباريس هى العنوان الذى تصل إليه رسائل عبد الرحمن فهمى المكتوبة بالجبر السرى .

وكانت الثورة تستعمل أنواعاً مختلفة من الشفرة ، يحملها الرسل المجهولون ،



ويهربونها تحت أنظار رقابة السلطة العسكرية البريطانية ، وكانوا يخاطرون  
بحياتهم ، متحدين رقابة المخابرات البريطانية الشديدة !

### امراة تحمل الرسالة السرية !

واستعملت الثورة مرة سيدة لتقوم بهذه المهمة الخطيرة ، وهى قرينة الدكتور  
محمود عزى الذى أصبح صحفياً كبيراً ، ومات وهو ممثل مصر فى الأمم المتحدة ،  
وقد ورد اسمها فى الرسالة التالية :

سرى

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول فى باريس إلى عبد الرحمن فهمى فى القاهرة  
مدام عزى وصلت . نقلت إلينا ما كلفت بتبليغه بخصوص الحوادث الجارية  
عندكم .

سعد زغلول

واستعملت الثورة أشخاصاً مجهولين ، كانت تطلق عليهم أسماء مستعارة ، لم  
نستطع حل رموزها ، كاسم « مسيو سيمون » الذى لم نستدل من الأوراق على  
شخصيته الحقيقية !

سرى

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول فى باريس إلى عبد الرحمن فهمى فى القاهرة  
مسيو سيمون أوصل المستندات وغيرها مما سلم له . وصل متأخراً . اعتذر

عن سبب ذلك باضطرابه للاعتظار في بور سعيد أكثر من ٤٠ يوماً قبل أن يجد له خلافاً للمركب .

سعد زغلول .

### أزمة . . في القاهرة !

وكان مركز عبد الرحمن فهمي حرجياً . المفروض أن قيادة الثورة تتولاها في مصر لجنة الوفد المركزية . وتولى رئاستها بالنيابة إبراهيم باشا سعيد . وهو أمين الصلتوق الذي يصرف أموال الوفد . ويتقدم إليه رئيس الجهاز السرى يطلب أموالاً . ويسأل إبراهيم سعيد باشا : لماذا ؟ .. ويجب عبد الرحمن فهمي إنها عمليات سرية ! ويأني إبراهيم سعيد باشا أن يدفع أموالاً لشيء لا يعرفه ! ويصر على أن يعرف ، ويصر رئيس الجهاز السرى على الرفض ! ويقول نائب رئيس لجنة الوفد : « أريد أن أرى خط سعد باشا ! » ، ويرفض عبد الرحمن فهمي أن يطلع على التمليات ، لأنه لا يريد أن يكشف سرها . . . تبدأ سلسلة من المراسلات :

سري

٢٢ يوليو سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس  
اشد الخلاف بيني وبين إبراهيم سعيد باشا ، إنه يريد معرفة الطريقة التي أناطبكم بها . يريد معرفة تفاصيل المضروقات التي أصرفها . لا يخفى على سعادتي ما في ذلك من الخطر على القضية ، وعلى الأشخاص الذين عاونوني للحصول على

كل المستندات والأوراق التي أرسلها لكم ، رجوته أن يوجّل هذا إلى وقت آخر أرى إلى عودة سعادتك . لم يقتنع . وهو يظهر لزاثيريه جلسائه عدم ثقته بالأخبار التي أقدمها له ، وحبته الوحيدة أنها ليست بخطكم ولا بمضاة منكم ، ويعتقد أنه بذلك يسىء إلى ، والله يعلم أنه يسىء إلى الأمة بأسرها .

ولما لم أنجح معه في أخذ النقود اللازمة للصرف توجه إليه أئمن سعادة محمود باشا سليمان مع أمين الرافعي بك ، تكلموا معه طويلاً في ذلك ، لم يقبل ، وقال إنه لا يعطى شيئاً إلا بأمر من الوفد بإمضاء سعادتك . تأكدوا أنه لولا أن الظروف خدمتني ، بل خلعت القضية — لأن شخصاً أحضر لي ألفاً وخمسمائة جنيه يوم سفر الوفد من هنا ، باشرت بها العمل — لما كنا نحصلنا على شيء مما أرسلناه لكم ، وما كان يتيسر لي إرسال المندوب القائم بتوصيل الأخبار بيننا !

وأشياء أخرى عملت هنا لصالح القضية لا يصح ذكرها ، بل إنني سأوضحها لكم بالتفصيل عندما تعودون إن شاء الله . وما أنا وطدت العزم للاستمرار على صرف الضروري للحصول على كل ما يفيد قضيتنا ، فإن كنتم سعادتك راضين عن الأعمال التي قمت بها لغاية الآن فأرجو إجراء ما من شأنه كف إبراهيم باشا سعيد عن التنديد بها ، وتفهمه بأن عدم ثقته بالتقارير الواردة بواسطة مندوبنا بالطريقة الرمزية يضر بالقضية ، قبل أن يضر بي !

أرسلوا لي مبلغاً من المال أسدد منه الألف وخمسمائة جنيه لإبراهيم باشا سعيد ، وأصرف الباقي ، وعند عودتكم إن شاء الله أقدم لكم حساباً دقيقاً عن كل قرش ، بحيث أن أى مبلغ ترون أنه صرف في غير محله أو أنه أكثر مما كان يجب ، أكون ملزماً بدفعه .

عبد الرحمن فهمي

ويتلقى سعد زغلول هذه الرسالة فلا يعرف ماذا يفعل .. إنه أعطى تعليمات إلى إبراهيم سعيد باشا أمين الصندوق بأن يدفع لعبد الرحمن فهمي المبالغ التي يطلبها ، ولكنه لم يشرح له ماذا يعمل عبد الرحمن فهمي ، ولا ماذا يكلف به . إن هذه المسائل تتطلب السرية التامة ! لا يستطيع مثلاً أن يقول إن الثورة لها عملاء في قصر السلطان : أحدهم واحد من خدامه المخصوصين ، والثاني موظف في سكرتارية السلطان ، ولا يستطيع أن يقول إن الثورة تشتري مستندات خطيرة هي أوراق سرية في قيادة الجيش البريطاني . إنها تحاول أن تعرف التعليمات والأوامر . إنها تحصل على نبض التحقيقات السرية . إنها تقوم بعمليات تخريب في المكسرات . إنها تدفع مبالغ لأسر الشهداء ، إنها تدفع ثمن الطعام الذي يقدم للمسجونين داخل المعتقلات . وهناك عمليات أخطر من هذه يقوم بها الجهاز السري ، وليس من المصلحة أن يعرفها أحد من خارج الجهاز السري ، حتى لو كان هذا الشخص نائب رئيس لجنة الوفد وأمين صندوق اللجنة !

ويتذكر سعد أن هناك كلمة سر بينه وبين محمود سليمان باشا رئيس اللجنة ، وإبراهيم سعيد باشا نائب الرئيس ، فيرسل إلى القاهرة الرسالة التالية :

سري

٢٥ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة  
يمكنكم أن تخبروا سعادة إبراهيم باشا سعيد وسعادة محمود باشا سليمان بعبارة  
( ١٣ يوليو ) ويلزم إبداء ذلك لهما لأنه برهان على صدق المراسلات بيننا .

سعد زغلول

ويتصور سعد أن رئيس لجنة الوفد وأمين الصندوق سيفهمان الغرض من كلمة السر . فهو لا يريد أن يكتب بخط يده أن هناك أعمالاً سرية ، وأن هناك أموالاً تنفق ! إن الشعب كله راح يتبرع للثورة . حتى نساء الفلاحين بمن حليهن الذهبية وتبرعن بها للثورة . العمال دفعوا يوماً من أجرم الأسبوعي . إن الدعاية للقضية المصرية في الخارج تحتاج إلى أموال طائلة ، ولكن الجهاز السري في الداخل لا يستطيع أن يعمل بغير وقود !

ولو اطلعنا على مصاريق هذا الجهاز لوجدنا أنها ملائم بالنسبة للعمل الضخم الخطير الذي كان يقوم به ! والسر في هذا أن روح التضحية كانت تسود كل من يعمل في هذا الجهاز ! كان خصوم الثورة ينفقون الملايين لوقفها والقضاء عليها . . وكان الثوار ينفقون قروشاً يهزمون بها هذه الملايين !

وكانت المخابرات البريطانية مهتمة بمعرفة من يقوم بعملية التمويل ! وكانت تبحث هنا وهناك عن مصادر أجنبية تعين الثورة ! ولكن الثورة كانت مصرية مائة في المائة ، ولم تلتق أى مساعدات من أى بلد أجنبي ! وكانت كل بلاد العالم في تلك الأيام ترتعد من اسم بريطانيا العظمى ، التي كسبت الحرب والتي قهوت أكبر إمبراطورية .

سرى :

٤ أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول بإريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة .  
« نأسف على وقوع الخلاف بينكم وبين سعادة إبراهيم باشا سعيد ، ولكن نتعشم أنه بعد ١٣ يوليو يعدل عن خلافه معكم ، ويتق بما تروونه له عن الوفد . كتبنا له اليوم كتاباً خصوصياً بالبوستة تضمن العبارة الآتية ( ومصادقة الصديق على

ما يتم عمله من جانب صديقه ، ومساعدته عند الحاجة) . والمقصود بها أن يصدق  
لكم على حساب ما صرفتم للآن ، وأن يصرف لكم ما يلزم .

سعد زغلول

ووصلت رسالة سعد زغلول السرية إلى عبد الرحمن فهمي ، ووصلت رسالة  
سعد زغلول التحريرية إلى إبراهيم سعيد باشا أمين صندوق الثورة . . واطلع أن  
سعد زغلول إلى أن التعليقات التي أرسلها وصلت إلى أصحابها !  
وبعد ذلك فوجيء سعد بالرسالة التالية :

سرى

١٠ أغسطس سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس  
... قلت لمحمود سليمان باشا وإبراهيم باشا سعيد كلمة السر ( ١٣ يوليو )  
وقلت إنها رمز من الوفد يبرهن لكم على صدق المكاتبه بيبي وبينه ، فبعد أن تفكر  
كل منهما كثيراً أجابا بأنهما لا يذكران شيئاً من هذا . . فالرجاء إرسال جواب  
رأساً لكل منهما بما ترونه ، حفظاً لمركز الوفد ، وعدم زعزعة اللجنة ، وبقاء الثقة  
قائمة عند الناس فيما أنشره عليهم من أخبار !

عبد الرحمن فهمي

ويجلس سعد زغلول يبحث عن طريقة تفهم منها لجنة الوفد المركزية في القاهرة  
أنه يجب أن تضع تحت تصرف الجهاز السرى ما يريد من مال . . . إنه  
لا يستطيع أن يرسل بريقة ، لأن البرقيات مراقبة ، ولا يستطيع أن يرسل خطاباً ، لأن

البريد مراقب ، ولجنة الوفد المركزية تفتش كل يوم ، وليس من مصلحة الثورة أن يقع في يد الإنجليز ما يدل على أن هناك جهازاً سرياً يعمل في الخفاء !  
وهو لا يستطيع أن يرسل رسولا شفويا إلى أمين الصندوق ، لأن أمين الصندوق يصير على أنه لابد أن يتلقى شيئاً مكتوباً ويخط سعد زغلول ، ليصرف !  
ثم يتلقى سعد الرسالة التالية :

سرى

٢٨ أغسطس سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول بإيريس  
كنت أظن ألا أجد صعوبة عند إبراهيم سعيد باشا في الحصول على ما يلزم للعمل من النقود ، بعد أن اطلع على نص الجملة الواردة بجوابي ، وبالجواب الوارد لسعادته ، خصوصاً أنه وقت وصول الجواب ، ومراجعة ما به على ما جاء بجوابه ، أظهر استعداداه لدفع المطلوب .

ومررت عليه مراراً بعد ذلك ، وكررت الطلب ، فكان جوابه في كل مرة لا يخرج عن : « حاضر ، لما تجيى فلوس » أو « لما يجيى ابني مصطفى من الإسكندرية لأن النقود مودعة باسمه في البنك » أو « النهارده رجلى وجعنى موش قادر أمشى » ! . . وهكذا حتى مضت ١٧ يوما بدون أن يعطينى شيئاً ، وأخيراً قال لى أمس إنه لا يمكن أن يدفع لى إلا ما أحتاج إليه شهراً بشهر ! أما ما صرفته من عندي بعد نقاد ال ١٥٠٠ جنيه فلا يمكن دفعه ! فغضبت جداً من هذه المعاملة السيئة ، البعيدة عن كل مجاملة وأمانة ، وعزمت على ألا أطالبه بشيء قط ، وأن أستمّر في الصرف على المسائل الهامة الضرورية من عندي ، إلى أن ترسلوا له جواباً تعلنونه فيه

بتسليمى مبلغاً ما على الحساب . ( مع العلم بأنى صرفت من عندى للآن نحو ٣٣٠ جنيهاً )

أماى أشياء هامة جداً سأجتهد فى الحصول عليها . وهى صور محاضر المجالس العسكرية برمتها ، لإرسالها لكم ، لأن بها من المستندات والبراهين ما يظهر المظالم البريطانية بأجلى معانيها . وفى العشم الحصول عليها إن شاء الله مهما كلفنا ذلك .

### عبد الرحمن فهمى

وإذا بسعد زغلول يتلقى خطابى احتجاج من القاهرة . . خطاباً من محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية يشكو من عبد الرحمن فهمى ، إنه لا يريد أن يخبره عن الأعمال التى يقوم بها . أليس هو رئيس اللجنة ، ونائب زعيم الثورة فى القاهرة ؟ فكيف لا يأتمنه عبد الرحمن فهمى ، ولا يثق به . فإذا لم يكن موضع ثقة فهو مضطر إلى الاستقالة من منصبه ليتولى رئاسة اللجنة من يكون موضع ثقة !

ويتلقى سعد زغلول فى الوقت نفسه خطاباً من إبراهيم سعيد باشا أمين صندوق اللجنة . إنه يرى فى تصرف عبد الرحمن فهمى بك إهانة له ، ومساساً بكرامته ، فهو يعرض حياته للخطر ، وهو يعتقل كل يوم من السلطات الإنجليزية . وهو مهدد فى ماله وأسرته ، فكيف لا يوثق به ، ولا يؤتمن على الأسرار ! وما هى هذه الأسرار ؟ وكيف يجوز أن يقوم عبد الرحمن بك فهمى بأعمال لا تعرض على اللجنة المركزية للوفد ، ولا يناقش فيها ، ولا يصدر قرارات فيها تسجل فى المحاضر !

ويكتب سعد الرسالة التالية :



سرى

١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي بالقاهرة

تأسفنا على وقوع الخلاف بينك وبين إبراهيم باشا سعيد ، وكنا نظن بأنه انخسف بما كتبناه لكم ولسعادتكم . لا أظنك ترى مانعا من أن تعرض عليه وعلى سعادة محمود سليمان باشا الأعمال التي تريد مباشرتها لمصلحة الوفد ، لأن كتابنا في الحقيقة عنهما يوجب استياءهما . ولك أن تكتم أسماء من يقومون بهذه الأعمال ، إن كان في إفشائها ما يضر بإتمامها . وأرجو أن تفهمهما أن الطريقة التي نراسل بها طريقة لا يمكن معها الإمضاء ، وأن إخفاءها كان بناء على اتفاق بيني وبينك ، وأنى لم أخبر إخواني بها خوفا على ذلك الاتفاق . وكنت كتبت لسعادتكما إشارة إلى ذلك ، وهذا نص العبارة التي كتبتها إلى إبراهيم باشا سعيد : « وقد كتبت إليه أن يعرض عليكم السبب في عدم إطلاعكم على أصول ما أكتبه إليه ، فأرجو أن تصدقوه ، وأن تصرفوا له المبالغ التي صرفها ويحتاج إلى صرفها في أعمال الوفد » .

سعد زغلول

وفهم عبد الرحمن فهمي « إشارة » سعد زغلول . . أنه فهم منها أن المطلوب أن يطلعهما على بعض الأشياء بتغير المهمة !  
ويبدأ يطلعهما على بعض الأشياء . . ولكن إبراهيم سعيد باشا لا يقتنع بهذه الأشياء . ، ويمتنع عن الدفع ! . . ويعود عبد الرحمن فهمي يكتب لسعد زغلول :

سرى

٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس  
لغاية اليوم لم يقم إبراهيم سعيد باشا بدفع المبلغ الذى طلبناه . آخر عذر  
اعتذر به أنه ينتظر أن يتفاوض مع شعراوى باشا ، لا أعرف نتيجة مفاوضاتهما ،  
بلغ ماصرفته ن عندى للآن فوق الأربعمئة جنيه .

عبد الرحمن فهمى

ويشور سعد زغلول من باريس . . ويرسل إلى القاهرة أحد أعضاء الوفد ، ومعه  
تعليقات مشددة لإبراهيم سعيد باشا بأن يدفع هذا المبلغ فوراً لأنه دين شخصى على  
سعد زغلول ! ويعد سعد زغلول بأن يرد الدين لإبراهيم سعيد باشا عند عودته إلى  
مصر !

ويقتنع إبراهيم سعيد باشا ، ويصرف المبلغ المطلوب !

سرى

١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس  
إبراهيم باشا سعيد دفع الحساب لغاية ٢٥ أكتوبر ، وانتهى الإشكال ، وأحوال  
اللجنة سائرة الآن على ما يرام والحمد لله .

عبد الرحمن فهمى

## حرب ضد الإنجليز !

وفي الوقت الذي كان فيه الجهاز السري في هذه الحالة من الضنك ، كان يعمل ليلاً ونهاراً ، وكان قد جعل حياة الإنجليز في مصر لا تحتمل ! . . وفي يوم ٢٠ نوفمبر يكتب اللورد أُلنبي البرقية التالية :

سري

من لورد أُلنبي بالقاهرة إلى وزير الخارجية . لندن  
اليوم أصدرت أمراً بالقبض على محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية لإبراهيم سعيد باشا نائب الرئيس وعبد الرحمن فهمي سكرتير اللجنة بسبب الاضطرابات التي تتفاقم يوماً بعد يوم . وقد حذرتهم قبل ذلك فلم يحدث تغير في الموقف . وأعتقد أنه بعد القبض عليهم سيهدأ الموقف .

أُلنبي

سري

٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩

من لورد أُلنبي بالقاهرة إلى وزير الخارجية . لندن  
قتل اليوم الكابتن كوهين من ضباط الجيش بوحدة العمال بجوار مستشفى شبرا . هرب الفاعلون وبدأت عمليات إرهاب .

أُلنبي

مصرى

٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٩

من لورد أُلنبي بالقاهرة إلى وزير الخارجية . لندن

أطلق الرصاص اليوم على خمسة جنود بريطانيين بجوار مصالحة السكك الحديدية بالقاهرة . أصيب أحد الجنود إصابة خطيرة ، فر الفاعلون . فى نفس اليوم قتل ثلاثة ضباط بريطانيين بجوار قشلاق العباسية ، اعتداءات مستمرة على رجالنا .

أُلنبي

مصرى

٢ ديسمبر سنة ١٩١٩

من لورد أُلنبي بالقاهرة إلى وزير الخارجية . لندن

قتل ضابطان بريطانيان بجوار محطة كوبرى اليمون بالقاهرة . وهرب الماعاون بدأت حرب الاغتيالات تتطور تطوراً خطيراً .

أُلنبي

وهكذا تضاعفت الحوادث بعد اعتقال عبد الرحمن فهمى ، ولم يبق عبد الرحمن فهمى فى السجن سوى بضعة أيام ، وخرج ليستأنف نشاطه !

سرى

٢٦ مارس سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول بپارىس إلى عبد الرحمن فهمى فى القاهرة

حضر سينوت بك حنا ( عضو الوفد ) واستلمنا ما معه من الأوراق . علمنا منها شفها أنه يلزمكم تقود للصرف منها على الضروريات ، فيمكنكم أن تأخذوا ما يلزمكم من إبراهيم باشا سعيد بإيصال ، أو إيصالات تكتبون فيها أنكم استلمتموها لإرسالها إلى الوفد ، بطريقة غير طريقة البنوك ، وحينئذ يسهل العمل من غير أن يكون عليكم مسئولية .

سعد زغلول

ولكن هذه الرسالة تتأخر فى الوصول إلى عبد الرحمن فهمى الذى كان أرسل لسعد الرسالة التالية :

سرى

٤ أبريل سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بپارىس

يسوؤنى جدا أن أعرف سعادتكم أن الحالة بدأت تظهر بغير المظهر الذى يرضيكم ، ويرضى كل محب لبلادنا العزيزة ، لأن خصوصنا السياسيين يشتغلون بجد ، ويصرفون عن سعة ، وكذلك أعداؤنا الحقيقيون ، يعبثون المال ، ذات البمين وذات الشمال ، بحيث أمكنهم أن يستخدموا كثيرين ممن كانوا من العاملين المخلصين للتجسس ،

والإيقاع بغيرهم . كل هذا يحصل حولنا ، وعلى مسمع منا ، ولا يوجد من جهتنا حركة مضادة لهذه الأعمال الشيطانية ، وذلك لقلة المال .

عبد الرحمن فهمى

وعلم عبد الرحمن فهمى بأن بعض الكلمات بدأت تتناثر عن مهمة الجهاز السرى .

واشتدت الرقابة عليه فجأة !

وأرسل إلى سعد زغلول يبلغه أنه قرر ألا يتقاضى أى مبلغ من أحد من أعضاء الوفد فى القاهرة ، ويبادر سعد ويرد عليه :

سرى

١١ أبريل سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمى فى القاهرة

«أحسبتم فى إعلانكم التوقف عن الصرف وعن استلام شئ من النقود من إبراهيم باشا سعيد، ولكى نأرسل إليكم من طرف آخر نقودا بالطريقة التى كنتم أوضحتوها، وبهذه الكيفية يمكنكم أن تشتغلوا من غير أن يعلم أحد بشغلكم ، ممن تشبهون فيهم ، ولا تودون أن يعلموا شيئاً من حركاتكم .

وعند استلام النقود من الذى سيعطيها لكم ، نهوا عليه بأن يكون أمرها بينه وبينكم ، وأن يرسل إلى فوراً الإيصال الذى تكتبونه له باستلامها .

سعد زغلول

وتتقابل هذه الرسالة في الطريق ، برسالة من عبد الرحمن فهمى ! إنه خطير  
ببالة أنه إذا كان الرجال الكبار يثرون فيمكن الاعتماد على شاب كمحمد محمود  
باشا . . فيكتب إلى سعد :

مصرى

١٢ أبريل سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس :

علمنا أن محمد باشا محمود سيحضر لمصر لتمضية مدة بها . أطلب بالخاص  
أن تعطوه التفويض الكافى لإنهاء المسألة المالية ، وما نحتاج إليه من الصرف . مع  
العلم أننا اضطررنا لتقليل الأعين الساهرة على مصلحة القضية ، التى كانت مكلفة  
بمراقبة خصوصنا وأعدائنا ، حيث لا قبل لنا على الاستمرار على الصرف عليها من  
جيبنا الخاص . كما كان الحال قبل أن تنفذ نفود الوفد ، وكذلك قللنا شيئا ليس  
بالقليل من الأعمال الأخرى .

عبد الرحمن فهمى

ولكن سعد زغلول لم يقبل أن يكلف محمد محمود باشا بهذه المهمة !

لماذا ؟

إن سعد زغلول لم تكن علاقته طيبة بمحمد محمود في باريس ، وهذا يفسر ما  
كتبه سعد زغلول في مذكراته في يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ : « قال لى محمد  
محمود : « إذن كنت تحمل المسافرين ( يعنى ويصا واصف وحافظ عفيف ) رسالة  
إلى القاهرة على أن يمتهدوا فى الإكثار من القنايل ! » . قلت له : « إن هذه السياسة

أمقتها، ولا أرجو إلا الشيء المشروع فقط ، وكل ما أطلب أن يتحد الناس على  
حبة الاستقلال ، وأعلم أن طريقة الإرهاب إذا نفعت مرة فإنها تفسر مرات ،  
وإذا كانت اليوم لك ، فإنها تنقلب عليك غدا ، والملك يجب التحذير منها ،  
والبعد عنها . فسكت ، ولونه أصفر .

فهل كان سعد زغلول يمت سياسة العنف ؟  
وهل كانت عمليات الجهاز السري تدور بغير علمه ؟  
هنا هو السؤال الذي لم نجب عليه بعد !



## الفصل الرابع

### حرب القنابل والاعتقالات!

ذهب « سير شيتام » المندوب السامي البريطاني إلى فراشه ، وتمدد في سريره هائثاً قريراً سعيداً ! إنه قضى على ثورة مصر وانتهى منها ! إنه قبض في ذلك اليوم على سعد زغلول وزملائه الثلاثة ، وهم الآن في طريقهم إلى الماطة . . . التقارير وردت من أنحاء القطر بأن كل شيء هادئ تماماً . وكان المندوب السامي قد أقام ليلتها حفلة في قصر النوبارة ( جاردن سيتي ) ، حضرها القواد وكبار رجال دار الحماية . وتبادلوا الأناخاب احتفالاً بقتل الثورة في مهبها !

وكتب اللورد جورج لويد - المندوب السامي البريطاني - في مذكراته « مصر منذ كرومر » صفحة ٢٨٩ من الجزء الأول يقول : « لا يمكن إنكار أن المسؤولين البريطانيين في مصر يستحقون اللوم . إنهم حتى اللحظة الأخيرة لم يروا الخطر الذي يهددهم . لم يخطر المندوب السامي وزارة الخارجية البريطانية بأن الموقف يتطور تطوراً يهدد بكارثة . والواقع أنه لا البريطانيون المدنيون ولا العسكريون البريطانيون عرفوا هذه الحقيقة ! حتى اللحظة الأخيرة كانوا يؤكدون في تقاريرهم أنه ليس هناك أى خطر ! »

وهكذا نام سير شيتام المندوب السامي في ليلة ٨ مارس سنة ١٩١٩ مقتبلاً ..  
 « ضربة المعلم » التي قضى بها على أحلام شعب !  
 ولكنه استيقظ في صباح يوم ٩ مارس ليجد مصر أخرى ، غير مصر التي تركها في الليلة الماضية -

وندع اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطاني يصف ما حدث ، مستنداً إلى الوثائق والتقارير التي وجدها في الأرشيف السري لدار المندوب السامي ، عندما تولى منصبه بعد قيام الثورة بست سنوات . كتب لويد في مذكراته صفحة ٢٩٧ من الجزء الأول يقول : « أشعل اعتقال هؤلاء الرجال الأربعة النيران . . . في صباح يوم ٩ مارس هجر الطلبة دروسهم . تفرقوا في الشوارع يحملون مشعل الاضطراب في كل مكان . . . وفي المساء بدأت أعمال التخريب . وفي صباح يوم ١٠ مارس هاجمت جماهير غير منظمة الممتلكات والمباني . كان لا بد من استدعاء الجيش البريطاني لمساعدة البوليس . وفي يوم ١١ مارس تحول الموقف إلى أسوأ . أضرب الحامون . ترك الموظفون أعمالهم . تكررت الاضطرابات بين الجماهير النائرة والجيش البريطاني والبوليس . . . وفي يوم ١٢ مارس اضطربت الأقاليم بالثورة : وقعت اضطرابات في طنطا . اضطرت قوات الجيش البريطاني إلى إطلاق النار لصمد هجوم على محطة السكك الحديدية . . واضطرابات في الزقازيق . . واضطرابات في دمنهور . واضطرابات في المنصورة . انتشرت الاضطرابات بسرعة في جميع أنحاء الدلتا ، كما انتشرت الاضطرابات في الصعيد !

« وفي ١٧ مارس عزلت القاهرة عن بقية أنحاء مصر . دمرت الخطوط الحديدية . قطعت أسلاك التلغراف والتليفون . اضطرابات مستمرة في الإسكندرية . . اضطرابات في جميع المدن الهامة بين قوات الجيش البريطاني والشعب . قوات الجيش البريطاني لا تستطيع أن تفعل شيئاً للسيطرة على بعض المناطق . القوضى تسود مدن الدلتا ، الموقف في الصعيد خطير بنفس الدرجة . حوصرت وحداتنا العسكرية . انتهت كل سلطة للحكومة !

وفي نفس اليوم — ١٧ مارس — وصل الجنرال « بولفين » لتولى القيادة . شكل

طواير متحركة من قوات الجيش . الثورة تحكم مصر . الممتلكات مهددة . خسائر ضخمة في الأرواح ! . . وفي يوم ١٨ مارس ، نشبت ثورة في أسبوط . . قتلت الجماهير الثائرة ثمانية من الإنجليز . الشعب شرس . ٣ ضباط و ٥ من صف ضباط الإنجليز كانوا مسافرين بالقطار من الأقصر . الجماهير في كل محطة تهددهم ، وتبيدهم في ديروط . تعرض القطار المسلح للهجوم . اقتحم الشعب العربية . فتك الشعب بالإنجليز العسكريين الثمانية . في ( دير مواس ) هجمت الجماهير ومزقتهم إرباً . تركت جثثهم المشوهة تستقبل في كل محطة يمر بها القطار . وصل القطار إلى المنيا . أخذت الجثث ودفنت !

« الصعيد يلتب بقوة أكثر عنفاً . البدو من الغرب يتقدمون بأعداد كبيرة نحو المدن . السكان الإنجليز في المنيا محاصرون ومعرضون لخطر عاجل . لجأ جميع الرعايا الأجانب في أسبوط إلى مبنى واحد تدافع عنه فصيلة من جنود (البنجاب) . . لم يستطع الطابور البريطاني أن يصل إلى أسبوط لتعزيز هذه الفصيلة إلا يوم ٢٥ مارس ! » .

هذا ما دونه لورد لويد في مذكراته ، نقلا عن الوثائق الرسمية في دار الحماية !

وأُسِّرت بريطانيا ترسل قوات من جميع أنحاء العالم إلى مصر : من الهند . من عدن . من سنغافورة . . وأُرسل الجيش البريطاني يستنجد بأكبر عدد من رجال المخابرات البريطانية . . ولكن الثورة استمرت ، واستمر الجهاز السري للثورة يعمل ، ويفسد جميع المحاولات التي تبذل لإخماد الثورة ! . . وكانت الاتصالات والتعليقات مستمرة بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي منذ أبريل سنة ١٩١٩ ، وعندما اضطُر

الإنجليز للإفراج عنه ، وسافر إلى باريس ليعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح  
المنعقد في قصر فرساي . .  
وهذه الرسائل السرية المتبادلة تحكى قصة الثورة :

### انتحار وكيل مديرية !

مصرى

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول في باريس إلى عبدالرحمن فهمى بالقاهرة .  
بلغنا من بعض المصريين أنهم ( الإنجليز ) بدأوا يجلدون النساء . وأنهم قتلوا بعض  
القضاة والمحامين ضرباً بالرصاص . إذا كان هذا الخبر صادقاً — وهو مالا نعتقد —  
فرجوكم أن ترسلوا لنا كل التضميلات المحلية .

سعد زغلول

مصرى

٢٢ يوليو سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .  
لا حصة لما بلغكم بخصوص جلد النساء ، وكذلك قتل القضاة والمحامين ، غير أنه  
حصل اعتقال كثير من القضاة وأعضاء النيابة وغيرهم ، وكذلك وكلاء المديريات  
بمأمورى المراكز . . وبينهم من أهين إهانة زائدة حتى آل الأمر معه إلى الانتحار ،

الكوكيل مديرية المتيا (محمد حمدى بك) : ، أو إلى الاستقالة بعد الإفراج عنه ككتاب  
نيابة المتيا .

عبد الرحمن فهمى |

قتل فلاح ، لأنه سرق بروسيا !

سرى

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة .  
بلغنا أن « أرمينيا » مرتديا ثياب ضابط بريطاني عين في وظيفته في مركز من  
مراكز مديرية الجيزة ، وأنه مطلق التصرف هناك ، وأنه قتل بمسدسه شخصاً أهم  
بسرقه قليل من البرسم . هل هذا صحيح ؟

سعد زغلول

سرى

٢٢ يوليو سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس .  
الأرميني المرتدى ثياب ضابط إنجليزي هو شخص اسمه « حكيبيان » عين بصفة  
ضابط قضائي بمركز العياط ، وله مسائل عديدة جداً . أرسلنا من يلزم لتحريها وجمع  
أدلتها بدقة . وسنرسل لسعادتكم تقريراً وافياً عنها . أما مسألة البرسم الواردة في رسالتكم  
فهي حقيقية .

عبد الرحمن فهمى

## أحزاب إنجليزية . . بأسماء مصرية !

وبدأ الإنجليز يحاولون ضرب الثورة . اتصلوا بعدد من الأعيان والإقطاعيين ، محاولين إقناعهم بأن يخرجوا على الثورة ، ويطالبوا بالاستقلال الذاتي بدلا من الاستقلال التام . . . وبدأت هذه المراسلات :

سرى

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول إلى باريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة :  
ما مبلغ صحة ما يقال من أن فكرة الاستقلال الذاتي تحت الحماية ( البريطانية ) بدأت تنتشر في بعض الأندية ؟ ومن هم مروجو هذه الفكرة ؟ نرجو إفادتنا عن تفصيلات ذلك .

سعد زغلول

سرى

٢٢ يوليو سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .  
فكرة الاستقلال الذاتي لم يروجها إلا الخوة الأندال والمأجورون . ولكنها على كل حال لم تلق قبولا . السواد الأعظم جدا من الأمة لا يريد غير الاستقلال !  
عبد الرحمن فهمى

وقررت إنجلترا إرسال لجنة تحقيق برياسة لورد ملتر لسؤال المصريين عما يريدون .  
وطلب سعد زغلول من الشعب أن يقاطع لجنة ملتر ، وأن يطلب من هذه اللجنة أن  
تتحدث إلى سعد زغلول لأنه يمثل الشعب المصري الوحيد :

سرى

٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس :  
حيا الله الأمة المصرية . نفذت لإرادتها التي أعجبت الوفد . أحكمت مقاطعة  
لجنة ملتر إحكاماً شديداً جداً . راقبت مراقبة شديدة ذوى النفوس الصغيرة الذين كان  
يظن أنهم سيتقدمون للتكلم مع اللجنة مخالفين قرار المقاطعة :  
حلت أعصاب الحزب المستقل الحز الذى كونه يد العاصب وأمواله لهذه الغاية :  
لم يجرؤ أحد من هذا الحزب الضئيل الحقيق أن يتقدم لهذه اللجنة . ليس هذا فقط ،  
بل إن رجال الأمة العاملين اتحدوا من الطرق والأساليب ما جعل معظم أعضاء هذا  
الحزب ينفضون من حول مؤسسيه الخونة . اضطرت الحزب أخيراً أن يعلن في جريدته  
الساقطة ( المنبر ) الانضمام في آرائه إلى وفدنا المحبوب . .

عبدالرحمن فهمى

سرى

٢٨ أبريل سنة ١٩٢٠

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس :  
بعد أن أراحنا الله من نادى الأعيان أولاً ، ثم من حزب الأحرار ثانياً . عاد  
محمد إبراهيم هلال إلى عمل جمعية سماها « جمعية الاتحاد الوطنية » ، « ظاهرها حلو

وهو الدعوة إلى الاتحاد والوثام والسعى في استقلال مصر بالطرق المشروعة \* ولكن  
باطنهم السم الزعاف . حيث أن أساس عملها الداخلي هو الطعن على الوفد ، والتشهير  
به لإسقاطه ، وتوكيل وفد آخر برئاسة محمد سعيد باشا . ومن معه من أقطاب  
اللساسين . ولقد أدخلت في الجمعية أكثر من شخص لإمكان الوقوف على أسرارها ،  
وأعمالها ، حتى تأتينا التقود . والحمد لله ، ها هي وصلت فسنحاربها بحاربة تلحقها  
بالحرب الحر المستقل . إن لم يكن بأكثر من هذا . فاطمئنا . ولا تشغلوا بالكم  
بداخليتنا . وللوقوف على شيء من أعمال هذه الجمعية : أرسل لكم تقريراً مقلماً من  
انتدبناهم للانخراط في سلك الجمعية : للوقوف على ما يدور فيها من الأسرار واللساس  
والسعيدية !

عبدالرحمن فهمي

سرى

٧ يناير سنة ١٩٢٠

من عبدالرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس .  
يسرني أن أعلن سعادتك أن كل الإجراءات التي اتخذت للقضاء على الحزب  
الحر المستقل نجحت نجاحاً باهراً . تفكك أعضاؤه . أصبح أثره بعد عين . لا يزال  
العمل جارياً لخدم ما بقي من اسمه وجدرانه!

عبدالرحمن فهمي

### نقابات العمال

وفي أواخر سبتمبر سنة ١٩١٩ . أرسل سعد زغلول إلى عبدالرحمن فهمي توجيهاً  
سرياً بعمل تنظيم للنقابات ، ويسأله رأيه في ذلك ، واستطاع عبدالرحمن فهمي أن  
ينجح في هذه العملية نجاحاً ضخماً:



مصرى

١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بإريس .  
عممنا إنشاء النقابات بطول البلاد وعرضها . أثمرت المجهودات التى بذلناها فى  
سبيل ذلك والحمد لله . تشكلت لكل حرفة نقابة . لم يبق فى مصر حرفة أو صناعة  
إلا ولها نقابة . لم تعترف الحكومة بهذه النقابات حتى الآن . ليس منظوراً أن تعترف  
بها فى الظروف الحاضرة . نقابات العمال مفيدة جداً للحركة الوطنية وهى سلاح قوى  
لا يستهان به فى الملمات . يجب نداء الوطنية بأسرع ما يمكن .

عبد الرحمن فهمى

### منشورات تهديد بالشيوعية !

وبدا الجهاز السرى يصدر منشورات مختلفة الاتجاهات ليثير الرعب فى قلوب  
الاحتلال : فيظهر فيها أن الألمان يؤيدون الثورة ، أو أن الشيوعيين يؤيدون الثورة ،  
ولكن سعد زغلول اعترض على هذا الاتجاه فكتب يقول :

مصرى

٢٣ يونيو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول فى باريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة .  
الوفد غير راض عن المنشورات التى تفيد اعتماد المصريين على الألمان ، وتتضمن

انتصاراً للشيوعية ، فإن هذه المنشورات يستفد منها أعداؤنا ، للقول بأن الحركة المصرية لها اتصال بالألمان والحركة البلشفية . وهذا يضر بقضيتنا..

سعد زغلول

## لا أمل في الاستقلال !

ومع الإرهاب ، واعتراف الدول بالحماية على مصر ، بدأ بعض أعضاء الوفد المؤيدين لسعد زغلول يقولون إنه لا فائدة من المطالبة بالاستقلال !

سرى

٢٣ يوليو سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .  
سبق أن ذكرت لسعادتكم ، أكثر من مرة ، أن روح الخطابات التي ترد من بعض أعضاء الوفد لا تتفق مع روح الكتابات التي ترد لنا من الوفد . ولم أذكر أسماء مرسلها ، تفادياً من وقوع أى خلاف . أما الآن وقد أتى مكتوب أنخيراً بصفة لا يمكن السكوت عليها ، إذ به الحملة الآتية « الآن لا أمل ولا عمل ، فيا ليتنا نسعى للمفاوضة في الاستقلال الداخلي » . هذا المكتوب ورد للدكتور محمود عزى من صديقه على حافظ رمضان بك . ويقول عزى إنه ورد مكتوب مثله لمحمد حافظ رمضان بك . نعم إن على بك حافظ ليس من أعضاء الوفد . ولكنه بعد أن قرر الوفد ضمه لسكرتاريته ، وسافر معه بالفعل ، أصبح منسوباً إليه . ولا يخفى على سعادتكم ما يحده مثل هذا الكلام من الأثر السيئ في النفوس وبخصوصاً أن الخونة ورئيسهم

الأكبر ( الاسم الذى كان يطلق على السلطان فؤاد ) لا سلاح لهم الآن إلا مثل هذه الجوابات !

أرجو العمل على ملافاة ذلك حرصاً على النفوس ، ومنعاً لتسليح الخونة .

عبدالرحمن فهمى

أخفينا أعمالنا عن صدق باشا !

وبعد ذلك مباشرة بدأ الانقسام فى الوفد ، وفصل سعد زغلول إسماعيل صدق باشا !

سرى

١٨ أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول باريس إلى عبدالرحمن فهمى بالقاهرة .

يحسن أن نخبركم أن رجلاً يدعى « صباغ » ، كان موظفاً عند المرحوم البرنس حسين ، ويظهر أنه مخبر للإنجليز فى باريس ، عرض وساطته بيننا وبين المستر بلفور ( وزير خارجية بريطانيا ) ورغب أن أزور هذا الأخير ، وبأن أترك له ورقة زيارة وأطلب فى الوقت نفسه بواسطة سكرتير الوفد مقابله . وذلك عقب أن قرر المؤتمر شروط الصلح التى تضمنت ما تعلمونه عن مسألة مصر ( الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر ) . وكان هذا بالاتفاق بينه وبين إسماعيل صدق باشا وحسين واصف باشا على غير علم منا ، فلعدم الثقة بهذا الرجل من جهة ولا رتيابنا فى هذا الاتفاق : وعدم الوقوف على السبب فيه ، ولأن طلب مقابلة مثل هذا الوزير عقب قرار مؤتمر الصلح لا يتفق مع طلب الاستقلال التام ، وحفظاً لمبدأ الوفد وكرامة الأمة قرر الوفد رد هذه الوساطة ؟

من هذا الحين غضب إسماعيل باشا صدقي ، وصار يبذل جهده في عرقلة مساعي الوفد ، حتى اضطر الوفد أن يخفى عليه أكثر أعماله ، خشية أن تذاع بمعرفته معرفة محمود بك أبو النصر الذي كان شريكاً له في جميع التصرفات .

سعد زغلول

### الوساطة المفوضة !

وبدأ خصوم الثورة يهاجمون سعداً ، ويلومونه لأن « فينزيلوس » رئيس وزراء اليونان أبدى استعداداًه للوساطة بين الثورة والإنجليز ، فرفض سعد زغلول !

مصرى

٢٤ أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول يباريس إلى عبدالرحمن فهمى بالقاهرة .

قرأنا في بعض الجرائد أنه حصلت مناقشة بشأن توسط المسيو فينزيلوس ( رئيس وزراء اليونان ) بين الوفد ووزير خارجية إنجلترا . وحقيقة هذه المسألة هي أن بعض كبار اليونانيين عرض أن المسيو فينزيلوس يتوسط عند الحكومة الإنجليزية في إعطاء مصر حقوقها . فطلب مسيو فينزيلوس أن أكتب له خطاباً أتمس وساطته لإعطاء مصر نظاماً موافقاً تحت الحماية ، ولا كان هذا مخالفاً لمبدأ الوفد ولكرامة الأمة التي يمثلها الوفد ، ولا يتفق مع الإجابة التي أجبتناها للسير ونجبت ( نائب ملك إنجلترا ) عندما طلب منا أن نقدم طلباتنا بالكتابة في دائرة الحماية كما تعلمون — لم نر بداً من الامتناع عن الدخول في مثل هذه المفاوضات .

سعد زغلول

## الاغتيالات السياسية !

واستمر الإرهاب البريطاني ضد الثورة . حكمت المحكمة العسكرية بإعدام ٥١ مصرياً اشتركوا في ثورة ( ديرمواس ) . ثم عدلت عقوبة الإعدام بالنسبة لـ ١٦١ منهم ، بينما نفذ حكم الإعدام في ٣٤ منهم من بينهم البكباشي محمد كامل مأمور أسبوط الذي قاد ثورة أسبوط . . كما نفذ حكم الإعدام في ثلاثة مصريين قادوا ثورة الواسطي . مئات من المصريين حكم عليهم الإنجليز بالإعدام ، وبالأشغال الشاقة المؤبدة ، وجلدوا ألوف المصريين ، وملأوا السجون بألوف الوطنيين . . وبدأ بعض السياسيين يدعون للتسليم !!

وبدأت الثورة تتجه إلى الاغتيالات السياسية ، وليس في الخطابات السرية ولا في مذكرات سعد زغلول ، بما يدل على أن سعد زغلول هو الموعز بهذه الاغتيالات ! . ولكن في الوقت نفسه لم نجد في تعليقات سعد زغلول السرية كلمة واحدة عن أنه لا يوافق على هذه الاغتيالات . . بل إن صحيفة الرسائل السرية التي يرسلها عبدالرحمن فهمي تدل على أنه يحمل بشرى إلى قائد ثورة ١٩١٩ ، وأنه يطلق على الذي حاول اغتيال رئيس الوزراء بأنه « يتقد حمية ووطنية » . . وأنه في « غاية الجرأة » . و « لا تسألوا عن ثباته وشجاعته » وأنه « الجريء » . ونحن لم نستطع في تحقيقاتنا أن نجزم برأى سعد زغلول في هذه الاغتيالات ، وإن كنا نميل إلى أنه كان يرحب بها في تلك الأيام . فلم يكن في استطاعة الشعب أن يقاوم الطغيان وأحكام الإعدام بالجملة إلا بهذه الطريقة . خاصة أن سعد زغلول أعلن أن كل مصري يتولى رئاسة الوزارة في ظل الحماية البريطانية هو خائن لبلاده . . وأدى هذا الإعلان إلى

قرار الحكومة البريطانية بنفيه إلى مالطة ! . . وهذا هو السبب في أن الجهاز السرى  
حاول اغتيال كل رئيس ووزارة تولى الحكم بعد هذا الإعلان !  
ويحسن هنا أن نترك الوثائق تتكلم :

### قنبلة على سعيد باشا !

سرى

أول سبتمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمي بالة اهرة إلى سعد زغلول پياريس .  
علمت الساعة أن بعضهم ألقى قنبلة على محمد سعيد باشا صباح اليوم أثناء  
خروجه من منزله ، فلم تصبه .

عبدالرحمن فهمي

سرى

٨ ديسمبر سنة ١٩١٩

من سعد زغلول پياريس إلى عبدالرحمن فهمي بالقاهرة .  
أعجبت كل الإعجاب بما قام به الأقباط من المظاهرات ، والتبرؤ من رئيس  
الوزراء ( يوسف وهبه باشا ) وما كتبه « و يصا واصف بك » في جريدة ( الجورنال  
ديجيت ) من الاعتراض الشديد عليه . أرجوك أن تلغ شكرى لكل من تقابله من  
هؤلاء الأقباط عموماً ، ولخضرة و يصا واصف بك خصوصاً .

سعد زغلول

مصرى

١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول پياريس .  
ألقى طالب قبطى من كلية الطب قنبلتين على رئيس الوزراء ( يوسف وهبه باشا )  
ولكنه أخطأه ، وضبط ذلك الشاب ، وهو يبلغ نحو عشرين سنة ، يتقد حمية  
وطنية . من عائلة كبيرة بجهة ميت غمر . اسمه « عريان يوسف سعد » - ابن سعد بك  
وهبه . الشاب المذكور فى غاية البرأة . اعترف بجريمته وبسببها بلا مبالاة ، ولا يزال  
مصرًا على أقواله .

عبدالرحمن فهمى

مصرى

٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول پياريس .  
أبلغت ممنونية سعادتك لويصا واصف بك ولكل من قابلته من إخواننا الأقباط ،  
وطلبت منهم تبليغه للآخرين .

عبدالرحمن فهمى

مصرى

١٤ يناير سنة ١٩٢٠

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول پياريس .  
حددت السلطة العسكرية البريطانية يوم ١٦ يناير لمحاكمة عريان أفندى يوسف  
سعد الجريء أمام مجلس عسكرى . قيل لنا إن يوسف باشا وهبه ( رئيس الوزراء )

سعى سعيًا حثيثاً لدى السلطات لمحاكمة المذكور أمام المحاكم الأهلية فلم يفلح . وكان ذلك تحت تأثير شديد من كتب التهديد التي وصلته .

عبد الرحمن فهمي

سرى .

١٧ يناير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول بياري .  
حُكِمَ الشَّهْمُ الشَّجَاعَ عريان أفندي يوسف سعد أمس بوزارة الحقائق . من الغريب أن المحاكمة تمت في يوم واحد . لا تسألوا عن ثبات جأش هذا الشاب ، وشجاعته التي أظهرها أثناء المحاكمة ، فكلها مما يفخر بها المصري . أينما كان وخيمًا كان . أسأل الله السميع القدير ألا يجعل هذه الحادثة خاتمة أعماله لبلده .

عبد الرحمن فهمي

## سر الجريمة ١٩

وننتقل إلى ما بعد ذلك بعامين ..  
حدث في يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أن أطلق مجهولون الرصاص على حسن عبدالرازق باشا واسمه اصيل زهدى بك في أثناء خروجهما من جريدة السياسة بشارع البتديان ، عقب اجتماع مجلس إدارة حزب الأحرار الدستوريين ..  
وتوفي الاثنان على الأثر ..  
ودعش الناس يومها لهذا الحادث ، فإن الرجلين اللذين اغتيلتا ليس لهما نشاط



كبير في السياسة . ومن غير المعقول أن يفكر إنسان في اغتيال رجل طيب كريم مثل حسن عبدالرازق باشا أو رجل ممتاز مثل إسماعيل زهدى بك . وقيل إن جهاز الاغتيال قرر اغتيال عدلى يكن وحسين رشدى باشا ، وأخطأ نظراً للشبه بينهما وبين حسن عبدالرازق باشا وإسماعيل زهدى بك فأطلق عليهما الرصاص !

وتواترت هذه الرواية . . ولكن أحداً لم يسأل نفسه هذا السؤال : كيف أن تنظيمًا سريًا خطيرًا كالذى كشفت عنه تحقيقات الاغتيالات يخطيء في معرفة عدلى يكن ورشدى ؟ . . لقد كان عدلى يكن رئيساً للوزارة . وكان حسين رشدى رئيساً للوزارة قبل ذلك . . وكان بين أعضاء الجهاز عدد من طلبة المدارس العليا والمدارس الثانوية والعمال المثقفين . فهل هؤلاء لا يستطيعون أن يعرفوا ملامح عدلى يكن أو رشدى ؟ إن صورهما كانت تظهر في كل الصحف والمجلات ! فهل من الممكن لأشخاص يشتغلون بالسياسة ألا يعرفوهما !

ثم إن هناك مفاجأة أخرى : إن حسين رشدى باشا لم يكن عضواً في حزب الأحرار الدستوريين . ولم يكن يتردد على جريدة السياسة ، مركز حزب الأحرار ! فهل لا يعرف الجهاز المنظم هذه الحقيقة ؟ وهل كان من الممكن للجهاز الذى كان له عيون في القصر الملكى ، وفي دار الحماية ، وفي قيادة الاحتلال ، ألا يعرف أن رشدى مثلاً لا يزور جريدة السياسة ؟

وهل إذا ثبت أنه في يوم ارتكاب الجريمة كانت أنوار جريدة السياسة مضاءة ، وأن ملامح حسن عبدالرازق تحالف ملامح عدلى يكن ، ولامح إسماعيل زهدى تحالف ملامح حسين رشدى . . هل يمكن القول إنه حدث خطأ !

ولكن الرسائل السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى قد تفسر لأول مرة هذه الجريمة الغامضة : فقد حدثت في يوم الجمعة ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٩ مظاهرة

ضخمة في الإسكندرية . وجاءت فرقة من الجيش البريطاني وأطلقت الرصاص على المتظاهرين فقتلت خمسة وجرح ٤٠ . وانفجرت مدينة الإسكندرية ، وهاجم الشعب في اليوم التالي سيارة بريطانية مسلحة ، وأطلق الإنجليز رصاصهم على الجماهير فأصابوا عشرة ، وقعت معركة بين الشعب والجنود الإنجليز سقط فيها عدد كبير من القتلى . .

وهنا تبدأ القصة :

سرى

١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .

إن المظاهرات التي حصلت أمس بالإسكندرية ، قوبات بعنف وشدة متناهية . الأخبار متناقضة عن عدد القتلى والجرحى . لم تتمكن من ذكرها بالتلغراف الذي أرسلناه لسعادتكم اليوم . أهم شيء في الموضوع هو نص استقالة حسن عبد الرازق باشا محافظ الإسكندرية التي يقول فيها حرفياً : « إن الرصاص يطلق في شوارع المدينة من غير داع . وقد ارتكب أحد المفتشين الإنجليز خطأ لا مبرر له . ولم أبلغ شيئاً من الحوادث . ولهذا أقدم استقالتي » .

وحقيقة الحال أن المفتش الإنجليزى المذكور أمر أحد صف الضباط بأن يطلق الرصاص على المتظاهرين ، فأبى ذلك ، فما كان منه ألا أن قتله بمسدسه . . . والأبناء مختلفة عن ضحايا هائلة من القتلى والجرحى ، وسنميدكم بها متى وقفنا على حقيقتها . والشعب متهمج جداً ، لما رآه من تعسف الإنجليز واستهتارهم : والجيش

الإنجليزية تطلق الرصاص بلا حساب ولا مبالاة !  
لا يعلم إلا الله نتيجة هذه المأساة ، فنسأل الله الخلاص .

عبدالرحمن فهمي

سرى

٨ ديسمبر سنة ١٩١٩

من سعد زغلول بياريس إلى عبد الرحمن فهمي بالقاهرة .  
استغربنا جدا للمحادثة التي جرت بين محافظ الإسكندرية حسن باشا عبد الرازق  
ومكاتب جريدة « الريفورم » وخصوصاً أننا كنا استندنا على استعفائه ( من منصب  
محافظ الإسكندرية ) فيما قدمناه من الاحتجاجات على الفظائع التي ارتكبها العساكر  
الإنجليز في الإسكندرية . . فجاءت هذه المحادثة بكذبة لهذا السند . ومثبتة بأشنع  
صورة تعدى المصريين . وأحقية الإنجليز فيما استعملوه معهم : وزادت بأن نسبت  
للمصريين التعدى على حياة الإسرائيليين وأموالهم . ولم نر مصرياً طعن أمته بمثل هذه  
الطعنة التي أصاب بها حسن عبد الرازق كيد أمته . سامحه الله .

سعد زغلول

سرى

٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول بياريس .  
حقاً إن حسن عبد الرازق أتى أمراً إدّاءاً ، وطعن أمته طعنة الخائن الأثيم ، ولولا  
ما أعرفه عنه من العبط . وقصر النظر : لكان في نظري من أكبر الخائنين . والكل  
هنا ساخط عليه .

عبدالرحمن فهمي

فهل هذا هو السبب في اغتيال حسن عبد الرازق باشا ؟ وهل هو السبب في هذه الجريمة الغامضة . . وهل ذهب إسماعيل زهدى ضحية أنه كان مرافقاً لحسن عبد الرازق باشا المقصود بالاغتيال ؟

ويرد على ذلك بأن هذه البرقيات تبودلت في نوفمبر عام ١٩١٩ ، والاغتيال وقع في نوفمبر عام ١٩٢٢ . أى بعد ذلك بثلاث سنوات تماماً . وأن عبد الرحمن فهمي كان في ذلك الوقت في السجن ، منذ أول يوليو سنة ١٩٢٠ . وأن الجهاز السري بقى يعمل بعد اعتقاله . . . وكل ذلك يضعف هذا الشك . .  
ولكن مع ذلك - تبقى هذه الجريمة تستحق التساؤل !

### كيف كان الجهاز السري يعمل ؟

وهنا سؤال لا بد أنه ألح على الأذهان كثيراً : إنه السؤال الذى عجزت المخابرات البريطانية ، وعجزت سلطات الأمن البريطانية والمصرية - عن الوصول إلى الجواب عليه ، على الرغم مما أنفق من ألوف الجنيهات : وما ارتكب من الشنائع ، واتخذ من الأساليب الماكرة والغادرة ، وهو : كيف كان الجهاز السري لثورة ١٩١٩ يعمل ؟ وكيف كان يدبر خططه ، ويختار أعضائه ، وينفذ هذه الخطط والاغتيالات ضد « الحونة والكفار » ؟ . . لقد كان من الممكن أن يبقى الجواب عن هذه الأسئلة من أسرار التاريخ التى تذهب بها الأيام ، وأن يبقى هذا العمل الثورى الوطنى مجهولاً في كثير من نواحيه ، لولا أنى تمكنت من الاتصال بعدد من أعضاء هذا الجهاز الذين اشتركوا في تدبير خططهم وتنفيذها ، وكانوا من الأبطال الرئيسيين في حروب القنابل والاغتيالات . وقد قدموا إلى مذكراتهم ورسائلهم ، وما لديهم من وثائق ، لتكون لبهاذة حتى وصدق للتاريخ والوطن . وحتى يعرف الأبناء ما قدمه الآباء !

وأول المتكلمين هو « محمد صادق فهمى » الذى ورد اسمه فى أوراق سعد زغلول الخاصة بأنه كان يشترك فى حل رموز تعليمات الثورة السرية مع الدكتور أحمد ماهر . وهو قد بعث إلى بوسالة بأقواله :

### الرجل الذى كان يفك رموز الثورة

وهذه هى رسالة الدكتور محمد صادق فهمى المستشار بمحكمة النقض سابقاً :

« لم أفتح فى لمدة ٤٤ سنة ، ولكن اضطررت أن أفتح فى ، لأول مرة ، بعد أن ورد اسمى فى أوراق سعد زغلول السرية ، التى ينشرها السيد الأستاذ مصطفى أمين فى « أنخبار اليوم » . ولهذا قبلت مضطراً أن أذكر لأول مرة فى حياتى قصة التعليمات السرية التى كان يرسلها سعد زغلول من باريس إلى قيادة الثورة بالقاهرة . . وهذه هى قصة تلك التعليمات السرية التى كان يرسلها إلى الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ : بدأت القصة بأن سعد زغلول أراد أن تكون بينه فى باريس ، وبين عبدالرحمن فهمى المشرف على العمليات فى القاهرة حلقة اتصال ، وكانت الرقابة شديدة جداً على الرسائل والبرقيات . وكان لا بد من إيجاد وسيلة للاتصال . . فاجتمع ثلاثة منا ، هم « الدكتور أحمد ماهر » ، المدرس بمدرسة التجارة العليا ، و « محمد وجيه » ، وكانت وظيفته سكرتيراً للجامعة المصرية ولم تكن حكومية ، وأنا ، وقد كنت مدرّس القانون الدستورى والقانون المدنى فى قسم الحقوق بالجامعة ، وكنت صديقاً لأحمد ماهر ، وكان أحمد ماهر هو العقل المدبر فى تلك الحركة السرية .

وكان البحث يدور حول كيف يمكن ألا تصل السلطة العسكرية إلينا ، وإذا وصلت إلى الرسائل السرية فلا يمكن أن تفهم شيئاً . : ولو قبض علينا وعثرت السلطة البريطانية على أوراقنا لا تستطيع أن تعرف تعليمات سعد زغلول ولا التقارير السرية

وكننا نعلم أنه لو ضبطنا الإنجليز لحكموا علينا نحن الثلاثة بالإعدام ، وأعدموا أيضاً .  
سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي !  
وأخذنا عهداً نحن الثلاثة ألا نقشى سراً .

وطالت اجتماعاتنا . . وأخيراً توصلنا إلى استعمال ماء البصل بدل الخبز السري ،  
وأقلام رفيعة جداً ، وتأخذ كتاباً مطبوعاً لا تزال أوراقه مجموعة في فرخ الطبع ، حتى  
لا يشك أحد أنه فتح ، وكانت هذه فكرة أحمد ماهر ، ثم وضعنا مفتاحاً عبارة عن  
عمل خط على الحرف المطلوب قراءته ، وعمل نظام في تحديد الحروف التي تجمع وتكون  
الكلمة ، وهذه الحروف كانت تؤخذ بطريقة معينة ، مثال ذلك أن تترك أول تأشير  
على الحرف ، وتأخذ الثانية ثم بعد ذلك تأخذ التالية ، وتترك التي بعدها ، وهكذا .  
وكان نظاماً دقيقاً يصعب الوصول إلى حله .

وكان أحمد ماهر هو الذي اكتشف استعمال ماء البصل بدلا من الخبز السري .  
وكانت الكتب التي نختارها باللغة الإنجليزية أو الفرنسية . وكان سعد زغلول يرسل هذه  
الرسائل بواسطة محمد وجيه ، الذي اشترك في وضع المفاتيح ، والذي لعب دوراً خطيراً  
في تضليل المخابرات البريطانية ، وكان سعد يرسلها من باريس أحياناً بالبريد إلى  
سكرتير الجامعة المصرية في القاهرة . . وكانت إدارتها أيام الثورة بشارع الفلكي وتطل  
على ميدان الأزهار . . واتفقنا على أن يكون محمد وجيه هو الرسول الأول إلى باريس ،  
واستطعنا بحيلة أن يصل قرار من مدير الجامعة الأستاذ علي بهجت بأن يمنحه إجازة  
خارج القطر ! وأمكنا بنفس الحيلة أن نستصدر قراراً بمن يحمل محل « وجيه » ، وهو  
أن أنتدب أنا سكرتيراً للجامعة فأتولى أعمال محمد وجيه أثناء غيابه .

ولم يعرف مدير الجامعة شيئاً مما يحدث ، وتصور أني تبرعت بالقيام بأعمال  
صديق الغائب ، ولم يتصور مدير الجامعة ما يدور في الغرفة المجاورة له ، وأن سراً

خطيراً يحدث فيها . ، وأن الجامعة هي التي تتلقى تعليمات الثورة السرية ، في غفلة من الحكومة والسلطة البريطانية والمخابرات البريطانية !

وبدأت تصل التعليمات السرية من سعد زغلول بهذه الطريقة العجيبة التي لم تكشف طوال الثورة ، ولم يتكلم عنها أحد إلى يومنا هذا . . . وكنت أستلم الكتب التي تصل إلى مكتبة الجامعة ، وأحتفظ بكل كتاب صادر من باريس . وكانت مكتبة الجامعة مشتركة في عدد كبير من الكتب والمجلات الفرنسية .

وكنت أعر على الكتاب السرى ، وأتصل على الفور بأحمد ماهر بطريقة شفوية ، وبعبارات عادية أقولها بالتليفون يفهم منها تحديد المقابلة في مكان معروف وهو منزل عبدالرحمن فهمى بشارع القصر العيني . هذا دون أن نذكر في التليفون اسم عبدالرحمن فهمى ، أو الموعد ، أو ما يستطيع أن يفهم منه رقيب التليفونات أى شئ . . . وملتقى في غرفة خاصة في الدور الأول بمنزل عبدالرحمن فهمى ، لا يدخلها الزوار ، ولا أفراد العائلة ، فنجد مائدة وعليها مكواة ، وواپور سبرتو لتسخين المكواة ! — فقد كانت الغرفة مخصصة لكى الملابس ! — ونجىء بالمكواة ، ونكبوى صفحات الكتاب كلها ، فتظهر التأشيرات على الأحرف في صفحات معينة ، ومتتابعة ، ونطبق المفتاح بأحد بعض الأحرف ونترك البعض الآخر ، فتكون الكلمات المطلوبة . ولا أذكر مطلقاً أننا أخطأنا ، ويمكن بمراجعة الورق الذى اطلعت عليه عندكم ، والورق الموجود عند الأستاذ مراد فهمى نجمل عبدالرحمن فهمى بك ، أن تجدوا أن الرسائل التي كتبناها مطابقة للرسائل التي تسلمها سعد زغلول ! .

وكانت تعليمات سعد زغلول من باريس إلى جهاز الثورة لا تنتهى . إنها تعليمات متتابعة ، تشبه تعليمات قائد جرنى إلى أركان حربه وإلى قواده في مختلف الأسلحة . . . وكانت عملية فك الرموز مرهقة وشاقة ومضنية ، ولكننا لم ننعب . . . كنا نجد هناك

وسعادة في هذا العمل . وبعد ذلك تبينت لنا صعوبة الطريقة ، والوقت الطويل الذي كنا نصرفه ، فقد كنا في بعض الأحيان نغضى سبع ساعات لمدة يومين لقراءة رسالة سرية واحدة ، لصعوبة مفاتيح الشفرة ودقتها . وكنا نرغب أن تكون عملية حل التعليلات سريعة ، ليكون التنفيذ سريعاً . وكانت تعليلات الثورة في أول الأمر باللغة الفرنسية ، وكنت أقوم بترجمتها للغة العربية . . ورأينا لعدم ضياع الوقت ، ولأن عمليات الثورة تتطلب السرعة ، أنه بعد أن أحكمنا طريقة الاتصال بالكتاب والمجلات والرسول السري ، لم يكن هناك مانع من الكتابة باللغة العربية بماء البصل .

وبدأنا بهذه الطريقة الجديدة بعد أن مكثنا شهراً نتبع الطريقة الأولى منذ قيام محمد وجيه بهذه المهمة . وسهلت الطريقة الجديدة العمل علينا ، وبذلك أمكن إبلاغ تعليلات سعد زغلول بسرعة منذ عدولنا عن استعمال طريقة الشفرة المعقدة . . واستمر العمل بهذه الطريقة إلى أن قبض على عبدالرحمن فهمي ، وكنت إذ ذاك مريضاً ، ثم شفيت وأصبحت محامياً عن عبدالحليم عابدين أحد زملاء عبدالرحمن فهمي في القضية . وفي أثناء محاكمة عبدالرحمن فهمي وقف المدعى العسكري العام يوجه تهماً خطيرة جداً إلى عبدالرحمن فهمي . ولكنه لم يجد مستنداً واحداً ، أو وثيقة واحدة تؤيد هذه الاتهامات الخطيرة . ولم تظهر تعليلات سعد زغلول السرية في القضية ، ولم يستطع أحد أن يعرف أن الجهاز كان يعمل بتعليلات مباشرة من سعد زغلول ! ولو كانت هذه التعليلات السرية الخطيرة وقعت في يد العدو لكانت كارثة . وبينما كان المدعى العام يوجه تهمه الخطيرة ، ولا يجد دليلاً واحداً على الإثبات ، كنت أنا جالساً في مقعد المحامين . . وكان الدكتور أحمد ماهر جالساً ورأى في مقاعد المتفرجين : وكان الدكتور أحمد ماهر يضحك ، ويزغلني أثناء تلاوة الاتهامات ! !



## الرجل الثاني : عريان يوسف سعد

وهذه هي رسالة الأستاذ عريان يوسف سعد، عن الجهاز السرى الذى ألقى قبلة على رئيس الوزراء يوسف وهبه باشا عام ١٩١٩ :

كان ذلك فى شهر أكتوبر سنة ١٩١٩. واجتمع ٤٠ طالباً من طلبة كلية الطب فى منزل الطالب محمد حلمى الجيار ، وأقسموا البين على كتمان سر الاجتماع ، وبحثوا فى كيفية استمرار إضراب الطلبة . ووقفت وقت : لا بد من القتل ! قتل الخونة وقتل الإنجليز . هذا هو السلاح الوحيد الذى يؤدى لإخراج الإنجليز من بلادنا . وإذا بطالب يقاطعنى : « هذا كلام لا يقال ! مفيش كلام زى ده ؟ نحن نؤمن بالأعمال السلمية فقط ! » . وصاح طالب آخر : « هذا كلام فارغ ! نحن ضد القتل السياسى ! » :

واضطرت إلى السكوت وأنا فى الاجتماع ، وإذا بالطالب الذى قاطعنى واسمه محمد حفى يحيى إلى ويقول لى : « هل أنت جاد فيما تقول ؟ » وأخذ يناقشنى فى عدة مسائل . ثم عاد محمد حفى بعد يومين وقال لى لى أصبحت عضواً فى جمعية اليد السوداء . وطلب منى أن أولف خلية سرية أخرى ، واستمرت اجتماعاتنا ، فى انتظار تعليمات . وقد اكتشفت بعد ذلك أن الطالبين اللذين قاطعانى فى أثناء اجتماع الطلبة ، وهما محمد حفى وهما محمد حلمى الجيار الطالبان بـ مدرسة الطب — كانا فى الواقع عضوين فى الجهاز السرى للثورة ، وفى شعبة الاغتيالات بالذات .

ثم ألف يوسف وهبه باشا الوزارة ، مخالفاً قرار سعد زغلول بأنه لا يجوز لمصرى

أن يؤلف الوزارة في ظل الحماية ، وشعرنا أن تعيين قبلي رئيساً للوزارة هو لإيقاع الخلاف بين المسلمين والأقباط ، وإثارة فتنة تقضى على وحدة الأمة في ثورة ١٩١٩ . وقلت لزيملي محمد حفي ؛ إني مستعد لاغتتيال يوسف وهبه . وذهب محمد حفي إلى قيادة الجهاز السري ، ثم عاد وقال : إن هذه العملية ستقوم بها خلية أخرى . قلت : إن مصلحة الثورة أن قبلياً هو الذى يقتل رئيس الوزراء القبطي ، حتى لا تتكرر الفتنة التي حدثت بين المسلمين والأقباط بعد أن اغتال إبراهيم الورداني رئيس الوزراء القبطي بطرس باشا غالى .

وفي اليوم التالي عاد محمد حفي وأبلغني أن جهاز الثورة اختارني للقيام بالحماية ، وأحضرتني قبلة يدوية سرقها الجهاز السري من الجيش البريطاني ، وأحضر غلاف قبلة من صنع الجهاز ، وقضيت الثانية لأنها أكبر ، وطلبت قبيلتين .. ولم يكن هناك جهاز للتدريب وقتها ، وتولى محمد حفي لإطلاعني على كيفية استعمال القبلة : ثم عاد في يوم آخر وأخبرني أن فرعاً آخر في الجهاز حصل على جميع المعلومات عن المواعيد التي يخرج فيها رئيس الوزراء من داره ، والشوارع التي يمر بها .

وتم اختيار ميدان سليمان باشا ( طلعت حرب الآن ) لإلقاء القبلة . وتحدد يوم ١٤ ديسمبر لاغتتيال رئيس الوزراء . . وذهبت ، ولكن لم يحضر رئيس الوزراء ! . وفي اليوم التالي - ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ - ذهبت وجلست في حديقة كافيه ريش بشارع سليمان باشا ، أمام الميدان ، ومعى قبيلتان ومسدسات ، أخفيتهما في جيوب الجاكتة تحت المعطف . وجلس زميلي محمد حفي الطالب بكلية الطلب على مقعد رخامي كان يحيط بتمثال سليمان باشا ، في مواجهة شارع قصر النيل ، لكي يرى سبارة رئيس الوزراء عند خروجها من شارع شواربي إلى شارع قصر النيل . وكانت الإشارة المتفق عليها عند ظهور السيارة أن يقف صاحبي على قدميه ، وينصرف ،

بدون إعطاء أى إشارة حتى لا يلتفت النظر ! - ومن الطريف أن مخبراً سرياً كان يجلس بجواره فى ذلك الوقت ! - وعندما قدمت السيارة ، ورأيت الإشارة ، تقدمت إلى منتصف الشارع ، وألقيت القنبلتين على رئيس الوزراء !

وقبض علىّ فى الحال ، ثم أخذونى إلى مكتب رئيس الوزراء ، وكان مضطرباً ، وجلس بجواره يحيى باشا إبراهيم وزير المعارف ، وعمود فخرى باشا محافظ القاهرة . وقال لى رئيس الوزراء : « ليه ياشاطر بتعمل كده ! » . قلت : « أنت خرجت على إجماع الأمة ، لأن البطريك طلب منك عدم تأليف الوزارة ، وجاء لك وفد من الأقباط وطلب منك أن ترفض تأليف الوزارة ، فرفضت مقابلته ، وأرسلت لك برقيات من جميع الشعب ألا تؤلف الوزارة ، وأنا أرسلت لك برقية باسم طلبة كلية الطب ، ولكنك تحدت كل هؤلاء وألفت الوزارة ! » .

قال يوسف وهبه باشا : « وكيف عرفت أننى لا أعمل لمصلحة البلد ؟ » . قلت : « قرأت فى الأهرام برقية من روتر أن جريدة التيمس ذكرت أن الوزارة المصرية الجديدة ستعمل على تحقيق الأمانى البريطانية فى مصر . والأمانى البريطانية فى مصر ليست هى الأمانى المصرية ! » . قال يوسف وهبه باشا : « لو كنت أنا مت . . ألم يكن غيرى سيؤلف الوزارة ؟ » . قلت : « كنا نقتله . . كما حاولنا قتلك ! » . قال رئيس الوزراء : « ما اسمك ؟ » . قلت : « عريان يوسف سعد . قبلى ! » قال : « طيب . . اتفضل ! » .

وأخذنى البوليس ، وبدأ التحقيق ، وحاول المحققون أن يعرفوا شركائى ، ولكنى رفضت أن أفتح فى ا وحكم علىّ بالسجن عشر سنوات !

وبعد أن أفرج عني سعد زغلول فى عام ١٩٢٤ ، قابلت زميلى محمد حنفى ، وإذا به قد سافر بعد الحادث إلى ألمانيا ، وحصل على دبلوم الطب ، وعين طبيباً فى

الجيش المصري برتبة ملازم أول . وقابات شفيق منصور ، حيث كان يجتمع جميع  
الفدائيين بعد الإفراج عنهم ، وقابات محمد جلال الموظف في وزارة الزراعة ، فروى  
لى أنه اشترك في صناعة القنبلتين ، وأن الدكتور ماهر رأى ألا توضع في القنبلة الشحنة  
الكاملة من المفرعات ، لأنه كان يرى عدم قتل رئيس الوزراء، وإنما الاكتفاء  
بإرهابه !

وهنا لا بد من الإشارة إلى الدقة التي كان يتوخاها الجهاز السرى في اختيار  
الأشخاص لإلقاء القنابل والقيام بمهمة الاغتيال . . لقد كان الجهاز يراعى الاعتبارات  
السياسية والوطنية حتى لا يضرب بالوحدة الوطنية العظيمة التي أقام دعائمها سعد زغلول ،  
فاختار عريان يوسف سعد لإلقاء القنبلة على رئيس الوزراء يوسف وهبه باشا ،  
لا لأنه مجرد شاب وطنى شجاع ، بل لأنه بالدرجة الأولى شاب قبطى ، ولأن رئيس  
الوزراء قبطى ، خوفاً من أن يستغل الاستعمار الموقف ( لو أن الجهاز السرى اختار  
شاباً مسلماً لهذه المهمة ) في إثارة روح التعصب ، مثل استغلاله لحادث اغتيال  
إبراهيم الوردانى لبطرس غالى باشا ، ولهذا كان عريان يوسف سعد حريصاً على أن  
يرد على رئيس الوزراء حين سأله عن اسمه ، قائلاً : « أنا عريان يوسف سعد . قبطى » .

### الطالب الأزهرى الفقير ، الذى رفض ألوف الجنيات !

ولكنى نعرف كيف كان يعمل الجهاز السرى في ثورة ١٩١٩ ، لا يصح أن  
نعتمد على الرواية وحدها ، وإنما يجب أن نستند إلى الوثائق المكتوبة . إن أبطال  
الجهاز السرى لم يكتبوا مذكراتهم ، ولم يتركوا مستندات عن أدوارهم يستطيع التاريخ أن  
يعرف منها كيف كان يتم تنفيذ عمليات هذا الجهاز . . ومن بين الرهائل السرية  
رسالة من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٩١٩ إلى سعد زغلول  
في باريس يقول فيها : « علمت الساعة أن بعضهم ألقى قنبلة على محمد سعيد باشا

صباح اليوم أثناء خروجه من المنزل ، فلم تصببه .  
 إنه أول حادث محاولة اغتيال رئيس الوزارة في ثورة سنة ١٩١٩ . فن هو  
 « بعضهم » الذى لم يرد اسمه فى البرقية السرية ٩ وكيف تم ترتيب هذا الحادث ؟  
 إن بين يدي وثيقة تاريخية . إنها مذكرات المرحوم سيد على محمد التى أودعها عندي  
 وهى مكتوبة بخط يده ، وهى تروى بتفصيل كامل كيف كان الجهاز السرى للثورة  
 يعمل ، ويدبر ، وينفذ . . إن هذه المذكرات مودعة عندي ، وقد اطلع عليها  
 المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا ، وقال إنها صحيحة ، ولكنه طلب ألا تنشر وهو  
 على قيد الحياة ، ولا تنشر إلا بعد وفاته بخمسة عشر عاماً — ولست أعرف لماذا  
 حدد هذه المدة بالذات ! — وقد استجبت لرجائه ، والآن أرى من واجبي ، وأنا  
 أسجل أسرار ثورة سنة ١٩١٩ ، أن أذيع لأول مرة قصة أول حادث محاولة لقتل  
 رئيس الوزراء فى عهد الثورة ، بخط الرجل الذى آلتى القنبلة ! !

ولقد وضعت هذه المذكرات الخطيرة ، بأصولها ، تحت تصرف اللجنة التى  
 تألفت لإعادة كتاب تاريخ ثورة سنة ١٩١٩ . كتب الأستاذ سيد على محمد  
 يقول :

« نادى الثورة بأنه لا يجوز لمصرى أن يقبل رئاسة الوزارة فى ظل الحماية  
 البريطانية . وظلت الوزارة المصرية شاغرة . وإذا بمحمد سعيد باشا يؤلف الوزارة فى  
 ٢١ مايو سنة ١٩١٩ . وكان فى كثر الزيات تاجر ، كان مدرساً قبل ذلك ، فاقترحنا  
 — أنا وأصدقائى الطلبة — عليه أن يكون مندوباً عن كثر الزيات ليصل ما بيننا  
 وبين القيادة المصرية العامة للثورة فى مصر . وكان الاتصال تاماً وحقيقياً . كل يوم  
 تصلنا أنباء الحركات القومية فى القاهرة ، الخفية والظاهرة ، وأعداد جريدة ( المصرى  
 الحر ) ، وهى منشورات ملتبهة تكتب بقلم من نار . وفى أحد الأيام جاء

المتدرب متهللاً مبشراً بأنه انضم إلى جمعية سرية قوية ، وأنه أدرج أسماءنا فيها . وفي أحد الأيام قال لي إن الجمعية السرية التي ينتمى إليها في حاجة إلى شاب جرىء فعدائى ليغتال رئيس الوزراء ، لأن الحركات التي قامت لاغتياله فشلت . قلت : « وهل أصليح أنا لهذه المأمورية ؟ » . قال : « سأعرض الأمر على الجمعية في مصر ، وستقوم بعمل قبرة ، وصاحب النصيب تصيبه القرعة » .

وتملكنتى فكرة التضحية ، فكرة إلقاء القنابل على محمد سعيد باشا ، فلم أفكر ماذا يصيبني من هذا العمل الجريء . كانت عاقبة أمرى أن أموت من القنابل ، أو شتقاً . ما هو الموت ؟ أليس هو انتقالاً من حال إلى حال ؟ ثم ماذا . . أليست شهيداً من شهداء الوطن . أليس يموت كل يوم برصاص الإنجليز ، في الشوارع والطرقات ، مئات ومئات من الطلبة والعمال ؟ . . ووطدت النفس أن أقوم بإلقاء القنابل على محمد سعيد باشا ، وجعلت عاقبة أمرى الموت ، ولم أحفل لما دونه . فأنا ميت منذ اليوم . وقال مراسل الأهرام في طنطا بعد وقوع الحادثة : « إنه ليس للمتهم ولا لأهله شأن في كسر الزيات ، وهم من عامة الشعب » . صدق مراسل الأهرام ، فأنا من عامة الشعب ، ودماؤهم حلال نافهة !

وتوالت الرسائل بين الجمعية في القاهرة وبينى في كسر الزيات . وتم اختيارى لهذه المؤامرة ، يا اختيارى . . وأخذت الجمعية في تجهيز القنابل اللازمة لتنفيذ المؤامرة . فكيف صنعت القنابل ؟ وما هي أجزاؤها ؟ : هذه القنابل تسمى قنابل الشعلة ، وتتكون من أقسام ثلاثة : الجزء العلوى وبه أنبوبة لاصقة بجوار القنبلة ، والأوسط وبه حامض الكبريتيك وحامض البكريك ، والأسفل به الديناميت وبعض القطع الحديدية . فإذا وضعت أجزاؤها وتم تركيبها ، وضعت أنبوبة زجاجية في الأنبوبة العليا ، بها حامض البكريك ، وبذلك تكون القنبلة مستعدة للانفجار بمجرد الاهتزاز .

وتردد المندوب بين القاهرة وكفر الزيات مرات . وجاء بعض أعضاء الجمعية إلى كفر الزيات لمقابلي ، والتأكد مما أنتويه ، وكانوا يخفون عن أسمائهم . ولكن المندوب كان يهمس إلى بها ، وفيهم بعض الشخصيات الكبيرة في ذلك الوقت . وفي الواقع لم أكن أهتم بمعرفة أحد ، سوى ذلك الذي يوصلني إلى إتمام المؤامرة . ملكت الفكرة على مشاعري ، ولأث جواني ، فكنت لا أعيش إلا لها وبها ، ولو أنني منعت من القيام بهذا العمل لانتحرت فوراً ! . . لم أشرط شرطاً ، ولم أقترح رأياً ، وتركت أصحاب الشأن ينظمون الأمور كما يشتهون . وفي بعض المصانع البسيطة في كفر الزيات صنعنا غطاء القنبلة الحديدى ، وغلافها الزنك ، وسافر بها المندوب إلى القاهرة .

مرت الأيام ثقيلة مملة ، وأنا أستعجل الأمور ، وانتقلت الوزارة إلى الإسكندرية فانتقل النشاط إليها . وبعد انتظار طويل جاء اليوم الموعود ، وحضر إلى كفر الزيات أحد أعضاء الجمعية الذى كلف بمرافقتي إلى الإسكندرية لإتمام هذا العمل ، وهو الأستاذ محمد شكرى الكرداوى . وبات ليلة في كفر الزيات ، وفي صباح يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٩١٩ أفهمت أهلى أنى مسافر إلى دسوق ، وركبنا القطار من كفر الزيات حتى وصلنا سيدى جابر . وكان رئيس الوزراء يقيم بمقره في محطة جناكليس ، فقال لى صاحبي : « سأتركك الآن تزور منطقة منزل رئيس الوزراء ، وتتعرف طرقها ودروبها ، على أن تكون المواجهة بقهوة الإسكندرية » . وركبت الترام إلى محطة جناكليس . . فنزلت ، وسرت أتحسس الشارع والدار ، وإذا بها تقع على مرتفع يقابل سكة حديد ترام الرمل ، فإذا أراد رئيس الوزراء المرور ، فلا بد له من اختراق بوابة محطة الترام بجناكليس ، فاخترت هذا الموقع ، ورأيت أنه خير مكان ألقى فيه القنابل على رئيس الوزراء ، وحين اخترق سيارته للبوابة فإن السائق سيمهل .

ولا شك ، حين ينقطع من منزل رئيس الوزراء إلى شارع جناكليس ، ماراً بالبوابة .

ولكني لا أعرف سيارة رئيس الوزراء ! ولا يمكن أن أقف بجوار المنزل حتى أراه وهو يركب سيارته — فهذه مخاطرة جنونية ! — إذن كيف أستطيع التعرف على السيارة دون أن ألفت الأنظار ؟ . . وأجلت بصري فإذا ببائع ثلج وكازوزة ، بصندوقه الذي يبعد عن البوابة بضعة أمتار . ذهبت إليه . كان شكله العام لا يلفت الأنظار . أنا طالب أزهرى .. ألبس عمامة وجلباباً أصفر اللون من التيل الرخيص ، وأتعلل حذاء . أنا صغير السن ، عمري ١٧ سنة ، نحيف . . . فقدت إحدى عيني .

وجلست عند بائع الكازوزة أستفسر منه عن سيارة الرئيس دون أن أثير شكه . وصلت إلى الإسكندرية في الترام . وفي المساء قابلت زميلي ، فأوصاني ألا أحتك بإنسان في هذه المنطقة ، لأنها مليئة بالحواسيس . ونزلت الليلة الأولى في لوكاندا « المدينة المنورة » ، وهي لوكاندا من الدرجة التاسعة . وأحب أن أقرر هنا مسألة هامة هي أن التعليقات كانت أن القنبلة التي سألقيها على رئيس الوزراء ستكون مهمتها نفس سيارة رئيس الوزراء ، ومن فيها ، ونسئ أنا أيضاً ، بحيث لا يبقى أحد منا على قيد الحياة . وقد سافرت مع زميلي من كفر الزيات على هذا الاتفاق ، ولم يكن مغنا قنابل ، أو رسائل أو شيء مما يشبه فيه . كانت القنابل أسترسل لنا من القاهرة إلى الإسكندرية مع غصوص . وكنت أنبئ في شوارع الإسكندرية ذهاباً وإياباً ، لم يبق لي في الحياة إلا يوم أو يومان . كنت أستعجل النهاية مشتاقاً إلى لقاء الموت . ما أجمل الشعور الوطني في عام ١٩١٩ . ولست أدعي أني كنت أقفد بهمة الشعور .



كان كل مصري يود أن يبذل حياته من أجل خلاص الشعب من الاحتلال  
الغبيص . لم أكن أنتظر أن أرى حولى محامياً يدافع عني ، أو حزبياً يناصري .  
كنت أشعر أنني جندي من جنود مصر يؤدى واجبه ، ويموت كما يموت أى جندي .  
ربما مجهولاً ، مغموراً ، في زوايا النسيان !

في الصباح توكلت على الله ، وذهبت لأستقل الترام خلال شارع جناكليس ،  
لأعابن المكان من جديد . وذهبت إلى بائع الثلج ، فسلمت عليه ، وطلبت منه  
زجاجة كازوزة ، وشربتها وأنا أجلس يجواره على كرسي محط ، ثم طلبت أخرى ،  
وأخذنا نتجاذب الحديث . سألته ببلاهة أهل الريف : « أظن ناظر النظار اسمه  
محمد رشدي باشا ! » ، فضحك بائع الثلج النوبي طويلاً ، وقال مزهواً بمعلوماته  
القيمة : « ناظر النظار هو محمد سعيد باشا يا شيخ » . قلت : « ولكن محمد سعيد  
باشا ده رئيس الوفد ، وموجود في بلاد بره ! » . فضحك النوبي مرة أخرى وقال :  
« لا يا شيخ . . محمد سعيد باشا هو ناظر النظار ! » وأضاف النوبي : « إن منزله  
قريب من هنا ! » . قلت : « أظن أن ناظر النظار شخص طويل ، أطول من هذا  
العمود (مشيراً إلى عمود النور) » . فتعجب بائع الكازوزة النوبي لشدة بلاهتي  
وقال : « إنه سيمر الآن من هنا في سيارة حمراء ، وسترى أنه قصير القامة ! » .  
وبعد ربع ساعة مرت سيارة رئيس الوزراء ، ورأيتُه جالساً فيها ، وقهنت من  
بائع الكازوزة أنه يمر من هذا المكان كل صباح ، في الساعة الحادية عشرة والنصف .  
واستقر رأيي أن ألقى على رئيس الوزراء القنابل من جوار بائع الثلج ، لأنه يقع على  
مفترق ثلاثة شوارع ، تنفرع إلى محطة الترام ، وإلى كازينو سان استافانو ، وإلى  
شارع آخر . ثم إن المكان يكاد يكون خالياً من السكان في مثل هذه الساعة ، لأن  
الجميع يكونون في نزهتهم على شاطئ البحر .

وعدت ثانية إلى الإسكندرية . وقابلت زميلي ، وأخبرته باكتشافى . قال :  
« يجب أن تلزم جانب الحذر فى أحاديثك مع الناس ، لأن كثيراً من المارة بهذه  
المنطقة من البوليس السرى ! » .

ومرّ يوم آخر لم يتم فيه شئ . . . ولم تحضر القنابل من مصر . وكنت أعيش  
حياة عادية ، أجلس فى المقاهى ، وأدخل السينما ، وأقضى نهارى متنزهاً ، خالى  
البال ، كأننى لست على موعد مع الموت ! . لم أفكر مرة واحدة فى النكوص والإحجام ،  
لقد تعهدت للجمعية السرية باغتيال رئيس الوزراء ، وهذه كلمة الشرف التى لربطت  
بها مع أشخاص مجهولين لا أعرفهم ، ولم أر كثيراً منهم ، ولكننى عاهدتهم  
على أن أقوم بهذا العمل الوطنى المقدس ، فأنا أسير إلى حتى ، هادئ النفس ،  
رابط الجأش ، مطمئن الخاطر ، أحمل روحى على كفى ! . . . وقابلت صاحبنى  
فسألته : « ألم تصل القنابل بعد ؟ » . قال : « إنها ستصل حالا . . . فهل ضجرت ؟ »  
قلت : « إننى أريد أن أنتهى من هذه المأمورية ، خوفاً من أن يعثر بى أحد من  
أهلى أو أصدقائى ، فلا يمكننى الفرار منهم ! » .

ولا أذكر ماذا صنعت فى أيام الانتظار الأربعة ، كنت أسير شبه حالم ،  
لا صلة بينى وبين هذه الدنيا ، كأننى أطل عليها من كوكب آخر . ولم أصنع شيئاً ،  
كنت أجلس ، وآكل ، وأشرب ، وأنام !

وفى يوم الاثنين أول سبتمبر سنة ١٩١٩ قابلنى زميلى ، وقال : « تهيأ لخبر  
جميل ! » . قلت : « خيراً . . . » . قال : « إن القنابل وصلت ! . سنستلمها فى  
الساعة الثامنة مساء ، على طريق الميناء الشرقية ، من الرسول الذى أحضرها من  
القاهرة » . . وفرحت فرحاً لا مزيد عليه . أى والله فرحت جداً لهذا النبأ السار . إذا  
عجبت لهذا الفرح الذى أصابنى لوصول الآلة التى سأموت بها نفساً أو شقناً  
فاذكروا الروح الوطنية فى سنة ١٩١٩

وفي الساعة الثامنة من مساء الاثنين تقابلت مع صاحبي ، وإذا به يقف مع شخص آخر ، ربة القامة ، ممتلئ الجسم ، وكان يتأبط صندوقاً من الورق ، ملفوفاً ومربوطاً بخيط . وسلمت عليهما . وقال : « هذه هي القنابل (شهيدي إلى الصندوق) » . قلت : « أعطها لي » . قال : « لماذا ؟ » . قلت : « لأقبلها ! » ثم انصرفت مع زميلي ، ولم أتحدث مع الشخص الآخر بكلمة واحدة . ولكنني عرفت من صاحبي أنه هو المندوب الذي أحضر القنابل من القاهرة . وسألته سؤالاً عابراً : « ما اسمه ؟ » . قال : « محمود فهمي النقراشي » . ولم أكن أعرف حينذاك من الأشخاص البارزين إلا أمثال محمود سليمان باشا ، وإبراهيم سعيد باشا ، وفتح الله يركات باشا ، أعرفهم بأسمائهم ، لأنهم أعضاء لجنة الوفد المركزية ، ولم أقابل أحداً منهم . فلم أعلق على اسم المندوب الذي حضر من القاهرة .

وأحب في هذا المقام أن أذكر أن صاحبي الذي حضر معي ليشاركني في إلقاء القنبلة على رئيس الوزراء ، لم يكن يمنحني كل ثقته . كنا لا نتحدث مطلقاً في أمر الجمعية وأشخاصها ، ولم يذكر لي أي شيء عن المندوب الذي سيحضر من القاهرة . كان يتوجس خيفة كلما رأى ألق عليه في الأسئلة ، ويتلفت ذات اليمين وذات الشمال . وكنت لا أثقل عليه بالأسئلة ، فإنه لم يسبق تعارف بيننا قبل وصوله إلى كفر الزيات وسفره منها معي . وكان من أخلاق الثورة أن يشترك اثنان في جريمة كبرى دون أن يعرف أحدهما الآخر ، أو توحد بينهما رابطة ، سوى رابطة الوطنية .

### ملحوظة من مصطفى أمين

عرضت هذه المذكرات ، وبالذات هذه الواقعة ، على المرحوم محمود فهمي النقراشي باشا في يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، في داره بمصر الجديدة ، بعد انتهائه

من رئاسة مجلس الوزراء الذى كان متعقداً فى ذلك اليوم . وقرأ النقراشى المذكرات  
وهى فى ١١٠ صفحات بالقطع الكبير . . وقال : « إن المذكرات صحيحة مع خطأ  
واحد ، وهو أننى ، فى شهر سبتمبر عام ١٩١٩ ، عندما قدمت للشيخ سيد على  
محمد القنابل قلت له : « أنا محمود فهمى النقراشى » . وذهل الشيخ سيد على محمد  
عندما ذكرت له اسمى . فقلت له : إننى أردت أن أقول لك اسمى ، لتعرف أننا  
ننق بك ! . . ويظهر أن الشيخ سيد كان مضطرباً فى تلك اللحظة ، فلم يذكر  
حديثى ، أو أنه لم يشأ أن يخرجنى بذكر الواقعة كاملة ! » .

وقال النقراشى يومها : « إن قيادة ثورة ١٩١٩ قررت قبل التنفيذ بأيام أن المقصود  
ليس قتل محمد سعيد باشا رئيس الوزراء ، وإنما إرهابه فقط ، لأنه خالف قرار سعد  
زغلول بأنه لا يجوز لمصرى أن يؤلف الوزارة إلى أن تلغى الحماية البريطانية ، وأنه  
لوحظ فى طريقة حشو القبلة قبل تسليمها للشيخ سيد ، أن تحدث انفجاراً هائلاً  
خفيفاً ، ولا تقتل أحداً . . ولكن الشيخ سيد لم يعرف بهذا القرار . » .  
وطلب منى النقراشى ألا أنشر هذه المذكرات إلا بعد ١٥ سنة ، ولم يشأ أن  
يذكر لى السبب الذى جعله يصبر على تحديد هذه المدة بعينها ! . . ولعله المناسبة  
سلمنى النقراشى مذكراته هو ، وهى مكتوبة بخط يد النقراشى نفسه . ومذكرات  
النقراشى موجودة عندي ، وهى تحت تصرف اللجنة التى ستتولى إعادة كتابة تاريخ  
مصر .

### مصطفى أمين

ونعود مرة أخرى ، ونترك الشيخ سيد على محمد عضو الجهاز السرى يتم مذكراته  
الخطيرة . . كتب الشيخ سيد على فى مذكراته يصف سروره عندما تركه النقراشى  
يقبل بشفتيه القبلة التى سيلقيها على رئيس الوزراء : « وانصرف صاحبي يحمل قنابله

وواعلنى على اللقاء. فى محطة الرمل فى الصباح . وعدت أدراسى إلى (لوكانده  
المدينة المنورة) وقلبي مغمى بغبطة وسرورا . وقضيت الليل نائما ملء جفنى . وفى  
الصباح الباكر ذهبت إلى حمام (الضبطينية) فاستحممت ، واغتسلت غسل الموت ،  
قائلا : « لعل القنابل لا تترك من جسدى إلا حطاما وأشلاء ! » . ثم سرت إلى  
موعد صاحبنى بعد تناولى طعام الإفطار ، فوجدته أمام محطة الرمل ، يحمل سبينا ،  
مغطى بغوفة جميلة بيضاء . وركب صاحبنى الترام ، وركبت فى أثره ، وجلسنا  
متباحدين . وأخذت أصلى فى نفسى صلاة الجنائز ، مكبرا أربع تكبيرات ، قارئا  
بعض الآيات . وكان بعض الركاب ينظرون إلى متعججين ، يظنون أننى أحد الدراويش .  
ونزلنا فى محطة سان استفانو . ودخلنا إلى كازينو سان استفانو ، ومظهرى  
لا ينئى عن أننى من زبائن الكازينو الفخم ، وجلست فى أحد المقاعد بالصالة ،  
وطلبت من أحد الخدوشات أن يحضر لى قهوة ، فتظر الخدوشة إلى مشمترا ، وانصرف  
ولم يحضر لى شيئا . . . ودخل زميلى إلى دورة المياه ، فوضع حامص البكريك فى  
الأنبوبة ، ووضع حامص الكبريتيك فى مكانه . وغطى القبلة ، وكان يضع فوقها  
عنبًا ، ثم سلمنى السبب الذى يحمل الموت الزؤام ، وكانت تكنى هزة بسيطة من  
يدى لتنفجر القبلة !

وتركنى زميلى عند الباب وانصرف .

وشرعت أخرج من الكازينو ، وإذا ببواب الفندق . وهو يونانى قصير القامة -  
يعترضنى قائلا : ماذا منك ؟ (مشيرا إلى السبب) . قلت فى ثبات وهدوء : « عنب ..  
تاخذ شوية ؟ » ، فضحك البواب ، وانصرف عني . . . واخترقت الشارع إلى  
جناكليس ، حتى وصلت إلى محطة الترام ، فأجبت أن أقف هناك لألقى القبلة على  
السيارة أثناء مرورها بالبوابة ، ولكنى وجدت رجلا من مخبرى البوليس يقفون فى

المحطة ، فحادثتهم قليلا ، ثم تركتهم ، وسرت إلى أن وصلت إلى بائع الثلج والكاكازوزة النوى ، فسلمت عليه ، وعرفني من محادثة الأمس التي أظهرت له فيها بلاهتي ، فرحب بي ، وجلست أشرب الكاكازوزة ، وآكل العنب ، منتظراً مرور سيارة دولة رئيس الوزراء !

واقرب الموعد . . واختارت سيارة رئيس الوزراء البوابة وهي مسرعة في طريقها إلى الديوان . ونهضت بحركة آلية ، وحملت السبيل بين يدي ، وخطوت خطوة واحدة ، فإذا أنا بمحاذاة السيارة ، وصحت بصوت عال :

— نخذها يا خائن !

وإذا بصوت الانفجار يدوي هائلا مرعباً ، كأن السماء انطبقت على الأرض ، والدخان الكثيف ينتشر . . وإذا بي لا أزال في مكاني لم يصيبني شيء ، ولم تمزق أعضائي ، ولم أقتل كما كنت أنتظر !

وإذا بسيارة رئيس الوزراء تمزق في طريقها كالسهم الخاطف ، وسعيد باشا في داخلها ، يميل على السائق ليأمره بسرعة السير !

أصابني ذهول حجب عني معالم الرشد . وقفت في مكاني أنظر يمينا وشمالا كالمجنون . لم يكن في الخطة التي رسمت احتمال نجاتي من القنبلة ، ولم تقدر النجاة — لا لي ولا لسعيد باشا — ولهذا تعطل تفكيري ، ولم أعرف ماذا أفعل بعد أن فشلت القنبلة في قتل وقتل رئيس الوزراء ! . . فاستسلمت إلى العسكري الذي هرع نحوي ، قائلا له : « نعم أنا الذي ألقيت القنبلة . . وخلاص ! » .

وخضر للملازم سليم زكي الضابط المتدرب لحراسة رئيس الوزراء ، وكان بادي الغضب ، ثائراً ، وفي يده كراباج ، فقال له العسكري : « هذا هو يا حضرة الضابط الشخص الذي ألقى القنبلة على دولة رئيس الوزراء ! » ، فإذا بالكرباج

بهوى على عتق مرة ، ثم مرة ، ثم مرات ! . وأنا لا أدفع عن نفسي ، بل لأناؤه ولا أشعر بأذى ألم ! . كنت في غيبوبة روحية ، ولو أنهم قطعوا أعضائي عضواً عضواً ، ما أحسست وما تأملت ! . وإذا بخادم محمد سعيد باشا ، ويدعى « محمد أبوزيه » ، يهجم على هائجاً مائجاً ، قبض على عتق ، وحاول خنق ، ثم صفعتي صفعت قوية . . وكانت الأغلال في يدي ، وصحت فيهم : « أيها البغيثاء ! تضربوني وأنا مكبل بالحديد ؟ » . . وإذا بسليم زكي يميل على الخادم ويقول : « إننا نريد أن نستقيح حياً لنقف على أسرار الجمعية التي حرصت على هذا العمل ! » . . فتوقف الخادم عن قتلي ! . . ولم تمض بضعة لحظات حتى جاءت السيارة التي كانت تقل رئيس الوزراء والتي أقيمت عليها القنبلة ولم تصبها ، وقال راكبها : « إن دولة رئيس الوزراء يريد أن يرى الجاني ، إذا كنتم قبضتم عليه ! » . . وأركبني في السيارة التي كنت أريد لما الملك !

وكانت أول مرة في حياتي أركب فيها سيارة !

سارت السيارة بنا حتى وصلت إلى دار الحكومة في « بولكلن » ، وأحاط بي الضباط والجنود ، وخرج الوزراء من مكاتبهم يرونني ! . . وهجأة صاح بي أحد كبار الموظفين : « أنت الذي أردت قتل دولة رئيس الوزراء يا أعور . . يا ابن الكلب ! » . . فصحت فيه : « أنتم ورؤس وزرائكم كلاب ! » .

ودخلت إلى غرفة رئيس الوزراء ، كان جالساً في مقعده ، يكاد الرعب يلعب برشده ، وقف يحواره الوزيران إسماعيل سرى باشا ، وتوفيق نسيم باشا ، وغيرهما من الوزراء . وما كاد محمد سعيد باشا يراني حتى قال : « أيوه هو ده ! » . ثم قال في غممة يغلب عليها الحطف والشفقة : « ليه يا ابني تعمل كده ! » . قلت ، في لهجة تحد واستغزاز : « الله أمرني بذلك ! » . فصاح إسماعيل سرى باشا غاضباً :

« يعني جالك الريحى يا أنهى ؟ . ليه تعمل كله ؟ » . قلت فى هدوة : « ربنا قال لى  
اعمل كله » . . . فصاح إسماعيل سرى باشا : « اخرجوه ! طلوه بره ! » .

وجاء توفيق رفعت باشا ، النائب العمومى ، وأخذنى إلى مكان الحادث ، لأصور  
لم كيف وقع . . . وإذا بمن يحىء ويقول إن عظمة السلطان فتاد سير من هنا فى  
طريقه إلى رئيس الوزراء لتهنته بنتجاته . . . فأسرع بى النائب العام إلى أجزاخانة  
فى أول شارع جناكليس فأدخلونى فيها . ومرت سيارة السلطان ، ووقت يحول  
الأجزاخانة ، وجاء التشرىفاتى يقول إن عظمة السلطان يريد أن يراى ، فأخرجونى  
إلى باب الأجزاخانة ، وأنا مكبل بالحديد ، وأطل عظمة السلطان فتاد من نافذة  
السيارة ونظر إلى ملياً ، ثم أشار السلطان إلى الركب بالمسير !

ورفضت أن أفتح فى وأقول أى كلمة عن الجهاز السرى للثورة ، من شريكى ؟  
من الذى أصلاى القنبلة ؟ . من رسم الخطة ! . . . وتعرفيت لتعذيب ضخم ، لكنى  
لم أفتح فى !

وجاءوا بأبى وأبى مقبوضاً عليهما . . . وقال النائب العام لأبى : « قل له إنه إذا  
اعترف على شركائه فسوف نغفر عنه ، ولكنه إذا أصر على الإنكار فسوف يشق ! »  
ثم أضاف غاطباً أبى وأبى : « سأتركه لكما لتحاولا إقناعه » . . . ثم خرج النائب العام  
من القاعة . ولا اتفردنا قال لى أبى فى صوت هامس : « اسمع يا سيد ! . إراك أن  
تتهم أحداً ، كن رجلاً . واحمل مسئولية عمالك وحدك ! . وإنى أستودعك الله » . .  
أما أبى فلم تتكلم . . . كانت تبكى بلا انقطاع .

وخرجنا ، وقال أبى للنائب العام إنه يعصر على أن ليس له شركاء ! . . . واستمرت  
التحقيقات ، والتهديدات ، والوعيد : الشق أو الاعتراف . . . ولكنى لم أفتح فى . . .  
واستدعانى أحمد ذو القفار باشا وزير الحفانية ، فى وجود النائب العام ذات ليلة ،



وسألاني : « هل كنت تقصد قتل رئيس الوزراء أم كنت تقصد إرهابه فقط ؟ » .  
قلت : « أقصد قتله ! » . . وأعاد السؤال ، وأعلنت الجواب ! .

وحددت الجلسة لمحاكمة أمام محكمة الجنائيات ! .

واستدعى محمد سعيد باشا للشهادة ، وكان قد استقال من رئاسة الوزراء .  
وقال في نهاية شهادته : « لى رجاء أوجهه إلى المحكمة ، وهو أن هذا المتهم معذور في عمله هذا ، هو متأثر بالرأى العام المصرى ، الذى كان ضدى تقريباً ، وأرجو استعمال الرأفة معه بقدر ما يمكن » .

وهنا صفق الحاضرون . . ووقف النائب العام يقول : « هذا المتهم ليس عنده أخلاق ! » . ولم أستطع أن أمك نفسي ، وقمت من مقعدي ، وضربت على حافة القفص بيدى ، والتفت إلى النيابة أقول : « أنتم السفلة ! . أنتم المجرمون ! . أنتم الذين بعم أمتكم بالامهات ! . أنا لا أبالي أن يحكم على بالإعدام ، ولكنى لا أطيق أن أسمع من سافل مثلك هذه الإهانات ! »

وحدثت ضجة في قاعة الجلسة ، وصاح محمد بك أبو شادى ، المحامى عفى :  
« لك حق يا سيد ! » . وانطلقت أصوات الحاضرين تقول له : « له حق ! » .  
له حق ! . فليسقط النائب العموى ! . ونخيل إلى أن النائب العام « توفيق رفعت باشا »  
اختبأ تحت المكتب !

ورفعت الجلسة . . ثم أعيدت بعد الظهر . . ووقف محمد بك أبو شادى يقول :  
« أطلب البراءة للمتهم » . . فقال المستشارون ضاحكين : « وتكيف ذلك ؟ »  
قال المحامى : « لأن الشعب حكم على محمد سعيد باشا بالإعدام ! . » . والمتهم نفذ حكماً أصدره الرأى العام ! . » .

وحكمت المحكمة بمقابلي بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات . . وصاح صائح :  
« ليحي العدل ! . . . وصاح آخرون : « يسقط الظلم ! » .

ووضعت في السجن ، وقلت إلى ليان أبي زعل ، أكسر الحجارة . . وضمت  
٥ سنوات في هذا العذاب ، بلا أمل ! . . . حينما تولى سعد زغلول الحكم عاد الأمل  
لنا . . . وفي يوم ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٤ فتح باب السجن . . وذهبت وقابلت  
سعد زغلول ، وشكرته على الإفراج عني .

وبعد عام قبض عليّ من جديد . . وكانت قد وقعت حادثة السردار . . وقبض  
على ماهر والنقراشي . وجاء سليم زكي وعرض عليّ ٢٠٠٠ جنيه إذا اعترفت بأن  
النقراشي هو الذي سلمني القنبلة يوم حادث إلقائي القنبلة على محمد سعيد باشا ،  
فرفضت ! . ثم بعد أيام أخذوني إلى مكتب رئيس النيابة « مصطفى حنفي بك » ،  
فرايت شخصاً عليه مظاهر البؤس والشفاء . قال لي رئيس النيابة : « أتعرف هذا ؟ » .  
قلت : « لا أعرفه ! » . قال : « إنه محمد شكري الكردوي ، زميلك في الحادثة » .  
قلت : « كلا ، ليس هذا ! » . قال : « إنه يقول ويعترف صراحة بأنه شريكك في  
إلقاء القنبلة على محمد سعيد باشا ، وأن النقراشي وأحمد ماهر معكما ، وأن النقراشي  
هو الذي أحضر القنبلة من القاهرة إلى الإسكندرية ! » . قلت : « إنه كذاب ! » .  
أنا لم أر هذا الشخص قبل هذا اليوم ! . قال : « إنه اعترف بذلك » . قلت :  
« هذا شخص لم أره قبل الآن ، إن لي شريكاً كان يتسمى بهذا الاسم ، ولكن  
ليس هذا الشخص ! . ولا بد أنه اسم مستعار ! » . وإذا بشكري الكردوي ينكني  
على وجهه ياكياً ويقول : « نعم أنا كاذب في كل الذي قلته ! . الله يخليك يا شيخ  
سيد ! . لقد أفهموني أنك اعترفت عليّ . أنا كاذب ! . أنا كاذب ! » .

فقال لي رئيس النيابة وقد ظهر عليه الغضب : « إذن أين شريكك محمد شكري الكرداوي ؟ » . . قلت : « إذا أحضرته فلن أتعرف عليه ! » . . فخبط رئيس النيابة كفّاً على كف وقال : « لقد أفسدت محضر القضية ! » . . قلت : « إنني لست مسئولاً عن نجاح التحقيق ! » .

وكان عميل شكري الكرداوي هو نفسه الذي واجهوني به ، وأنكرت معرفتي به ! ولقد قبض عليه القلم السياسي ، وكان محكوماً عليه بالسجن خمس عشرة سنة في قضايا الاغتيال ، وكان الحكم غيائياً لأنه اختفى . . ثم صدر عنه عفو من سعد زغلول . . ثم قبض عليه البوليس بعد القبض على ماهر والقراشي ، واعترف تحت التعذيب اعترافاً كاملاً بكل ما يعرفه عن حوادث القنابل عام ١٩١٩ ، واتهم ماهر والقراشي . ولكنه عند ما رأي أنكر ، عاد وأنكر أمام المحقق بكل كلمة ظالم أمام البوليس السياسي ! .

سيد علي محمد المحامي

كفر الزيات في ١٩٤٨/٩/٤

• •

هذه صفحات من مذكرات سيد علي محمد ، المحامي للشرعي ، أقتلها بحروفها ، كما هي ، على الرغم من أن صاحب المذكرات ترك لي حرية التصرف فيها كما أشاء « بالزيادة أو النقص ، بالنشر أو الإغفال ، بالتقديم والتأخير ، والتحويل والإبدال ، والإعلال والقلب » كما جاء في خطابه لي ( المنشورة صورته الفوتوغرافية مع هذا الكتاب ) .

فلم تكن كلمات صاحب المذكرات في حاجة إلى تغيير ، إن حروفها تنبض بالصدق ، وأحداثها متتابعة كدفع رشاش ، ولذا أنشرها كما هي . . وأودع أصل المذكرات لدى اللجنة التي نستولى إعادة كتابة تاريخ مصر . .

وهذه المذكرات التي يكتبها رجل مات منذ بضع سنوات ، تصور قصة الجهاز السرى ، الرجال الذين يعملون في صمت ، الفقراء الذين تعرض عليهم ألوف الجنيحات ، فلا يقتحمون أفواههم بالسر الرهيب ، ولا يطلبون مكافأة على عملهم الوطنى العظيم !

### أمر بقتل السلطان !

وهذا أحد أعضاء الجهاز السرى ، وحندى من جنود حرب القنابل والاختيالات ، يقدم وثيقة تاريخية خطيرة من مذكراته عن دوره وبعض زملائه في أعمال الاختيالات . إنه « محمد محمد خليفة » الذى كشف عن سر خطير ، لعله يذاع لأول مرة ، وهو الأمر الذى أصدره الجهاز باغتيال السلطان ، والمحاولات التى بذلها لذلك . وفيما يلي ما كتبه محمد محمد خليفة في مذكراته :

« أنا تاجر كفر الزيات محمد محمد خليفة ، الذى أشار إليه الشيخ سيد على محمد الذى أتى القنبلة على محمد سعيد ياشا في عام ١٩١٩ . قال في مذكراته : إننى كنت الوسيط بينه وبين الجهاز السرى في القاهرة . فعلا ، وكانت لي صلة بمحادث الاختيالات ابتداء من حادث إطلاق الرصاص على السلطان حسين في عابدين ، وقد قام بالعصية محمد خليل من المنصورة ، من مسلمين أخفاه في باقة ورد ، وحكم عليه بالإعدام وقتل فيه الحكم . وعند قيام الثورة عام ١٩١٩ تعرفت بأحمد ماهر ،

والتقراشى ، وحسن كامل الشيشينى ، والدكتور سيد باشا ، ويوسف العبد ، وعبد الرؤوف العبد ، وهؤلاء كانوا يكونون خلايا فى الجهاز السرى . وقرر الجهاز السرى قتل محمد سعيد باشا فى القاهرة ، لأنه خالف قرار سعد زغلول بأنه لا يجوز لمصرى أن يؤلف الوزارة فى ظل الحماية .. واتصل بنى التقراشى .. واتفق معى على أن نؤجر شقة فى شارع الشيخ ريحان ، فى طريق مرور رئيس الوزراء إلى مكتبه .. وصنعنا قنبلة فى بيت التقراشى ، وكان عبارة عن شقة فى الحلمية الجديدة . وحملت القنبلة فى المغرب من بيت التقراشى ، إلى الشقة التى استأجرتها ، وكان لى فى الجهاز السرى اسم حركى هو « محمد على » وكان لكل واحد منا اسم آخر . وطلب التقراشى أن تكون عملية الانتقال فى ساعة المغرب بالضبط ، وذلك أننا كنا فى رمضان ، وقال إن فى هذا الوقت يكون جميع الناس ، حتى المساكين ، مشغولين فى تناول الإفطار ، وكنت صائماً ، فأعطاني التقراشى تمراً ، لأتناول الإفطار فى أثناء انتقالى من بيته إلى الشقة التى اتخذناها لنلقى منها القنبلة . وكان التقراشى صائماً أيضاً .. وسرت على قدى حاملا القنبلة ، ووضعتهما فى الشقة ..

وكانت هذه هى أول محاولة لاغتيال رئيس وزارة فى ثورة ١٩١٩ .. ورأى التقراشى أن يشترك اشتراكاً فعلياً فى العملية . وجاءنا من الجهاز السرى بيان بمواعيد مرور رئيس الوزراء .. وعرفنا أنه سيمر فى شارع الشيخ ريحان فى ساعة معينة . وكانت اللحظة أن يقف التقراشى فى الشارع ، قريباً من المنزل ، وأن يشير إشارة معينة فى اللحظة التى يرى فيها سيارة رئيس الوزراء قادمة .. وكلف شخص اسمه أحمد ، بأن يتولى هو إلقاء القنبلة .

وأقبلت سيارة رئيس الوزراء .. وأعطى التقراشى الإشارة ، ولكن أحمد لم يلق القنبلة ، وقال إنه لم ير إشارة التقراشى .. وفى نفس الوقت أيضاً حدثت محاولة

أخرى لإلقاء قبلة على محمد سعيد باشا عند كوبرى قصر النيل ، وكان اللذين سيتولون إلقاء القبلة هما الدكتور سيد محمد باشا والمرحوم أحمد عبد الحى العبد الطالب بمدرسة الحقوق ، ولكن البوليس قبض عليهما واختفى سيد محمد باشا بعد أن أفرج عنه .

وفشلت العمليات في القاهرة . . . وانتقل محمد سعيد باشا مع الوزارة إلى الإسكندرية ، وانتقلت معه مؤامرات قتله . وطلب منى التقراشى وأحمد ماهر أن يختار شخصاً يلقي القبلة على محمد سعيد باشا في الإسكندرية . . وكان الطالب الأزهرى ، الشيخ سيد على محمد عضواً في الخلية السرية التي ألفتها في كفر الزيات ، فاختبرته لتنفيذ هذه العملية في الإسكندرية . وأبلغت التقراشى وأحمد ماهر أننى اخترت الشيخ سيد ، الذى كان يبلغ عمره ١٧ سنة . وتوليت عمل اختبار له ، ونجح الشيخ سيد في الاختبار . وقمت بصنع الغلاف الخارجى للقبلة في كفر الزيات في عدة ورش صغيرة ، ثم حملت الغلاف إلى القاهرة . وطلب منى التقراشى أن أشتري مواد كيميائية عنها ، من أنجوانخانات مختلفة في القاهرة ووطنطا . من كل أنجوانخانة مادة معينة ! - وكان التقراشى قد درس الكيمياء والعلوم ! - وتم شحن القبلة بالقرمحات في بيت التقراشى بالخلية الجديدة .

ولم يكن البوليس في ذلك الوقت يعرف أى شىء عن التقراشى أو أحمد ماهر . . . فقد كانت الرقابة مفروضة على زعماء الوفد ، وكان غير معروف صهما أى نشاط ، واستطاع أن يضلل الخبايا البريطانية والسلطة العسكرية البريطانية مدة طويلة . واتصلت بمحمد شكرى الكرداوى الطالب ، وعضو الجهاز السرى ، واستدعيته إلى كفر الزيات . وعرفته بالشيخ سيد على ، فقد قرر الجهاز أن يشرك الكرداوى في العملية أيضاً . وفي الإسكندرية تسلم محمد شكرى الكرداوى القبلة . وفي الوقت نفسه كلفنا محمد محمد السراج - وهو مصرى كان ضابطاً في الجيش التركى ، وقد



يأن الضابط سليم زكى الذى يعمل مع « إنجرام بك » هو الذى أرسلها إلى لتحصل  
منى على هذه المعلومات ! . . . وفى اليوم التالى قابلنى سليم زكى ، وطلب منى فى  
صراحة أن أعترف على التقرائى واهم ، وأن هناك أدلة ثابتة عليهما ، وأن شهادتى  
مطلوبة ، ووعدتى بمكافأة ضخمة ! .

.. ورفضت هذا العرض . . . لأن اللذين باعوا أرواحهم للوطن ، لا يمكن أن يبيعوها  
مرة أخرى للشيطان !

### أخطر محاولة فى ثورة ١٩١٩ !

ومضى يقول :

ولكن هناك محاولة خطيرة ، لم تسجل فى أوراق التحقيق ، ولم يكشف أحد  
الستار عنها حتى الآن ! . . . إنها فى رأى أخطر محاولة حدثت فى ثورة عام ١٩١٩ ،  
نظراً للدقة الترتيبات التى أعدت لها : فقد حدث بعد أن صكّر الحكم على البرامة  
فى قضية محاولة اغتيال محمد سعيد باشا ، أننى استأنفت على الفور صلتى بالجهاز  
السرى . . . وعلمت أنه تقرر اغتيال السلطان فؤاد فى أثناء زيارته لمدينة ( المنصورة )  
فى يوم السبت ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وأنه تقرر أن أقوم أنا بهذه العملية ، نظراً  
لخبرتى بمدينة المنصورة . وكانت قيادة الجهاز السرى للثورة قد أصدرت أمراً بضرورة  
قتل السلطان ، والتخلص منه فوراً ، لأنه يتولى العرش فى ظل الحماية البريطانية ،  
ولأنه يجب أن يكون حاكم البلد منتخباً من الشعب ، بعد أن تحرر البلاد من الاحتلال  
البريطانى . . .

وكان الجهاز السرى قد وضع عدة خطط لاغتيال السلطان ، بعضها فى القاهرة ،



وبعضها في الإسكندرية . . ولكن هذه الخطط فشلت واحدة بعد أخرى ، وكان السر في هذا أن السلطان كان قليل الظهور في الأماكن العامة ، وإذا ظهر تكتم موعد ظهوره ، وموعد خروجه من قصره ، وموعد عودته إلى قصره ، وتكتم أيضاً الشوارع التي يمر منها ! .. وفي كل مرة ، كان يعدّ كل شيء لاغتياله ، وإذا بالرتيب المعد يفشل ، لأن السلطان عدل عن الخروج ، أو غير طريق مركبه ، أو ألغى الزيارة التي كان قد قررها من قبل ! . . وكان كل شيء يعد : القنبلة ، والأشخاص الذين سيتولون مهمة الاغتيال . . ولكن السلطان لا يحضر في الميعاد !

ولكن .. حدث في أول ديسمبر سنة ١٩٢٠ أن وضعت خطة كاملة اشتركت فيها عدة فروع للجهاز ، فقد وقع في يد الجهاز السري البرنامج الكامل لزيارة السلطان للمنصورة . . وفيه يحدد الساعة التي سيصل فيها قطار السلطان إلى محطة المنصورة ، والساعة التي سيتحرك فيها منها ، والعرية الحنطور التي سيركبها ، وكل شارع سيمر به ، وكل مكان سيزوره ، وعدد الحراس الذين سيمشون أمامه ، وعدد الحراس الذين سيمشون ورائه . ومن الذي سيركب معه في الحنطور ، وتفاصيل دقيقة غريبة لا يعرفها إلا عدد قليل جداً ، فقد كانت السلطة البريطانية تتخذ احتياطات شديدة للمحافظة على حياته ، وأعتقد أن الجهاز السري حصل على هذه المعلومات الدقيقة من أحد عميل الجهاز في مكتب كبير أثناء السلطان ! . وبدأت الترتيبات بسرعة مذهلة .

وأعد التراسي القنبلة التي سألقيها على السلطان ! . . وتم الاتفاق على أن أسافر إلى المنصورة قبل الحادث ، لأعرف المكان الذي سأأتي منه القنبلة ، في أثناء مرور المركب ، وتلقيت تعليمات تقضي بأن أذهب قبل وصول السلطان إلى المنصورة بـعدة ساعات ، إلى محطة ( كفر شكر ) ، وأنتظر في المحطة في ساعة معينة — واختارت

الخطه هذه المحطة بالذات لأنها ليست تحت الرقابة - أنتظر قدوم قطار سكة حديد الدلتا ، ووقوفه في محطة ( كفر شكر ) . وكان من ضمن الخطه أن يركب حسن كامل الشيشي هذا القطار من القناطر الخيرية ، وفي محطة كفر شكر يعط الشيشي من نافذة القطار ، ويسلمني سبباً ، وهذا البيت فيه القنبلة ، المخطاة بالقواكه ، التي سألقها على السلطان ! . . ثم أحمل أنا السبب ، وأعود إلى المنصورة ، فأصل إليها في وقت معين ، وأنجز موقفي في المكان المحدد لي ، قبل مرور السلطان بدقائق . .

وفي الساعة المعينة التي حددها بالجهاز السري سافرت إلى المنصورة ، وبدأت أستخدم لعملية التنفيذ ، ووجدت أن كل شيء معد لإعداداً بحكماً . . وأردت أن أذهب إلى كفر شكر لأتسلم القنبلة ، وإذا بمحمد بدر الدين يراني في أحد شوارع المنصورة ! . . وكان محمد بدر الدين هو مفتش عام الأمن العام ، جاء إلى المنصورة قبل السلطان ، ليشرف على عملية حراسته ، ولا رأي ، وتذكر أنني أنا المتهم في قضية اغتيال محمد سعيد باشا الذي أصدرت المحكمة حكماً ببراءته ، أمر بالقبض على ! . .

وفشوني فلم يجدوا معي شيئاً ! . . وتوسلت إليهم أن يطلقوا سراحي لأنني برىء ! ولكن بدر الدين أمر بعدم الإفراج عني إلى أن تنتهي زيارة السلطان ! . . وكنت أصبح : « إني أريد أن أحبي عظمة السلطان ! » . كيف تحرموني من هرف ورفية عظمة السلطان ! ؟ . . ولكن بدر الدين رفض إطلاق سراحي ! . وهكذا وصل قطار الدلتا إلى محطة ( كفر شكر ) ، وأطل حسن كامل الشيشي من نافذة القطار وبحث عني فلم يجدني ، ومشى القطار ، وبعه القنبلة . .

وكنت أنا طوال هذا الوقت في السجن أبدى أسنى لعدم تشرقي بطلمة السلطان ! . . وزار السلطان مدينة المنصورة ومر في المكان المقرر ، ولم يحدث شيء !

وهكذا لم تتمكن من تنفيذ أمر الجهاز السرى باغتيال السلطان فؤاد ! ..  
ولوكانت ثورة ١٩١٩ نجحت في اغتياله ، لتغير وجه تاريخها !!

محمد محمد خليفة

هذه هى قصة محاولة اغتيال السلطان ، كما كتبها محمد محمد خليفة عضو  
الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ .

ولكن أين هو الآن ؟ إنه موظف فى مديرية التحرير بأجر يوى قدره ثمانون  
قرشاً ، وقرر مجلس الدولة أن يبقى فيها مدى الحياة ! . ولعل من أخطاء ثورة ١٩١٩  
أنها نسيت الذين عرضوا حياتهم للخطر ، والذين وضعوا رؤوسهم على أكفهم ،  
والذين دأبت أعناقهم حبال المشاق ! . ولقد كانت وجهة نظر الثورة يومها أن العمل  
 الوطنى لا يجوز أن يدفع عنه ثمن ! . ولكن الذى كان يحدث أن التسليحين والانتهازين  
كانوا هم الذين يصعدون إلى المناصب الكبرى . . فإن عريان بعد مثلاً الذى ألقى  
على يوسف وهبه باشا القبلة التى هزت الدنيا فى وقت الثورة ، عريان سعد هذا عند ما  
أفرجت حكومة سعد زغلول عنه ، عرضت عليه مرتباً قدره سبعة جنيهات ونصف جنيهه  
فى الشهر !

و«عبد القادر محمد شحاته» الطالب بالمدرسة الإلهامية الذى ألقى قبلة على محمد  
شفيق باشا وزير الأشغال فى أيام ثورة ١٩١٩ ، وحكم عليه بالإعدام ، ثم عكس  
الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤقتة ، لم يفكر أحد فيه ، ولم يخطر ببال الأحزاب  
المختلفة — على كثرة الانتخابات — أن ترشحه فى إحدى الدوائر الانتخابية ! .  
وهكذا كان بعض الذين يدخلون البرلمان غرباء عن الثورة ، نالوا مقاعد البرلمان بترواتهم  
وبنامهم ، لا بتضحياتهم وفدائيتهم !

## قصة الجريمة رقم ١٣

والجريمة رقم ٣ هي الشروع في قتل محمد شفيق باشا يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠ «  
والتهمة فيها عبد القادر شحاته وعباس حلمي ، ولهم الجريمة قصة وتاريخ سابق :  
في يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٩ أرسل سعد زغلول من باريس رسالة سرية إلى  
عبد الرحمن فهمي رئيس الجهاز السري للتورة بالقاهرة يقول فيها : « بلغنا أن الإنجليز  
يسعون للحصول على موافقة الوزراء المصريين على مشروعات لاري في السودان مخالفة  
للمصلحة . نرجو تبصير الوزراء بمواقب هذه المشروعات وإفادتنا عن تفصيلات  
ذلك . . . »

وفي يوم ١٥ يناير سنة ١٩٢٠ ذهب صاحب المظلي إسماعيل سرى باشا وزير  
الأشغال وقابل أصحاب الدولة يوسف وهبه باشا رئيس مجلس الوزراء وأخبره بأنه  
تلقى بالبريد خطاباً جاء فيه : « احضرني للموافقة على مشروعات الري الإنجليزية  
ولا . . . الموت . . . وكان التوقيع « اليد السوداء » .

وأبلغ رئيس الوزراء الأمر على الفور إلى السلطات البريطانية ، فصدر الأمر  
بمضاغفة الحراسة على إسماعيل سرى باشا وزير الأشغال . . ثم بدأت الرسائل  
تتوالى على سعد زغلول من عبد الرحمن فهمي بالشفرة

سرى

٢٨ يناير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس :

ألى مجهول قتيلا اليوم على إسماعيل سرى باشا وزير الأشغال عند خروجه من  
بيته في الليرة .

عبد الرحمن فهمي

سرى

٣٠ يناير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بيّاريس  
أعلنت السلطة عن مكافأة ٥٠٠ جنيه لمن يعرف الذى ألقى القنبلة على سرى باشا،  
ولم يتقدم أحد بمعلومات .

عبد الرحمن فهمى

سرى

٣١ يناير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بيّاريس  
قدم إسماعيل سرى باشا استقالته من الوزارة . رفض توليات رئيس الوزراء  
والسلطان والسلطة البريطانية وأصر على الاستقالة . رفض جميع الذين عرض عليهم  
منصب وزير الأشغال قبول المنصب .

عبد الرحمن فهمى

سرى

أول فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بيّاريس  
الوزراء جميعاً غير راضين فى الاستمرار . لا أحد يقبل الوزارة من خارجها ،  
اجتمع السلطان مع رئيس الوزراء والمستشار المالى لبحث الموضوع . تقرر عمل  
معاشات للوزراء استثنائية تشجيعاً للوزراء على البقاء ، وتأميناً لحياتهم فى حالة وقوع  
حوادث لهم ، وحتى يمكن تعيين وزير أشغال .

عبد الرحمن فهمى

مصرى

٢ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس  
صدر مرسوم سلطاني بمنح كل من عين وزيراً معاشاً قدره ١٥٠٠ جنيه  
سنوياً ، على أن يطبق المرسوم على الوزراء الحاليين .

عبد الرحمن فهمى

مصرى

٥ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس -  
قبل محمد شفيق باشا وزير الزراعة أن يكون وزيراً للأشغال والحرية فوق منصبه .

عبد الرحمن فهمى

مصرى

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .  
اليوم أقيمت قنينة على محمد شفيق باشا وزير الأشغال بجهة ( غمرة ) .

عبد الرحمن فهمى

مصرى

٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس  
أخذت مشروعات رى السودان اهتماماً عظيماً من الأمة ، بعد المحاضرة التي ألقاها  
إبراهيم زكي المهندس على جمع كبير من الأمة . فكر بعضهم في ضرورة استدعاء  
مهندسين اختصاصيين من كبار مهندسي فرنسا وإيطاليا وهولندا وأمريكا . رأى

البعض أن الرقعة هو التي تقوم بهذا العمل . ما رأى مساعدكم في ذلك ؟ تحصلنا على معلومات هامة جدا ، دقيقة و سرية للغاية في هذا الموضوع . يفتصنا بعض معلومات أخرى سرية موجودة بالسودان ، شرعنا فعلا في البحث عنها والحصول عليها . الأمل عظيم في الوصول إلى ذلك إن شاء الله . فكروا في الموضوع . عرفنا رأيكم فيه حتى ترد باقي المعلومات . شجعت إبراهيم زكي على طبع مذكرة بهذا الخصوص . أمدته بالمعلومات التي لدى في الحاضرة إلى أقالما ، وفي المذكرة التي شرع فعلا في طبعها .  
عبد الرحمن فهمي

سري

أول مارس سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمي بالقاهرة .  
إن مسألة مشروعات الري في السودان مسألة مهمة جدا ، ولكنها مسألة داخلية لا يمكن للدولة أجنبية أن تتدخل الآن فيها . لم يكن علينا معلومات كافية عنها . هل يمكنكم أن تبغوا إلينا بجميع ما يتصل بكم من الكتابات المتعلقة بها سواء ما كتبه المهنس الإنجليزي « ويلكوكس » أو غيره من المهنسين الأجانب والوطنيين .

سعد زغلول

سري

٢ مارس سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس .  
لا رأى قلم المطبوعات أن احتجاجات المئات النيابية بدأت تظهر في مشروع ري السودان ، أصدر أمره الجرائد جميعا بالألا تنشر مثل هذه الاحتجاجات على صفحاتها ، هكذا يزداد الخناق يوما بعد يوم على الصحافة .

عبد الرحمن فهمي

مصرى

٣ مارس سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .  
 المنة مبنولة في جميع أعضاء الجمعية التشريعية في بحر الأسبوع المقبل للنظر  
 في الأحوال الحاضرة ومشروعات رى السودان . سيكون الاجتماع بمنزل سعادتك ،  
 بصفتكم الزميل المنتخب للجمعية التشريعية .

عبد الرحمن فهمى

مصرى

٧ مارس سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول بباريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة  
 الاقتراح الخاص بتأليف لجنة متخصصة لبحث مشروعات رى السودان في غاية  
 الأهمية . نحن نبحث فيه بما يستحق من العناية .

سعد زغلول

مصرى

١٧ مارس سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس  
 استلحق شقيق باشا وزير الأشغال ، محمود فايد بك ، الذى كان موظفًا بالرى  
 من مدة ، وهو من خريجى مدرسة السنترال بفرنسا ، وألح عليه كثيرًا أن يقبل أن  
 يكون عضوًا باللجنة الإنجليزية ، التى استهديت لبحث مشروعات خزانات رى  
 السودان . وبعد إلحاح طويل عليه من الوزير بلا جلوى ، قاده الوزير لمقابلة  
 رئيس الوزراء ، وهذا بلل كل ما في وسعه لإقناعه بالقبول فلم يفلح ، فأخطه وزير  
 الأشغال بعد ذلك وقدمه للسلطان ، وألح السلطان على محمود فايد بك بالقبول . فكان  
 جوابه للسلطان أنه لا يمكنه قبول مثل هذا العمل قبل أن يستطلع رأى الأمة . ولا



تكرر هذه الجملة أكثر من مرة أمام السلطان ، قال له السلطان : أين هو الرأي العلم  
الذى تريد أخذ رأيي ؟ قال فايد : إن الرأي العام يتمثل في نوابه ، وهم الوفد ولجته  
المركزية . فأجابه السلطان قائلاً : « دول طالبين الاستقلال التام ١ . والإنجليز الأمة  
العظيمة الكبيرة دى كيف أنها تخرج من هنا ؟ ٢ . وإحنا يرضينا خمسين في المائة من  
حقنا ، أو حتى ٤٥ في المائة ، فلا تضيع علينا هذه الفرصة يا محمود بك ، واقبل  
ما عرضه عليك شقيق باشا ١ » .

قال فايد : « يا مولاي سأعمل الواجب » . . .

ولما ألقى السلطان عليه بعد ذلك ، قال فايد : « لا يمكننى قبول هذه المأمورية  
قبل أن أعرف رأى الأمة فيها » . وبالفعل خرج محمود فايد من عند السلطان ، وأتى  
لنا بمركز لجنة الوفد ، وقص علينا كل هذه الحكاية . فاستأففتنا نظره إلى ما جاء بتقرير  
مستشار الأشغال ، من أن العمل بدئى فعلاً على النهرين الأبيض والأزرق ، وهذا  
دليل على أن عمل اللجنة صورى ، وأكثر من هذا أن صوتاً واحداً مصر فى اللجنة ،  
ولا يمكن إقناع أربعة أصوات لانتجلاً ، واستخلصنا من ذلك أن لا فائدة من انضمام  
أحد المصريين للجنة ، لئلا يقال فيها بعد إن العمل تقرر بحضور من يمثل مصر .  
وعلى هذه القاعدة بنى محمود فايد جواب اعتذاره عن قبول المأمورية .  
ولكن الجواب كتب بنائية ما يمكن من الدقة ، خلسة للقضية العامة ، وسأجتهد  
فى الحصول على صورة هذا الجواب الحقيقية وأرسلها لسعادتكم .

عبد الرحمن فهمى

...

ولكن ما هى قصة القنبلة التى فجرت مسألة مشروعات رى السودان ؟  
إنها قصة القنبلة رقم ٣ .. القنبلة التى ألقاها « عبد القادر محمد شحاته » الطالب

في المدرسة الإلهامية على محمد شفيق باشا وزير الأشغال !

إن عبد القادر محمد شحاتة نفسه ، هو الذي يكتب القصة ، وهذا هو فصل من مذكراته :

كنت جالساً في قهوة بتاى محمد على بميدان باب الخلق ، ألعب طاولة مع الشيخ محمد يوسف الطالب بالأزهر . وأقبل شاب متوسط الطول ، قممى اللون ، وقلمه لى باسم « الأخ فهمى » ، وجلس فهمى . . . تحدث حديثاً ، ثم انصرف . . . وبعد ذلك فوجئت بفهمى هنا عدة مرات ! . مرة بيئلة عادية ، ومرة بيئلة عامل ، ومرة بيئلة فلاح . . . وعند ما وثق بى قال : « إني أعرف أن الشيخ محمود أبو العيون كلفك بمهمة خطيرة في البصعيد في أول الثورة ، وهي توزيع منشورات ، والقيام بحركة في المنيا ، وأعرف أيضاً أنك الذى أشعلت الثورة في المنيا ، وأنه حكم عليك من المجلس العسكري البريطاني في الواسطى بضرب النار ، وأعرف أيضاً أن الذى هربك هو خليل حافظ حكمدار المنيا ، متحدياً قرار السلطة البريطانية . . . فهل تقبل أن تكون عضواً معنا في الجهاز السرى للثورة ؟ » . . . قلت : « نعم . . . » وأقسمت اليمين بحفظ السر . ثم عاد وقال لى : « هل أنت مستعد للموت في سبيل مصر في أى وقت ؟ » . قلت : « نعم » . . .

ثم تكررت المقابلات . . . وذات يوم قال لى : « انتظر تعليمات هامة جداً ! » . وفي اليوم التالى جاء فهمى وقال : « إننا ألقينا قبيلة على إسماعيل سرى وزير الأشغال والحربية ، فاستقال فرعاً » . وكان رئيس الوزراء يوسف وهبه باشا سيستقبل لأن أحداً لم يجرؤ على قبول منصبه وزير الأشغال لتنفيذ مشروعات الإنجليز في السودان ، وفوجئت الثورة بأن محمد شفيق باشا قبل أن يكون وزيراً للأشغال والحربية والزراعة ، فحسرت قيادة الثورة قتله ، وقد أجزيت القرعة في الجهاز ، فكان وزير الأشغال والحربية من نصيبك ! فآرايك ؟ » .

قلت : « مستعد ! » . . قال فهمي : « إن القنابل الجاهزة الآن ، والتي قرر الجهاز السري استعمالها في هذه الحادثة هي قنابل تروجلرين تنفجر في الهواء ونصيب من يلقيها . وقد حدث قبلها بأسبوعين أن كلفنا أحد الأشخاص بإلقاء قنبلة على إسماعيل سري من هذه القنابل ، فأصيب زميلنا . فهل أنت مستعد للموت في هذه المهمة ؟ » . . قلت : « نعم . . أنا على أتم استعداد » .

وفي اليوم التالي حضر فهمي ، وذهبت معه لمعينة المكان الذي اختاره الجهاز السري للثورة ، لتلقي منه القنبلة على وزير الحربية والأشغال ! . . وهو عبارة عن ميدان بسيط ، وبه مراحيض عامة ، بالمعاسية ، في طريق مصر الجديدة . وأبلغني أن المكان درس ، وحددت الشوارع الممكن أن أهرب منها ، إذا نجوت من القنبلة . ومن حرس الوزير . . ثم صحبني إلى خرابة في حارة مؤدية إلى شارع التزعة ، وقال إنني سألقى ملابس التنكر والمسلمات في هذه الخرابة . . وأن عضواً في الجهاز سيأخذها من هناك ويخفيها على الفور ! . . وقال إن الحطة وضعت على أساس أنه قبل أن تصل سيارة الوزير ، سيسبقها مباشرة موتوسيكل ، يركبه أحد رجال الجهاز السري ، ثم يلقي هذا الشخص جريدة على الأرض أمامك ، كأنها وقعت منه مصادفة لتعلم أن السيارة التي خلفه مباشرة هي سيارة الوزير ! . . وذكر لي أنني سأتنكر في زي طباطخ أرتدى ملابس فوق ملابس العادية ، وبعد ارتكاب الحادث ، أخلع ملابس الطباطخ في الخرابة التي عيها ، ثم أمشي كشخص عادي ، وأعود إلى بيتي ! . .

وابتسم فهمي وقال : « هذا إذا نجوت من القنبلة ومن الحرس ! » . . وسألني فهمي من يقيم معي في بيتي ؟ . . فقلت : « إنه شاب من طنطا ألف كتاباً في الوطنية ، ووزعته له على المدارس ، وهو ضيف في بيتي » . . فقال فهمي : « إنك يجب أن تبت بمنزل الأستاذ حسني الشنتاوي عضو الجهاز السري ، والذي رشطك لتكون

عضواً في الجهاز معنا ، وهو الذي زكى اسمك ! .  
وبالفعل بت ليلة ١٩ فبراير سنة ١٩٢٠ في منزل حسنى الشنتوى باب الخلق .  
ثم علفهمى وقال : « إن الجهاز السرى عرفه أن محمد شفيق باشا وزير الأشغال  
سيمر في المكان الذى حددناه لارتكاب الحادثة في الساعة التاسعة إلا ثلثاً . ويجب  
أن تكون موجوداً في هذا المكان قبل هذه الساعة . وضأتك القنبلة هناك ! » .

وسأله : « من الذى سيخفى بها ؟ » . قال : « لا أعرف . . . » . وارتليت  
ملابس الطباخ ، ومرتلة الطباخ ، وطاقية ، ووجلت وخفين غينو في جيب  
للمرتلة . . كل هذا أحضره فهمى . . فقد أعد الجهاز السرى أدق الترتيبات لارتكاب  
الحادث . . .

وفي الموعد والمكان المحددين ، جلست على دكة خشبية في الشارع . . وفي الساعة  
الثامنة والنصف جاءت سيارة فخمة ، وتوقفت السيارة أمامى ، ونزل السائق يحمل سباً  
مزيكشاً ، ومشى به إلى بسات ، ووضعه على الدكة يجوارى وقال : « خذ هذا  
السبت . . وأعطه للباشا عند مروره ! » . . وفي لحظة كانت السيارة قد انحفت  
من أمامى !

وتطلعت إلى السبت ، فإذا بداخله قنبلة . . وهو عبارة عن سبت صغير يوضع  
فيه الطعام . .

وبقيت أنتظر الموعد المضروب ! . . وطلت الساعة التاسعة إلا ثلثاً ، فلم يصل  
الموتوسيكل الذى سيطلق الإشارة ، ولا الوزير ! . . وبعد الساعة التاسعة والنصف ،  
بدأت أشعر بالخبرين الذين يركبون البسكليتات لحراسة طريق الوزير يسمون حولى ،  
وفي العاشرة تقريباً جاء موتوسيكل يركبه « غليب » مفتش البوليس المتخصص لحراسة  
الوزراء ، ووقف أمامى ، وقال : « قاعد هنا ليه يا ابن الكلب ! » ، قلنا بشدة

وبعنف!.. ويكل هدوه قلت له : « وانت مالك وماالى يا خواجه يا ابن الكلب ١٩ » قال : « أنا البوليس ! .. انت بتعمل إيه ؟ » .. قلت : « أنا منتظر معالى محمد شفيق باشا وزير الأشغال لإعطائه هذا السبّ ، ليأخذه للبيه الصغير فى مدرسة عبد العزيز ! » ، ثم أشرت إلى السبّ ، وقلت « اتفضل فتشه ! » .. وإذا به يركنى ويترك معى غيبراً واحداً على بسكليت ..

وفى الساعة الحادية عشرة وجدت أن لا مفر من طريقة لأهرب بالقنبلة . ووجدت عربية حنطور تمر أمامى ، فاتفقت مع العريجي على أن يوصلنى إلى مدرسة عبد العزيز بعابدين ، بجوار بيتى ، ويكل هدوه وثبات حملت السبّ بجوارى فى الحنطور إلى باب المدرسة . ودخلت للمدرسة لأنى قريباً فيها ، ودخلت إلى غرفة الطعام ووضعت السبّ بالشباك ، ثم خرجت خارج المدرسة مرة ثانية فقرأنى الخبر الذى كانا يتبعنى ، وسط الخلم ، فأنصرف ، لأنه تأكد من أن الذى كنت أحمله هو طعام .. وقبل خروج الطلبة للعداء ، عدت إلى غرفة الطعام ، وحملت السبّ — بعد أن خلعت القنولة والجلاية فى غرفة الطعام التى كانت خالية — وأدخلت السبّ بالقنبلة ، وعدت إلى بيتى !

وأكرمنى الله حيث لم تنفجر القنبلة هذه المرة ، والعجيب أنه مما يدل على كفاءة الجهاز السرى للثورة ، أننى ماكلت أدخل باب شقى حتى وجدت خلف ظهري « فهمى » عضو الجهاز السرى ! .. وقال لى فهمى : « أنت اليوم تستحق أكبر فيشان فى الدولة ، لأننا جميعاً كنا نراقبك من بعد ، ولم نجرؤ على القرب منك ، بسبب رجال البوليس السرى المنتشر حولك ، وقد تصرفت بثبات ، وقد ظهر لنا أن الوزر لم يخرج اليوم من البيت لأن ابن خاله مأمور سجن نبي سؤيف قد توفى ، ونحن بالجليل » .

وسكب فهمى قليلا وقال : « لقد قررت قيادة الثورة أن يكون التنفيذ يوم السبت  
— وكان هذا الحديث في يوم الخميس — ولكن ستغير الخطة .. المكان كما هو !  
غير أنك ستقف بجوار المراحض ، وسترتدى ملابس عسكرية بوليس ! »

وفي مساء الجمعة حضر فهمى إلى منزل حسنى الشنتاوى ومعه ملابس جندى  
بوليس كاملة .. حتى العصا التي يحملها الجندى ! . وقال إن الوزير سيصل في  
التاسعة إلا ثلثا .. وقبل الموعد المحدد ، وصلت السيارة التي فيها السائق الذي أعطاني  
القنبلة داخل علبة جزمة ! .. ثم أقبل الموسيكل المكلف بالإشارة ، وألقى  
الجريدة ! .. وأمتكت بالقنبلة استعداداً لإلقائها ، وإذا بالوزير يمر ومعه سيدتان ! !

وهنا تسمرت في مكاني ولم ألق القنبلة . لأننى أنا مقتنع بقتل الوزير ، ولكن  
ما ذنب السيدات ؟ ! .. وإذا بالسيارة الفخمة تجيء بسرعة البرق ، وتستلم  
منى القنبلة ، وتختفي ! .. وعدت إلى بيتي ، وجاعنى فهمى في حضور الأستاذ  
حسنى الشنتاوى ، وسألنى : « لماذا لم تلق القنبلة ؟ » ، فأخبرته بأن وجود سيدات في  
السيارة منعى من التنفيذ ! .. فقال فهمى : « التنفيذ غداً صباح الأحد ٢٢ فبراير ..  
وهذه المرة سترتدى ثياب عامل من عمال العنابر ، والتنفيذ يكون في مكان بجوار  
المراحض ! »

وبالفعل ارتديت ملابس عامل العنابر ، وهى ملابس كلها زيت ، وطربوش  
قديم مصبوغ بالزيت .. ووقفت في نفس المكان .. وطعت السيارة الوجيزة ، وقدم  
لي السائق القنبلة في علبة ورق كبيرة ، أكبر من العلبة الماضية .. وفي العلبة مسلمان

كى أستعملهما فى حالة الدفاع عن النفس . . ثم جاء موتسيكل الإشارة ، وألقى  
الجريدة أمامى ، واستعددت للتنفيذ .

وأقبلت سيارة الوزير فألقيت القنبلة ، فأحدثت دويًا هائلًا ولأدت الميدان  
جميعه بالدخان ! . . ولم أتبين شيئًا فى الدخان ، وسمعت صوتًا يقول : « قتلتنى  
يا ابن الكلب ! »

واعتقدت أن الوزير أصيب ، وذهبت إلى طريق النجاة المرسوم فى الخطة ،  
فجاء خلئى عسكري من حرس الوزراء على موتسيكل ، فأطلقت عيارًا ناريًا فى  
المواء فرجع ! . ونصيت فى طريقى حتى وجدت الخرابية ، فخلعت ملابس العمال  
وألقيت بها فى الخرابية هى والمسند الذى أطلقت منه الرصاص ، وأبقيت المسند  
الثانى . . .

### هل تعرف دولت فهمى ؟

ومشيت فى طريقى شخصًا عاديًا حتى وصلت إلى شارع النزهة . ثم لاحظت  
أن هناك من يتبعنى عن بعد ، وأسرعت ومعى صديقى عباس حلمى الذى كان  
يتظرنى فى شارع النزهة ، ووجدنا مدرسة بنات قبطية ، فدخلناها ، وشعرنا بأن  
البوليس يحيط بالمدرسة . وإذا بناظرة المدرسة تطلب منى المسند ، وتخفيه ! .  
ووصل الحكمدار رسل باشا وإنجرام بك وفنشائى ، فلم يجدوا شيئًا ! . ولست أعرف  
اسم هذه الناظرة التى أظهرت هذه الشجاعة العجيبة فى هذه الظروف ! .

وقيض على ، ووضعيت فى السجن ، وتعرف على محمد شفيق باشا وزير  
الأشغال ، . حسين سرى ( باشا بعد ذلك ) الذى كان مديرًا لمكتبه . .  
وبدا التحقيق قلت : « إننى الذى ألقيت القنبلة لقتل محمد شفيق باشا لأنه قبل

منصب وزير الأشغال بعد استقالة إسماعيل سرى باشا ، بعد أن رفض أى مصرى أن يقبل هذا المنصب . . . وكانت السلطة العسكرية البريطانية تريد إثبات أن الحادث هو مؤامرة كبيرة ، وتبحث عن الشركاء ، وتحاول أن تعرف من هم قواد الجهاز السرى !

وفوجئت بتوفيق عبد المقصود - الذى كنت أستضيفه بمنزل - يشهد بأننى كنت أبيت خارج المنزل من عدة شهور ! . . وشهد عبد العزيز سرى وكيل المحامى الذى كان يقطن فى حجرة بأسفل العمارة بهذه الشهادة نفسها ! . . وإذا بالمحققين يحاصرونى ، ليعرفوا أين كنت أبيت ! . ولو ذكرت المكان ، لعرف الإنجليز « حسى الشتناوى » ، وربما عرفوا « فهمى » ، وربما وصلوا إلى بقية الجهاز السرى ! .

وإذا بى أتلقى داخل السجن رسالة من الجهاز السرى من خارج السجن ، بأن سيدة اسمها « دولت فهمى » ، ناظرة مدرسة الملل الأحمر سابقاً ، ستقدم للشهادة وتقول لى كنت فى تلك الأيام أبيت عندها ! . وأنه يجب أن أعترف بهذا ، رغم أن هذا يسىء لى سمعتى ، وإلى سمعتها ، ولكنها قبلت أن تقوم بهذه التضحية ! . واستدعانى النائب العام توفيق رفعت باشا للتحقيق من جديد ليسألنى أين كنت أبيت ؟ . وكانوا يتصورون أن هذا السؤال هو الخيط الذى سيوصلهم إلى الجهاز كله ! . . قتل وأنا أظهر الخجل : « لئن كنت أبيت عند السيدة دولت فهمى ناظرة مدرسة الملل الأحمر سابقاً . . » .

وأصدر النائب العام على الفور أمراً بالقبض على دولت فهمى ، فذهب إليها اللواء رسل باشا الحكمدار وأنجرام بك وكيل الحكمدار وقبضاً عليها . وجاءت لى للنيابة مكبلة بالحديد . . ونخفت سيدة حسناء لى غرفة النائب العام ، وإذا بدولت



هذه تهجم علىّ ، وتقبلني ، وتناديني : « يا حبيبي ! يا حبيبي ! » . . . واعترفت  
دولت فهمي هذه بأنني أبيت في بيتها ، وأنتى عشيقها !

وهذه النائب العام ، والحكمدار ، ووكيل الحكمدار ! . . . وحاول الإنجليز أن  
يغروا السيدة بأن تمتنع عن هذه الشهادة ، وتقرر عدم معرفتي ، فرفضت رفضاً باتاً ،  
رغم جميع التهديدات التي هددوها بها ! . . . وفشلت السلطات العسكرية البريطانية  
مرة أخرى في معرفة الجهاز السري !

وحكمت المحكمة العسكرية البريطانية العليا علىّ ، وعلى صديق عباس حلمي  
بالإعدام شقاً ! . . . ومكثت أرتدى البذلة الحمراء ، بذلة المحكوم عليهم بالإعدام ،  
٢١ يوماً ! . وفي اليوم الثاني والعشرين استدعاني القائد العام للجيش البريطانية  
في مصر ، الجنرال واطسن ، وأبلغني أن جلالة ملك بريطانيا قد استبدل حكم الإعدام  
بالأشغال الشاقة المؤبدة طول الحياة !

وكان عمري يومها ٢١ سنة ! ، وأمضيت في سجن طره ٤ سنوات ، أكسر  
الأحجار ، إلى أن أفرج عني سعد زغلول في ١١ فبراير سنة ١٩٢٤ . . . وذهبت إلى  
سعد زغلول ومعى عريان سعد ، الذي ألقى قبلة على يوسف وهبه باشا سنة ١٩١٩ ،  
وإذا بسعد زغلول يعاقبتنا ، ويقبلنا ، ويقول :

« وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنان كل الظن ألا تلاقيا ! » .

وكان أهم شيء أردت أن أعرفه بعد خروجي هو أين صديق « فهمي » ، الرجل  
الذي كان الصلة بيني وبين الجهاز السري ؟ . وعرفت أن « فهمي » هذا هو اسم  
مستعار ، وأن الاسم الحقيقي ، هو « أحمد عبد الحى كيرة » ، عضو الجهاز السري ،  
وأحد أبطاله المجهولين ! .  
ومضت الأيام . . .

وفي يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨ استدعاني الدكتور أحمد ماهر وزير المالية إلى مكتبه ، وقال إنه يقدر جهادي ، وأنه يرى تعييني في وظيفة بنك التسليف ، واتصل تليفونيا بالأستاذ حسن كامل الشيشيني مدير بنك التسليف ، وطلب منه تعييني فوراً . ثم طلب مني أن أذهب في الحال ليقابلني حسن كامل الشيشيني ، وذهبت إلى هناك ، فلم يقابلني الشيشيني ، وعدت إلى أحمد ماهر وأخبرته بما حدث ، فاستدعني أحمد ماهر الأستاذ حسن كامل الشيشيني للحضور على الفور ، وقال له أمانى :

— يا حسن ! لولا عبد القادر شحاته وأمثاله ، لما جلسنا على هذه الكراسي ، لا أنا ، ولا أنت !

وصدر قرار بتعييني كاتباً في بنك التسليف بثمانية جنيهات في الشهر !  
ثم مضت الأيام ....

وذهبت أزور النقراشي ، فوجدته جالساً مع ضابط بلباسه العسكرية برتبة اللواء . . . سألتني النقراشي : « ألا تعرف سعادة اللواء ؟ » . . . وتأملت اللواء فلم أعرف من هو . . . وقلت : « لا . . . » . قال النقراشي : « إنه السواق الذي أعطاك القنبلة ثلاث مرات . . . وهو الآن حاكم بياشي الجيش المصري . . . اللواء نديم باشا ! »

## أين هي ؟ . . ؟

ولم أر السيدة دولت فهمي ، منذ أن قبلتني في غرفة النائب العام ، في شهر فبراير سنة ١٩٢٠ . ويبحث عنها في كل مكان ! . سألت عنها زعماء الجهاز السري ، فطلبوا مني ألا أسأل عنها ! . وأصررت على السؤال عنها ! لقد كانت تعيش

كل هذه السنوات معي في زفرائتي ! أحسست أنني أحياها . لا بد أن أتزوجها ! .  
وأخيراً علمت أن أهلها قتلوها عند ما عرفوا من التحقيق أنني بت معي في بيتها  
ليلة الحادث ! . . أنا الذي لم أرها إلا في غرفة النائب العام .  
عبد القادر محمد شحاتة

### صنع القنابل ، والتدريب على إلقائها !

وأما صفحة من مذكرات الدكتور محمد حفي عضو الجهاز السري لثورة  
١٩١٩ ، والمدير العام للتفتيش الفني بوزارة الصحة سابقاً ، إنه يتحدث عن الدور  
الذي قام به مع أعضاء الجهاز السري في صنع القنابل ، والتدريب على إلقائها ،  
واستخدامها في حوادث الاغتيالات . فيقول :  
في صيف عام ١٩١٩ اتصل بي الأستاذ حسن كامل الشيشيني المدرس بمدرسة  
المعلمين العليا ، وكنت طالباً بالسنة الثالثة في مدرسة الطب ، وقال لي : « إنني  
أشعر أنني أستطيع الثقة بك . . إننا الآن نعمل في الثورة بواسطة القنابل ، لا المظاهرات  
والمنشورات ! »

وكنا نجتمع في قهوة أمام قسم حايدين ، فكنت أدخل القهوة فأجد فيها الدكتور  
أحمد ماهر ، والنقراشي ، وحسن كامل الشيشيني ، وشفيق منصور . . وكانت  
التعليقات ألا أصافح واحداً منهم ، وإنما أدخل إلى القهوة ثم أخرج ، وهنا يقوم  
حسن كامل الشيشيني بهدوه ، ويخرج ورأى ، فتمشي معاً في الشارع ، وكانت  
التعليقات ألا تتكلم في مكان ، بل تمشي في الطرقات لأن الحيطان لها آذان ! . . وكان  
يحدث في بعض الأوقات أن يكون الاجتماع أمام منزل حسن كامل الشيشيني في حي  
الإتشاء ( النيرة الآن ) . . وكنت أسكن في شارع التلول في البغالة ، ومعى أخى

محمود حنفى المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً ، وكان طالباً في المدارس الابتدائية . وكان الدور الأول من البيت هو مخزن المسدسات والقنابل التى أستلمها من حسن كامل الشيشينى .

وكان البيت فى سفح جبل المقطم ، فكنا نستعمل الدور الأرضى للتدريب على إطلاق المسدسات . وتوليت تمرين الدكتور عبد القادر حلمى الشوربجى المدرس فى كلية الطب ، الذى كان وقتها طالباً فى الطب معى ، وزملى مصطفى كامل ، وغيرهما من الطلبة . وكانت مهمتى كذلك تمرين أعضاء الجهاز السرى على إلقاء القنابل . وكنت أبدأ بتدريبهم على قيادة الموتوسيكلات ، وكان البرتقال يستعمل بدل القنابل . . . . وكان التمرين فى ( المنيل ) ، حيث أقيمت الآن العمارات الكثيرة على النيل . . . وكانت الطريقة أن نحدد هدفاً ، ثم تلقى البرتقالة على الهدف ، سواء كان هدفاً متحركاً أو هدفاً ثابتاً ، ثم يسلم لى حسن كامل الشيشينى قنابل ميلز الإنجليزية ، وقد كانت عملية تجربتها تجرى فى صحراء حلوان ، وتبينت أنها ضعيفة ، وأخبرت حسن كامل الشيشينى بنتيجة التجارب ، فجاءنى بمشروع قنبلة جديدة ، وهى عبارة عن علبة من الصلب تقفل بقلالوظ . وأحضر لى بودرة الديناميت المخلوط ، ثم أحضر لى زجاجة بها حامض كبريتيك مركز . .

وتوليت صنع القنبلة . . وصنعت عند سمكرى فى ( الناضرية ) قاعدة من الزنك ، وأحضرتنا كمية من الحديد ، وقطعناها أجزاء لتكون شظايا للقنابل ، ووضعنا قاعدة الشمعة فى قاع العلبة وحولها بودرة الديناميت المخلوط ، ثم وضعنا الزجاجة التى فيها حامض الكبريتيك المركز فى قاعدة الشمعة لتظل واقفة لا تميل . وخلطنا قطع الحديد بالمادة المرقمية ، ثم ألقنا القنبلة . وبدأنا تجربة هذه القنبلة الجديدة . . وصحبت الدكتور أحمد ماهر فى التجربة الأولى : ركبنا قطاراً من محطة الجزيرة

إلى قرية (المانية) ، وعبرنا التل ، وفي مكان يشبه التل وضعت القنبلة في كوز ، وربطنا الكوز بدوابة ، ووضعنا القنبلة في الكوز ، ثم أخذنا الدوابة إلى الناحية الأخرى من التل وركعنا وراء التل ، ليكون فاصلاً بيننا وبين الانفجار ، وجذبنا الدوابة فاقبل الكوز ، واقلبت معه القنبلة واختلطت المواد ، وحدث الانفجار . . . وبعد انتهاء التجربة ، ذهبنا إلى مكان انفجار القنبلة فوجدنا أنها دمرت المكان ! . وقال أحمد ماهر : « كويس قوى يا حفي ! . نستمر على كده ! . » .

ثم جاعني حسن كامل الشيشيني وقال : « إن قيادة الجهاز السرى قررت أن تبدأ بالتنفيذ في رئيس الوزراء يوسف وهبه باشا » . وكان عريان سعد عضواً معي في الجهاز ، وقررنا اختيا عريان لهذه العملية بناء على تطوعه وتصميمه أن يقتل قبطي رئيس الوزراء القبطي .

وبدأنا تدريب عريان سعد بالبرتقال . . ثم جاء حسن كامل الشيشيني بالتحركات الكاملة لرئيس الوزراء ، وشكل سيارته المغلفة ، وهي سيارة سوداء وبالحزب الأسفل منها بلون الخيزران . . ورسمنا الحطة مع عريان سعد كما ذكرها في مذكراته التي سلمها لمصطفى أمين .

...

وقد كان عبد الطيف الصوفاني عضواً في قيادة الجهاز السرى للاغتيالات . . وعرفني حسن كامل الشيشيني بالصوفاني . . وكنت أتصل بالصوفاني الذي كان يرتدى العمامة والحبّة والقفطان ، وكان أحمر الوجه ، شديد الحماس ، يملؤه الإيمان والاندفاع كلما تحدث في شئون الوطنية المصرية ، وكان الملهم الروحي لي . وفهمت أنه يشترك في عملية التمويل . . وكان يعطيني المبالغ اللازمة للتحركات ، وكان مجموع المبالغ التي أخذتها منه ١٥ جنيهًا ، مرة ، وعشرة جنيهات في مرة أخرى ، وكنا نلاميذ لا نستطيع أن ندفع هذه المبالغ من مصروفاتنا الشخصية ! .

ثم اتصل بي حسن كامل الشيشيني وأبلغني أن الجهاز السرى قرر اغتيال إسماعيل سرى باشا وزير الأشغال . . ورشحنا لهذه العملية الدكتور نديم باشا الذى أصبح فيما بعد رئيساً لقسم الطبى فى الجيش المصرى ، وكان يومها طالباً معى فى السنة الثالثة بمدرسة الطب ، ومع حسن توفيق التلميذ فى المدارس الثانوية . . وقمت بتعريف الطالب نديم . . وقام نديم بإلقاء القنبلة هو وحسن توفيق على سيارة إسماعيل سرى باشا فى المنيرة ! .

وانفجرت القنبلة فى السيارة ، وأصيب حسن توفيق بشظية ، ثم بدأت الشبهات تحوم حوّل . . وكانت تعليقات الجهاز السرى أنه فى حالة قيام شبهات حول أحد أعضاء الجهاز ، فينبغى أن يختفى من مصر كلية ! .  
وحدث أن جاءت شهادة المدرسة بنجاحى من السنة الثالثة إلى الرابعة بمدرسة الطب . . وبعد أيام جاء خطاب من المدرسة يقضى نهائياً من مدرسة الطب ! . . وبالبحث ظهر أن اسمى فى القائمة السوداء ! .

وبدا ترتيب عملية المرب . . وكان من الصعب أن أحصل على جواز سفر بالطريقة العادية ، ولكن الدكتور على إبراهيم باشا الجراح المعروف رحمه الله ( وكان أستاذى فى الجراحة ) استطاع أن يحصل على جوازلى ، فقد كان له صديق فى الجوازات ، وانهز فرصة غياب المدير الإنجليزى بالإجازة ، وحصل على جواز باسمى

وخرجت من مصر فى مارس سنة ١٩٢٠ ، حيث أتممت دراسة الطب فى جامعة ( فردريك ويلهلم ) بيرلين . وحصلت على الدكتوراه فى ديسمبر سنة ١٩٢٣ ، وقبل سفرى سلمنى حسن كامل الشيشيني توصية من أحد أعضاء الجهاز السرى إلى الدكتور

« كورت باولج » في فيينا . وقال حسن كامل الشيشيني إنه تقرر أن أدرس المقررات في فيينا عن طريق هذا الشخص . . .  
وسافرت إليه فلم أجده . . .

\*\*\*

وكان « أحمد عبد الحى كيرة » من دفعنى فى مدرسة الطب ، وكان شخصية غامضة ، وشخصية قوية ، وكان يستطيع التأثير على أى شخص يتكلم معه . . وقد بلغ من غموضه أننى كنت عضواً فى الجهاز السرى ولا أعرف أنه عضو فى الجهاز السرى معي ! . ولكننى كنت أعرف أنه عامل فى الحركات الهامة فى الجهاز السرى التى تحت الأرض . . وكان العمل يجرى بسرية تامة . . وكان يحدث أن أضطر إلى الاستعانة بزميل من زملائى الذى ليس عضواً فى الجهاز السرى ، ثم تقوم الدنيا وتقع بعد ارتكاب إحدى الحوادث ، فلا يفتح واحد منهم فيه . . ومن الذين استعنت بهم الدكتور عبد القادر الدياسطى . والدكتور عبد الفتاح شريف ، وقد كانا زميلين لى فى مدرسة الطب .

وتركت أحمد عبد الحى كيرة . وسافرت ، وإذا بأخى محمود حفى يحتل مكانى فى الجهاز السرى !

وفى سنة ١٩٢٢ وصل عبد الحى كيرة إلى برلين ، ومكث معى يومين . . وعرفت أن أخى محمود حفى قبض عليه فى مؤامرة مع عبد الحى كيرة ! . . ثم فوجئ « كيرة » فى برلين بأن الحصار يحاول أن يطبق عليه فى الحال ، من المخابرات البريطانية . . واتصل بنا بعض أصدقائنا بالخارجية الألمانية ، ووضعنا خطة لتحريره إلى خارج الحدود .

وبني أحمد عبد الحمى كيرة لنزاً غامضاً ، إلى أن قتله المخابرات البريطانية ! .  
وكان أخي محمود حفي عضواً في خلية أحمد عبد الحمى كيرة .

**دكتور محمد حفي**

مدير عام التفتيش الفني بالنيابة  
بوزارة الصحة سابقاً

### خلية عبد الحمى كيرة .. ومحمود النحاس

ونبدأ البحث عن خلية أحمد عبد الحمى كيرة !

ونعني في محاولة حل اللغز . . وتحصل على مذكرات محمود خليل النحاس  
عضو الجهاز السري لثورة ١٩١٩ ، وأحد أعضاء الخلية السرية التي كان يرأسها  
أحمد عبد الحمى كيرة ، ومدير التبادل الثقافي بوزارة الإرشاد بعد ذلك .

إنه يكتب صفحة من مذكراته عن « كيرة » يوماً بيوم . . وعن مغامراته المثيرة ،  
فيقول :

« كان أحمد عبد الحمى كيرة رئيس خلية ، وكانت الخلية مكونة من المرحوم  
أحمد توفيق ، الذي أتى القنبلة على حسين درويش باشا ، ، وشقيقه حسن توفيق  
الذي أتى القنبلة على إسماعيل سري باشا ، وإبراهيم نظير الذي أعلم شتقاً في سنة ١٩٢٢ ؛  
والمرحوم أحمد خالد ، ومحمود حفي الذي أصبح بعد ذلك مستشاراً بمحكمة  
الاستئناف ، والدكتور محمد نديم طالب الطب الذي أصبح فيما بعد اللواء محمد نديم



باشا كبير أطباء الجيش المصرى ، والذي اشترك مع أحمد توفيق فى قبلة درويش  
باشا . . . . .

« وكنت تلميذاً فى البكالوريا فى مدرسة الإلهامية ، وكان عمى ١٨ سنة ! . .  
كان أحمد عبد الحى كيرة طالباً فى الطب ، يشغل ذكاء ووطنية ، عيناه براقتان ،  
شديد التدين والاستقامة ، يبدو عليه الغموض ، لا يتكلم كثيراً ، شديد الحذر .  
إذا ضرب لك موعداً لا يحدد مكانه ولا وقته ، ولكنك فجأة تجده أمامك ، ثم  
يختفى فجأة . وكان لا يحضر اجتماعات الخلية السرية ، ولكننا نجده معنا ، ومع  
تعليمات قيادة الجهاز السرى !

وذات يوم فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢١ جاء كيرة وقال لنا : « الجماعة يقولون  
إن محمد بدر الدين بك مراقب الأمن العام ، يدبر الخطل للقبض على الجهاز  
السرى للثورة ، وأنا يجب أن نتخلص منه ، لأنه أكبر موظف فى الداخلية يعتمد  
عليه الإنجليز فى قمع الثورة بعد نفي سعد زغلول . وأن الجماعة قرروا وجوب  
قتله ! » .

ولم يسأل أحد من هم « الجماعة » ! . لأن تقاليد الخلية السرية ألا تسأل عن  
يصدر الأوامر ! . . ثم سألنا كيرة : « من منكم يقوم بالعملية ؟ » . . قلت :  
« أنا . . » . وقال محمود حفى : « وأنا سأراقبه » . وفى نفس اللحظة أخرج  
أحمد عبد الحى كيرة من جيبه سلسلة أوتوماتيكياً وأعطاه لى . وقال كيرة : « إنه  
تقرر أن يتولى المنفذون عملية دراسة دخول وخروج محمد بدر الدين ! »

واختفى كيرة فجأة كما ظهر !

وبدأنا على الفور نتتبع محمد بدر الدين . . وطمنا أنه يقطن فى شارع الدواوين  
وهو شارع نويار الآن ، فى منزل يقع بقرب شارع المتديان ، وأنه يخرج كل يوم

من منزله بين التاسعة والعاشر صباحاً ، ويمشى على قدميه إلى وزارة الداخلية التي تبعد بضع دقائق عن بيته . . وجاء أحمد عبد الحى كيرة وأخطرنا بأن الجهاز السرى علم بأن محمد بدر الدين مسلح ، وأنه يحمل مسلحاً في جيب معطفه الأيمن ، وأنه يسير دائماً ويده اليمنى في جيبه استعداداً لمواجهة أى اعتداء . وأنه حدث قبل ذلك محاولات لاغتياله لم تنجح ، وأنه يعلم أن حياته مهددة .

### ودرسنا المنطقة . . ووضعتنا الخطة !

واتفق على أن يقف محمود حنفى أمام منزل بدر الدين ، ويراقب خروجه من الباب ، وأن أقف عند زاوية شارع الدواوين ، مع شارع البركة الناصرية . وعند خروج بدر الدين من منزله ، ينحنى محمود حنفى ويربط حذاءه ، وعندئذ أستعد لضربه ، خاصة أنه سيمر على الرصيف الذى أقف عليه . . وبعد أن يربط محمود حنفى حذاءه ، يستمر في سيره . أما أنا فأهرب من شارع البركة الناصرية ، في عدة شوارع ضيقة ومتعرجة في حواري عمارة البابلي ، بعد أن أضغ المسلس في جيبي ، حتى أصل إلى شارع خيرت ، ومنه أمشى إلى سكة الحنفى ، ومنها إلى بركة القليل ، ثم إلى الحلمية حيث أسكن .

وفي يوم الثلاثاء ٣ يناير سنة ١٩٢٢ ذهبنا إلى المكان المحدد لاغتياله وانتظرنا . . ولم يخرج بدر الدين ! ويطلب على الظن أنه غير موعد خروجه ، ونخرج مبكراً ! وقد بلغ من قدرة التدبير ، أن اتصل أحد أعضاء الخلية بخاتمة محمد بدر الدين وعرف منها كل نظام خروجه ودخوله ومعيشتة ، وساعدنا هذا كثيراً على إعداد خطة الاغتيال . .

وفي يوم الأربعاء ٤ يناير سنة ١٩٢٢ عدنا إلى المكان مرة أخرى . . ولم نتمكن

من العثور عليه ، فإنه لم يخرج في ذلك اليوم إطلاقاً ! .. وكانت حالتنا العصبية متوترة .

وفي يوم الخميس ٥ يناير سنة ١٩٢٢ ذهبنا في الساعة التاسعة صباحاً وانتظرنا في الأمانة المحددة لنا . . وفي الساعة العاشرة إلّا ربعاً رأيت زميلي محمود حنفي يعطى الإشارة المتفق عليها . وكنت واقفاً والمسدس في يدي داخل السترة ، وقدرت يدي على صدري ، واتخذت موقفي في ناصية شارع البركة الناصرية ، وسمعت وقع أقدام بدر الدين وهو يقترب مني . . ثم وصل ، وأصبحت المسافة بيني وبينه حوالي نصف متر ، ونظر إلى نظرة شك . . ولم أتحرك . . وبمجرد أن خطا خطوة بعد أن أدار وجهه أخرجت المسدس بسرعة ، وأطلقت عليه الرصاص في صدره . . فصاح بدر الدين بأعلى صوته : « يا ابن الكلب .. اسكوه ! »

وأُسِّرت أعدو في شارع البركة الناصرية . . وقبل أن أخطو بضع خطوات سمعت طلقة نارياً ، فقد أطلق بدر الدين الرصاص من مسدسه قبل أن يسقط على الأرض . واستمرت في عدوي في الحواري المتعرجة ، إلى أن وصلت إلى شارع خيزر ، ولم يتبعني أحد ، ولم يحاول أحد أن يقبض عليّ . . ولهذا لم يجد الإنجليز شاهداً واحداً يتقدم ويصفني ، مع أن شارع الدواوين كان مزدحماً بالمرور . وعندما وصلت إلى شارع خيزر توقفت عن العدو ، وسرت إلى المنزل فدخلت وخلعت ملابسى ، وارتديت ملابس أخرى ، وحملت ملاينى والمسدس إلى منزل زميلنا أحمد خالد بالقاعة . ثم عدت إلى المنزل . .

وأعلنت السلطة البريطانية عن مكافأة قدرها خمسمائة جنيه لمن يرشد عن الجاني ، فلم يتقدم أحد !

## وقرر الجهاز اغتيال عبدالحالقي ثروت باشا !

وبعد ثلاثة أيام من وقوع الحادث وحدث أحمد عبد الحمى كيرة فجأة في بيتي بالحلمية بشارع على باشا إبراهيم ، وهتأني باسم الجهاز السرى . ثم قال لى أحمد عبد الحمى كيرة إن قيادة الجهاز السرى للثورة تلقت معلومات مؤكدة بأنه بدأت مفاوضات سرية جداً بين عبد الحالقي ثروت باشا والورد ألقني ، وأن الغرض من المفاوضات أن تعلن بريطانيا استقلالاً وهمياً لمصر ، وفي الوقت نفسه تعهد ثروت باشا بأن يكسب خطابات سرية تلغى هذا الاستقلال ، وتعطى بريطانيا نفس الحقوق التي كانت لها قبل إلغاء الحماية البريطانية ! ولهذا قررت قيادة الجهاز السرى للثورة قتل عبد الحالقي ثروت باشا . . وأنه تقرر تكليف محمود حنفى بتنفيذ هذه العملية !

وزارنى محمود حنفى ، وأبلغنى أنه صدرت إليه الأوامر بتنفيذ اغتيال ثروت باشا . . واجتمع في عدة مرات ، فدرس خطة الاغتيال . . وأخبرنى محمود حنفى بأن معه بعض الزملاء في هذه العملية ، وأن من بينهم أشخاصاً جدداً ، سيكون معهم خلية سرية لتنفيذ هذه العملية . وزارنى أحمد عبد الحمى كيرة ، وقال لى إنه يوجد مع محمود حنفى في خليفته التى ستتخذ اغتيال ثروت باشا شخص اسمه مصطفى فرغل لا يطمئن إليه الجهاز . وقال محمود حنفى إنه مطمئن إلى مصطفى فرغل .

ورتيه الخطة بحيث يتم اغتيال ثروت باشا يوم ٢٦ يناير ، عند خروجه من منزله في الدقي ، متجهاً إلى المدينة ، عن طريق الكوبرى الأعمى ، كوبرى الجلام حالياً . وتم الاتفاق على إلقاء حقيبة ملأى بالقنابل على سيارة ثروت باشا . ووزع محمد عبد الحمى كيرة مسئوليات على أعضاء خلية التنفيذ . وأخبرنى

كيرة أنه كان يمشى مع مصطفى فرغل وبعض أعضاء خلية التنفيذ ، وفجأة قال مصطفى فرغل : « يظهر أن هناك من يتبعنا ! » قال كيرة : « لو كان هذا صحيحاً فسأضربه بالنار ، هو ومن يعاونه ! » وقال كيرة وهو يروى هذه الواقعة : « إننى قلت هذا وأخرجت مسلسى ، لأننى شككت فى هذه اللحظة فى مصطفى فرغل » - وقال مصطفى فرغل : « سأذهب وأرى من هو هذا الرجل الذى يتبعنا ، وسأتحقق من الموضوع بنفسى » .. ثم عاد مصطفى فرغل إلى كيرة ، وقال إنه رجل يبحث عن شارع آخر !.

وفى يوم التنفيذ .. قبض البوليس على عمود حفى وجميع من معه ، وهم يقفون فى انتظار ثروت باشا فى الأمكة المجددة فى اللحظة ، واستولوا على الأسلحة والقتايل التى كانت معهم .

\*\*\*

وذهب البوليس فى يوم ١١ يناير سنة ١٩٢٢ إلى مدرسة الطب ليقبض على أحمد عبد الحى كيرة ، وفرجى كيرة بدخول عدد من الضباط الإنجليز ليقبضوا القبض عليه فى العمل .. وعرف كيرة على الفور أن مصطفى فرغل أبلغ البوليس ! وبسرعة مدلهة قال لهم : « أنتم تريدون أحمد عبد الحى كيرة ! وأنا لست أحمد عبد الحى كيرة ! » .. وإذا بطلبة المدرسة والمدرسين المصريين يشهدون بأن القبض عليه ليس هو أحمد عبد الحى كيرة ! .. وترك الضباط الإنجليز أحمد عبد الحى كيرة ، وراحوا يفششون المدرسة عنه ! وفى هذه اللحظة اختفى عبد الحى كيرة !

وفرجت فى نفس اليوم بأن البوليس جاء ليقبض على أ كمن بالمتزل .. وترك البوليس أمرا لى بالتوجه إلى المحافظة فوراً ومقابلة اللواء رسل باشا حكمدار القاهرة شخصياً . وعندما توجهت إلى المحافظة سألت عن رسل باشا ، فقيل لى إنه غير موجود مؤقتاً ، وطلبوا منى مقابلة وكيل الحكمدار .. وإذا بوكيل الحكمدار هو

اللواء محمد نديم باشا زوج خاتني ! وقال لي : « إيه الحكاية ؟ هل تعرف شخصاً اسمه محمود حفي ؟ » . قلت : « أعرفه لأنه تلميذ معي في البكالوريا . . . له ؟ » . قال اللواء نديم باشا : « إنه قبض عليه في مؤامرة محاولة اغتيال ثروت باشا وإنه كان مراقباً ، وأن تقرير البوليس يقول إنه زارك ثلاث مرات قبل الحادث ، وإن آخر مرة كانت قبل الحادث بيوم واحد » . فلجنته بأنه « زميلي في البكالوريا ، وأنه كثيراً ما يحتاج إلى بعض الكتب والكراريس فيستعيرها مني للمذاكرة ! » فقال لي نديم باشا : « إنني سأستجوبك الآن رسمياً ، وعليك أن تقر هذا ، وسأحاول أن أخفض الموضوع » .

وقد تم هذا . . . وحفظ الموضوع !

وظهرت قضية محمود حفي أمام المحكمة العسكرية ، وإذا بشاهد الملك هو فعلا مصطفى فرغل ، كما توقع أحمد عبد الحى كيرة ! وحكم على محمود حفي بالسجن . . . وتمكن في أثنائه من مواصلة دراسته والنجاح في البكالوريا والحقوق .

### واختفى عبد الحى كيرة من مصر !

وفجأة رأيت أحمد عبد الحى كيرة أماًى من جديد . . . يخطرني بأن قيادة الجهاز السرى قررت أن يختفى من مصر ، وأنها وضعت خطة ليسافر إلى إيطاليا عن طريق ليبيا . . . وأنه سيكتب لي باسم مستعار . . . ثم اختفى . . .

وشعرت بأن هناك شبهات ضلبي ! . . . وأنتى مراقب . . . وأن البوليس يتعقبني . . . ووصلت لي تعليمات بأن أختفى من مصر ، وحصلت على جواز سفر عادى ، وسافرت إلى ألمانيا في شهر يوليو سنة ١٩٢٢ ، بمجد انتهائى من امتحان

البكالوريا . ووصلت إلى برلين . . وفوجئت بأحمد عبد الحى كيرة في أحد المطاعم . وكانت مقابلة مثيرة . وورى لى كيرة قصة هروبه من مصر فقال : « ارتليت زى الأعراب ، وأطلقت لحيتى : وأخذت معى ما أحتاج إليه من التتود ذعبا . . وتم الاتفاق مع قافلة من الأعراب لتأخذنى عن طريق الصحراء إلى ليبيا فى مقابل مبلغ معين . . وسارت القافلة من طريق القيوم إلى واحات ليبيا . . وكنت مسلحا ، وتعرف طبعاً أنى أجيد الرماية . . وعرف الأعراب أن معى كيرة من الجنهات النديه ، فاتفقوا على التخلص منى ، بأن يسوا لى السم فى الطعام ! ولكنى كطبيب شغرت قورا بأن الطعام مسموم ، فامتنعت عن أكل أى طعام معهم ، واكتفيت بأكل البيض طوال الطريق ، لأننى أعرف أنه الطعام الوحيد الذى لا يستطيعون أن يسوا لى السم فيه !

وفى أحمد عبد الحى كيرة يتكلم : « وعندما وصلت إلى ليبيا ، وكانت مستعمرة إيطالية ، بدأت أولا بتعلم اللغة الإيطالية ، وارتليت قبعة واسعة مما يرتديه تجار المواشى ، ودخلت فى عمليات بيع وشراء مواشى بين إيطاليا وليبيا وتونس ، مما حتم منفرى إلى إيطاليا لتوريد المواشى ! وكان هذا دفعا لأى شبهة أو شك فى موضوعى . . وسافرت من ليبيا إلى تونس ، ثم إلى إيطاليا .

« ووصلت إلى إيطاليا . . ولم يعرض على بضعة أسابيع فى نابولى ، إلا شعرت بأننى مراقب ، ويأتصالى ببعض أصديقاتى من الإيطاليين علمت بأن الخبايا البريطانية قد علمت بأننى سائرت إلى ليبيا ، ومنها إلى إيطاليا ، وأنها بدأت تطلب تسليمى على اعتبار أننى مجرم ! وانتقلت إلى فرنسا ، وإذا بالخبايا تطاردنى فيها . ونصحنى أصديقاتى بأن أغادر فرنسا قورا ، لأن قرارا سيصدر بتسليمى إلى بريطانيا حلقة فرنسا . . فلم أجده مفرّا من السفر إلى ألمانيا ، وهى العدو بريطانيا ، وأنها

وإن كانت مغلوقة على أمرها ، فلأنها لن تسلم بسهولة بمطالبة المحابر البريطانية بتسليمي . وكان معي جواز سفر مزور ، تولى الدكتور سيد باشا عملية تزويره في إيطاليا بناء على تعليمات الجهاز السري في مصر .

ثم قال لي أحمد عبد الحى كيرة : « وكما تعلمت الإيطالية بسهولة ، تعلمت اللغة الألمانية بسهولة ، وقد قيد اسمي في جامعة برلين طالباً بكلية الطب للحصول على الدكتوراه » .

وتقابلنا عدة مرات . . وفي يوم من أواخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ قال لي إن الجهاز السري في القاهرة أبلغه ، بطريقة سرية ، أن عبد الحى ثروت باشا رئيس الوزراء ينوي السفر إلى سويسرا ، لحضور مؤتمر لوزان في شهر نوفمبر ، والتصديق على كل ما تنازل عنه تركيا من حقوقها في مصر لصالح بريطانيا . . وأن الجهاز السري في مصر أبلغه تعليمات بضرورة قتل ثروت باشا في لوزان ومنعه من أن يرتكب هذه الجريمة !

وبمنا خطة اغتيال ثروت باشا في لوزان . . وتم وضع الخطة على أن أسافر أنا وزميلي حمزة الطالب بالطب في برلين إلى لوزان ، وعند مجيء ثروت باشا نقتله في الفندق أو في أى مكان آخر قرب المؤتمر . . وذهبت مع عبد الحى كيرة واشترينا مسدسين من برلين . . وكانا من أحسن الأسلحة ، وكان ثمن المسدس المستعمل في ألمانيا يومها لا يعدو جنيهاً واحداً ! وسافرنا إلى لوزان .

وبقينا زهاء أسبوعين ننتظر ثروت باشا . . وإذا بنا تلقى تعليمات بأن ثروت باشا عدل عن حضور المؤتمر ، عندما علم بأن سعد زغلول أمر من منفاه في جبل طارق بإيفاد وفد برئاسة حسن حسيب باشا إلى لوزان ليقول في المؤتمر إن ثروت باشا لا يتكلم باسم مصر ! . . فعدنا إلى برلين . . وإذا بي أعلم أن الحكومة الألمانية



خضعت لضغط بريطانيا وأعلنت عبد الحمى كيرة مهلة ٤٨ ساعة لمفاوضة ألمانيا .  
وقابلت أحمد عبد الحمى كيرة ، فوجدته قلقاً ، وقال لى إنه قرر الاختفاء من برلين ،  
لأنه عرف أن المخابرات تطارد ، وأنه سيذهب إلى مدينة ميونخ ، ومنها سيقرو  
هل يسافر إلى روسيا ، أو يسافر إلى تركيا . .

وبعد قليل اختفى ، وكان يكتب لى من ميونخ باسم مستعار ثم انقطعت عنى  
أخباره !

وكتبت قد عرفت أحمد عبد الحمى كيرة فى برلين بصديق أحمد سرمد ، وهو  
صديق لى من القاهرة ثم حضر إلى برلين لإجراء عملية بركيته . وكشف أحمد  
عبد الحمى كيرة على ركية صديق ، وإذا به يشخص الحالة مثل تشخيص أكبر  
أستاذ عالمى فى جراحة العظام ببرلين ، وهو البروفيسور « هيلد براند » ، مع أن كيرة  
كان وقتها لا يزال طالباً فى كلية الطب !

وتوطدت بينهما العلاقة . وكان صديق أحمد سرمد يسافر بانتظام إلى  
إستانبول ، وبعد عدة سنوات قابلته فى مصر ، فأخبرنى أن أحمد عبد الحمى كيرة  
أبلغه أن المخابرات البريطانية تتعقبه أينما ذهب . . وأنه حدث أن اتصل به بعض  
الشرقيين من عملاء المخابرات البريطانية وطلبوا علاقتهم به ، ثم اقترحوا عليه أن  
يلتجئ معهم إلى ميناء إستانبول ليودعوا واحداً منهم كإن مسافراً . وإذا به يكشف  
أن المخابرات البريطانية وضعت خطة لاختطافه عند وصوله إلى المركب ، وجنسه  
فى إحدى القنصليات ، وتسليمه إلى السلطات البريطانية فى مصر . .

وتظاهر كيرة بأنه سيذهب إلى الميناء ، ولكنه لم يذهب !

. . . . .

وكانت هذه آخر أخبار تلقيتها من أحمد عبد الحى كيرة ، الرجل الذى كان أحد أبطال الجهاز السرى فى ثورة ١٩١٩ .

### عمود خليل النحاس

مدير التبادل الثقافى  
بوزارة الثقافة

• • •

### الجهاز السرى يعرف ، قبل أن يعرف الملك !

ويظهر من مذكرات عمود النحاس ، أن أحمد عبد الحى كيرة أبلغ خليلته السرية أن الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ عرف أسرار مفاوضات ثروت مع الإنجليز فى شهر يناير سنة ١٩٢٢ . . وأن عبد الحى كيرة أبلغ الخلية السرية أنه تقرر قتل ثروت باشا لأن الجهاز عرف أن ثروت سيقع خطابات سرية تلغى استقلال مصر العلى !

والغريب أن الجهاز السرى عرف هذا السر الخطير قبل أن يعرفه الملك بعدة شهور . . فقد جاء فى مذكرات الدكتور حسن نشأت التى رواها لنا ما يأتى فى هذا الموضوع : « كانت وزارة ثروت تتولى المفاوضات سرّاً مع الإنجليز ، ولم يستطع الإنجليز أن يصلوا إلى حل يرضاه المصريون نظراً للظيان الشعبى ، والشعور الوطنى المتأجج فى تلك الأيام ، فاقترح صديق باشا على الإنجليز أن يصدر تصريح ٢٨ فبراير من جانب واحد هو بريطانيا .. ورفض الإنجليز ذلك ، لأنه سيضيق حقوقهم فى مصر ، وأنه ليس هناك من يلتزم بتنفيذ المطالب التى تضمنتها التصريح ، وبخاصة بالمصالح البريطانية ، فاقترح معهم ثروت وصديق على أن تلتزم الوزارة بتنفيذ هذه المطالب فى خطابات سرية متبادلة بين الوزارة والحكومة البريطانية ، وقد ظمت

حكومة ثروت يتبادل هذه الخطابات السرية مع اللورد ألتني المندوب السامي البريطاني ،  
 بدون علم الملك فؤاد . . وبعد أن تم الاتفاق وأذيع في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ،  
 فوجئ الملك فؤاد باللورد ألتني يزوره ، ودار الحديث حول إعلان تصريح ٢٨ فبراير  
 من جانب بريطانيا . وقال اللورد ألتني للملك فؤاد : « إنك طبعا تعلم بالخطابات  
 السرية التي تبادلها ثروت باشا مع الجانب البريطاني ، والتزمت جلالتك بها . . »  
 فأبدى الملك فؤاد دهشته وقال إنه لا يعلم شيئا عن هذه الخطابات السرية !

« وبعد خروج اللورد ألتني استدعاني الملك فؤاد ، وكان غاضبا . . وقال إنه  
 متضايق جداً من عمل ثروت باشا ، وارتباطه بالإنجليز بخطابات سرية دون علمه ،  
 وإنه حائر ماذا يعمل ؟ » .. وقال لي الملك : « أنا أخشى من حكم التاريخ ! أنا  
 لا يعينني أي شيء إلا ماسيقوله التاريخ ! لن يصدق الناس أن هذا العمل ارتكبه وزارة  
 ثروت بدون علم الملك ! » قلت له : « إن هذا العمل لا يلزم إلا أشخاص الوزراء  
 أنفسهم ، وإنه ما دام الاتفاق قد تم دون أن يستكمل إجراءاته الشرعية ، بموافقة  
 الملك والبرلمان ، فإن الاتفاق السري لا يلزم إلا الوزراء الذين التزموا به ويسقط  
 بسقوطهم . واقترحت أن نسقط وزارة ثروت ! . . ولكن الإنجليز كانوا يستندون  
 تلك الوزارة التي ارتبطت معهم سرياً ، ولا يسمحون للملك بإسقاطها !

« وحاول الملك ، بشتى الطرق ، أن يخرج الوزارة والوزراء ، على غير جدوى !  
 كان لا يدعهم إلى القصر . كان يتجاهلهم في المناسبات الرسمية . كان يعتمد  
 ألا يصفح ثروت باشا رئيس الوزراء في أي حفل رسمي . . وكان من عادة الملك  
 أن يؤدي صلاة الجمعة كل أسبوع في أحد المساجد ، وكان من عادة رئيس الوزراء  
 والوزراء أن يقفوا بباب المسجد لاستقبال الملك عند وصوله ، فكان الملك لا يصفح  
 رئيس الوزراء والوزراء ، ويصفح من هم أقل منهم منصباً ، لإخراج الوزراء

وإشعارهم بغضبه ، ولكن كل هذه المحاولات لم تفلح في جعل ثروت باشا ووزرائه يستشعرون الحرج ويقبلون الاستقالة !

« وذات يوم ، وكان يوم الثلاثاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٢ كما أذكر ، استدعاني الملك فؤاد ، وكان متضامناً جداً من ثروت باشا ، وقال لي : « إن ثروت لا يريد أن يقدم استقالته على رغم الإهانات المتوالية التي أوجهها إلى الوزراء . وإن الإنجليز يسندون الوزارة إلى أبعد الحدود ، وأنا لا أدري ماذا أصنع ؟ » . فاقترحت على الملك أن يؤدي صلاة الجمعة في الجامع الأزهر : وكنت أعرف أن الأزهر كان شغلة الوطنية ، وكان ملتهاً لا يحتاج إلى كبريت . . وأن الوزراء لا يحرقون على الظهور في الأزهر لانتظار الملك كالمعتاد !

« وأبلى الملك فؤاد استحسناته للفكرة ، وطلب مني تنفيذها ، وأن أتصل بثروت باشا وأخبره بذلك . . فذهبت إلى مكنتي بالقصر ، وأسكتت التليفون واتصلت بثروت باشا وأخبرته بأن الملك سيؤدي صلاة الجمعة في جامع الأزهر . . وأقبلت التليفون في الحال ، حتى لا أعطى لرئيس الوزراء فرصة الاعتراض ، وكنت وأنا أفضل ذلك أسمع صياح اعتراضه !

« ودعني مجلس الوزراء إلى اجتماع عاجل لبحث الأمر ، وتوجه إسماعيل صديق باشا وبعض الوزراء إلى اللورد ألني ، وأخبروه بما يعتزم الملك أن يقوم به ، وأن حسن نشأت هو الذي دبر هذا الموضوع . . واختار الجامع الأزهر بالذات لإحراج الوزارة ، لأن الوزراء لا يحرقون على النعاب إلى الأزهر ، وقال الوزراء إن هذا العمل موجه ضد الإنجليز ، وطلبوا من اللورد ألني أن يتدخل لاختيار مسجد آخر غير الأزهر يؤدي فيه الملك الصلاة . . وكان من صفات اللورد ألني أنه عسكري صريح ، فقال للوزراء : « إن من تقاليد بريطانيا ألا تتدخل في المسائل

الدينية ، ومصر بلد إسلامي ، والمملك له أن يصل في أي جامع ، فلا دخل لنا في ذلك ١ . . وحاول صدق باشا أن يقنع اللورد ألنبي بأنها ليست مسألة دينية ، ولكنها مسألة سياسية من تدبير حسن نشأت ، وقال له صدق باشا : « إنه يوجد ملكان في القصر ، ملك كبير وملك صغير ، وإن الملك الصغير هو الذي دبر هذا الأمر ضد بريطانيا ، وطلب منه الاتصال بوزارة الخارجية البريطانية ، وإبلاغها بذلك حتى يصدر الأمر بمنع الملك من الصلاة في الأزهر . فأرسل اللورد ألنبي برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية تتضمن رأيه ، ورأى صدق باشا ، وبقى مجلس الوزراء مجتمعاً برياسة ثروت باشا في انتظار رد وزارة الخارجية البريطانية !

« وفي الساعة الواحدة صباحاً وصلت برقية وزارة الخارجية البريطانية إلى لورد ألنبي بأنها تريد وجهة نظره يعلم التدخل في المشاعر الدينية . وأبلغت البرقية فوراً إلى مجلس الوزراء وهو مجتمع في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، فكان وقعها على الوزراء كالقنبلة ، وقررت الوزارة الاستقالة فوراً ، لأن الوزراء لا يمكن أن يواجهوا الشعب في الأزهر ، ولا أن يكونوا بآمن على حياتهم من الأزهريين والشعب إذا ذهبوا لأداء الصلاة ١ . . وأخذت الوزارة تعد كتاب استقالتها ، واستمرت في إعداده حتى الساعة الخامسة صباحاً . وفي صباح الأربعاء ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢ كان الملك يستقبل قناصل الدول ، وحضر ثروت باشا ، وفي يده ورقة ملفوفة - وليست في مطروف - وكان الملك في تلك اللحظة يستقبل قنصل السويد ، ( الذي قتل بعد ذلك ، منذ عامين في الإسكندرية ) ، فأيقظ ثروت باشا في مكتبه حتى انتهى الاستقبال ثم استأذنت له في مقابلة الملك ، فأذن له ، وقدم ثروت استقالة الوزارة بدون أن تقال كلمة واحدة من أي من الجانبين ، وعلى الفور

عهد الملك فؤاد إلى توفيق نسيم بتأليف الوزارة .

« وبعد ذلك اتصل الإنجليز بتوفيق نسيم ، لتنفيذ ما تضمنته الخطابات السرية التي التزمت بها وزارة ثروت ، فأخبرهم بأن هذه الالتزامات قد سقطت بسقوط الوزراء الذين تبادلوا هذه الخطابات مع الجانب البريطاني ، وأنها غير ملزمة للوزارة الجديدة قانوناً ! . . . وحدثت أزمة . وقيل للورد ألنبي إنها مؤامرة من تدبير الملك الصغير حسن نشأت ضد الإنجليز . وهنا تقدم لورد ألنبي وطلب من الملك لإخراجي من الديوان الملكي ! . . . وأخفى الملك على الأمر ، ولم يشأن أن يفاتحنى فيه ، ولكنه كان متضيقاً ، فوضعت أيام دون أن يرد على اللورد ألنبي ، أو يقبل طلبه ، فصدرت الأوامر إلى أربع بوابج بريطانية بالتحرك من ماطلة إلى الإسكندرية ، وعند اللورد ألنبي بأن الأسطول البريطاني سيحتل منطقة الجمارك في الإسكندرية ، وهي المنطقة الوحيدة التي كانت في أيدي المصريين ، فتوجهت إلى الملك والتمست منه إعفائي من العمل في الديوان الملكي ، فأراد الملك أن يطعنني ، فقلت له : « إنى لا أقبل أن تضار بلادى من أجل ، وإذا لم توافق جلالتك على إعفائي من العمل في القصر الملكي فلن أعرف كيف أعمل لحل هذا الأمر » .

« وفهم الملك من كلامي أنني « سأنتحر » ، فوافق على إخراجي من الديوان الملكي ، ولكن الإنجليز أصروا على إخراجي من مصر كلها » .

• • •

هذا ما رواه الدكتور حسن نشأت رئيس الديوان الملكي في عهد الملك فؤاد عن كيفية خروج وزارة ثروت عام ١٩٢٢

• • •

ولكن المرحوم إبراهيم فتحى باشا وزير الحرية والبحرية فى تلك الأيام . .  
 يضيف رواية أخرى ، وكانت هذه الرواية نفسها يرويها جعفر والى باشا وزير  
 الأوقاف فى تلك الوزارة ، لأعضاء النادى الأهلى ، الذى كان رئيساً له :  
 فى يوم الثلاثاء نفسه الذى اتصل فيه نشأت باشا من القصر برئيس الوزراء عبد الخالق  
 ثروت باشا ، يبلغه أن الملك فؤاد سيؤدى صلاة الجمعة فى الأزهر ، تلقى الوزراء  
 جميعاً ظروفاً حكومياً غريباً وجدوه على مكاتبهم !

وجهه ثروت باشا على مكتبه فى وزارة الداخلية .

وجهه واصف سمكة باشا على مكتبه فى وزارة المواصلات .

وجهه مصطفى ماهر باشا على مكتبه فى وزارة المعارف .

وجهه إبراهيم فتحى باشا على مكتبه فى وزارة الحرية .

وجهه إسماعيل صدق باشا على مكتبه فى وزارة المالية .

وجهه جعفر والى باشا على مكتبه فى وزارة الأوقاف .

وجهه حسين واصف باشا على مكتبه فى وزارة الأشغال .

وعندما فتح كل وزير الظرف الحكوى الكبير وجد ما يأتى : « إذا ذهبتم إلى  
 صلاة الجمعة فى الأزهر فسوف تضربون جميعاً بالرصاص . . »

« اليد السوداء »

وعلى الورقة علامة اليد السوداء المشهورة !

وكان الوزراء جميعاً يعرفون الكثير عن هذه اليد السوداء . .

وأثار هذا التهديد فرع الوزراء ، وكانت الاستقالة !

## أسطورة في الثورة ، يتحدث عنها الناس !

في مذكرات عريان سعد ، الذي ألقى القنبلة على يوسف وهبه باشا رئيس الوزراء في ثورة ١٩١٩ يقول بالحرف الواحد :

كانت في ثورة ١٩١٩ أسطورة يتحدث عنها الناس ، ويتناقلون أخبارها ، ويتحدثون عن مغامراتها العجيبة . وكانت هذه الأسطورة هي سيد محمد باشا الطالب بمدرسة المعلمين العليا . وكانت السلطة العسكرية البريطانية أمرت في سنة ١٩١٩ بإلقاء القبض على سيد محمد باشا لاشراكه في مؤامرة إلقاء قنبلة على رئيس الوزراء محمد سعيد باشا ! وكانت الإشاعات تتعقبه ، والسلطة البريطانية تتعقب هذه الإشاعات . . يشاع أن سيد محمد باشا ظهر فجأة في حى السيدة زينب بالقاهرة وأنه وزع أسلحة وقنابل واختفى . وتسرع قوات البوليس الحربي البريطاني إلى السيد زينب ، وتحاصر شوارعها ، وتهاجم البيوت ، وتفتش كل غرفة بحثا عن الأسطورة ، وإذا بالإشاعة تقول إنه ظهر في الإسكندرية متنكرا في ثوب بحار ، وهنا ينقض الحصار البريطاني عن السيدة زينب ، ويتحرك البوليس الحربي البريطاني في الإسكندرية يفتش البيوت بحثا عن سيد باشا ، فإذا بأخبار عن بور سعيد تؤكد أنه ظهر فيها ، وأنه وزع أسلحة وقنابل ! ويشهد أشخاص بأنهم رأوه فعلا متنكرا في زى ضابط بالجيش البريطاني ، فيقوم البوليس الحربي البريطاني في بور سعيد ، وينطلق بحثا عن سيد محمد باشا في كل بيت ، وفي كل غرفة . . فلا يعثر له على أثر !

عريان يوسف سعد



فأما قصة هذه الأسطورة !

من هو سيد محمد باشا الذى كان الشعب يتحدث عن مغامراته فى ثورة ١٩١٩ ؟ لئن تلقيت الخطاب التالى من الدكتور سيد باشا المدير العام بوزارة التربية والتعليم سابقا .

« عزيزى مصطفى أمين

تحية طيبة وبعد . فإليك تبث عن أحمد عبد الحى كيرة أحد أبطال الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ . وقد يدعشك أن تعلم أن والدك المرحوم أمين يوسف هو الذى أدخلنى فى الجهاز السرى للثورة ، وأنتى أنا الذى أدخلت أحمد عبد الحى كيرة ، فى ذلك الجهاز السرى . لذلك أرسل لك فصلا من مذكراتى السرية ، أرجو أن يضىء شيتا من النور فى سر هذا الجهاز العجيب !

المخلص

سيد محمد باشا

المدير العام بوزارة

التربية والتعليم سابقا

ولئن أتحنى قليلا ، وأترك للدكتور سيد محمد باشا ، أن يروى فى مذكراته شيئا جديداً عن تكوين هذا الجهاز :

« كنت طالبا بـ مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ سرى همس عجيب فى المدينة ، أن سعد زغلول ذهب إلى دار الحماية مع زميله على شعراوى وعبد العزيز فهمى ، وطلب من السير ونجت نائب ملك الإنجليز ، الاستقلال التام ، باسم الشعب المصرى !

واهتر كل واحد منا لهذا النبأ الخطير . . وذهبت إلى بيت سعد زغلول أسمع

تفاضيل ما حدث . وقابلني هناك الأستاذ أمين يوسف الحامي ، وسلمني نص  
المحادثة التي حدثت بين سعد وزملائه ونائب ملك إنجلترا ، لأذيعها بين الناس .  
ثم قابلني مرة أخرى وقال لي إن الإنجليز يقولون إن سعد باشا لا يمثل أحدا ، وإن  
الشعب لا يريد الاستقلال ، وإنه لهذا تقرر أن يوقع الشعب كله توكيلا لسعد زغلول .  
وزملائه للمطالبة بالاستقلال التام . . وإنه طبع عددا ضخما من هذه التوكيلات  
ليوقعها الشعب بأجمعه .

### إمضاءات كل الشعب !

وأعطاني « توكيلات » ليوثقها الطلبة ، مفوضين سعدا وزملاءه للمطالبة بالاستقلال  
التام . وحصلت على توقعات زملائي الطلبة . . وعدت إلى بيت سعد زغلول .  
فأعطاني أمين يوسف توكيلات جديدة . . وتكرر هذا عدة مرات ! إن المطلوب  
توقيع كل رجل وامرأة ! الذين يعرفون يوقعون بإمضاءاتهم . . والذين لا يعرفون  
يختمون أو يصبون بأصابعهم !

\* \* \*

وهنا تقطع مذكرات الدكتور سيد باشا لثروى ما حدث في هذه التوكيلات .  
كان الكولونيل « ب . ج . ج ألجود » أحد كبار ضباط المخابرات بالجيش البريطاني ،  
وكان قد حضر ثورة ١٩١٩ ، ونشر مذكراته في كتاب بعنوان « مصر في فترة  
الانتقال » المطبوع في مطبعة أرنولد بلندن عام ١٩٢٨ . قال الكولونيل ألجود في  
مذكراته صفحة ٢٣٦ :

« كانت مصر سكرى بالحماس ! جمع المصريون عرائض توكيل سعد زغلول .

ضموها إلى بعضها البعض . بعد مضي أسبوع على وجه التقريب من اليوم الذى وزع فيه سعد زغلول هذه التوكيلات كان تحت يده ما يزيد على مليون عريضة ، وكان متوسط عدد الإمضاءات التى تحملها كل عريضة حوالى عشرة إمضاءات . كان اسم سعد زغلول على شفاه جميع الرجال . كان إنتخابه زعيما نتيجة حتمية . وبناء عليه فقد أصبح هناك حزب واحد وبرنامج واحد . . .

انتهى ما كتبه الكولونيل ألبود فى مذكراته ، ونعود إلى إستئناف مذكرات سيد محمد باشا الذى قال :

« وتكررت مقابلتى لأمين يوسف . وذات يوم . . قال لى الأستاذ أمين يوسف ، وقد كان يقيم يومئذ مع سعد زغلول فى بيته ، وهو زوج ابنة شقيقته ، ووالد مصطفى أمين وعلى أمين ، إن قيادة الثورة اختارتنى للعمل فى جهازها السرى ! . فرجبت . ولم أسأل عن أى شئ : عن هى هذه القيادة ؟ مع من سأشتغل ؟ ما هى مهمتى ؟ ولكنى فهمت من الكلام أنها مهمة خطيرة « تحت الأرض » ! . وبعد فترة . قابلنى أمين يوسف فى بيت سعد زغلول ، وانتحى بى وقال إن قيادة الثورة قررت تأليف لجنة سرية لطلبة المدارس العليا ، تعمل « تحت الأرض » ، بسبب ظروف الأحكام العرفية وطغيان السلطة العسكرية البريطانية ، وإن هذه اللجنة تتألف من طلبة موثوق بهم فقط ، وأن تختار من كل مدرسة مندوبين اثنين فقط . وقال أمين يوسف إن مهمة اللجنة السرية هى : أولا : توزيع المنشورات وطبعا . ثانيا : عمل البيانات . ثالثا : إصدار جرائد سرية لأن الجرائد لن تنشر شيئا عن الثورة بسبب الرقابة والأحكام العرفية . رابعا : تنظيم الإضرابات خامسا : مقاومة أعداء الثورة . سادسا : تأليف فروع لهذه اللجنة بنفس نظامها فى القاهرة - فى الأقاليم ، وأن يكون العمل تحت الأرض أيضا . ويجب أن يعلم أعضاء

الخلايا أن مهمتهم خطيرة ، قد تؤدي إلى الإعدام ! . . سابعاً : عمل شبكة اتصالات بين اللجان الفرعية ، بحيث يمكن وصول تعليمات القيادة إليها في أسرع وقت ، في أى مكان . ثامناً : تنبثق من لجنة القاهرة خلايا صغيرة لا تزيد على اثنتين ، تكلف كل خلية بعمل واحد من الأعمال المتقدم ذكرها لضمان السرية التامة . ثامساً : أن قيادة الثورة اختارتك أنت لتكون مسئولاً عن هذه العملية ، وتنفيذها على مسئوليتك .

وأفهمنى أمين يوسف أن مهمته تنتهى هنا ، وأن شخصاً آخر غير ميسنصل فى وييلفى باقى التعليمات . وعلى الفور بدأت فى تأليف هذه اللجنة . . واختارت عن مدرسة المعلمين العليا أنا وزميلى محمود عوضين طه ، وعن الجامعة الأهلية يوسف العيد وحسن الملالى . . وكنا نعمل ليلاً ونهاراً . . وألفت اللجنة خلية منى أنا ويوسف العيد لعملية الاتصال بمندوبى الأرياف لتوصيل منشورات وبيانات سعد زغلول . . واستأجرنا غرفة فى ( بركة القيل ) لنطبع فيها الجريدة السرية . . وأمكن تأليف لجان للطلبة فى كل مدينة فى القطر كله من القاهرة إلى أسوان . . وأصبح للطلبة شبكة « تحت الأرض » يمكن نقل التعليمات والمنشورات إليها فى وقت قصير . وفى الوقت نفسه كانت تتألف لجان فوق الأرض فى كل قرية ومدينة وإقليم للقيام بالعمل العلنى . وكانت ساعة الصفر المحددة للانفجار هى الساعة التى يتخذ فيها الإنجليز إجراء ضد سعد زغلول !

## التنظيم . . !

وهنا تقطع مذكرات الدكتور سليم باشا ، لننتقل إلى مذكرات لورد جورج لويد المندوب السامى البريطانى فى القاهرة الذى اطلع على الوثائق التى حصل عليها

الإنجليز في تلك الفترة. إنه يقول في صفحة ٢٨٤ من الجزء الثاني من مذكراته :  
 « أثناء عام ١٩١٨ عمل سعد زغلول بلا كلل أو ملل ، للحصول على تكوين قوى موحدة من المصريين المتعلمين . . نجح في ذلك إلى حد بعيد . لدرجة أن سعد زغلول ، غير المقيد بقيود المنصب ، انتهز انهماك مجلس الوزراء المصري في عمله ، وكان مجلس الوزراء متعاوناً متعاوناً وثيقاً مع السلطات البريطانية والمندوبية . . انتهز سعد زغلول هذه الفرصة ، فقد كان مطلق اليد في تعبئة الرأي العام نفسه والارتباط به »

وفي الصفحات من ٢٨٧-٢٩٥ يقول لورد لويد : « ترك المجال مفتوحاً أمام سعد زغلول . أخذ يعمل بكل طاقته ، وبكل عزم وتصميم على تدعيم مركزه . . كان صلباً في مطالبه ، نشيطاً في جهوده لتكثيل الشعب ، بدأ فوراً في تطوير حملته . شكل اللجان في جميع الأقاليم . نظم الاجتماعات في جميع أنحاء مصر . جمع التوقيعات بالجملة بتوكيل سعد وزملائه ومنحهم سلطة العمل باسم شعب مصر ! . . ولم تلمس السلطات الإنجليزية ما يجري . كان الموقف يتطور بسرعة كبيرة . اقترب الموقف من درجة الغليان . . دعاية سعد زغلول تعمل في الظاهر طبقاً للقواعد القانونية والدستورية ، وفي الخفاء تعمل بمنتهى الخطورة على إثارة اضطرابات عامة . . وقبل أسبوعين من قيام الاضطرابات كتب « سير ميلين شيتهم » ، المندوب السامي البريطاني ، إلى لورد كيرزون وزير الخارجية يقول :  
 « إن الهياج الذي نظمته الزعماء الوطنيين بدأت تخدم ناره ، وبدأت حيلته . . »

• • •

وفي صفحة ٢٠٧ يقول لورد لويد في الجزء الأول من مذكراته :  
 « جاءت الأيام الأولى من شهر مارس : مصر تغلي بالثورة . للسلطات

البريطانية بدأت تدرك أن الموقف لا يخلو من الخطر . . تقرر كبح سعد زغلول . كانت كل عناصر الانفجار مكتملة ، لا ينقصها إلا شرارة تشعلها . . كانت الشرارة على وشك الاشتعال . . أمرت السلطات البريطانية باعتقال سعد زغلول . انفجرت النار في الوند . . كان الطلبة أولى من ناروا . في صباح يوم ٩ مارس انتشر الطلبة فجأة في الشوارع حاملين شعلة الاضطرابات حينما حلوا . وقعت أعمال التخريب في مساء اليوم نفسه . الجماهير المتمردة تدمر الممتلكات . الموقف يزداد سوءاً . . اضطرابات في كل مكان . اندلعت الثورة في الأقاليم . اصطدامات في كل مكان بين الجيش البريطاني والشعب . . وانتشرت الثورة فجأة في مصر كلها ! . . واضطر الإنجليز إلى الخضوع ، وأفرجوا عن سعد زغلول وزملائه المنفيين في مالطة !

### الحياة !

وتترك مذكرات لورد لويد المندوب السامي البريطاني ونعود من جديد إلى مذكرات الدكتور سيد محمد باشا عضو الجهاز السري لثورة ١٩١٩ : « أفرج الإنجليز عن سعد زغلول ، وسافر من مالطة إلى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح . وفوجئنا بأن محمد سعيد باشا تولى الحكم ، مخالفاً قرار سعد زغلول بأنه لا يجوز لمصرى أن يتولى الحكم في ظل الحماية ! . . وفوجئنا بأن سبعة من المصريين قبلوا الاشتراك معه في الحكم ، والحماية البريطانية لا تزال موجودة ، والجيش الإنجليزي لا يزال يحتل أرضنا ! . . وعدنا إلى مهمة لجنة الطلبة . . فوجدنا أن البنل الخامس من أهدافها هو مقاومة أعداء الثورة . إننا قاومناهم بالمشورات وبالبيانات ، وبالاضطرابات ، وبالجرائد السرية ولكننا لم نقتلهم من مقاعدهم ! . . وفكرت أنا

ويوسف العبد في أن « مقاومة أعداء الثورة » تدخل تحتها عملية ضرب بالقنابل والرصاص !

وبحثنا من أين نجيء بالقنابل والرصاص ! إن أمين يوسف عندما أبلغني تعليمات الثورة قال إنه يجب أن نعتمد على أنفسنا ، وأن يتولى الطلبة الصرف على العملية من جيوبهم ، حتى يشعر القاممون بالعمل أنها عمليتهم هم ، وأنها ليست عملية من فوق . وكنا نجرم أنفسنا من الضروريات لنشتري الورق والحبر الذي نطبع به المنشورات ، وندفع مصاريق الانتقالات بين المديرات . . . وقال يوسف العبد إنه يعرف شاويشا إنجليزياً في الجيش البريطاني ، فاتصلنا به وطلبنا منه أن يشتري لنا مسلسلاً وإذا بالشاويش الإنجليزي يعرض علينا أن يبيع هو مسلسله لنا يمينين ! وأصبحت الثورة تملك مسلسلاً واحداً !

وفي أوائل أبريل سنة ١٩١٩ فاحت أحمد عبد الحى كيرة الطالب بمدرسة الطب في أن ينضم إلى الخلية ، وكنا نقيم قبل الثورة في بيت واحد في البغالة ثم انتقلت أنا إلى سكة عيد الرحمن في الخلية ، وبقي كيرة في البغالة . . . وعرضت الفكرة على كيرة فرحب بها على الفور . وفاتح يوسف العبد صديقه حسن سالم الطالب في الهندسة . وبدأنا تفكر في أن نزيد عدد أسلحة الخلية ، ولكن من أين التمويل ، وذهبت أنا ويوسف العبد إلى عبد اللطيف بك الصوفاني عضو الجمعية التشريعية وعرضنا عليه الفكرة وقلنا له إنك بصفتك من الأعيان تستطيع أن تجمع تبرعات لعمل منشورات ، وتعطينا القلوس ، ووافق عبد اللطيف الصوفاني ، وأعطانا عشرة جنيهات ، وذهبنا إلى الشاويش الإنجليزي وأعطيناه خمسة جنيهات ، وطلبنا أن يشتري لنا قنابل ومسلسلات ! وبعد يومين جاءنا الشاويش الإنجليزي بمسلس وقنبلتين بخمسة جنيهات . . .

ثم أعطيناه خمسة جنيهات أخرى . . وجاء بمسلمين وقبيلتين ! وأصبحت ترمادة الخلية السرية فيها أربعة مسلسلات ، و٤ قنابل ! ! وجربنا القنابل فوجدنا أنها لا تنفع لعمليتنا . وفكرت أنا وأحمد عبد الحى كيرة أن نقوم نحن بصنع القنابل بأنفسنا ! وكنت أنا طالباً بالقسم العلمى بالمعلمين ، وكان عبد الحى طالباً بمدرسة الطب . وأحضرنا كتاباً عن الكيمياء . . وقراءناه فلم نجد فيه شيئاً عن القنابل ! ولكن وجدنا فى الهامش اسم كتاب باللغة الإنجليزية عن المفرقات .! وطلبت من الطالب محمد على ، زميلى فى مدرسة المعلمين أن يستعير هذا الكتاب من دار الكتب ، وأحضر الكتاب . ورحت مع كيرة ندوسه . . واختبرنا نوعاً من القنابل . . وهو يتكون من مسحوق بكريك أسيد وكلورات بوتاسيوم ، ويصب عليهما عند الضرب حامض الكبريتيك . وقال أحمد عبد الحى كيرة إنه سيسرق لنا الأحماض من معمل مدرسة الطب ، وفعلنا أحضرنا لترًا ونصف لتر من هذه الأحماض . ووجدنا أن بلورات بكريك أسيد تستعمل فى صبغة الخنزير باللون الأصفر . ولكيلا نلقت النظر توليت أنا ويوسف الابد شراءها من (مصايغ) صغيرة فى حى الجمالية . أما كلورات البوتاسيوم فاشتريناها من معمل أدوية بشازع نوبار ، (شارع الجمهورية الآن) . . وكان المفروض أن يوضع حامض الكبريتيك فى أنبوبة مرتفعة توضع فى نهاية جسم القنبلة ، فاشترينا زجاجات عطر خالية من محل صغير فى التريعة . . وأصبحنا نملك جميع المواد التى تصنع منها القنبلة ! ولكن ليس عندنا جسم القنبلة !

وبدأنا نبحث عن حدادين للقيام بهذه العملية . ومعنا أن الجهاز السرى للثورة ألف تنظيمًا سريعًا للعمال ، وأن محمد عثمان الطوبجى ، وهو جزيمى ، يتولى الإشراف على هذا التنظيم . واتصلنا به ، وسألناه هل يستطيع أن يجد بين



عمال العنابر شخصاً يوثق به ليصنع لنا جسم القنبلة . فأتحضر لنا في اليوم التالي اثنين من أعضاء الجهاز السرى للعمال ، أولهما هو الشيخ أحمد جاد الله العامل بالعنابر ، والذي سلمه سعد زغلول مذكراته كما جاء في الحلقات السابقة ، والذي كان متهمًا بعد ذلك في قضية الاغتيالات مع ماهر والقراشي . وثانيهما هو إبراهيم موسى الدامل بالعنابر ، وهو الذي أعدم بعد ذلك بست سنوات في حادث السردار . ووضعتنا للشيخ جاد الله وإبراهيم موسى تصميم جسم القنبلة المطلوب . وكان المفروض أن يكون جسم القنبلة من حديد الزهر ، فلم يجدوا مادة كافية من حديد الزهر ، في مكان لا يلتفت النظر . . ووجدوا أنه من الممكن الحصول على ذلك ، محل محل الحديد الزهر .

وصنع الشيخ جاد الله وإبراهيم موسى قنبلتين . وعبأنا القنبلتين ، أنا وأحمد عبد الحى كيرة ، وقررنا أن نجربهما . . ولكن أين نقوم بهذه التجربة ؟ ! واقترح يوسف العبد أن نذهب إلى قريته « شبرا النملة » وقال إن فيها أماكن بحقيقة ممكن عمل تجربة فيها ولا يشعر بها أحد ! . . ووصلنا إلى شبرا النملة . . ورأينا فيها مزارع القطن والقمح ، واستبعدنا مزارع القطن لأن شجرة القطن قصيرة ولا يمكن أن نخشى فيها ، وفضلنا مزارع القمح لأنها طويلة . . ولكن خشينا أنه إذا حدث الانفجار قد يمس أحد من الفلاحين فيرانا وسط القمح . . وخطر ببالنا أن نصعد جميعاً فوق شجرة عالية ، فإذا ألقينا القنبلة ، وأحدثت صوتاً ، ونظر الناس إلى ناحية الانفجار لم يروا شيئاً ! وصعدنا فوق الشجرة ، وألقينا القنبلة ، فأحدثت انفجاراً ونجحت التجربة . ولم نستلفت نظر أحد ، ولكن نسينا أن الزنك ليس وقوداً للقتل !

## موعد عند ترزى !

وعدنا إلى القاهرة ، فإذا بالنقراشى يرسل لى أن أقابله على الفور أنا ويوسف العبد فى محل ترزى اسمه محمد توفيق ، فى حارة زغيب ، وهى بين شارع قصر النيل وشارع عبد الحالى ثروت . وكان النقراشى هو الذى اتصل بنا قبل ذلك ، وكان مكلفا بمسئولية جريدة ( المصرى الحر ) وهى الجريدة السرية التى كنت أطبعها أنا ويوسف العبد . وذهبت مع يوسف العبد لى الترى الذى حدده النقراشى ، فوجدته هناك ، ووجدت معه رجلين لا أعرفهما . وأخفى النقراشى فى جانب من محل الترى ، وقال لى : تفكر لو فكرنا أننا نقوم بموعد اغتيالات . هل يوجد فى الطلبة من يقوم بها ؟ . قلت : « أنا ويوسف العبد ! » . وقصصت على النقراشى التجربة التى قمنا بها مع « كيرة » ، ونيجتها . وطلب النقراشى وصفا للقنبلة ، ورسمت له الوصف ، وسلمته له . والتفت النقراشى إلى الشخصين المجهولين وقال : « ده فيه ناس جاهزين ومستعدين ! »

وقدمنا إليهما . . فإذا بهما الدكتور أحمد ماهر ، وحسن كامل الشيشنى . . وأخرج حسن كامل الشيشنى مصحفا من جيبه وقال : إذن تقسم على المصحف بأن هذه المسائل السرية لا يبرح أحد بها ، وأن من يكشف أمره ، لا يقول إلا بعن نفسه !

## وأقسمنا اليمين !

ولم يكن الترى الذى اجتمعنا فى محله موجوداً معنا ، كان قد دخل إلى الغرفة التى بها العمال الذين يحكيكونه البلاطات ، وعرفت بعد ذلك أن الترى محمد توفيق

هو عضو في الجهاز السرى أيضا ، ولكن في قسم توزيع المنشورات ، ولا يعرف  
 شيئا عن الاغتيالات ! .. سألتى النقراشى : « أتم صرفتم .. ؟ » قلت :  
 « نعم .. » قال النقراشى : « كم .. ؟ » . فأخبرته .. فأراد أن يعطينى المبلغ  
 قلت : « إننا أخذناه من شخص آخر » .. قال النقراشى : « من ؟ » .  
 قلت : « لا بد أن أستاذته .. هل لديك مانع أن أقول له على أسمائكم ؟ » . قال  
 النقراشى : « قل اسمى أنا فقط ، ولا تقل الأسماء الباقية .. وابتداء من اليوم سنتولى  
 نحن التمويل .. » . وذهبت أنا ويوسف العبد إلى عبد اللطيف الصوفانى وأخبرناه بما  
 قال النقراشى . فقال الصوفانى : « سأتصل بالنقراشى مباشرة » !  
 وطلبنا من الحاج أحمد جاد الله أن يصنع لنا عشر قنابل ، وأتم صنعها على  
 الفور ، بالاشتراك مع الخلية السرية للعمال . وأحضر الحاج أحمد جاد الله نجارا  
 من الخلية السرية ، فبنى غنبا في الغرفة التى استأجرناها في بركة القيل ..

### على بركة الله !

ثم جاءنا أمر بالتنفيذ في محمد سعيد باشا رئيس الوزراء ! وكانت صيغة الأمر  
 هى أن النقراشى قال لنا : « على بركة الله .. » نفذوا في محمد سعيد باشا رئيس  
 الوزراء !

واختبرت أنا لإلقاء القنبلة على رئيس الوزراء . واختير يوسف العبد ،  
 ليتولى إعطاء الإشارة . وبدأ الجهاز السرى يضع تقريراً عن تنقلات رئيس الوزراء  
 ومواعيده ، والشوارع التى يمر بها ! .. وبدأنا الاستعداد لإلقاء أول قنبلة في  
 الثورة ! . وقبل موعد التنفيذ بأربع وعشرين ساعة جاءنى أحمد عبد الحمى كبرى  
 وقال : « حدث تغيير في الخطة .. أنت لن تتولى التنفيذ ، ستتولى عملية الإشارة

فقط ، وسيتولى التنفيذ شخص آخر . فسألته : « من هو ؟ » . قال : « عبد الحميد المنسوري » . قلت : « وهل هو مستعد ؟ » . قال أحمد عبد الحى كيرة : « نعم ، ونجح فى الاختبار . . »

وفى ليلة التنفيذ أحضرت القنبلة ، وذهبت إليه فى بيته ، وعلمته كيف يقوم بالعملية . وكانت الخطوة هى : سيارة محمد سعيد باشا ستجىء من نادى محمد على مخترقة شارع سليمان وتمر فى ميدان الإسماعيلية الذى هو ميدان التحرير الآن . تتجه السيارة فى طريقها إلى شارع قصر العيني . ثم إلى شارع الشيخ ربحان إلى مكتب محمد سعيد باشا بوزارة الداخلية . يجلس عبد الحميد المنسوري على قهوة فى الميدان فى محل تشغله أجزاخانة ونلسور الآن . السيارة ستصل إلى المكاد المحدد حوالى الساعة العاشرة والنصف . الإشارة التى أقوم بها هى أن أخرج من جيبى منديلا أبيض وأمسح به وجهى ثم أضع المندبل فى جيبى ، وأمشى !

وحل الموعد ولم تحضر السيارة ! . . ومرت دقائق ولم تحضر السيارة ! . . ورأيت أن أذهب إلى نادى محمد على لأعرف ماذا حدث لرئيس الوزراء ، فلم أجد سيارة رئيس الوزراء ، وعدت إلى ميدان الإسماعيلية - التحرير الآن - لأرى زميلى وأخبره بالتأجيل . وإذا بى أرى البوليس والمخبرين يحيطون به !  
واختفيت على الفور . .

وارتديت ملابس بلدية ، واتجهت إلى بيت صديق لى . . واتصل بى الجهاز السرى على الفور وأخبرنى أن زميلى المنسوري اضطر للاعتراف تحت تعذيب الإنجليز ، وأنه ذكر اسمى ، وذكر اسم أحمد عبد الحى كيرة . . وقبض الإنجليز على أحمد عبد الحى كيرة . . وهكذا فشلنا فى إلقاء أول قنبلة فى الثورة !

وتنكرت في الزى البلدى وسافرت إلى قرية (شرباص)، وأبلغت أهلى في قرية (كفر الشناوى) مركز فارسكور أننى بحير . . وبعد بضعة أيام عدت إلى القاهرة، وأمضيت الليل في الغرفة التى استأجرتها في بركة القيل لتكون مخزناً للقنابل . . وهكذا نمت تلك الليلة مع عشرين قنبلة !

ثم استأجرت غرفة أخرى قريبة من بركة القيل، وتنكرت في زى شيخ معمم، وغيرت معالم وجهى ! واتصلت بالجهاز السرى على الفور . . وبدأنا العمل . .

### العمال في المعركة !

وقابلنى الحاج أحمد جاد الله أحد زعماء العمال في الجهاز السرى وقال لى : « لماذا لا تشركون العمال في العملية ؟ لا يكفيننا أن نصنع القنابل . . نريد أن نضرب أيضا ! » . قلت : « لا مانع . . » . وعرض الحاج أحمد جاد الله فكرته علينا : « نحن العمال نأخذ قسم الكفار ( أى الإنجليز ) وأنتم تأخذون الخونة من المصريين ! »

واتفقنا على هذه القسمة ، وسلمنا الحاج أحمد جاد الله مسدسين ! وكان لا يمر أسبوع إلا ويقتل الجهاز السرى للعمال ثلاثة من الجنود الإنجليز ! واختار العمال لهذه العملية منطقة الدراسة ، والحوض المرصود .

### مكان الاجتماعات

واتخذت جميع الاحتياجات اللازمة حتى لا أفزع في يد البوليس البريطانى . . . فقد وزعت صورتي على جميع البلاد ! ولم أكن أخرج من غيبتى إلا بعد المغرب . . ورتبت الاجتماعات كالأتى : اجتمع بيوسف العبد في جامع مصطفى فاضل بجوار

مدرسة المعلمين في صلاة العشاء . ويتصل يوسف العبد بالتقراشي . وأجتمع بالطوبجي صانع الأحذية والمسئول عن جهاز العمال السري في جامع صغير بميدان باب الخلق بعد العشاء . وأجتمع بأحمد عبد الحى كيرة ، وقد أفرج عنه بعد اعتقاله بشهور . في جامع عابدين . وكان يوسف العبد يقابل التقراشي في مكان قريب من مدرسة الهياثم .

• • •

واستطاع الجهاز السرى أن يحصل على صور جميع المخبرين الذين يعملون مع البوليس الإنجليزى والسلطة العسكرية البريطانية . واستطاعنا أن نعرفهم جميعاً . وأن نراقبهم جميعاً ! وكان الفضل في ذلك لأحد ضباط البوليس المصريين في وزارة الداخلية . وقمنا بعدة عمليات . ونجحت عمليات القنابل على طول الخط . وكنت أتنقل في كل مكان ، أوزع القنابل والمسدسات على الخلايا السرية .

### تحذير !

وفي أواخر يناير سنة ١٩٢٠ جاءني يوسف العبد وقال : إن الجهاز السرى حصل على معلومات بأن الحلقة بدأت تضيق عليك ، وأنهم سوف يستطيعون القبض عليك بين يوم وآخر . وأن الجهاز السرى وضع قاعدة ، فإنه في حالة ما إذا بدأت الحلقة تضيق على أى فرد من أفرادها ، فيجب أن يختفى من مصر تماماً ، وأن يحل مكانه شخص جديد . وأنه لهذا تقرر وضع خطة لتزويجى إلى الخارج ، وأنه سيكون لي هناك مهمة سأخطر بها عند وصولي . واشترك في عملية التهريب أحمد عبد الحى كيرة ويوسف العبد وأحمد زكى فهمى . وتم الاتفاق مع رئيس بحارة الباخرة سردينيا الإيطالية ، واسمه « ألبرتو نسترومو » ، وهو إيطالى . وطلب رئيس

البحارة مائة جنيه ذهباً لهذه العملية . . ونقلت ليلاً إلى السفينة الراسية في ميناء الإسكندرية ، وأمضيت الليل في غرفة المهمات . وعندما وصلت إلى ميناء جنوه اكتشفت أنه ينقصني جواز سفر ! وقال رئيس البحارة إن مهمته تنتهى عند وصولي إلى الميناء ، وإن مهمة النزول إلى الميناء هي مهمتي وحدي ! . . ورأيت ضابطين من البوليس الإيطالي واقفين على سلم الباخرة يفحصان الجوازات . . واستطعت بسرعة أن أفهم كل واحد منهما ، أن زميله رأى جواز سفرى !

### تزوير الجوازات !

واستطعت أن أخرج من الميناء ! ولكنى قابلت مشكلة : لا بد لى تعيش فى إيطاليا أن تحصل على جواز سفر ! ولا تستطيع أن تقيم فى فندق إلا إذا قدمت جواز السفر . .

وأسرعت إلى بوليس المدينة ، وقلت إن محفظتى وفيها جواز سفرى نشت من جيبى ! وأعطانى البوليس ورقة حتى يحىء لى جواز سفر من القاهرة ! ثم استطعت بطريقة ما أن أحصل على جواز سفر تركى ! وبعد فترة تلقيت رسالة من القاهرة من الجهاز السرى أنهم يريدون تهريب أحمد عبد الحى كيرة من مصر ، لأن أمره انكشف ! وأرسلت إليهم أن الصعوبة فى الجواز ، وأنى اكتشفت أن الزنكوغراف متقدم جداً فى إيطاليا ، وأنى اتفقت مع محل زنكوغراف فى إيطاليا ليقوم بتزوير ما نريده من جوازات السفر للأشخاص الذين يرغب الجهاز السرى فى تهريبهم إلى الخارج ! . . وأن كل المطلوب منهم أن يرسولوا لى جواز سفر أى شخص مصرى عادى ، ثم صورة الشخص المطلوب تهريبه ، فأعيد لهم الجواز كاملاً باسم عضو الجهاز السرى المطلوب !

## مطلوب تهريب « كيرة »

وتلقت رسالة من يوسف العبد عضو الجهاز السرى فى القاهرة تقول :  
« انكشفت مؤامرة اغتيال عبد الحالى ثروت . أدت السلطة البريطانية بالقبض  
على أحمد عبد الحى كيرة . اختفى كيرة . . تقرر ضرورة خروج كيرة من  
مصر كلها لأنهم ضيقوا الحناق عليه . ضع خطة تهريبه من عندك بسبب الرقابة  
الشديدة » .

\* \* \*

وأرسلت رسالة إلى يوسف العبد أقول فيها : « أرسل پاسپورت باسم أى  
شخص ومعه صورة " كيرة " » . وأرسل يوسف العبد پاسپورت المطلوب مع رئيس  
البحارة « نوسترومو » . وأرسلت مع « نوسترومو » جواز السفر كاملاً بعد أن تم  
تزويره !

ووصل عبد الحى كيرة إلى إيطاليا فى أواخر فبراير سنة ١٩٢٢ بجواز السفر  
الزيف ، وقال لى إنه طورد من السلطات البريطانية مطاردة عنيفة ، وإنه سيسافر  
إلى ألمانيا لدراسة الطب .

وبعد ذلك تلقت رسالة من الجهاز السرى بالقاهرة : « مطلوب جواز سفر  
باسم كامل أحمد ثابت عضو الجهاز السرى » ، وهو الذى أصبح فيما بعد الدكتور  
كامل أحمد ثابت المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً . . وقمت بتزوير جهاز  
السفر المطلوب . ثم تلقت بعد ذلك رسائل متتابعة . . مطلوب مسلمات . . مطلوب  
أسلحة . . مطلوب ذخائر !

وكنت أرسل المطلوب مع « ألبرتو نوسترومو » رئيس البحارة الإيطالى !

\* \* \*



وحصلت على دكتوراه في الطبعة البحتة من جامعة روما . . . وعند الإفراج عن سعد زغلول والمنفيين ، عدت إلى القاهرة ، وقرر مجلس إدارة مدرسة المتعلمة تعييني مدرسا بمرتب ٣٥ جنيهاً في الشهر . . . واستدعاني القراشي - وكان مساعد السكرتير العام لوزارة المعارف - وقال لي : « لو أعطيناك هذا المرتب فسيقولون إننا نحايك لصلتك بالثورة ولأنك من الجهاز السري ، ولذلك سنعطيك ٢٠ جنيهاً فقط ! » ولم أعترض ، وقلت له : « نحن لم نشتغل للمرتبات . . . وإنما اشتغلنا للموت ! »

### مائة ألف جنيه !

وعندما قبض على القراشي وماهر في مايو سنة ١٩٢٥ استدعاني إنجرام بك وقال لي : « إننا نريد أن نعرف شركاءك في ثورة ١٩١٩ ! » . قلت له : « ليس لي شركاء ! » . قال : « إن عندي قراراً بتعيينك مساعد طبيب شرعي ! » قلت : « إنني غير متخصص في الطب الشرعي ! » . قال : « سنعطيك مائة ألف جنيه إذا أثبت أن القراشي وماهر كانا شركاء في الاغتيالات ! إن لدينا الدليل ، ولكننا في حاجة إلى تأييد لهذا الدليل ! » . قلت : « لا أعرف شيئاً ! »

واستدعي إنجرام بك يوسف العبد ، وعرض عليه نفس المبلغ فرفض ! . . ثم استدعي إنجرام بك عريان يوسف سعد ، وعرض عليه نفس العرض ، فرفض ! . . ثم استدعاني رسل باشا حاكم دار القاهرة ، وقال لي : « هل تعرف القراشي ؟ » . قلت : « أعرفه في مناسبات اجتماعية » . قال : « هل تعرفه في مناسبات أخرى ؟ » . قلت : « لا . . » . قال : « هل تعرف أحمد ماهر ؟ » . قلت : « نعم . . » .

قال : « أين رأيته ؟ » . قلت : « مع النقراشي ! » . قال : « هل تعرف أحمد عبدالحى كيرة ؟ » . قلت : « نعم . » . قال : « كيف عرقته ؟ » . قلت : « إنه من بلدى . وكنت أسكن معه قبل ثورة ١٩١٩ » . قال : « إن عبد الحى كيرة يقول إنك اشتركت معه والنقراشي وأحمد ماهر فى اغتياالات ! » . قلت : « يقول كيرة ما يقول ! ولكن هذا لم يحدث » . قال : « سنواجهك به ! » . قلت : « مستعد ! » . قال : « سنرسل مستر جريفيث مدير مكتب العمل بوزارة الداخلية ، ونذهب معه لنقنع كيرة أن يحضر إلى مصر » .

وخشيت إذا رفضت أن يعرفوا أن فى الأمر شيئاً ، وتظاهرت بالقبول ، وقلت : « إنى مستعد للسفر إلى إستانبول بشرط أن يحمى والد كيرة معى ، ليساعدنى فى إقناعه ! »

وأرسلت إلى أحمد عبد الحى كيرة رسالة فى إستانبول أقول له : « اترك إستانبول فوراً ! » . ورويت له ما حدث . وقابلت والد أحمد عبد الحى كيرة ورويت له ما حدث ، وطلبت إليه أن يرفض السفر ، ويعتذر بأنه مريض !

وسافر مستر جريفيث مدير مكتب العمل — والذي كان فى الوقت نفسه موظفاً فى المخابرات البريطانية — إلى إستانبول وحله .

وبحث عن عبد الحى كيرة .

فلذا به قد اختفى من إستانبول !

الدكتور سيد محمد باشا

المدير العام بوزارة

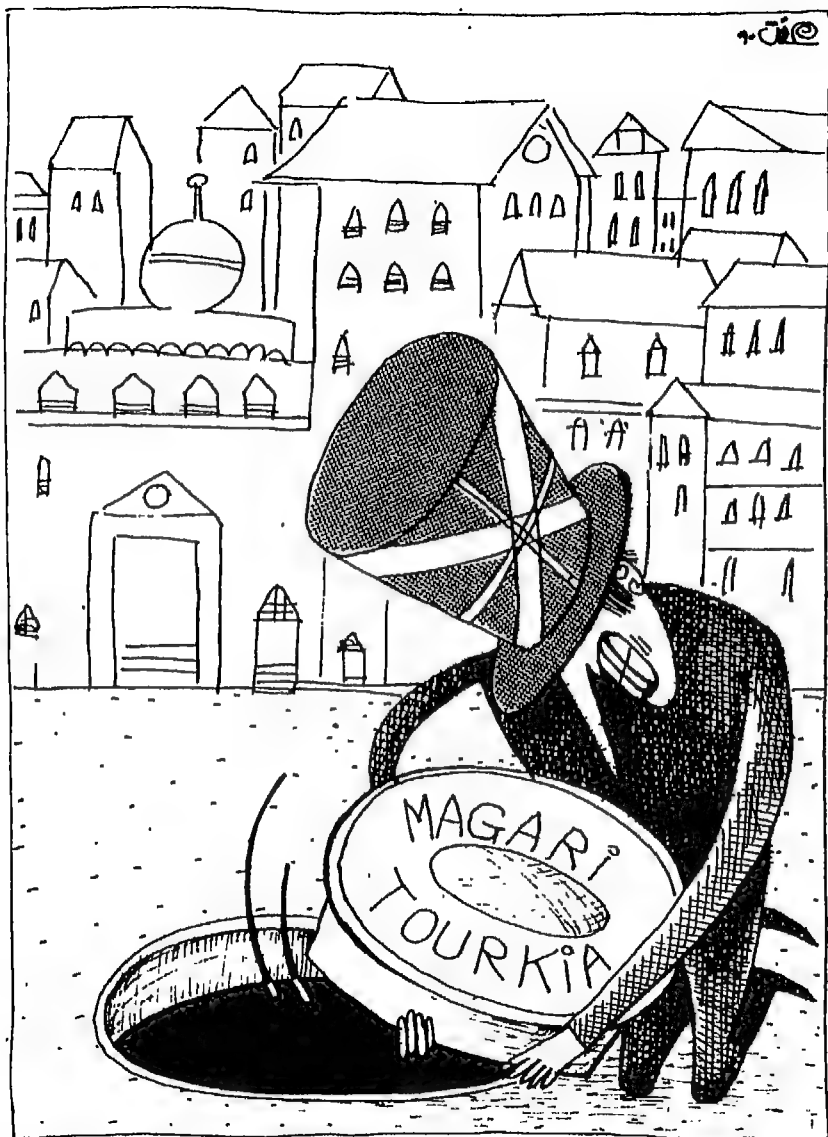
التربية والتعليم سابقاً

• • •

## إلى القفص من جديد !

انتهى هذا الفصل من مذكرات الدكتور سيد محمد باشا عضو الجهاز السرى  
لثورة ١٩١٩ .

والآن نترك الإنجليز يبحثون عن أحمد عبد الحى كيرة فى إستانبول ،  
ليشهد ضد ماهر والنقراشى فى محكمة الجنايات فى القاهرة . . .



## الفصل الخامس

### القبض على رئيس الجهاز السرى النهمة: هى خلع السلطان

كانت  
المخابرات البريطانية فى الشرق الأوسط مشغولة بأمر واحد : من الذى يحرك ثورة ١٩١٩ ؟ من الذى ينظمها ؟ ما الجهاز السرى الذى يديرها ؟ من الذى يصدر التعليمات لهذا الجهاز ؟ . . ولكنها لم توقف أبداً إلى هذا السر . كانت تضع تليفون سبيل زغلول فى باريس تحت الرقابة . كانت السلطات الفرنسية تسلم للمخابرات البريطانية صور كل البرقيات التى يرسلها ، وكل البرقيات التى يتسلمها . كانت كل خطاباته يفتحها الرقيب ثم يعيد إغلاقها . كانت السلطات البريطانية تضع رقابة شديدة على بيت الأمة ، وعلى بيوت أعضاء لجنة الوفد المركزية ، وعلى محادثاتهم ورسائلهم وتليفوناتهم . . ولكن كل هذه المحاولات لم تؤد إلى الإمساك بالخيط الصحيح . وبدأت عمليات قبض وتفتيش فى كل مكان . ولكن عمليات الاشتباه لم توصل إلى معرفة الحقيقة عن هذا الجهاز ! !

وذاث يوم استدعى اللورد ألتنى المنتدوب السامى البريطانى عبدالرحمن فهمى بك ، وقال له إنه تلى معلومات بأنه يحرض الصحف والشعب على مقاومة الحماية البريطانية وإنه أمر بوضعه تحت رقابة البوليس ، وإنه يحمله مسئولية ما يقع من الحوادث المكثرة ، وإنه إذا لم ينفذ هذه التعليمات فسيأخذ ضلله إجراءات شديدة . ! فقال

له عبد الرحمن فهمى إنه مسرور جداً أن يضعه اللورد ألبني تحت الرقابة، ليعرف بنفسه حقيقة نشاطه !

وجاءت تقارير المخابرات البريطانية بأن عبد الرحمن فهمى يشغل بالسياسة وأنه يهاجم الحالة الحاضرة ، ولكن لا شيء يدل على أنه يقوم بنشاط سرى ، أو أنه يتلقى تعليمات من سعد زغلول ! . . . وقدمت المخابرات البريطانية تقريرها إلى الجنرال « كلفن » القائد العام للقوات البريطانية في مصر ، فاستدعى رسل باشا حكمدار القاهرة وكلفه بأن ينبه على عبد الرحمن فهمى بأن يوقف نشاطه السياسى ! : .

### إنذار من الحكمदार !

وندع عبد الرحمن فهمى يروى القصة في رسالته السرية إلى سعد زغلول في باريس :

سرى - ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ .

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس

دعاني حكمदार بوليس العاصمة . قال لى إن مستشار الداخلية يذكرنى بتنبيه اللورد ألبني ( المندوب السامى البريطانى ) بالامتناع عن الاشتغال بالسياسة ، وعدم الظهور كثيراً أمام الناس ، وإنه لا يزال يراى أشغل بالسياسة وأظهر كثيراً أمام الناس ! . . . قلت له إن اللورد ألبني لم يتكلم معى فى ذلك ولم يمنعنى من الاشتغال بالسياسة ، وكيف يطلب منى عدم الاشتغال بالسياسة في حين أن الزارع والصانع والكبير والصغير مشغل الآن بسياسة بلده ، الذى يحتاج أزمة لم يسبق لها مثل في

تاريخه ! إن اللورد ألنبي اتهمنى بتحريض الجرائد والأمة على معاداة الحماية والطمع على الحالة الحاضرة ، وإنه جعلنى تحت مراقبة البوليس لهدين السييين فقط . أما القول بأنى أظهر كثيراً للناس ، فلم أفهم له معنى ، فهل يراد أننى عندما أريد الخروج لشراء لوازمى ، أو لأداء زيارة ، أو للفسحة ، لا أستطيع ذلك ؟ فهذا أمر لم يحصل فيه المكالمة بينى وبين اللورد ألنبي قطعياً . فأرجوك أن تبلغ ذلك إلى الجنرال كلشن ( القائد العام للجيش البريطانى فى مصر ) .

وانصرف على ذلك ، ولا أعرف ماذا يجنبه لى القدر بعد ذلك ، إلا أننى سائر فى على كما كنت ، متجنباً ما تكلم به معى بخصوصه اللورد ألنبي .

**عبد الرحمن فهمى**

**تحذير من سعد زغلول !**

وأرسل سعد زغلول إلى عبد الرحمن فهمى رسالة بالشفرة يقول له إنه تلقى معلومات مؤكدة بأن شكوك السلطة البريطانية بدأت تحوم حوله ، وأن الطريقة الباردة التى استطاع أن يدير بها مقاطعة الشعب للجنة ملتر جعلت المتخبرات البريطانية تشك فى أن خلف هذا الجهاز العلنى الذى يتمثل فى لجنة الوفد المركزية جهازاً سرياً يعمل فى الخفاء . . وطلب سعد إليه زيادة الاحتياط .

ولكن عبد الرحمن فهمى كان واثقاً من أنه يستطيع تضليل المتخبرات البريطانية والبوليس ، فأرسل إلى سعد زغلول يقول :

مصرى - ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس :

نقوا أن مراقبتي لحركات لجنة ملتر وسكانها أضعاف أضعاف مراقبة الغير  
ل . . . ولا أتأخر عن إفادتكم بكل ما بهم الوقوف عليه من أعمال اللجنة .  
عبد الرحمن فهمي

### إنهم يراقبونك أنت !

وفي الوقت الذي اشتدت فيه الرقابة على عبد الرحمن فهمي في القاهرة ضوغت  
الرقابة على سعد زغلول وزملائه في باريس . . . كانت المخابرات البريطانية تستعين  
بالخدم الذين يدخلون مكتب سعد زغلول في باريس ، فيفتشونه ، ويسرقون ما فيه  
ويصورونه . وكان لدى بريطانيا في ذلك الوقت عدد ضخم من الجواسيس  
بلا عمل بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فكان في استطاعتها أن تخصص أكبر عدد  
للتورة الوحيدة في العالم التي قامت في تلك الأيام ، واستعانوا ببعض السكرتيرات  
الفرنسيات اللاتي كن يعملن مع الوفد في الكتابة على الآلة الكاتبة . .

ولكن المخابرات البريطانية لم تصل إلى شيء . . وقيل إن سر هذا الفشل هو أن  
ضباط المخابرات كلهم من الإنجليز والأجانب ، وأنه يجب أن يعهد بهذه المهمة  
إلى مصريين يمكنهم الاختلاط بسكرتيرة سعد زغلول وبأعضاء الوفد !  
ولكن الجهاز السري عرف هذا القرار . . وأخطر به سعد زغلول !

سرى - ٧ يناير سنة ١٩٢٠ .

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس :  
دلتنا الأبحاث على أن شاين مصريين سافرا إلى باريس لمصلحة الإنجليز



للتجسس على الوفد . أحدهما يدعى على ، والآخر يدعى عزوز . . أحدهما كان  
مسكرتيراً للمستر باترسون . أرسل لكم طي هذا صورتها الفوتوغرافية :  
عبد الرحمن فهمي

### الملف السري الذي ضللت الخبايا البريطانية !

ولعل أكبر ما خدم الجهاز السري أكثر من عام ونصف عام هو الملف السري الذي  
كان لعبد الرحمن فهمي في وزارة الداخلية : كان عبد الرحمن فهمي مديراً لبني سويف ،  
وكان له ملف سري يحوى تقارير المفتشين الإنجليز عنه ، وسلم مستر « هوبنور »  
مدير الأمن العام هذا الملف إلى الخبايا البريطانية . ودروسته الخبايا البريطانية في  
أوائل الثورة ، ووصلت إلى نتيجة بأن هذا الشخص بالذات لا يمكن أن يكون هو  
المشول عن الأعمال السرية للثورة !  
وهنا ننقل التقارير السرية العجيبة التي كانت في دوسيه عبد الرحمن فهمي  
وهو مدير .

سري جداً - تقرير من مستر مونت مميث مفتش الداخلية ، عن عبد الرحمن  
فهمي مدير بني سويف - ٧ مارس ١٩٠٧

عبد الرحمن فهمي متكبر ، يكرهه الأهالي . فقد احترامه ومحبة في بني سويف .  
لم يعد في استطاعته استرجاعهما . وبما لا شك فيه أنه قوى ، وذو إرادة ، ولكن ينقصه  
أن يكون ذا أخلاق حسنة وآداب . يصحح أن يكون مديراً كفئاً ، ولكنه تلقى درساً  
بعد درس بلون فائلة لأن أخلاقه لا تحتل ، وشدة معرفته في المديريات الأخرى ،  
وقد يقابل بفقر من الأهالي إذا ذهب إلى مديرية أخرى ! . والفرصة الوحيدة أن

ينقل مديراً للجيزة ، حتى يكون تحت إشراف مفتش الداخلية وحتى لا يرتكب شيئاً مما فات ! . .

## هونيت سميت

### مفتش الداخلية

سرى جداً - تقرير من المستر متشيل مستشار الداخلية ، عن المدير عبد الرحمن فهمى - ١٢ مايو سنة ١٩٠٧ :

مسألة عبد الرحمن فهمى تتلخص فى أمرين : أولاً اختلاطه الشديد بالنساء ، والثانى أخلاقه التى لا تعلق بالنسبة لأعيان وموظفى المديرية .

وهو ينكر الأول بناتاً . وقد يكون الثانى ناتجاً عن كبريائه ، وعن أفكاره بالنسبة لمركزه . ولولا أخلاقه السيئة ربما ما سمعنا شيئاً عن الاتهام الأول ، ولا عن التشجيع عليه بغرض أن تتخذ إجراءات ضده ! . . أما بالنسبة لعلاقته بالنساء ، فهذا شائع جداً ، ولا يمكن غض النظر عنه ، وقد تحصلت المعلومات من مصادر كثيرة ، فإنه لما حضر إلى المديرية كان يسكن فى منزل حمام ، وهناك حمام آخر كان صديقاً له ويسكن بمنزل بجواره ، وكان يقضى جزءاً من وقته فى القهوات ، فأخبره أحدهم أن المدير يزور منزل جاره فى أثناء غيابه ، وعند عودته قابل المدير خارجاً من منزله ، فكانت النتيجة أن طلق امرأته وأرسلها إلى أهلها !

وهناك حادثة أخرى ، وذلك أن أحد الأعيان عاد إلى منزله من سفر فى مصر ، ولم يكن منتظراً حضوره فوجد زوجته خارج المنزل ، ثم عادت فى وقت متأخر وهى سكرانة ، وعلم أنها كانت بمنزل المدير وهو غير متزوج ! . . والمدير ينسب هذه التهم إلى كراهية بعض المحامين ، بسبب أن أغلبيهم لم يتمكن من الحصول على أصوات

في المجلس البلدى ، وانى لا أشك أن هذه المسائل ما كنا نسمع عنها كثيراً لولا أخلاقه ، فإنها شديدة بالنسبة للموظفين والأعيان ، فهو يصرخ في وجه من يكلمه ، ويحتد لأقل شئ ! . . وحتى الآن ، وفي الوقت الذى طلبنا إليه أن يحسن أخلاقه ، لا يسمح للحكماء بالجلوس معه في غرفته ، ويعامل موظفى المجلس البلدى وأعضاءه كأولاد صغار . أخلاقه بالنسبة للأعضاء شديدة . ، ولا يسمح لأحد بانتقاد أعماله ! . .

## تمثيل

### مستشار الداخلية

سرى جداً - تقرير من مستر هيزل المفتش بوزارة الداخلية ، عن المدير عبد الرحمن فهمى - أول يونيو سنة ١٩١٧ :

اشتكى القاضى محمد مصطفى بأن المدير عبد الرحمن فهمى ينظر بالمنظار المقرب على النساء في البيوت المجاورة ، كما شكوا عمدة بنى سويف من سوء معاملة المدير وتصرفاته السيئة . . وببحث المخابرات البريطانية عن هذا الدوسيه ، ووصلت منه إلى نتيجة أن الصفات التى يذكرها مفتشو وزارة الداخلية الإنجليز عن عبد الرحمن فهمى تؤكد أنه ليس هو الذى يدير الجهاز السرى ، فالمقروض فى الرجل الذى يتولى مثل هذا العمل أن يكون هادئاً وديعاً ، صبوراً مجاملاً ، وبذلك يستطيع أن يجمع الذين يعملون معه . فمن غير المعقول أن يكون رجل بصفات عبد الرحمن فهمى التى تؤكد التقارير السرية البريطانية هو الذى يقوم بهذه العملية ، والرجل الذى يقوم بمثل هذه العملية الخطيرة يشترط فيه أن يعرف كيف يكسب معاونيه ، ويوهمهم أنهم أصدقاؤه ، وأنه يثق بهم ويعاملهم معاملة رفيعة ، وهذا أمر لا يتوافر في عبد الرحمن

فهى كما تقول هذه التقارير السرية ، فهو لا يسمح لمروسيه بأن يجلسوا فى حضرتة . ويعامل موظفى المجلس البلدى كأنهم أطفال صغار ! ثم إن التقارير تقول إن عبد الرحمن فهى مشغول بالنساء ، ومثل هذا الرجل لا وقت لديه لكى يقوم بهذا العمل الضخم ! . .

وبقيت المخابرات تحت وهم هذه التقارير السرية من ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ إلى شهر يونيو سنة ١٩٢٠ . !

### معلومات خطيرة جداً !

وفجأة تجمعت الأخبار لدى المخابرات البريطانية بأن عبد الرحمن فهى هو الرجل الخطير الذى يبحثون عنه ! . . ولكن لم تكن توجد أدلة تثبت عليه هذا الاتهام ! . . واتفقت المخابرات مع مستر « هوبنور » مدير الأمن العام على أن الحل الوحيد هو تليفق قضية ، والحصول على شهود زور !

وتم وضع الخطة : إنهم يعرفون ماذا يفعل الجهاز ، ولكنهم لا يعرفون من هم أعضاء الجهاز ! . إنهم عرفوا غرض الجهاز ، ولكنهم فشلوا فى معرفة سر الجهاز السرى ! . . وحددوا التهمة بأنها هى : « أن عبد الرحمن فهى وآخرين متهمون بارتكاب جرائم تقع تحت طائلة الأحكام العرفية ، وهى التآمر على الاحتلال ، وأنهم ألفوا جمعية سرية تسمى « جماعة الانتقام » غرضها خلع عظمة السلطان ، وقلب حكومته ، وإثارة ثورة ، والتحريض على القتل ، وتوزيع أسلحة ، وقتل عظمة السلطان ووزرائه ! . »

ثم جاءوا بشهود زور ، هم « عبد الظاهر السهاوى » الطالب بالأزهر و « إسماعيل

عاصم منيب ، ، وكان طالب طب ثم اشتغل في الجيش البريطاني ، وطالب في الأزهر اسمه « سيد محمد مصباح » ، وعلومهم يعرفون كتابة بأن عبد الرحمن فهمي حرضهم على قتل عظمة السلطان ووزرائه بإلقاء القنابل عليهم ! . . وعلومهم يعرفون بأن الجهاز السري يتألف من : عبد الرحمن فهمي ، وعلى هنداري طالب بالأزهر ، ومحمد لطفي المسلمي طالب بالحقوق ، وحسن الشستاني طالب ثانوي ، وتوفيق صليب طالب بمدرسة الأقباط ، ومحمد حلمي الجيار طالب طب ، ومنير جرجس عبد الشهيد طالب بمدرسة الأقباط ، وحامد المليجي الصحفي ، وإبراهيم عبد الهادي طالب حقوق ، ومحمود عبد السلام مدرس ، وكامل أحمد ثابت خريج الحقوق ، وكامل جرجس عبد الشهيد طالب حقوق ، وعبد الحليم عابدين طالب حقوق ، ومحمد إبراهيم سليمان طالب بمعهد الإسكندرية ، ومحمد عبد الرحمن الجديلي خريج القضاء الشرعي ، ومحمد سامي سكرتير محمد داود باشا ، وياقوت عبد النبي طالب ثانوي ، وعبد العزيز حسن هندي طالب ثانوي ، ومحمد يوسف ، وقرىاقص ميخائيل صحفي ، وصالح حسن شلبي ، ومحمد الميرغني النجار ، وحافظ محمود عواد مزارع ، ومحمد حسن البشيشي الخاوي ، ومحمد المصليحي طالب بالجامع الأحمدى، وعازر غبريال، وناشد غبريال، وأنيس سليمان عامل بالسكة الحديد.

وبعد أن رتبته المخابرات البريطانية القضية ، وقسمت الأدوار على شهود الزور ، قبضت السلطة العسكرية على عبد الرحمن فهمي وهؤلاء جميعاً ، ووضعهم في السجن . ولكن المفاجأة أن المخابرات البريطانية لم تعرف أغلب الجهاز السري ، ولم تعرف اسم أحمد ماهر ولا التقراشي ولا حسن كامل الشيشيني ولا عبد الحليم البيلي ولا شفيق منصور ولا محمود إسماعيل ولا الدكتور سيد محمد الباشا ولا الحاج أحمد جاد الله ولا عشرات من الذين لعبوا أدواراً خطيرة في الثورة ! . .

الكتاب المتنوع

## برقية مفتوحة !

وفي أول يوليو تلقى سعد زغلول في لندن بركة بالشفرة من القاهرة باعتقال عبد الرحمن فهمي ! وكان سعد زغلول يومها يفاوض لورد ملر في عقد معاهدة تلغى الحماية وتعلن الاستقلال . وفي اليوم نفسه تلقى ابن شقيقة سعد زغلول - المرحوم سعيد زغلول وكيل النيابة - بركة مفتوحة من باريس بإمضاء «صفية» تقول له فيها إنها كانت وكلت عبد الرحمن فهمي لبيع أطيافها ، ونظراً لحالته الصحية فلنأخذها تري أن يتولاها الشيخ أحمد ، وترجوه المحافظة على عقده الإيجار !

وكانت البرقية في ظاهرها بريئة : فإن ناظر زراعة صفية زغلول اسمه الشيخ أحمد صالح ، ومن المعلوم أن يتولى إدارة الأطياف أو بيعها ! ولكن سعيد زغلول اتصل على الفور بالدكتور أحمد ماهر ، واجتمع به في محل (صوت) الحلواني وأطلعه على البرقية ، ففهم منها الدكتور ماهر أنها من سعد زغلول ، وأن المطلوب منه أن يتولى هو العمل الذي كان يتولاه عبد الرحمن فهمي ، وأن يحافظ على الرسائل السرية الموجهة عند عبد الرحمن ، وهي الرسائل التي كان أحمد ماهر يتولى مع صادق فهمي حل رموزها !

## المغامرة !

وعلى الفور بدأت قصة مثيرة : اجتمع الدكتور أحمد ماهر بشقيقه الدكتور محمود ماهر ، ووضعا خطة . . . وفي اليوم التالي دق التليفون في غرفة مكتب عبد الرحمن فهمي ، المخلفة بالشمع الأحمر ، وإذا بمحمي الدين فهمي - الابن الأصغر لعبد الرحمن فهمي ، ويبلغ من العمر ثمان سنوات - يقتحم الباب المعلق بالشمع

الأحمر ليرد على التليفون . . واقتح الباب ١ . . وبعد ساعة اتصل مراد فهمى نجبل عبد الرحمن بك فهمى ، والبالغ من العمر ١٧ سنة تليفونياً بالدكتور محمود ماهر ، وقال له إنه كان هو وأخوه الصغير محي الدين واقفين أمام غرفة المكتب المغلقة بالشمع الأحمر ، وفجأة دق التليفون ، فاندفع الطفل محي الدين بدون شعور واقتحم الباب .

وقال الدكتور محمود ماهر إن هذا موضوع خطير جداً ! ! ! واتصل الدكتور محمود ماهر على الفور بحكمदार القاهرة ، وبمستر ابلت مساعد الحكمدار ، وبمستر نيلور مدير الأمن العام ، وأبلغهم ما حدث لاتخاذ الإجراءات . وشكر الإنجليز المسئولون الثلاثة على اهتمامه ومبادرته بإبلاغهم الأمر . . وقامت الدنيا وقطعت ! إن هذه الحيلة الساذجة جعلتهم يفقدون أخطر الأوراق والوثائق ! واضطرت المحكمة العسكرية البريطانية أن تعقد جلستين للتحقيق في هذا الموضوع الخطير : فقد أثير في جلسة المحكمة العسكرية يوم السبت ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠ . . وأثير مرة أخرى في جلسة يوم الاثنين ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٠ . وسألت المحكمة العسكرية حكمدار القاهرة . ثم سألت المحكمة البكباشي بيكر وكيل الحكمدار . ثم سألت حسن فؤاد نور مأمور قسم السيلة زينب . ثم سألت الدكتور محمود ماهر : ثم سألت مراد فهمى نجبل عبد الرحمن فهمى بك البالغ من العمر ١٧ سنة . ثم سألت الأستاذ كامل البندارى الحامى الذى سمع بالواقعة البرية من الدكتور محمود ماهر عقب حلوثها . . وأكد الشهود جميعاً أن المسألة حدثت كما رواها نجبل عبد الرحمن فهمى . . وقد ورد نص هذه التحقيقات في الصفحة الثالثة من جريدة الأهرام يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٠ ، وفي الصفحة الأولى من الأهرام يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٠ . ولكن المفاجأة . . أن الدكتور أحمد ماهر عندما ذهب إلى مكتب عبد الرحمن

فهى بعد فتح الباب المطلق بالشمع الأحمر ، لم يجد رسائل سعد زغلول السرية ! ولم يجد ورقة واحدة هامة عن نشاط الجهاز السرى ! بل وجد فيها مجموعات من الجرائد والمجلات التى لا قيمة لها . ماذا حدث للتعليلات السرية ؟ أين ذهبت ؟ . . . واتصل الدكتور أحمد ماهر بعبد الرحمن فهى فى السجن ، وعرف منه الحقيقة المدهلة ! إن عبد الرحمن فهى تلقى قبل القبض عليه بأربع وعشرين ساعة رسالة من أحد أفراد الجهاز الذى يعمل فى القيادة البريطانية بأنه تقرر القبض عليه فى اليوم التالى ! وأسرع عبد الرحمن فهى ونقل جميع التعليلات السرية والأوراق السرية والمذكرات الهامة من مكتبه ، ومن بيته ، إلى مكان مجهول ! . . بل إن عبد الرحمن فهى طلب عند القبض عليهم الضباط أن يفتشوا المكتب ، فقالوا إن تعليلات اللورد ألباني ألا يفتشوه بل يضعوا عليه الشمع الأحمر ، لأن فيه الرسائل المتبادلة بشأن المفاوضات التى تجرى مع سعد زغلول ولورد ملبر فى لندن ، وأن اللورد ألباني تلقى تعليلات بالآتمس هذه الرسائل إلا بعد الرجوع فى شأنها إلى لندن . وأبقر الدكتور أحمد ماهر إلى سعد رسالة بالشفرة بأن الرسائل السرية فى أمان ! . . ولولا هذا لكان سعد زغلول أحد المتهمين فى قضية عبد الرحمن فهى بتهمة « التآمر على الاحتلال ، وتأليف جمعية سرية تسمى جمعية الانتقام ، غرضها خلع السلطان وقلب حكومته ، وقتل السلطان ووزرائه » كما ورد فى نص قرار الاتهام !

### كيف عرف سعد ؟ !

ولكن ماذا فعل سعد زغلول فى لندن عندما وُجِله نياً القبض على عبد الرحمن فهى رئيس الجهاز السرى للثورة ؟ ! إن إسراع سعد زغلول بإرسال تلغراف



من باريس إلى ابن شقيقته سعيد زغلول في القاهرة بإمضاء زوجته صفية زغلول ،  
بدل على هذا الاهتمام . ولكن سعيد زغلول الذي تلقى التلغراف مات في عام ١٩٢٣ .  
وصفية زغلول التي أرسلت للتلغراف ماتت بعد ذلك بـ عدة سنوات ، وأحمد ماهر  
مات عام ١٩٤٥ . . والاعتماد الوحيد حتى الآن هو على الرواية التي كانت معروفة  
في أسرة سعد زغلول ، والتي سمعنا من سعيد زغلول وهو خالي !

ولكن في دراسة التاريخ لا تقبل شهادتي ولا شهادة الأستاذ مراد فهمي وزير  
الأشغال السابق الذي قال لي إنه يذكر تماماً واقعة فتح باب غرفة والده المختومة  
بالشمع الأحمر . . بل قد لا يقبل التاريخ شهادة الصحف ! إن جريدة الأهرام  
في الصفحة الثالثة من العدد رقم ١٣١٨٧ الصادر في يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٠ ،  
وفي الصفحة الأولى من العدد رقم ١٣١٨٨ الصادر في يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٠  
أوردت نص التحقيق الذي أجرته المحكمة العسكرية البريطانية في شأن فتح الباب  
للغلق بالشمع الأحمر في مكتب عبد الرحمن فهمي ، ولكن ليس في هذا كله  
دليل مكتوب على ما حدث لسعد زغلول في لندن عندما علم باعتقال عبد الرحمن  
فهمي .

فكيف ثبتت هذه الواقعة الخطيرة ؟ . . إن مذكرات سعد زغلول تستطيع أن  
نحمل الرد الخامس . ففي صفحة ٢٢٤٢ من مذكرات سعد زغلول كتب سعد يقول :

### أول يوليو سنة ١٩٢٠

«ورد تلغراف من محمود سليمان باشا (رئيس لجنة الوفد المركزية) بتاريخ  
اليوم أول يوليو ، يفيد أنه قبض على عبد الرحمن فهمي ، وأودع سجن قصر النيل .  
وأطلعت عدلى يكن وبعض الإخوان على التلغراف ، وأخبرني عدلى يكن أنه سمع

من الأعرج « مستر رولاند ، مندوب لورد ملتر » أنه وردت أنخبار لوزارة الخارجية عن أن في مصر استعداداً لإحداث اضطرابات إذا انقطعت المفاوضات . ثم استدعيًا الأعرج ( مندوب لورد ملتر ) وأطلعناه على التفراغ فقال إنه لا علم له به . وقال إن هذا غير مناسب ، وأنه يذهب حالا إلى لورد ملتر ليحيطه به ، وليحصل منه على تحديد وقت لأن يقابلوه ( مخاطباً لي ولعدلي ) ، فقال عدلي إنه لا لزوم لكونه يقابل ملتر ! ولم يبد عدلي يكن اعتراضاً ( على القبض على عبد الرحمن فهمي ) بل اكتفى بأن اشترك في شرح الحالة . ثم تنحى عدلي يكن عن الحضور ( حضور اجتماعي مع لورد ملتر بشأن عبد الرحمن فهمي ) . وبعد انصراف الأعرج ( مندوب لورد ملتر ) انصرف عدلي يكن من غير انتظار عودة الأعرج ! فتعجبت من تحرزه من الاعتراض أمام الأعرج ، ومن انسحابه من مقابلة لورد ملتر . وقلت : « إذا كان الحال هكذا فويل لنا إذا نجحنا ، وإذا خبتنا ! » .

ثم عاد الأعرج بعد قليل ، وقال إن لورد ملتر كان عنده علم بهذا الحادث : لأنه ورد على وزارة الخارجية تلغراف يفيد بأنه قبض عليه للاشتباه في أن له دخلاً في الاعتداء على الوزراء . وأن لورد ملتر طلب — بتلغراف — التفصيلات ، وأنه آسف لهذه الحادثة . وأنه مسافر غداً ، ولا يعود إلا في مسائه ، ولي أن أقابله بعد غد في الصباح ، في الوقت الذي أريده ، قبل الظهر المحدد لاجتماع اللجنة الأصلية ( للمفاوضات ) .

وحضر بعد ذلك حمد الباسل وعبد العزيز فهمي ، ثم سينوت حنا ، فقصصت الأمر عليهم ، واتفق الرأي على أن أذهب غداً إلى لورد ملتر وأقول له إن كان الأمر في يد القضاء فسمعاً وطاعة ، وإن كان حصل تنفيذ للأحكام العرفية فلا تقبل هذه المعاملة ولا ينبغي لنا أن نستمر في المفاوضات ، فإن قبل لورد ملتر قطع المفاوضات

دل ذلك على أنهم لا يريدون أن يتفقوا معنا ، وإن . . لا ، فعلنا الواجب علينا .  
لم يحضر عبد اللطيف المكباتي ولا على ماهر . وأمضيت السهرة مع عبد العزيز  
فهمي إلى الساعة الثانية صباحاً بعد نصف الليل ، وقد استغرب من على مثل  
استغرابي ، كما استغرب منه حمد باشا الباسل . . . .  
هذا نص ما كتبه سعد زغلول في مذكراته في يوم أول يوليو سنة ١٩٢٠ عندما  
وصله نبأ القبض على عبد الرحمن فهمي رئيس جهاز الثورة السري .  
ولكن ماذا فعل في اليوم الثاني ؟



## الفصل السادس

# أزمة فت لندن من أجل عبد الرحمن فهمي!

سعد زغلول وهو في لندن بأن الثورة أصبحت بضرية خطيرة، بعد أن قبض الإنجليز على رئيس الجهاز السري للثورة، الذي لا يعرف أحد من أعضاء الوفد أى شيء عن مهمته الخطيرة !

حدثت أزمة في لندن بين سعد زغلول وعدلى يكن . . عدلى في ذهول من موقف سعد العجيب ، وإظهاره كل هذا الاهتمام بالقبض على عبد الرحمن فهمي ! من هو عبد الرحمن فهمي ؟ إنه سكرتير لجنة الوفد المركزية فقط لا غير ! فهل يستوجب هذا قطع المفاوضات ؟ ! لقد سبق أن قبض الإنجليز على محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية ، والوالد محمد محمود عضو الوفد ، فلم يبد سعد زغلول هذا الاهتمام . . وقبض الإنجليز على إبراهيم سعيد باشا وكيل لجنة الوفد المركزية ، وأمين صندوقها ، فلم يهتز سعد زغلول ! . . وقبض الإنجليز على عشرات من رجال الثورة وحكموا عليهم بالإعدام ، وقتلوا فيهم أحكام الإعدام ، ولم يكن سعد زغلول يفعل سوى الاحتجاج على هذه المظالم ! . . فلماذا هذا الاهتمام الخطير ، ولماذا التهديد بقطع المفاوضات ؟

بل إن بين أعضاء الوفد على ماهر ، وهو ابن شقيق عبد الرحمن فهمى ،  
وعبد اللطيف المكباتى وهو قريب له ، وهما لا يريان فى القبض على عبد الرحمن  
فهمى هذا الأمر الجلل الذى يشعر به سعد زغلول ! . . ولكن على ماهر وعبد اللطيف  
المكباتى لم يعرفا دور عبد الرحمن فهمى ، ولم يكونا على علم بحقيقة نشاط الجهاز  
السرى . . وقد يعذر عدلى يكن وعدد من أعضاء الوفد الذين أخفى عليهم سعد هذه  
الحقيقة الخطيرة ، عندما عارضوه فى الإجراءات التى يريد أن يتخذها بقطع  
المفاوضات من أجل القبض على عبد الرحمن فهمى . ولكن هل كان سعد زغلول  
يستطيع أن يأتى كل أعضاء الوفد على هذا السر الرهيب ! خاصة وهو يعتقد أن  
أغلبية الأعضاء ليست مستعدة لأن تستمر مع الثورة إلى نهايتها ، فكيف يطمعهم  
على ما يقوم به الجهاز السرى للثورة ، وقد انفصلوا عنها أو يعتزلون العمل فيها كما  
بدأ بعضهم يفعل فى تلك الأيام !

إذا كان عدلى يكن قد رفض أن يشترك مع سعد زغلول فى التحدث فى هذا  
الموضوع مع لورد ملتر ، عندما عرف أن التهمة الموجهة لعبد الرحمن فهمى هى أن له  
دخلا فى الاعتداء على حياة الوزراء . . فإذا كان يفعل لو عرف الحقيقة كلها التى  
أعلنت بعد ذلك بأسبوعين عند ما أعلنت عريضة الاتهام التى جاء فيها بالنص :

« التهم عبد الرحمن بك فهمى وآخرون ، متهمون بارتكاب جرائم تقع تحت  
طائلة الأحكام العرفية وهى التآمر ، وذلك أنهم كانوا أعضاء فى جمعية تسمى جماعة  
( الانتقام ) التى كانت أغراضها خلع عظمة السلطان ، وقلب حكومته ، وإحداث  
هيجان ، والتحريض على القتل ، وتوزيع أسلحة ، وقتل عظمة السلطان ، ووزرائه ،  
وآخري . ومتهمون أيضاً بارتكاب جريمة أخرى تقع تحت طائلة الأحكام العرفية ،  
وهى التحريض على القتل ، وذلك أنهم فى أوقات مختلفة ، بمنزل عبد الرحمن

بك فهمي ، وفي الأزهر : وفي محال أخرى ، حرضوا عبد الظاهر السماطى ومحمد  
منيب ، وأشخاصاً آخرين على قتل عظمة السلطان ووزرائه . بواسطة إلقاء القنابل  
عليهم ، وبوسائل أخرى .

وقد نشر قرار الاتهام هذا في صفحة ٣ من جريدة الأهرام الصادرة في ١٤ يوليو  
سنة ١٩٢٠ ، فإذا فعل سعد زغلول عند ما أذيع أن غرض عبد الرحمن فهمي هو  
خلع السلطان وقتله !؟ إن مذكرات سعد زغلول تروى قصة الصراع الذى دار في  
لندن بين الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون !  
كتب سعد زغلول يقول : .

### الجمعة ٢ يوليو سنة ١٩٢٠

اجتمع أعضاء الوفد ، وحضر عدلى يكن . وجرى الحديث في جادة عبد الرحمن  
فهمي ، وقد كان الأعرج ( مستر رولاند مندوب لورد ملتر ) حضر قبل ذلك ، وقال  
إن أسباب القبض عليه غير معلومة ، وطلب لورد ملتر بتلغراف تفصيلها . وأنكر  
ما قاله بالأمن من أن الخبر الذى ورد على وزارة الخارجية بالقبض عليه أنه  
جصل اشتباه فيه بأن له يدأ في الاعتداء على « حياة » الوزراء . وقال إن ذلك كان  
فرضاً من لورد ملتر ، لا خبراً وارداً من مصر على وزارة الخارجية . وتبين أنه تناقض  
في أقواله .

وقال حمد باشا الباسل لعدلى باشا يكن : إنه يحسن أن تقابل لورد ملتر ، لكي  
تفهمه الحال جيداً ، وتنقل له ما في نفوسنا . فأجاب عدلى يكن وقال إنه لا يذهب  
أبداً ، والأحسن أنى أنا الذى أذهب لكي أقول ما في نفسي . وكان لطفي السيد يقول .  
ويوافقه على ما هو حمد الباسل ومحمد على : « إن الأحسن ألا تقطع المناقضة .

ولا تتأجل ، بل تستمر . وقال عدلى يكن : « يلزم أن يعطى لورد ملزر الزمن الكافى لكى يصلح ما أسفده غيره . . . قلت له : « سنتظر فى الأمر بعد الظهور » . وتحادثت مع محمد محمود بعد ذلك ، فأظهر أسفه للحادثة ، ولكنى شعرت منه أنه موافق على رأى لطفى السيد وعدلى يكن ، وما رأيت منه تأثراً لتنحى عدلى يكن ( عن التدخل فى مسألة عبد الرحمن فهمى ) . والحاصل أن المسألة ليست مما يتهاون فيه ، وربما كان الأحسن أن نقول للزى إنه يظهر أن هناك سياستين : سياسة إنجليزية فى مصر ، وسياسة أخرى فى لندن . وأن الأولى هى التى فعلت ما فكره ، وما فشكره منه ، من غير أن يكون للثانية دخل ، وحيث لا ينبغي لنا ، وقد رأينا عطفاً من الثانية ولطفاً أن نغلب أسفنا من السياسة الأولى على سرورنا من الثانية ، ولهذا عولنا على متابعتها وعلم اللبالة بما تعاملنا به غيرها ، وقد يكون من المفيد أن نشير إليه بأن القبض لموكان بيد القضاء فلا حيلة لنا فيه ويلزم الخضوع لأمره . . . ولكنه بيد السياسة ، ولهذا لا يصح لنا أن نخض الطرف عنها ، لانحن ولا هو ( ملزر ) .

\*\*\*

كلمنى مساء اليوم عدلى يكن بالتليفون قائلاً إن الأعوج ( مندوب لورد ملزر ) يؤكد أن التلغراف الوارد من مصر خال من بيان أسباب القبض ، وأن لورد ملزر أرسل تلغرافاً صباح اليوم يطلب التفصيل ، ويوصى باستعمال الحكمة أو كمال الاحتياط حرصاً على سير المفاوضات . وربما لا يأتى الجواب غداً . فأجبت بأنى غير متصور أن يخلو التلغراف من بيان الأسباب . فقال عدلى بعد قليل من التردد : « إنه جاء فيه أنه إلحاقاً لتلغراف سابق » . فقلت : « التلغراف الذى أخبرتنى عنه ١٩ » . وقد كان عدلى يكن أخبرنى أنه وردت على وزارة الخارجية هنا كما يقول الأعرج ( مندوب



لورد ملتر) أخبار تفيد أن هناك (في مصر) ، استعداداً لإحداث اضطرابات إذا لم تأت المفاوضات بنتيجة . فقال عدلى : « ليس هو إياه : وأبكنه تلغراف آخر ، يفيد أن عبد الرحمن فهمى له يد في الاعتداء على الوزراء ! » فاستنتجت من ذلك ثلاث نتائج : الأولى : أن لورد ملتر أوصى بالحكمة عقب التلغراف الأول ، وما طلب التفصيل إلا عند التلغراف الثانى .

والثانية : أن عدلى يعلم من أول الأمر بالمسألة .

والثالثة : أن تنحية (عن مقابلة ملتر للتحدث في مسألة عبد الرحمن فهمى) إنما كان بناء على علمه .

وواقفنى على ذلك عبد العزيز فهمى ثم محمد محمود .

### السبت ٣ يوليو سنة ١٩٢٠

ورد تالغراف من محمود باشا سليمان (رئيس لجنة الوفد المركزية بالقاهرة) بأن القبض على عبد الرحمن فهمى لا مبرر له ، والقصد منه إضعاف الثقة باللجنة المركزية . وكان قد ورد هذا التلغراف بعد أن قال لى الأعرج إن لورد ملتر مستعد لمقابلتى صباح اليوم فى أية ساعة . بعد أن كان قد تحدد انعقاد اللجنة الأصلية (للمحادثات) الساعة الثانية عشرة ، عاد وأخبرنا بالتليفون أننى سأقابل ملتر فى الساعة الحادية عشرة والنصف .

فا هذا الاختلاف ؟ أليس معناه أن هناك مناورة ؟ أو هو نتيجة حوادث لا نعلمها سيكشف المستقبل عنها ؟ .

\*\*\*

« قابلت ملنر في الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق ، وأبدت له استيائى من القبض على عبد الرحمن فهمى . وقلت له إن كان القضاء هو الذى أمر بالقبض عليه فلا اعتراض لنا ، ولكن إذا كان ذلك حصل اعتباطاً أو سياسة ، فذلك ما لا قبل لنا باحتماله ، وما دام سبب القبض لم يكن معلوماً ، ولا هناك أدلة على تداخله فى جنائية يعينها ، حق لنا أن نعتقد أن الأمر لم يأت من جانب القضاء ، وأخشى أن تكون السياسة المعارضة فى مصر للمفاوضة هى التى قبضت بذلك .

فقال لورد ملنر : « إنى اهتممت بالمسألة ، وأكبر ظنى أن القبض عليه للاشتباه فى أن له دخلاً فى الاعتداءات على الوزراء ، وقد طلبت التفاصيل ولم تأت بعد ، وإنى مشترك معك فى أنه إذا لم يكن هناك تهمة معينة ولا دليل عليها كانت المسألة خطيرة ، وحق لي العمل » .

وفى هذه الأثناء قدم له سكرتيه ورقة مكتوبة ، فقال لورد ملنر : « إن هذا التلغراف من مصر يفيد أنه تم القبض على عبد الرحمن فهمى بتهمة معينة ، وأن هناك أدلة ستصل فى تلغراف آخر » . فقلت : « إن هذا التلغراف يدل على أنه ليس هناك أدلة ، لأنه لو كانت ، لوضحوها فى هذا التلغراف ، لأنها هى التى تهتم معرفتها ، وهذا ما يجعلنى أعتقد أن السبب سياسى ، ولا يليق حصوله فى أثناء المفاوضات التى حصلت بقصد الوصول إلى اتفاق بيننا » . قال لورد ملنر : « إنى متظر التفاصيل لأعمل بناء عليها » ..

وحكى له قصة الثعلب . وهريه عند علمه بتسخير الجمال فى السلطة العسكرية : « قالوا للثعلب : « لماذا هربت من مصر ؟ » قال : « إن السلطة العسكرية تجمع الجمال » . قالوا : « ولكنك لست جملاً » . . قال الثعلب : « سأقول لم أنا جمل » .

فيقولون : ثعلب . لا ، جمل ! لا ، ثعلب ! . . حتى أتى مسجوناً إلى أن تنتهي الحرب ! . . قلت ضاحكاً : « إن الاتهام سهل ، ولكن الإثبات صعب جداً ، ولا ينبغي أن تسعوا للحصول على الأدلة ، بل يجب — خصوصاً في هذه الحالة — أن يكون الحبس بناء على وجودها ! » .

فوافق لورد ملنر على ذلك . وجاء ذكر تفتيش بيت عبد الرحمن فهمي ، فقلت : « هل ينبغي أن يفتش بيته ، وفيه مخابراتنا المتعلقة بالمقاومة ، بعد أن استأذنا أن يكون المخابر أحياناً بيننا وبين الوفد في القاهرة بالشفرة أثناء المفاوضات ، وقد يجوز أن يكون في هذه المخابرات ما يسوءك ؟ إن حماية المخابرات تقضى بعدم التعرض لها بالتفتيش في الأحوال الاستثنائية ! » . فقال لورد ملنر : « إنني موافق على ذلك ، ومتأكد تقريباً أن لورد ألنبي لا بد أن يكون جرى على ذلك ، ومع هذا فإننا لا نعمل شيئاً حتى تأتي التفاصيل . . وأنا أول من يفهم حرج مركزك في هذه الحالة » .

## ٥ يوليو سنة ١٩٢٠

بعد انتهاء المفاوضات اليوم مع لورد ملنر ، وانصراف إخواني (عليه يكن ، عبد العزيز فهمي ، ومحمد محمود) تكلمت مع لورد ملنر في مسألة عبد الرحمن بك فهمي . فقال إنه مقتنع تمام الاقتناع بأن القبض عليه لم يكن إلا بناء على أدلة ، ولا بد من عرض هذه الأدلة على القاضي للفضل فيها ، وأن البلد تحت الأحكام العرفية . . وغير ذلك من الأحوال التي لم أرتج إليها .

## ٨ يوليو سنة ١٩٢٠

في نهاية اجتماعي بلورد ملر تكلمت معه في مسألة عبد الرحمن بك فهمي ، فقال إنه ورد عليه من مصر ما يدل على أنه تحول إلى محكمة عسكرية . قلت : « إننا نخضع للحكم القضاء » .

## ١٠ يوليو سنة ١٩٢٠

في هذا اليوم ورد تلغراف من محمود سليمان باشا ، بأن عبد الرحمن فهمي بك تحول إلى محكمة عسكرية تتخذ في يوم ١٥ يوليو بتهمة كونه عضواً في جمعية « الانتقام » . وجرى التحقيق في غيابه بواسطة محمد بدر الدين مدير الأمن العام و « مكوتن » . ولم يسأله أحد ، وللشهود ضده ملفقون . والقلق عام .. فذهب عدلى إلى لورد ملر في الساعة الرابعة مساء ، وأعلمه على التلغراف . فاستبعد بلورد ملر حصول ذلك . ووعده أن يستهم تلغرافياً عن الحقيقة ، وأكد أنه كتب مرتين توصية لاستعمال الدقة والاحتياط ، وأن لورد ألكني أكد له أن كل الضمانات لحرية الدفاع وعدالة الحكم متعطى .

## ١٥ يوليو سنة ١٩٢٠

ورد تلغراف من محمود باشا سليمان بأنه تحددت جلسة في ١٥ يوليو للتحقيق مع عبد الرحمن فهمي بك ، وأن المتهمين بلغوا ثلاثين ، وأن جلسة المحاكمة تحددت في يوم ٢٠ يوليو . وقد تبين أن جلسة التحقيق التي تحددت كانت بعد قرار المحاكمة ، ولم يحصل التفكير فيها غالباً إلا بعد ملاحظتي للورد ملر . واقترح محمد محمود أن

يدافع محام إنجليزي عن عبد الرحمن فهمي ( أمام المحكمة العسكرية الإنجليزية ) فتقبلت الفكرة بالارتياح لأنه لا بد أن يكون بريئاً ، ولم يتهم إلا للخدمات التي كان يؤديها للوفد ، لا لكونه جانيّاً ، إذ يعلم أن الإجرام ليس من وسائل الوفد ولا من رغائبه ، بل من أقبح الأشياء لديه ، ولا يزال على بك ماهر وعبد اللطيف المكباتي يبحثان عن محام قدير لهذه المهمة . ولقد فكرت أمس طويلاً ، وأخشى ما أخشى أن التباطؤ ( في المفاوضات ) مع استبداد الحكومة في مصر ، وللسائنات التي يبتها أعداء الوفد ضده ، خصوصاً بعد اعتقال رجل مثل عبد الرحمن فهمي ، كان عليه معول كبير في ترويج الأفكار الصحيحة ، ومقاومة الآراء الفاسدة التي كان يروجها الخصوم والحاسدون . ولقد قال لي أمس مستر ولرنند ( مندوب اللورد ملز ) إن الأمير عمر طوسون باع قطنه بمبلغ ثمانمائة ألف جنيه ، وعلمت أنه وضع هذه الأموال تحت تصرف خصوم الوفد . وأيد حمد باشا الباسل هذه الرواية ! .

• • •

١٦ يوليو سنة ١٩٢٠

ورد أمس تلغراف من محمود باشا سليمان بتاريخ ١٥ يوليو بأن جلسة التحقيق ضد عبد الرحمن فهمي بك وبقيّة المتهمين انعقدت ، وتلا الضابط الإنجليزي المحقق أوامر مقتضاها أنه لن يحقق ، وإنما تنحصر مأموريته في أن يتلو على الشهود أقوالهم للتحقق من صحة صدورهم منهم ، ويجب أن تنحصر المناقشة في هذه الأقوال فقط ، فاعترض المحامون على هذه التصرف ، واعتبروه مخالفاً للقانون ، وطلبوا إجراء

تحقيق قانوني عادل، فلم تجب المحكمة العسكرية طلبهم . . . فاسحبوا من الجلسة محتجين ، وقابلوا الضابط البريطاني بمثل الاتهام في المجالس العسكرية ، فوافق على مخالفة التصرف للقانون ، ولكنه أعلن أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ! .

• • •

ثم يكتب سعد زغلول ويقول (صفحة ٢٢٥٥) في مذكراته :

« واستغربنا جداً من هذه المعاملة ، واعتبرناها دليلاً على سوء نية القوم ، وأنهم لا يهتمون إلا بشئ واحد ، بأن الأفضل وضع مذكرة تشير إلى ظلم تلك الإجراءات الاستمرار في المفاوضة مع وجودها . وقد حررت هذه المذكرة فعلاً ، وترجمها كامل سليم إلى الإنجليزية أمس ، وترجمها كل من عبد العزيز ، ثم حضر عدلى يكن باشا وحسين رشدى باشا إلى حادة . وكان لطفى السيد وعدلى يكن ورشدى يقولون إنه ات بناء على هذا السبب ، لأنه غير كاف في اعتبارهم ، ما بعد ورود مذكرة ملتر عن المفاوضات .. وكان لطفى السيد يساعد عدلى يكن ورشدى . . . ولكن الأغلبية ، ما عدا لطفى السيد ومحمد محمود ومحمد الباسل ، وافقت على رأى بإرسال المذكرة . ولا اشتد الجدل قلت : « إننى المشول عن المفاوضات ، وأشعر أن القوم يتلاعبون بنا ، حتى تنقسم البلاد على نفسها ، بمساعي السلطات وغيرهم من الخصوم والحاسدين . وهذا سبب كاف في اعتبارى لأن أقطع المفاوضات على هذا السبب ، وهو خير من قطعها بسبب البطء

فيها ، وهو بطل مقصود ، يقصد به اكتساب الوقت حتى يتم هذا الانقسام .  
 وهم ( الإنجليز ) إلى اليوم لم يرتبطوا معنا بشيء ، وما ارتضينا كذلك بشيء منهم .  
 وقد أفهمت عدلى يكن عند ما أراد التشكيك في صحة التلغراف بأن يرسله هو  
 مصدر علمنا بالأشياء ، وليس لنا أن نشك في صحة روايته . وأجبت على تهديده  
 لنا ، بأن هذه مسئولية كبرى ، وعلى قول عدلى أن من الخسارة أن تنقطع مفاوضات  
 الاستقلال بناء على هذا السبب . . أجبته بأننا لا ننال شيئاً ، وأن تلك المماطلة  
 وهذه المعاملة تدلاننا على أنهم لا ينوون إعطاءنا شيئاً ! . . وقلت جواباً على اعتراض  
 رشدى باشا بأنه لا ينبغي قطع المفاوضات بسبب مخالفة العدالة في مصر ، بأن هذا  
 أكبر سبب ، لأن العدالة تخالف للنكاية برجالنا الوطنيين ، في الوقت الذى نمد يدنا  
 إليهم لمعقد اتفاق بين الأمتين . وقد جاء كلام عدلى باشا أن لورد ملر بعث إليه  
 ليحضر عنده في الساعة السادسة من مساء هذا اليوم ، فتأجل البت في المسألة لحين  
 عودته من عنده . وقال عدلى ، عند انصرافه ، إن ملر يرجو أن يطام على المذكرة  
 قبل عرضها ، ليحدد فيها ما لا يكون مقبولا قبولاً أساسياً .

وقد كان عدلى باشا ، أثناء المناقشة ، مضطرباً ، يغضب تارة ، وتارة يرضى ،  
 ولكن لم أن لشده ، ولا لينه ، كما أنى لم أبقي لرشدى حيلة يستعملها حتى يقضتها ،  
 بما كان يفحمة . وكانت خطة رشدى وزميله عدلى ولطفى السيد غير ملائمة لخطة الوفد .  
 وقال على ماهر بعد انتهاء المناقشة إن الأغلبية مع المذكرة ، ولم يشذ عنها إلا أقلية  
 ضعيفة . فقال محمد محمود بشيء من الانفعال : « كيف ذلك ؟ » ، وكان يعنى  
 أن الأكثرية لم تكن موافقة عليها . فسألته عن رأيه ، فقال ( محمد محمود ) : « إنى  
 لم أطلع على المذكرة » ، فدعوته ليقراها عند الغداء . . فذهب ولم يجد ! . . ثم بعد  
 الغداء سأله عنها ، فقال إنه لم يطلع عليها . . فأردت أن أحكى له مضمونها ،

فلم يقبل بحجة كونه ذاهباً مع علي ماهر عند الخاوي . وما ذهب ، بل عاد بعد قليل ،  
وجلس يقرأ الجرائد ، وما تكلم في المذكرة . .  
فانظر لهذا التصرف ، يملك على أن هناك ما يلزم التنبه له تنبهاً شديداً ! .

## ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠

كان عدلي يكن وعدنا بأن يعود من عند لورد ملنر ، إلينا تَوَّاءً ، فانتظرناه لحد الساعة  
الثامنة ، فلم يحضر . وكنت مع واصف غالي نتحدث في طول غيابه ، فقلت ،  
وواقفي على قولي ، إنه لا بد أن يكون مر علي رشدي باشا قبل أن يحضر إلينا . لأنه  
لا يمكن أن تكون الجلسة مع لورد ملنر طالَّت به إلى هذا الحد . ولم نكد ننتهي  
من حديثنا حتى تكلم عدلي بالتليفون قائلاً إنه عاد إلى الفندق ، وحاضر بعد العشاء ،  
وإنه اطلع على مذكرة ملنر ، وناقشه فيها فوجده مستعداً لتعديل بعض ما ورد  
فيها .

بعد العشاء حضر عدلي مع رشدي ، وحضر جميع أعضاء الوفد .  
وكتب سعد زغلول في صفحة ٢٠٥٧ : قال عدلي : « إن لورد ملنر أكد له  
أن العدالة في قضية عبد الرحمن فهمي لا بد أن تبلغ حدماً » . قلت : « ما أحلى  
القول ، وما أمر العمل ! » .

ثم تحدث عدلي يكن عن المفاوضات ، وعن مذكرة لورد ملنر عن مقترحاته  
لأساس الاتفاق ، وكتب سعد زغلول يقول : « قرأ لنا عدلي المذكرة التي أعدها  
ملنر وزملاؤه ، لعرضها علينا ، بالإنجليزية ، وترجمها إلى الفرنسية وتكلم عن  
النقط التي ناقشه فيها ، وسلم إليه في بعضها واستعد للمناقشة معنا في وقت  
آخر . وكنت متعباً وقت الترجمة وحكاية المناقشة . وكان عدلي يترجم بألفاظ ملنر ،



ويعجب بروايتها ، فلما انتهى قلت له : « إن هذه المذكرة أنكرت ما مضى ، وجعلت كل الحادثات سدى ، والتسويق ظاهر فيها ، ولطل غايتها ! » . وأخذ عليل يؤيدها ! . . . ورشلى يسندها ! . . . واحتد الجدل بينى وبين عليل وساعدنى سينوت حنا ، ولكنه تجاوز فى التظاهر بعلم الرضاء ، والقول بقطع المفاوضة . . . غانبرى له عليل ، وأوسعه تأنيباً . . . وجاء فى قوله ، وهو فى شدة الغضب : « هذا شىء يجن ! » . فقلت : « كيف ؟ » . قال مؤكداً غضبه : « نعم » . . . وخرج عليل من غير أن أقول له شيئاً ، وقال لى : « أنا لا أقصدك ، وإنما أقصد الكلام الذى تم بينى وبين سينوت حنا » . . . فتدخلت بينهما ، وأنهيت الأمر ، ثم بعد ساعة انصرف عليل مع رشلى .

والذى أشعر به أن عليل يريد أن فحصل إلى حل على أى وجه كان ، لأنه معجب بتمة لورد ملنر به كل الإعجاب ، ولا يريد ضياع هذه الثقة . ورشلى ليس مثله ، ولكن الذى بينهما ناشئ عما بينه وبين الإنجليز من الثقة والحب . ويشاع عليل لطفى السيد ومحمد محمود ، وابتدأ محمد على ( علوبة ) يعيل ميلهما ! . . . وقد طلب محام شهير فقصده على ماهر للدفاع عن عمه عبد الرحمن بك فهمى عشرة آلاف جنيه ، فاستكرتها ، وقلت : « الأحسن أخذ غيره ، ممن يكون أقل كلفة منه » . وكان ذلك بحضور عبد اللطيف المكباتى ومحمد محمود وعلى ماهر . وتم الأمر على ذلك ، وأشعر على ماهر سمسار المحامى الشهير الغالى بذلك من أمس . . . ولكن سينوت بك حنا اعترض - وأنا دخلت لبيت الأدب - قائلاً : « أريد أن أحدثك بأمر » . . . قلت : « ما هو ؟ » . قال : « إن إخواننا يريدون توكيل المحامى الغالى ، ورجونى أن أقول لك ذلك » . قلت بغضب : « إن هذا هذيان ! » ، ثم دخلت . . .

وبعد أن خرجت ، قال لى سينوت حنا إن لطفى السيد ومحمد باشا محمود  
تكلموا على الغداء بذلك . ففتحت الكلام أمام أعضاء الوفد جميعهم ، وقلت لم إني  
لا أريد أن تذهب الأموال ضياعاً ، ولا أرى وجهاً للتشبث بذلك الحاي ، على  
أنى لا أعارض فيه إذا لم تتجاوز أتعابه خمسة آلاف جنيه ، لأن هذا المبلغ محتمل  
دفعه ، أما المبالغة فليست مرضية ، ولا سليمة من الاعتقادات ، وقد كنت ارتحت  
أمس لعدولنا عن هذا الحاي الغالى ، عند ما علمت بأنه أشاع مقدار أتعابه ،  
حتى وصلت إلى لورد ملتر ، كما روى خير استكثارتنا لما .

وغضب محمد محمود باشا متوهماً أنى أنسب إليه أنه هو الذى دفع سينوت حنا  
الكلام رغبة في تنفيج صاحبه الحاي . وما كان بصاحبه ، ولا يعرفه ، ولكن كل  
ما فى الأمر أنه متزوج بإحدى كريمات فاظر المدوسة التي تخرج منها هذا الغضب ! .

١٩ يوليو سنة ١٩٢٠

أرسلت إلى لورد ملتر هذا الاحتجاج على التصرفات التي حصلت في قضية  
عبد الرحمن فهمي ، وهذا نصه : « إن التلغرافات التي تردني من مصر في هذه  
الأيام ، تدل على أن السلطة فيها تتبع سياسة استثنائية ، توجب الانزعاج ،  
ووضع الطمأنينة من القلوب . فقد ألقت القبض على ثلاثين شخصاً ، وأودعتهم  
السجن ، من غير سؤال ، وحققت ضلهم ، ثم حولتهم على المحاكمة أمام مجلس  
عسكري يجب أن يتخذ في ٢٠ يوليو . وبعد أن تحددت هذه الجلسة لمحاكمتهم ،  
حددت جلسة قبلها أى بتاريخ ١٥ يوليو للتحقيق معهم . ولا حضروا مع الحامين  
عنهم الذين يبلغ عددهم ٢١ محامياً ، تلا عليهم الضابط المحقق أمراً ، بأنه لن

يحقق معهم ، وإنما تنحصر مأموريته في أن يتلو على الشهود أقوالهم ، للتحقق من معرفة صدورها منهم ، وأن المناقشة إنما تحصل في هذه الأقوال فقط . . فاحتج المحامون لمخالفة هذا الإجراء للعدل والقانون ، وطلبوا منه إجراء تحقيق قانوني عادل ، فرفض طلبهم ، واضطروا للانسحاب ، وعرضوا الأمر على المدعى العمومي ، فوافقهم على مخالفة هذه الإجراءات للقانون ، ولكنه عرفهم بأنه لا يستطيع عمل شيء . ولم يعبأ المحقق بانسحابهم ، بل استمر في تلاوة أقوال الشهود ، ولم يتمكن المحامون من الاطلاع على أوراق الدعوى .

ولسنا نتعرض للتهم الموجهة ضد المتهمين ، بنفي أو إثبات ، لأننا لا نعرف الحقيقة في أمرها ، وقد يجوز أن يكونوا جناة ، كما يجوز أن يكونوا أبرياء ، ويجب أن يفضى القضاء في حكمه لم أو عليهم ، كما أبدينا لكم ذلك من قبل . ولكن الذي يهمنا بصفة كوننا مصريين ، وفوايا عن الأمة المصرية ، أن تستوفي جميع الإجراءات التي وضعها العدل ، وأيدعها القانون ، لضمان العدالة وحرية الدفاع . والإجراءات التي باشرتها السلطة في هذه المسألة غلّة كل الإخلال بهذه الضمانات ، كما تدل عليه المذكرة المرفقة بهذا ، الصادرة من أشهر المحامين هنا . وكنا ننتظر ، في الظروف الحاضرة التي تجري المفاوضة فيها للتوفيق بين الأمتين ، وتأسيس العلائق بينهما على المودة والصفاء ، أن يعامل المصريون بأحكام القوانين المدنية لا بالأحكام العرفية ، ولا بما هو أشد شذوذاً حتى من هذه الأحكام الاستثنائية بطبيعتها ، لأن سوق المتهم يمتلئ من أفضح الجنايات وأشنعها ، أمام محكمة يصح أن تحكم عليه بالإعدام ، من غير سؤال عن التهمة ولا تحقيق بحضوره ، وانتداب ضابط يتلو على الشهود أقوالهم ، ليدكرهم بها قبل أدائها في هذه الجلسة ، كل ذلك شذوذ عن كل مبدأ .

والإتيان بهذا الشذوذ تحت اسم العطالة مزعج للنفس، ومن شأنه توسيع الخلاف بين  
الأمتين، وإحباط المساعي المبذولة للاتفاق. إن مصر كانت تستظر بمناسبة الدخول  
في المفاوضات أن تلغى الأحكام العرفية، فإذا هي باقية تحتها، بل تحت ما هو أكثر  
منها شذوذاً، وأشد خطراً على حرية البلاد وحياة الأفراد. هذه هي حقيقة الحال،  
وتبرهن جنابكم أنها بلغت حداً من الخطورة يهدد الاتفاق الذي نريد وضعه! .  
ولهذا رأيت أن من المفيد أن أحيط جنابكم علماً بالحالة .  
وتقبل أيها السيد الكريم احتراماتي الأكيدة .

سعد زغلول

ولكن جهود سعد زغلول لم تفلح . . إن المحكمة العسكرية البريطانية العليا  
المؤلفة من خمسة ضباط برئاسة البريجاديير جنرال لوسون أصدرت الحكم بإعدام  
عبد الرحمن فهمي، ولحمود عبد السلام، ومحمد يوسف، ومحمد حسن البشيشي،  
ومحمد لطفي المسلمي، وحكمت على باقي المتهمين بالأشغال الشاقة .  
ولكن قصة عبد الرحمن فهمي لم تنته بالحكم عليه بالإعدام !

### صدى الحكم بالإعدام على عبد الرحمن فهمي !

أصدرت المحكمة العسكرية البريطانية العليا حكمها بإعدام عبد الرحمن فهمي  
وزملائه، بتهمة محاولة خلع السلطان وقتله هو ووزرائه، وتدمير الثورة ضد  
الحماية ! .

وصدر الحكم في ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٠، ولكنه لم يعلن، فقد أرسلت المحكمة

المسكينة الحكم إلى القائد العام للقوات البريطانية للتصديق عليه : وأرسله القائد العام إلى لورد ألنبي المنتدوب السامى ونائب الملك لإبداء رأيه .

وأرسل لورد ألنبي الحكم في يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٠ إلى وزارة الخارجية البريطانية في لندن يسألها رأيها ! . وتبذرت مراسلات عديدة بين لندن والقاهرة : هل ينبغي حكم الإعدام في عبد الرحمن فهمى أو لا ؟ . واختلف الرأى بين القاهرة ولندن . اللورد ألنبي المنتدوب السامى يرى ضرورة الإعدام . . والقائد العام للقوات البريطانية يرى تنفيذ الإعدام . . لكن الجنرال كلينتون رئيس المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط يقول إن تنفيذ الإعدام سيؤدى إلى انفجار هائل ! :

ومكثت المناقشات مستمرة طوال شهر أكتوبر ، وشهر نوفمبر ، وشهر ديسمبر ، وشهر يناير . . واجتمعت الوزارة البريطانية لبحث هذا الموضوع الخطير ، وكان من رأى لورد كيرزون وزير الخارجية وقتها أن تنفيذ حكم الإعدام سيؤدى إلى عواقب وخيمة . . وفى ٢٠ فبراير سنة ١٩٢١ قررت الحكومة البريطانية استبدال حكم الإعدام في عبد الرحمن فهمى وزملائه بالسجن ١٥ سنة .

\* \* \*

ولكن أعمال الجهاز السرى لم تتوقف بهذا الحكم ! بل استمر العمل على نطاق واسع ! . وتصورت السلطة البريطانية أن عبد الرحمن فهمى يدير الجهاز وهو داخل السجن ! . . وجرى تحقيق معه .. ونقل إلى الإسكندرية . . ولكن الحوادث استمرت ! ! . وكتب لورد جورج لويد المنتدوب السامى البريطانى في مذكراته (صفحة ٦٨ من الجزء الثانى) يقول :

« استمرت حملة الاغتيالات بدون توقف : في يوم ٢٤ مايو قتل البكباشى .

« كيف » المتش في بوليس القاهرة في في وضع النهار ، وفي ٢٥ يوليو أطلق الرصاص على الكولونيل « بيجوت » من ضباط الجيش البريطاني ، وأصيب برصاصتين في رقبته . وكان هذا بجوار القنصلية البريطانية في القاهرة . كانت الأحكام العرفية معلنة ، ولكنها كانت عاجزة أمام هذه الجرائم السياسية . ولم تستطع احتجاجات لندن أن تفعل شيئاً . . . وفي ٢٤ يوليو أصدر زعماء الثورة قراراً بأن العنف هو الطريقة الوحيدة لمقاومة وزارة ثروت . . .

وأصدر اللورد ألكني في الحال أمراً باعتقالهم . ولكن قائمة الاعتداءات على حياة الإنجليز أصبحت طويلة . إن عبد الرحمن فهمي الذي كان يدير جمعية الانتقام التي قامت بالاعتقالات في عام ١٩٢٠ كان في سجن مصر تنفيذاً للحكم الذي صدر ضده . ولكن أحد المسجونين العاديين الذين أفرج عنهم من سجن مصر مع عبد الرحمن فهمي أبلغ حكمدار بوليس القاهرة أن عبد الرحمن فهمي يعامل معاملة غير عادية ، وأنه يقوم باتصالات مع الخارج . . . فلا عجب أن الإجراءات المشددة لم تحدث أثراً ، فقد أطلق الرصاص في ١٣ أغسطس على مستر براون من كبار موظفي وزارة الزراعة وأصيب فعلاً . . . وتدخلت الحكومة البريطانية وطلبت من اللورد ألكني أن يوجه إنذاراً إلى الحكومة المصرية . ولكن لورد ألكني أرسل في ١٨ أبريل سنة ١٩٢٢ إلى لورد كيرزون وزير الخارجية ينصحه بعدم تقديم الإنذار . . .

وأصبح الموظفون الإنجليز يشعرون بأن حياتهم في خطر! . . . ومع أن سعد زغلول كان منفياً ، وعددًا من زعماء الثورة في السجن أو تحت المراقبة ، فإن شيئاً لم يتغير . . . وفي ٣ أغسطس كان عدد الموظفين الأجانب الذين طلبوا الخروج من خدمة الحكومة المصرية قد بلغوا ٩٩ موظفًا! . . . انتهى ما كتبه لورد لويد في

مذكراته بعنوان « مصر منذ عهد كرومر » .

والواقع أن سجن عبد الرحمن فهمى لم يوقف الحركات السرية في الثورة ، ولم يستطع الإنجليز أن يضعوا أيديهم على القسم الخاص بالاغتيالات في الجهاز السرى للثورة ! .

### واستمر الجهاز يعمل !

وفي يوم السبت ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢١ اعتقلت السلطات البريطانية سعد زغلول ! . . وصودرت أموال زعماء الثورة في البنوك ! .

وفي يوم ٢٥ ديسمبر أضرب الأزهر ، والمحامون ، والتجار ، والمهندسون والمدارس كلها . .

وفي يوم ٢٦ ديسمبر وضع على الجدران أمر عسكري من اللورد ألنبي بأن الجنود الإنجليز مأمورون بإطلاق الرصاص على أى تجمع ! . . وقامت ثورة في زفتى ، وأرسل طابور عسكري إنجليزى لإخمادها . . وفي ٢٧ ديسمبر قامت ثورة في الحوامدية ، وأرسل طابور عسكري إنجليزى لإخمادها . . ثم أضرب موظفو التلغراف والتليفون . وأضرب عمال الترام . وأضرب الحوذية . . وفي ٢٨ ديسمبر أضرب العمدة ، وقرر الشعب مقاطعة البضائع الإنجليزية . وأغلقت وزارة المعارف ٣ .  
ملوسة بسبب الإضراب . . وأضرب القضاة . . وفي ٢٩ ديسمبر أضرب الموظفون :  
وفي ٣٠ ديسمبر أعلن اللورد ألنبي أن الحكومة ستقطع رواتب الموظفين الذين أضربوا ! . . وفي ٣١ ديسمبر أطلق الرصاص على المستر هاتون رئيس هتمة وابورات مصر في العنابر ، وفر المعتدون ! فاحتل الجيش البريطانى حديقة الأزبكية وأقسام

البوليس في القاهرة ! . . وفي ٤ يناير سنة ١٩٢٢ أطلق الرصاص على مسر فاندريخت مدير شركة ترام القاهرة ! . . وفي ٦ يناير أطلق مجهول الرصاص على محمد بدر الدين مدير الأمن العام فأصابه في رثته . وفي ٧ يناير أعلنت مكافأة ٥٠٠٠ جنيه لمن يدل بمعلومات عن الذى أطلق الرصاص على مدير الأمن العام ، ولم يتقدم أحد ! . . وفي ١٤ يناير أعلنت دار الحماية أن أموال كل زعماء الثورة جمعت في البنوك ! . . وفي ١٧ يناير أطلق مجهول النار على المسر هوبكن المهندس في ورشة العنابر بجوار كوبرى شبرا وأصابه . وفي ٢٠ يناير أطلقت النار على مسر جوردان الموظف الإنجليزي قرب مخازن البضائع في محطة العاصمة فقتل ، والجاني مجهول ! . . وفي ٢١ يناير أطلقت النار على المسر براون مراقب وزارة المعارف فقتل ولم يعرف الجناة ! وأطلق الرصاص على مسر « بريتش » من موظفى السكة الحديد فأصيب ، ولم يعرف الجاني ! . . وفي ٢٢ يناير قررت الحكومة منح خمسة آلاف جنيه لمن يعرف قاتل مسر براون ، فلم يتقدم أحد ! . . وفي ٢٣ يناير أعلن القائد العام للجيش البريطانية أنه لا يجوز لمصرى ماحمل السلاح ، وكل من يضبط يحكم عليه بالإعدام ! . . وفي ٣ مارس هاجم الشعب مركز البوليس في طنطا واستولى عليه . وحدثت معركة قتل فيها ٣ وجرح ٢٠ . وفي ١٤ مارس أطلق مجهولان الرصاص على مسر مكتوش مدير قسم القاطرات في السكة الحديد فأصيب . وفي ١٩ مارس أطلق مجهولان الرصاص على سجنين بريطانيين في محطة كوبرى الليمون وتوفى الأول . وحالة اللقي خطيرة . وفي ٢٠ مارس ألقى الشعب الطماطم والبيض على الأعيان الذين ذهبوا لتهنئة الملك فؤاد ، وقبض على ١٥٠ . وفي ١٦ يوليو أطلق مجهولان الرصاص على الكولونيل « بيجوت » من ضباط جيش الاحتلال في شارع جامع



جرّس بالقاهرة وحالته خطيرة . وفي ١٧ يوليو حكم بالإعدام على محمد أمين .  
ومحمود وصفي اللذين ضبط عندهما طلقات مسدس .

وفي ١٥ أغسطس حكمت المحكمة العسكرية بالإعدام على : حمد الباسل ،  
وعلوى الجرار ، وواصف غالى ، وجورج خياط ، وويصا واصف ، ومراد الشريمى  
ثم استبدل الحكم بالسجن ٧ سنوات . وأطلق الرصاص على أسرة مستر براون الموظف  
بوزارة الزراعة أمام حديقة الأورمان . وفي ١٧ نوفمبر أطلق الرصاص على حسن  
عبد الرازق باشا وإسماعيل زهلى بك عضوى الأحرار الدستوريين قتيلا . وفي يوم ٢٣  
يناير سنة ١٩٢٣ نفذ حكم الإعدام فى أحمد رشدى وحافظ حسين المتهمين فى  
قضية القنابل . وفى يوم ٢٩ يناير أطلق الرصاص على مستر « روبرتسون » المدرس  
بالحقوق ، وقتل ، وهرب الجناة . وفى يوم ١ فبراير أصدر اللورد ألبني بلاغاً بأنه  
سيخذ إجراءات شديدة إذا استمر اغتيال البريطانيين . وفى يوم ٦ فبراير ألصقت  
فى الشوارع إعلانات بمكافأة عشرة آلاف جنيه لمن يعطى معلومات تؤدى إلى القبض  
على الجناة فى حوادث الاغتيالات ، فلم يتقدم أحد . . وفى يوم ٧ فبراير أطلق  
الرصاص على المستر اميلر ، الموظف بمصلحة السكك الحديدية . وفى يوم ١٤ فبراير  
ألقيت قنبلة على معسكر الجنود الإنجليز فى جزيرة بلدان . وفى يوم ٢٢ فبراير  
فتشت السلطة الإنجليزية بيت الأمة ( بيت سعد زغلول ) وطردت من فيه وأغلقتة .  
وقامت بعملية اعتقالات ضخمة . وفى ٢٤ فبراير أضربت جميع المدارس ، وأصدر  
اللورد ألبني أمراً بإغلاق كل مدرسة لا تنتظم : وفى يوم أول مارس ألقيت قنبلة على  
خمسة جنود إنجليز فى شارع نوبار فأصيبوا جميعاً .

وفى يوم ٦ مارس صدر الأمر بالقبض على جميع أعضاء الوفد .  
وفى يوم ٧ مارس عطلت جريدتنا ( اللواء المصرى ) و ( البلاغ ) . وفى يوم

٨ مارس أعلنت الحكومة عن عشرة آلاف جنيه أخرى لمن يرشد عن أحداث القنبلة .. ولم يتقدم أحد ! . . وفي يوم ١٧ مارس ~~فشت السلطة العسكرية~~ جميع منازل حي عابدين فلم تعثر على شيء ! . . وفي ١٨ مارس فرضت غرامة على جميع سكان حي الأزبكية لأنه حدثت اعتداءات على الجنود الإنجليز . وفي يوم ٢١ مارس قامت حملة تفتيش في جميع أقسام العاصمة ، ولم يعثر على شيء ! .

وفي أول أبريل أعلنت وزارة خارجية بريطانيا الإفراج عن سعد زغلول من مناه في جبل طارق ! .

### من الذى يقود الجهاز السرى ؟

وعبثاً حاولت المخابرات البريطانية أن تعرف كيف يدار الجهاز السرى للثورة بعد القبض على عبد الرحمن فهمى ! . . على الرغم من أنها أعلنت عن مكافآت بالآلاف للجنيهاً لمن يرشد عن الجناة ، بلغت في بعض الأحيان عشرة آلاف جنيه ! وكان الجهاز السرى في ذلك الوقت يتألف من عمال فقراء ، وطلبة فقراء ، وموظفين صغار !

ولكن العشرة آلاف جنيه لم تستهوى واحداً منهم ! .

• ولم يستطع الإنجليز منذ القبض على عبد الرحمن فهمى في أول يوليو سنة ١٩٢٠ إلى أبريل سنة ١٩٢٥ أن يعرفوا شيئاً عن الجهاز السرى للثورة !

وكتب سعد زغلول في يوم الاثنين ٢٥ مايو سنة ١٩٢٥ (صفحة ٢٨٣٧):

« وزعت النيابة أمس على المحامين في قضية السردار ملحق تحقيق ، وفيه أن شفيق منصور قرر أنه كان يفكر أن القتل السياسي مفيد ، ولكنه رجع الآن إلى رشده . واقتكر أنه مضر ، ولذلك هو يقول الحق وكل ما يعرفه . ذلك أنه وأصحابه افكروا أولاً بأن يقتلوا وكيل حكومة السودان هنا ، ولكن أحمد ماهر رفض أن يقر هذه الفكرة ، فأهملت . ثم افكروا بعد ذلك في قتل السردار فوافق ، وذكر اسم حسن كامل الشيشي . كما أقسم ( شفيق منصور ) أن الوفد لا يدخل له في الجريمة ، وأصر على قوله في مواجهة أحمد ماهر . . وقال شفيق في اعترافاته إن النقراشي صرخ ورفض أن يسمع كلاماً في خصوص هذا الإجراء ، ورفضه رفضاً باتاً ، ولكن شفيق منصور قال في الوقت نفسه إن اللجنة العليا المكونة للإجراء كانت منه ومن ماهر والنقراشي . . . »

## المسألة رقم ١

وعند ما عاد سعد من جبل طارق ، ونال الأغلبية الساحقة في أول انتخابات ، وبدأت المشاورات ليؤلف الوزارة ، كان يفكر في الإفراج عن عبد الرحمن فهمي قبل أن يختار أسماء الوزراء . . .

لقد فوجئ بأن الوزارة السابقة عقدت اتفاقاً مع الحكومة البريطانية بأن الحكومة المصرية لا تستطيع وحدها أن تفرج عن المسجونين السياسيين . . . . . وعندما

ذهب نائب المنلوب السامى البريطانى لمقابلة الرجل الذى يتولى أول حكم بناء على انتخابات عامة ، كان أول موضوع فكر سعد أن يثيره هو موضوع عبد الرحمن فهمى !... ونحن نترك مذكرات سعد زغلول تحكى القصة كلها .  
فى صفحة ٢٧٧٦ كتب سعد زغلول يقول :

يوم ١٩ يناير سنة ١٩٢٤ :

قال لى مسر كار ( نائب المنلوب السامى البريطانى ) إنه لم يستحسن من يوم حضوره إلى مصر سياسة الشدة ، وسعى فى إبطالها ، وكان من نتيجة سعيه إعادة المنفيين ، وإطلاق سراح المسجونين . قال هذا وكرره . : فقلت : « نعم أفرج عن بعض أشخاص ، ولكن تقيدت أمة بجألها ! » . قال : « كيف ذلك ؟ » . قلت : « إن الاتفاقات التى تمت مع قانون التعويضات قد أنشأت لإنجلترا حقوقاً على الأشخاص والسلطات المصرية لم تكن لها من قبل ، فلنحكم عليهم سياسياً لا يعنى عنهم إلا باتفاقها . » . قال : « إن هؤلاء ليسوا مجرمين سياسيين » . . قلت : « إنهم مجرمون سياسيون ، وثبت معنى ذلك . » . قال : « هل يوجد شئ من هذا النوع ؟ » . قلت : « يوجد كثير . » . قال : « إن كان كذلك فالأمر يسوى » .  
وفى صفحة ٢٧٨٢ كتب سعد زغلول يقول :

يوم الاثنين ٤ فبراير سنة ١٩٢٤

« ورد خطاب من مسر كار ( نائب المنلوب السامى البريطانى ) يقول إنه لم يأخذ جواباً نهائياً فى مسألة المسجونين ، ولكن المسألة سائرة فى طريق راضية ، ويتعشم أن يعطينى خبراً ساراً بعد قليل من الأيام . ففهمت من هذا الخطاب أن المسألة

وسبكة الحل ، أو أنها انحلت فعلا ، ولكن المخابرة فيها جارية مع اللورد ألباني ، ولما تنته .. ثم ورد من عزيز عزت ( وزير مصر المقبوض في لندن ) ما يفيد أن المسألة لا تزال تحت النظر : وفي نحو الساعة العاشرة من صباح أمس ، طلب مستر كار بالتليفون مقابلتي ، فحددت له الساعة الثانية عشرة . فحضر قائلا : « إني أحمل لك خبراً ساراً » . . . ودفع لي ورقة مكتوبة بالإنجليزية ، فأخضت أقرأها . فتعجرت . وحينئذ أبرز لي ورقة باللغة الفرنسية اشتملت على ما يأتي : « أشرف بإعلامكم أنني استلمت الآن من السكرتير الأول للدولة في وزارة خارجية ملك الإنجليز تلغرافاً ، يكلفني أن أبلغ دولكم البلاغ الآتي :

« إن حكومة جلالة ملك الإنجليز ، رغبة في تقوية روابط المودة بين مصر وبريطانيا العظمى ، بحث مسألة إخلاء سبيل الأشخاص المحكوم عليهم من المحاكم العسكرية تحت القانون العرفي ، ومستعدة لأن تقبل طريقة للعفو العام ، واسعة على قدر الإمكان . وبناء على ذلك ، فإنه فيما يختص بكل مسجون ، لا يترتب خطر على إخلاء سبيله في رأيك ، فإن الحكومة تتنازل عن بحث حالته بواسطة اللجنة المكونة بالمدكرات المؤرخة ٥ يوليو سنة ١٩٢٣ . »

ثم قال : « وإني أوافقك من الآن على إخلاء سبيل من تؤكد أنه لا خطر منه على الأمن العام ، ما عدا السبعة أو الثمانية الأشخاص المحكوم عليهم أخيراً » . قلت : « إني أعطيك هذا التأكيد الآن » . ثم سألته : « هل تجرى بطريق العفو . أو على طريقة إخلاء سبيل من طرفنا ؟ . والأحسن الأخيرة » . . ثم اتفقت على استثناء أولئك السبعة أخيراً لبحث آخر . وبعد ذلك شكرته . فقال : « سأبلغ شكرك ، وأعرض عليك تلغرافي ، حتى لا أروى عنه ما ربما لا تريده » . فقبلت وقلت : « إني ذاهب الآن إلى جلالة » . وركبت معه في سيارته . وكان معه شاب الكتيب المنوع

من الضباط الذين تمهلون في أثناء القبض على في قشلاق قصر النيل . وكان معه القواص . فانطلقت السيارة بنا ، وكان من يعرفني يبدى شيئاً من الدهشة عند رؤيتي !

ووصلت البيت ، وانصرف . ورأيتي قريبتي مسروراً ، فعزرت الخبير . فقلت : « أخبرك به بعد جلالتك ! » . . . وانطلقت إلى السلامك حيث كان الوفد مجتمعاً ، وانعزمت معه عند فتح الله بركات . ولم أخبر الأعضاء بشيء ، ولكنهم وجدوا السرور يتدفق مني ، فخمن « على الشمسي » أن الإفراج اقرب . . . فضللته ! وكنت طلبت من السراي موعداً ، واخترت أن يكون الساعة الثانية بعد الظهر . وفي وسط الأكل دقت الساعة ، فذهبت ، فاستقبلني جلالتك بكل بشر . وكان الخبير لديه موضوع سرور عظيم . ثم انصرفت . وحضر بعض الوزراء حيث كنت دعوتهم للاجتماع في الساعة الرابعة بعد الظهر . ثم حضر جمهور كبير من سائقي السيارات وغيرهم متظاهرين ، فقلت : « ماذا تطلبون ؟ » . قالوا : « الإفراج عن عبدالرحمن فهمي . »

وكنت أخبرت قريبتي بالخبير من قبل ، فامتثلت فرحاً ، وقبلتني . وعندما أبدى الجمهور هذه الأمنية قلت لهم :  
- لقد أفرج عن عبدالرحمن فهمي !

فهاجوا سروراً ، وأخلوا برقصون ، ويصيحون من الفرح . فقلت : « هيا إذن . . . اذهبوا لأعمالكم ! » . فاستمروا برقصون ويصيحون ! فقلت مداعباً : « إذا لم تصبروا وضعتكم مكان الذين خرجوا ! » ، فضحكوا وانصرفوا . . . وكان أعضاء الوفد حضروا من عند فتح الله باشا ، وتكامل الوزراء إلا محمد سعيد باشا ، حيث كان في الإسكندرية ، والقرابلي على ما أعلن . وقصصت عليهم القصة فأخذهم

الفرح . وقد أمرت مدير الأمن العام أن يطلق سراح عبدالرحمن فهمي وزملائه بكل  
سرعة ، قتل .  
واطلق المساجين المذكورين ، وحضروا بملابسهم في بيت الأمة . . . وقامت  
مظاهرات الفرح !

يوم الأحد ١٠ فبراير سنة ١٩٢٤

« ظهرت الجرائد مقرنة مادحة ، معتبرة ذلك فوزاً عظيماً ، إلا جريدتي  
« الأخبار » و « السياسة » ، قلّهما وإن لم يسعهما إلا الشكر قد أعربتا عنه عبارات  
تشف عن التكلف والكمد . ولا تخرج جملة ثناء حتى تتلوها جملة تداري الكمد ،  
وتغير الموضوع ، شأن المضطر للمدح يديه على عجل ، ثم يسارع إلى موضوع  
آخر ، كي يخرج بما يشعر به من ألم ، حتى يتبعه بطلب لشيء آخر لكي يتوقف  
من أهمية تحقيق الطلب الأول ! » .

### الصراع . . . !

هذا ما كتبه سعد زغلول ، وهو رئيس الوزراء عن مقدار فرحه بنجاحه في  
الإفراج عن عبدالرحمن فهمي رئيس الجهاز السري للثورة ، الذي أمضى في السجن  
والعذاب ثلاث سنوات وسبعة أشهر . . . ويبدو منه مقدار حب سعد لعبدالرحمن  
فهمي ، وتقديره له ، واهتمامه به .  
ولكن هذه المحبة لم تستمر طويلاً . . . فقد كان عبدالرحمن فهمي صلياً وقريباً ،  
وكان سعد زغلول صلياً وقريباً ! . . . وخرج عبدالرحمن فهمي من السجن مريضاً

محطماً ، من شدة التعذيب وقسوة السجن ، وشراسة الإنجليز ، وبسبب حالته الصحية انقطعت الصلة بينه وبين الجهاز السرى للثورة !

## زعيم العمال !

وكلفه سعد زغلول رئيس الوزراء أن يتولى حركة العمال ، ويعيد تنظيم النقابات التي كلفه بها في أثناء ثورة ١٩١٩ وبدأها في تلك الأيام ، ثم جاءت السلطة البريطانية وشردها . وطلب سعد زغلول من الدكتور أحمد ماهر أن ينتخب العمال عبدالرحمن فهمى بك زعيماً لهم . وكلف سعد زغلول الأستاذ حسين تافع المحامى وعضو البرلمان أن يشاؤك عبدالرحمن فهمى بك في هذه العملية . وفي يوم الجمعة ٤ يوليو سنة ١٩٢٤ أقامت نقابة عمال السكك الحديدية وواحات عين شمس حفلة في نادى السباق بمصر الجديدة لتكريم عبد الرحمن فهمى بك لمناسبة انتخابه زعيماً للعمال . وحضر سعد زغلول الحفلة . . وكانت أول مرة في مصر يحضر فيها رئيس الوزراء اجتماعاً لنقابة العمال . . ووقف سعد زغلول وألقى خطاباً قال فيه :

« جاء في أقوال خطباتكم إننى شرفتمكم بحضورى ، أو أنكم حسبتم حضورى شرفاً لكم . أقول وأؤكد لكم أننى لو شعرت بأنى شرفتمكم بهذا الحضور لآخذت نفسى كثيراً على هذا الشعور . . والحق أقول لكم إننى تشرفت بالحضور بينكم ، وفرحت كثيراً لأننى رأيت قوة من القوى التي عملت على إنماء النهضة الوطنية ، والتي لها فضل كبير في الوصول بالحركة القومية إلى الحد الذى وصلت إليه . . إلى أفراح كثيراً ، وأسر كثيراً ، كلما شعرت أن هذه الحركة ليست فيما يسمونه بالطبقة العالية فقط ، بل هى منبثة أيضاً وعلى الأخص في الطبقة التي سماها حسادنا « طبقة الرعاع » ! وأفخر بأنى من الرعاع مثلكم ، ولو كانت هذه الحركة مقصورة على الطبقة العليا ،



لما قامت لها قائمة . . ولا انتشرت هذا الانتشار . . ولما انتصر المبدأ الوطنى بالطبقة التى يسمونها « طبقة الرعاى » ، وهى الطبقة الأكثر عدداً فى الأمة . والتى ليس لها صالح خاص ، والتى مبدؤها ثابت على الدوام . مبدؤها الاستقلال التام لمصر والسودان . هذه الطبقة لا تسعى وراء وظيفة تنالها ، ولا منصب تخل فيه . ولا مصلحة تقضيها .. ولكنها تريد أن تعيش ليكون الوطن عزيزاً !

« ولا يهر نظرى ، ولا يطرب سمعى ، أكثر من أن أرى رجلاً فقيراً لا قوت عنده يتادى : « يحيا الوطن » وليس يطمع فى شىء إلا أن يعيش كما هو ! ولكن ذلك الرجل صاحب الأموال ، وذلك الموظف فى المنصب العالى ، إذا قال : « يحيا الوطن » فإنما يقول : « ثنيا وظيفتى أو مصلحتى » ! .. ولذلك رأيت كثيراً من أرباب تلك المصالح . ومن ذرى الوظائف تقلبوا ، وتغير أولاء ، ولكن « الرعاى » أمثالكم ما تغيروا ، ولا بدلوا عقائدهم ، لذلك فإنى معتقد موقن مؤمن أن حركتنا حركة طبيعية قوية . سينبت نباتها . وستؤتى أكلها بإذن الله ، إن لم يكن اليوم فقداً .

« ولقد شعرت بأن عبد الرحمن فهمى بك خدع وطنه ، فكدرتموه . لأنكم تشعرون بأنه خدع المبدأ الذى تخدمونه ، وأعز القضية التى تقاسمونها ، وتحمل الآلام فى سبيلها . . أردتم أن تعلوا شأنه ، وأن تكرموه ، وأن تعرفوا له هذه التضحية الغالية ! فنعم ما فعلتم ! ولكن هناك نفرأ يرون أنه لا ينبغى تكريم الأشخاص ! يقولون إن تكريم الأشخاص غير مرغوب فيه ، ولا ينبغى أن يسند إلى رجل شىء من أعمال الهيدة ، خصوصاً صفة البطولة ، فلا يصح أن تقولوا : « فلان بطل » لمن تحمل فى سبيل الوطن آلاماً . . يقولون هذا ! ولكنهم غخطون أو هو « قصر ديل » ! .. وإذا كرمنا إنساناً ، فإنما نكرمه لأن هذا الإنسان نفذ ذلك المبدأ .. كما أننا إذا ذمنا شخصاً ، فإنما نذمه لأنه اعتنى مبدأ رديلاً . . هكذا جرى الناس من القدم ، وجاءت

به الأديان .. فلماذا يعذب الشخص لأنه ضل ، ويثاب لأنه أطاع ربه ولم يعصه .. فلم تخلق الجنة لمثوبة المبدأ ! ولم تخلق النار لتعذيب المبدأ ! ولو أن المبادئ هي التي تكرم ، وهي التي تعذب ، لرأينا جهنم مملوءة بالمبادئ كذلك ! ولما كنا نقيم مأتماً لراحل كريم ! .. فالشخص يبقى والمبدأ باق ! ولماذا نبكي ونتوح على موت الكرام ، والكرام باق من بعدهم ؟ ذلك أننا نكرم الأشخاص الكرام ، ولا معنى لتكريم المبادئ المجردة عن الأشخاص .. فإذا ارتكب مجرم من المجرمين ، وأنتم تعرفونهم ، جرماً ، فهل يزعج المبدأ في السجن ؟ أو يقاد شخص معتقه إلى السجن ؟

كل هذا مقتته لأين لكم أن تكريمكم لرعيكم عبد الرحمن فهمي بك ، إنما هو تكريم لشخص يستحق التكريم . وقد أحسنتم اختياره زعيماً لكم !

• • •

هذا ما قاله سعد زغلول عن عبد الرحمن فهمي في ٤ يوليو سنة ١٩٢٤ ، وبعد ذلك بثمانية أيام ( في ١٢ يوليو ) أطلق الرصاص على سعد زغلول : وأصيب ودخل المستشفى وخرج منه يوم ١٧ يوليو . ثم سافر يوم ٢٨ يوليو إلى أوروبا ، ولم يعد إلى مصر إلا يوم ٢٠ أكتوبر : فلا يمكن أن يكون الخلاف وقع مع سعد زغلول في هذه المدة . إن الخلاف وقع في المدة ما بين يوم وصول سعد من أوروبا في ٢٠ أكتوبر ، ويوم استقالته من الوزارة في ٢٤ نوفمبر .

يقول عبد الرحمن فهمي إن سر الاصطدام أنه طلب من سعد زغلول أن يضم الصفوف فرفض .. وأنه كان يذهب إلى سعد زغلول رئيس الوزراء وزعيم الثورة ، ليناقشه في أعماله : فيجد الوزراء الكبار أمثال محمد سعيد باشا وتوفيق نسيم باشا وأحمد مظلوم باشا . ساكتين : خائفين ، خاشعين : لا يستطيع الواحد منهم أن يفتح فيه في حضرة سعد زغلول !

## من هنا بدأ الخلاف !

ولكن يبدو أن الخلاف تطور بسرعة عجيبة في خلال ٣٤ يوماً ! ولقد ظهرت نتائج في مذكرات سعد زغلول بعد ذلك ببضعة شهور ! ولكن سعد زغلول لم يفتح فيه بكلمة ضد عبد الرحمن فهمي ! ولكنه كان يعبر عن غضبه في مذكراته :  
في يوم الخميس ١٨ مارس سنة ١٩٢٦ كان سعد زغلول متصبداً ، وكانت الدنيا بدأت ترتجى أمامه من جديد . . وكان يكفي أن يرشح رجلاً من أنصاره ليكتسح جميع المرشحين ! وفي صفحة ٢٩٧١ من مذكرات سعد زغلول ، كتب سعد يقول :  
« رجائي اليوم سلامة ميخائيل ( عضو الوفد المصري ) ترشيح عبد الرحمن فهمي بك ( لعضوية مجلس النواب ) . . فقهرته عن هذا الرجاء ، وبيت له سوء عمله . . وكان ذلك بأشد عبارة » .

هذا نص ما كتبه سعد زغلول في مذكراته عام ١٩٢٦ . . فما هو العمل السيئ الذي أغضب سعد زغلول ؟ هل أصبح عبد الرحمن فهمي تعلقات إلى الجهاز السري يقتل السردار دون علم سعد زغلول ! إن الوثائق تقول ان عبد الرحمن فهمي لم يكن له علاقة بمصرع السردار ، وإنه قطع علاقته بالجهاز السري للثورة عقب الإفراج عنه في بداية وزارة سعد زغلول ! . لقد كان من الممكن أن يحدث الخلاف بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي بسبب أن سعد زغلول اختار في وزارته شخصيات غير ثورية : إن سعد زغلول اختار في وزارة الثورة محمد سعيد باشا وزيراً للمعارف ، وكان محمد سعيد باشا هو أحد الذين ألقى عليهم الجهاز السري للثورة قبلاً في عام ١٩١٩ لأنه خالف قرار سعد زغلول وألف وزارة في ظل الحماية ! وكان سعد زغلول يرسل في أثناء الثورة رسائل سرية إلى رئيس الجهاز السري يطلب إليه مقاومة

محمد سعيد باشا بجميع الوسائل ! . واختار سعد زغلول في وزارة الثورة توفيق نسيم باشا وزيراً للمالية . . ونسيم باشا هو أحد الذين ألقى عليهم الجهاز السري للثورة قبلة في عام ١٩١٩ لأنه تأمر مع السلطان فؤاد ضد الثورة ! .

وما من شك في أن سعد زغلول أخطأ في هذا . . فإن توفيق نسيم استقال من وزارة سعد زغلول عندما اختلف سعد مع الملك ! . واستقال محمد سعيد باشا من الهيئة الوضعية بعد ذلك لأن الملك طلب إليه أن يستقيل . ولكن عبد الرحمن فهمي لم يختلف مع سعد لهذا السبب . . فقد كان من أنصار ضم الصفوف . . وكان يرى في ضم كل هؤلاء الرؤساء السابقين تقوية لوزارة الثورة ! بل إنه لام سعد زغلول على أنه لم يضم باقي الصفوف ! ولقد اختار سعد زغلول الوزراء في وزارة الثورة ممثلين لطبقات الوفد التي قادت الثورة ضد الإنجليز . كان سعد زغلول رئيس الوزراء ووزير الداخلية بصفته الرجل الذي نفاه الإنجليز إلى مالطة ثم سيشيل ثم جبل طارق . واختار سعد فتح الله بركات وزيراً للزراعة ، ومصطفى النحاس وزيراً للمواصلات ، ليثلا للقادة الذين نفاهم الإنجليز إلى سيشيل . واختار سعد مرقص حنا وزيراً للأشغال ، وواصف غالى وزيراً للخارجية ، ليثلا للقادة الذين حكم عليهم بالإعدام وعدل الحكم وسجنوا بعد ذلك في المأزلة ! . . واختار سعد نجيب الغرابي وزيراً للحقانية ليثلا لقادة الثورة الذين نفوا إلى المحاريق واعتقلوا في قشلاق قصر النيل . واختار سعد حسن حسيب ليثلا لآخر وفد تألف ، بعد اعتقال جميع طبقات الوفد ، التي وضعها سعد لتحل طبقة مكان طبقة ، كلما نفيت ، أوحكم عليها بالإعدام !

وكان سعد فخوراً بأنه عين اثنين من الأفندية وزراء لأول مرة في تاريخ مصر ! ولكن الثوار لم يفهموا كيف أدخل سعد في وزارة الثورة سعيد باشا وتوفيق نسيم باشا وأحمد مظلوم باشا ، وهؤلاء عادوا الثورة ، ولم يقفوا معها ، ولم يسجنوا ، ولم يحكم

عليهم بالإعدام ! .. . ويظهر أن سعد زغلول لم يشأ أن يدخل في وزارة الثورة أى عضو من الذين كانوا يقودون الجهاز السرى للثورة ، ولم يذكر في مذكراته سبب هذا الإغفال ، ولعله أراد أن يعلمهم عن الحكم ، لتبقى هيئة ثورية تحت الأرض تساعد عند الاقتضاء ! .. ولكنه لم يلبث بعد تأليف وزارته ببضعة شهور أن أدخل في الوزارة اثنين من أعضاء الجهاز السرى . . بل الاثنين اللذين كانا يتوليان قيادة هذا الجهاز بعد اعتقال عبد الرحمن فهمى في ١٩٢٠ ، فعين الدكتور أحمد ماهر أفندى وزيراً للمعارف وعمود فهمى النقراشى أفندى وكيلاً لوزارة الداخلية. ولكن عبد الرحمن فهمى لم يعترض على هذه التعيينات . فقد كان أحمد ماهر يده اليمنى ، وكان النقراشى يده اليسرى . . ولم يكن عبد الرحمن فهمى يطمع أن يكون وزيراً . .

فإذا حدث حتى أدى إلى هذه القطيعة ؟ وما سر غضب سعد زغلول على عبد الرحمن فهمى ؟ هذا الرجل الذى حكم عليه بالإعدام : وقاد بنجاح الجهاز السرى للثورة ، وكاد سعد يقطع المفاوضات مع لورد ملر لأن الإنجليز قبضوا عليه ! .. . نعتقد أن حالة سعد زغلول النفسية في تلك الأيام هى التى جعلته يغضب على عبد الرحمن فهمى :

إن سعد زغلول مر بمحنة قاسية عقب مصرع السردار ، الإنجليز أعلنوا عليه حرباً شعواء . . الحكومة أعلنت عليه حرباً لاهوادة فيها للقضاء عليه وتحطيمه . وكان إسماعيل صدق هو وزير الداخلية الذى تقنن في محاربة سعد زغلول . . والمملك فؤاد خرج على المكشوف ، وأعلن على سعد زغلول حرب الإبادة : وقرر أن يحو اسمه من الوجود ! .. واستطاع هذا التحالف الثلاثى أن يتزل الضربات بسعد !

كان سعد يواجه أزمة ضخمة . . وفي هذا الوقت وقع الخلاف مع عبد الرحمن فهمى . . وترك سعد زغلول يصف ما حدث . في صفحة ٢٨٩٣ كتب سعد زغلول :

في يوم السبت ١٧ يناير سنة ١٩٢٥

قد اشتد الخناق بي ، وأحاطت بي الشدائد من كل جانب . . فأنصار الوفد ينفضون عنى واحداً فواحداً : والوزارة تجاهر بعدائي ، وتشدد الأوامر على رجالها بمطاردتي ومطاردة أوليائي ، فتمنع اجتماعاتهم ، وتربح حركاتهم وسكناتهم . . وتعاكس مصالحهم ، وتلزمهم بالانشقاق عنى ، وتجبر الذين ترشحوا تحت لواء الوفد على أن يعانون استقلالهم عنى ، وتحارب من يأبى هذا الانشقاق وهذا الاستقلال بكل الطرق ، وتهدد كل من يميل إلينا من موظفين ومستخدمين بالرفق والطرء ، أو النقل إلى مكان سحيق . وقد ضج الناس بالشكوى ، وامتألت أعمدة الجرائد بالاحتجاجات . . ولكن لا سمح لمن تنادى لأن المشكومنه هو الأمر بأسبابها ، ومليك البلاد يعلن على رؤوس الأشهاد أنه غير راض عنى ، وأن الناس يجب عليهم أن يختاروا بين الانحياز له أو الانحياز عنه !

رفى أغلب الأوقات تحيط عساكر البوليس بيى ، وتمنع الناس من الدخول فيه . . ولا أدرى متى تنتهى هذه الحالة ، وماذا يكون الحال ؟ . . ولقد دلت هذه الحقنة التى نجتازها على ضعف شديد فى الأخلاق ، وهبوط عظيم فى روح الناس ، ولا سيما فى الطبقة العالية وما تحتها . . فإنها كشفت عن دناءة ، وخسة ، ولؤم ، وخور . . دلت على أن هذه الطبقة لا تعرف للتضحية معنى ، ولا تتنازل عن حبة من راحتها فى سبيل الوطن ، وتميل إلى المظاهر الكاذبة ، وتبعد القوة . . ومع أن المتعلمين منهم أفسدهم أخلاقاً ، وأحطهم صفات . . يجرمون ثم يتباهون بالإجرام . . ويأتون المنكر ، ثم يفاخرون بإتيانه ، كأن بينهم وبين الفضل عداء .

كل يوم تردنى خطابات تحمل استقالات من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب

من الهيئة الوفدية في البرلمان . . وأولها كان من مومى فؤاد باشا ومحمد فهمى باشا .  
والأول شيخ كان الوفد رشحه ، ونجح في الانتخاب بتأييده ، وكان بعض العارفين  
يلومون الوفد على تأييده ، لعدم حسن سيرته ، وشهرته بالميل للإنجليز . ولكننا رشحنه  
وفضلناه على غيره من المعارضين . وقد جرى في مجلس الشيوخ على خطة عوجاء ،  
وفهمت الآن مصدرها . أما محمد باشا ، فأنا الذى عينته في مجلس الشيوخ ، وتعين  
من غير أن أخبره بأننى اقترحت تعيينه ، وزارنى عقب تعيينه ، والدمع ينهمل من  
مأقيه ، وقد قبل يدي قائلاً : « لقد فتحت بينى جزاك الله عنى خير الجزاء ! »

وقد بنينا استقالتهما على شدة إجلالهما للعرش ، والشك في إخلاص الوفد .  
ثم تبعهما جماعة من الشيوخ والنواب . . وإذا فهمت استقالة أعضاء مجلس الشيوخ  
من الهيئة الوفدية لكونها لا تزال قائمة ، وإن كانت معطلة ، فإنى لا أفهمها من  
أعضاء مجلس النواب . وأغرب هذه الاستقالات استقالة محمد باشا سعيد ، لأن هذا  
الرجل نجح في الانتخابات بفضل الوفد وتعين في الوزارة وصار أهم أعضائها ، وناب  
عنى مدة غيابى في أوروبا منذ ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٤ إلى ٢٠ أكتوبر . . أى ثلاثة  
شهور تقريباً . . ولكنهم هددوه بعزله من دائرة سيف الدين ، ومورده منها كبير ،  
فاختار الثروة على الكرامة . وتبعه اسماعيل سرى باشا ، وقد كان الوفد رشحه ، ولا  
سقط في الانتخابات عينته في الحال . وألطف هذه الاستقالات شكلاً استقالة  
ألفريد شماس ( عضو مجلس الشيوخ ) وهو من الذين اقترحت أنا تعيينهم . . فقد  
امتدح سياستى وجاهر بأنه اشترك في العمل تحت إشرافى مع الافتخار !

والآن استلمت تذكرة من شخص يدعى إبراهيم فؤاد ، يقول فيها : « أقدم  
التهنئة بنجاح بحسب باشا بوفاة فتحى باشا اليوم ( كان حسب باشا مرشحاً في دائرة  
الوايلي ضد إبراهيم فتحى باشا . . وبوفاة الثانى يصبح الأول نائباً بالتركية ) .. فاستأت

لأن يكون الموت بشرى ، مهما كان من مات ، ولكن الإنسان ظلوم كفار !  
خرج عبدالرحمن بك فهمي من السجن ، بعد أن لبث فيه زهاء شهرين ،  
ووجه ترواً إلى سراى عابدين حيث كتب اسمه في دفتر التشریفات ولم يمر بيت الأمة.  
فسأل الناس عن سر هذا الإقبال والإدبار . . . وزعم بعضهم أنه يريد الاستقالة ،  
وذلك مقلمة لما . وقد حضر عندي بعد أربعة أيام من إطلاق سراحه ، ولم يتكلم  
عن تأخر زيارته . ثم أخذت الإشاعة عن استقالته تتأكد ، حتى نشرتها بعض  
الجرائد ، فطلب منه تكذيبها غير مرة ، فوعد ولم يفعل ، وقال ابن أخيه أحمد مامر  
إنه يظن أن تأخره عن التكنيب أنه في انتظار ما تقرره الوزارة في شأن ترشيحه ،  
ولفظاמר أنه انخلع نهائياً . . . مع السلامة أه .  
انتهى ما كتبه سعد زغلول عن عبدالرحمن فهمي بعد حادث السردار . .  
ولكن من الذي أمر بقتل السردار ؟

• • •



## الفصل السابع .

### خطبة جديدة للجهاز السري رسمها سعد في المنفى بين جبل طارق والزقازيق . تهريب الرسائل السرية في الأندلس

مكتب قاضي محكمة بني سويف ، ثم مكتب قاضي محكمة الزقازيق ، هما  
عنوان الجهاز السري لثورة ١٩١٩ بعد القبض على عبدالرحمن فهمي في آخر  
مايو سنة ١٩٢٠ ، واختيار سعد زغلول للدكتور أحمد ماهر خلفاً له في رئاسة  
الجهاز السري .

وكانت تعليمات سعد ترسل بالشفرة ، وبالرموز ، وباليد ، من منفاه في قلعة  
جبل طارق إلى مكتب قاضي محكمة بني سويف ، ثم بعد ذلك إلى مكتب قاضي  
محكمة الزقازيق . وكان هذا القاضي هو سعيد بك زغلول ابن شقيقة سعد زغلول ،  
وقد تبناه سعد هو وشقيقته ، بعد وفاة والديهما وهما طفلان . وكان سعيد زغلول  
يتلقى تعليمات سعد السرية ، ويفك رموزها في غرفة القاضي ، ثم ينقلها بخطه ، ثم  
يسلمها بطريقة خاصة إلى الجهاز السري للثورة . وكان الدكتور أحمد ماهر يبلغ سعيد  
زغلول المعلومات التي يريد إرسالها إلى سعد زغلول ، فيترجمها سعيد زغلول بالشفرة ،  
ويسلمها للرسول المجهول ، فيسافر بها إلى جبل طارق ، ويسلمها إلى سعد زغلول  
مخترقاً الحراس والرقابة الشديدة والمخابرات البريطانية التي كانت تحيط بالمكان الذي  
اعتقل فيه سعد زغلول بالليل والنهار . . . ولقد بدأ التفكير في هذه الطريقة الغريبة

أثناء نقل سعد زغلول من منفاه في جزيرة سيشيل في المحيط الهندي ، إلى منفاه في قلعة جبل طارق . . فقد طلب سعد زغلول إرسال شخص يملئ عليه تعليماته السرية من معتقله في جبل طارق إلى قيادة الثورة مصر !

ولكن كيف يمكن إرسال هذا الشخص الخطير إلى جبل طارق ؟ إن في مذكرات الأستاذ محمد كامل سليم ( السكرتير الخاص لسعد زغلول في ثورة ١٩١٩ ) قصة هذه المغامرة المثيرة . . كتب الأستاذ كامل سليم يقول :

« في أوائل سنة ١٩٢٢ كان سعد وإخوانه في المنفى في سيشيل ، فلما مرض سعد في تلك الجزيرة السحيقة ، لسوء جوها ، وهي على مقربة من خط الاستواء ، نقله الإنجليز وحده إلى جبل طارق . فكانت الوحدة والعزلة أشق على نفسه من حجم سيشيل ، فضلا عن البعد عن إخوانه المنفيين . حينذاك طرأت على سعد زغلول فكرة التخلص من هذه العزلة ، واستئناف جهاده ، واتصاله بمصر بشكل من الأشكال . وتلخصت هذه الفكرة في أنه أعاد إلى مصر خادمه المصري الوحيد . الذي صاحبه ، ووجه رسالته . أختفاه الخادم في حذائه ، ليوصلها إلى . وإذا بسعد يخبرني في خطابه هذا أنه في حاجة قصوى إلى سكرتير خاص ، يملئ عليه رسائله وبرقيات . ويعتمد عليه في شؤنه الخاصة والعامة .

« وقال سعد في رسالته السرية إنه طلب ذلك من الحاكم العام البريطاني في جبل طارق ، فرفض الحاكم ، بناء على أمر الحكومة البريطانية ، التي رأت ضرورة أن يظل سعد في المنفى مشغولا عن كل نشاط ، طمعا منها في غير مطمع ، أن تموت الحركة الوطنية ، وهو بعيد عنها ، فلا يفذيها ولا تغذيها . ثم رجائي سعد في رسالته السرية أن أبذل قصارى جهدي ، وأتحايل في اختيار سكرتير خاص له ، يسافر إلى جبل طارق في شكل خادم ، بل الذي عاد إلى مصر بحجة رغبته في رؤية

زوجته وأولاده . . . وحنزنى سعد فى رسالته السرية من أن السلطات البريطانية سوف ترفض حتماً من اختياره للسفر ، لو ظننت أنه سكرتير لا خادم ، ولذلك يجب الاحتياط للأمر غاية الاحتياط ، وإلا فشل المسعى ، وتعرضنا جميعاً للانتقام الإنجليزى !

« هذه هى رسالة سعد زغلول السرية التى وصلت فى حذاء خادمه الذى وصل إلى القاهرة ! . . . مطلب عزيز ومهمة خطيرة ! إذ كيف أحقق رغبة الزعيم الوطنى ، وهو فى منفاه ؟ وكيف أجد الشاب المتعلم الذى يقبل أن يكون خادماً . ويتعرض للأخطار ؟ ثم كيف أجدع السلطات البريطانية حتى أتمكن فى مسعى ؟

« وكانت مصر فى ذلك الوقت تحت الأحكام العرفية البريطانية ، والرقابة مفروضة على الصحف والمجتمعات ، وجنود الإنجليز يتجولون فى الشوارع ، ويعشون الأندية والميادين ، والمحاكم العسكرية البريطانية قائمة للتكيد بالمصريين الوطنيين . . . جو يشيع الرهبة ، ولا يشجع على الفداء ، إلا من سمى وطنيته وشجاعته ، وملائته روح الفداء ! . . . بحث بين الشبان المتحمسين ؛ عسى أن أجد واحداً منهم يقبل هذه المهمة الخطيرة ، فلم أوفق ، بعد بحث وتقيب استطلاعا عشرين يوماً ، وإذا بتلغراف يرد إلى من سعد زغلول راجياً أن أرسل له خادماً بأسرع ما يمكن ! فقهمت غرض سعد زغلول ، وازداد ألى لعدم توفيقى ، ولأنه يستعجلنى ، وأخيراً تحدثت مع مساعدى الأستاذ محمد الأنصارى فى هذا الموضوع ، فلم يردد فى القبول فوراً ، ولم يزد على سرورى لقبوله ، إلا دهشتى من قيوله الإقدام على ردى نفسه فى المجهول المقع بالأخطار ! فقلت له : « أحب أن ألفت نظرك أولاً إلى الأخطار التى سوف تتعرض لها من قبوك ، حتى لا تقن فيما بعد أننى خدعتك ، ولم أنورك بكل التفاصيل ! » ::

وأدليت إليه بما يلى :

١ - إذا ظن الإنجليز فى مصر لو جيل طارق أنك سكرتير ، ولست خادماً ،

فإنك تتعرض لعقابهم ، ولا تتقاهم ، وللمحاكمة أمام المحاكم العسكرية البريطانية ،  
وتتعرض أنت مع سعد زغلول لهذه المحاكمة !

٢- لا أعرف متى تكون عودتك إلى مصر ، فقد تمتد إقامتك في الخارج إلى  
عام أو أكثر في المنفى !

٣- أريد منك أن تستخرج « رخصة خادِم » وتلبس جلابية ، بدل البدلة :  
ولا تأخذ معك في السفر إلا بدلتين . بدلة تلبسها وبدلة في الشنطة الصغيرة ، التي  
يجب ألا تحتوي إلا على ملابس قليلة .

٤- لا أستطيع أن أغريك بالمال فليس عندي مال غير ماهيتي . وهي عشرة  
جنيهات شهرياً ، وأجرة سفرك برّاً وبحراً في الدرجة الثالثة ، وخمسة جنيهات في يدك مدة  
السفر حتى تقابل سعد زغلول ، وهو يتولى بعد ذلك أمرك .

فقبل الأستاذ محمد الأنصارى هذه المهمة الشاقة . في ضوء هذه الحقائق المفزعة  
التي ذكرتها له . وبعد أسبوع واحد من هذا الحديث استخرج رخصة الخادِم  
بالجلابية . وكان في طريقه إلى جبل طارق ، ومعه رسالة مني ، ومن قيادة الثورة إلى  
سعد زغلول . أظن أنه أخفاها في قرص طربوشه . فلما وصل إلى جبل طارق ، ورد  
تلغراف شكر من سعد زغلول بأن الخادِم وصل ، وهو مسرور منه . وظل الأنصارى  
في خدمة سعد سكرتيراً خاصاً وخادماً أميناً حتى أفرج عن سعد ! إن هذا العمل  
الذي قام به السيد محمد الأنصارى لعجل وطني من الطراز الأول ، أمله روح فدائية.  
وهو في نظري الفدائي الأول الذي عرفته عن كثب ، وكان من الممكن جداً أن يتعرض  
للموت أو الأشغال الشاقة بحكم من أحكام المحاكم العسكرية البريطانية ، لهذا العمل  
الذي قام به عن طيب خاطر . والأنصارى في روحه الفدائية ووطنيته الخالصة

وشجاعته الناصعة - لا يقل مطلقاً عن إخوانه المجاهدين المصريين الوطنيين الذين تكلّمهم الإنجليز في المنافي أو بأحكام الإعدام أو الأشغال الشاقة .

محمد كامل سليم

### إعداد الخطة السرية !

وقد وضع سعد زغلول هذه الخطة وهو على البارجة الحربية البريطانية ، التي نقلته من جزيرة سيشيل في المحيط الهندي إلى قلعة جبل طارق . وبدأ سعد زغلول خطته بأن أرسل في استدعاء زوجته لتلتحق به في جبل طارق - وهي رحلة شاقة قطعها البارجة الحربية في ١٤ يوماً ، فتحركت من سيشيل يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٢ . ووصلت إلى جبل طارق يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٢ . وشاهد في هذه الرحلة أهوالا . والغريب أن سعد لم يدون هذه الخطة كتابة لأن القبطان رفض أن يسمح له بورقة أو قلم طوال الرحلة !! . . وكانت هناك عبارات متفق عليها بين سعد زغلول وسعيد زغلول ، أثناء تقيده . وهي أنه عندما يطلب قاموساً فإن معنى ذلك أنه يطلب تفاصيل عن أعمال الجهاز السري تكتب بالحبر السري على صفحات القاموس المطاوب ! . . وكانت كلمة « الجرائد الإنجليزية » : معناها « التقارير السرية » ! . . وعندما يطلب كتاباً في النحو والأجرومية فإنه يريد أن تكتب تقارير في داخل كتاب النحو عن النشاط السياسي في مصر وعملية نشر الدعوة . . والحديث عن « الجو » إشارة إلى « الأنباء عن اتجاهات سياسة بريطانيا نحو القضية المصرية » ، وعندما يطلب « الاهتمام بالزراعة » فإنه يطلب « معلومات عن المعتقلين السياسيين والمنفيين وحالتهم وروحهم المعنوية » ! .

أما الزقازيق وقبل ذلك بنى سويف فلم تكن في حاجة إلى استعمال هذه الكلمات ،  
لأنها كانت تكتب الرسائل بماء البصل الموجود في مكتب القاضي . . وكان سعد زغلول  
يحل هذه الرموز في جبل طارق بتمرير المكواة الساخنة على ورق القاموس أو كتاب  
النحو ! ولم يستطع سعد زغلول أن يكون شبكة سرية بينه وبين زملائه المنفيين في  
سيشيل : وإنما اتفق معهم على طريقة خاصة للرموز .

وفي كتاب « سعد زغلول » - للأستاذ عباس محمود العقاد - يقول في ص ٤٠٨ : .

لما برح سعد (سيشيل) اتفقوا على طريقة للتفاهم ، يتحللون بها قليلا من قيود  
الرقابة . وهي اتخاذ « صفر » - أى شفرة - من الأسماء التي ترد في الرسائل البرقية  
حسب المعهود في كل واحد من أصحابها ، فإذا أرسلت بتوقيع « سينوت حنا » فعنها  
آهم في حاجة إلى النقود ، لاشتغال سينوت بك بالمسائل المالية : وإذا أرسلت بتوقيع  
« مصطفى النحاس » فعنها أن الحماسة في مصر شديدة لاستحياس مزاجه . وإذا  
كانت بتوقيع مكرم عبيد فعنها أن الدعاية في إنجلترا ناشطة لأنه قام بهذه الدعاية  
قبل ذلك . وإذا كانت بتوقيع زغلول فالأخبار عادية . أو بتوقيع « سعد » فذلك  
بشير الإفراج . . إلخ . .

## قلق في القاهرة !

وعند ما بلغ صفية زغلول أن سعد زغلول يريد أن تلحق به في منفاه بجبل طارق  
ساورها القلق . تصورت أنه مريض جداً ، وأمطرته بالبرقيات تسأل عن صحته . .  
فأرسل سعد زغلول الرسالة التالية إلى سعيد زغلول في بنى سويف . ويلاحظ فيها  
التعبيرات الخاصة « بالقاموس » و « كتاب النحو » و « الزراعة » !

## جبل طارق - ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٢

عزيزي سعيد

فسرت اليوم في خطاب للبت أسباب دعوتها للحضور ، وهي الحقيقة بعينها ، فلا يأخذكم شيء من الشك في واحد منها ، وإلا خلقتكم لأنفسكم مكدرات لأساس لها . ويعلم الله أنني لو كنت مريضاً ، لما أقدمت على تلك الدعوة ، إشفافاً على الست ، من فرط شفقها في ، وما تلاقيه من صعوبة عندما تجدني مريضاً . وما يبدى من البراهين على صدق هذه الأقوال شيء يمكن إرساله بالتلغراف ، فلا تتعبوا أنفسكم ، إن صحتي جيدة بحمد الله .

طلبت فيما سبق أن يرسل لي قاموس الشرطوي ، ولكنه لم يحضر ، فأرجو إرساله مع الست ، كما أرجو إرسال كتاب في النحو . وأن تلتفت بدقة لأعمال الزراعة ، وتخابرنا عنها . وتأكلوا قبل سفر الست من سهولة إرسال نقودها إليها ، كما أشرت لذلك في خطاب سابق . إلى أعرف صعوبة وجود سيدة تسافر مع الست ، لتؤنسها في هذه الغربة ، ولكن هذا ضروري جداً ، كما أنه من الضروري أن يكون معها خادمة طيبة ، لأن الخدامين هنا في غاية الصعوبة . قبل وجنات شقيقتك وأنيالها ، أما قرينها فهو في لندن ، ويخبرني من وقت لآخر ، بالتلغراف تارة ، وبالكتابة أخرى ، ويقول إن صحته تتحسن يوماً عن يوم ، وأن أعماله سائرة في طريق النجاح . لعل جوابي وصلك من هنا ، ولعلكم جميعاً بخير والسلام .

سعد زغلول

وكانت « بنى سويف » ترسل لسعد زغلول التقارير السرية داخل كتب مكتوبة بالهجر السري . . ولكنها كانت لا تتلقى أي تعليقات من سعد زغلول ، لعدم وجود حبر

سرى عنده ، ولعدم استطاعة إرسال أى خبر سرى له ! . . ثم أرسل سعد زغلول في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٢ إلى سعيد زغلول يقول له إنه يخشى على صفية زغلول أن تقوم بهذه الرحلة وحدها وأنه يرى أن يكون سعيد معها ليوصلها إلى جبل طارق ، ثم يعود إلى القاهرة على الفور . . وسافر سعيد زغلول مع صفية زغلول من بورسعيد في يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٢٢ . وتولى القاضي عثمان يوسف العمل بدلا منه في ترجمة رسائل الشفرة المرسلة إلى سعد زغلول .

وصل سعيد زغلول في ١٧ أكتوبر إلى جبل طارق ، وبدل أن يبقى مع سعد يوماً أو أسبوعاً بقي معه إلى يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ . وفي تلك الفترة أملاه سعد زغلول خطة الشفرة مع القاهرة ، وطريقة التعامل مع القاهرة ، وأنشأ سعد شفرة سرية بينه وبين الدكتور حامد محمود في لندن ، وتولى توصيل هذه الرسائل بعض الضباط والجنود الأيرلنديين في الجيش البريطاني ، ثم أنشأ شفرة سرية بينه وبين « على الشمسى » في سويسرا . . وكانت خطة التعامل مع القاهرة هي أنه تم الاتفاق مع ضابط هندي يعمل مع الحامية البريطانية في جبل طارق ، فكان الضابط يتسلم الرسائل ، ويذهب بها إلى الميناء ، ويسلمها إلى أحد الخدم الهنود الذين يعملون على شركة بواخر (ب. و. P.O.) وهي بواخر بريطانية متنقلة بين لندن وأستراليا تقف في ميناء جبل طارق وميناء بورسعيد ، ويرى الضابط الهندي من جبل طارق على عنوان معين في الإسكندرية باسم الباخرة. ويرى الضابط الهندي في يوم آخر ، على عنوان معين في القاهرة باسم الخادم الهندي . ويسافر من القاهرة أحد أعضاء الجهاز السري إلى بورسعيد ويتنكر في شكل أحد البمبوتية ، ويصعد إلى الباخرة . ويتسلم الرسالة السرية من الخادم الهندي . ثم يسافر « البمبوتى » إلى الزقازيق ويسلم الرسالة إلى سعيد زغلول القاضي ، الذى يقلها بخطه ويسلمها إلى أحمد ماهر أو القنقراشى



(وكان كامل سليم هو الذى يتولى عملية إرسال الأخبار السياسية إلى سعد زغلول) .  
ولكن بقي لتنفيذ هذه الخطة وجود الشخص الموثوق به ، الذى يعمل سكرتيراً  
يعمل عليه سعد زغلول تعليماته السرية . متذكراً في شكل خادم ! إن هذا الشخص ضرورى  
جداً لتجاح العملية كلها ، إنه هو الذى سيقوم بالاتصالات مع الشبكة في خارج  
القلمة ، وهو الذى سيتسلم الرسائل ، وهو الذى سيحل الرموز السرية !

### سوء تفاهل !

ومن الطريف أن الخطة التى وضعها سعد زغلول في أول الأمر ، لم تفهمها القاهرة  
لغريبها ! لم تتصور القاهرة أن هذا الرجل الذى يزيد على الستين من العمر يفكر في  
مغامرات كالقصص البوليسية ! . . ويحرص سعد زغلول في مذكراته على ألا يكتب  
شيئاً عن الجهاز السرى ، وخططه بشأنه ، لأنه يعرف أن هذه المذكرات عرضة  
للتفتيش ، ويعرف أن كل خلع وحراسه في متفاه في قلعة جبل طارق ، من  
المخابرات البريطانية ! ولكنك تجد في مذكراته شيئاً عن هذا سوء التفاهل الغريب !  
القاهرة تتصور في أول الأمر أن سعد زغلول يريد خادماً ! بينما هو في الواقع يريد  
شخصاً يعمل عليه تعليماته السرية التى يرسلها إلى القاهرة وعواصم أوروبا ، وهو في ذلك  
الوقت لم يستطع أن يربط الشفرة السرية بينه وبين القاهرة ، وهو يحتاج إلى الرجل  
الذى يقعد إليه بهذا العمل السرى الخليل ! . . ويكتب سعد زغلول في مذكراته  
يوم الأحد ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٢ يقول : « أرسلت اليوم إلى كامل سليم تلقياً  
نمّه : « يعود عبد الله حياً . إذا أمكنك أن ترسل آخر يعرف العربية والإنجليزية » .  
ويخشى سعد زغلول في نفس اليوم ألا تفهم القاهرة ما يعنى ! فيكتب في مذكراته

يقول : « وكتبت اليوم خطاباً إلى طاهر الوزى وآخر إلى كامل سليم بالبحث عن  
خادم يعرف العربية والإنجليزية ، للاستعانة به على الكتابة ، وقضاء الوازم ، في  
بلد لا يتكلم أهله بغير الإنجليزية والإسبانية » .

ثم يخشى سعد زغلول أن تكشف السلطة الإنجليزية الخدعة التي فكر فيها ،  
ولا توافق على إرسال السكرتير المتكرر في صورة خادم أو سفيرجي ! إن مشكلته في  
منهائه أن يخطه في الكتابة لا يستطيع أحد أن يقرأه بسهولة . إن الصفحة الواحدة من  
مذكراته يستغرق فك رموزها بضع ساعات ، وهو يريد أن يرسل تعليمات سرية إلى  
الثورة في القاهرة ، فكيف يرسلها بهذا الخط الغريب ، وكيف يستطيع هو ، وهو  
محبون داخل القلعة أن ينشئ شبكة المواصلات السرية التي تقوم بحمل تعليماته  
إلى القاهرة ؟ !

ويكتب سعد زغلول في مذكراته يقول : « الافتقار للغير نقص ، مهما كان  
نوع هذا الافتقار ! إذا اقتضت الضرورة ، لزم أن أحسن الخط العربي والفرنساوى  
على قدر الإمكان ، وأن أشتغل بالعمل ، وإن كان هذا يتطلب جهداً ، ليس من  
السهل على الآن بلده ، لتقدم السن » .

وما خشيته سعد قد وقع ! إن القاهرة لم تفهم ماذا يقصد عند ما طلب خادماً !  
ويكتب سعد في مذكراته يوم الجمعة ٣ نوفمبر يقول : « ورد بلغراف أمس من كامل  
سليم بأنه وجد سودانياً طباحاً وسفرجياً أميناً ، ولكنه يتكلم الإنجليزية ، وماهيته  
جنويات ، والشهادات التي في يده تدل على كفاءته ، والسيد حسين القصبي  
عضو الوفد هو الذى أرشد عنه ! ! فبعثت إلى كامل سليم اليوم بأن المطلوب شخص  
ذو خط حسن في العربي والإنجليزي » . وهذه الحملة البسيطة التي كتبها سعد زغلول

هي كل ما كتبه عن الحطة الغربية التي فكر فيها ، لقد كتب قبل ذلك خطاباً بخطه  
لكامل سليم وهو الذي أشار إليه كامل سليم في مذكراته ووضعه في حذاء خادمه ،  
بعد أن خلع فرشة النمل ، ثم عاد وثبتها من جديد . . ولكن المسافة طويلة بين جيل  
طارق والقاهرة !

وفهمت القاهرة فجأة ، من إلحاح سعد زغلول في مسألة الخادم ، ما يريد . .  
وفي يوم الخميس ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢ يكتب سعد في مذكراته : « ورد من كامل  
سليم تلغراف بأن تلامذة قلعوا أنفسهم للحمقى ، وهم يسعون في إعداد اللازم للسفر ،  
فأجبتهم بأن يشكروهم على حسن استعدادهم ، وبأنني أفضل أن أخدم نفسي ، على أن  
أحرمهم من إتمام دروسهم » .

. . .

وفي يوم الجمعة ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ يكتب سعد في مذكراته : « ورد تلغراف  
من محمود غنام يلح على الحضور هنا ، فشكرته ، ونهيتته عن الحضور ، وأبرقت  
لكامل بأنه يستحيل أن أقبل أى واحد من التلاميذ ، وأن يبحث عن غيرهم » : :  
إن سعد زغلول خشى إذا تقدم محمود سليمان غنام عضو لجنة الطلبة العليا ، أو أى  
طالب من الطلبة المعروفين ، بأن يعملوا كخادم له ، أن يشعر الإنجليز الذين يضعون  
هؤلاء جميعاً تحت مراقبة دقيقة ، أن يشعر الإنجليز بما يديره سعد زغلول ، ولهذا فإنه  
رأى أن يكون الاختيار من أشخاص بعيدين عن الشبهات وعن مراقبة السلطة العسكرية  
البريطانية ، حتى يمكن خداعها . وفي يوم الخميس ١٦ نوفمبر أرسل الأستاذ كامل  
سليم من القاهرة برقية قال فيها إنه عشر على سفر جى ممتاز يحيد الطهى اسمه الأنصارى !  
وكان سعد يعرف الأنصارى ويعرف أنه من الشبان الوطنيين المتنازين ، وأنه عضو  
في الجهاز السرى للثورة ! ولم يصدق سعد زغلول أن هذا ممكن ، وكتب في مذكراته

يوم الجمعة ١٧ نوفمبر : « ورد من كامل سليم أنه جارى اللام في تسفير الأنصارى إلى هنا ، آخر هذا الشهر ، فهل يؤذن له ؟ أشك في هذا » . . ووضع سعد خطأ تحت جملة : « هل يؤذن له ؟ أشك في هذا » ، إذ لم يتصور أن الأنصارى يستطيع خداع السلطة العسكرية البريطانية ويتنكر في زي سفرجى !  
وبقى سعد ينتظر على أحر من الجمر السفرجى الجديد !

• • •

وفي يوم الأحد ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول في مذكراته : « ورد تلغراف من كامل سليم بأن الأنصارى سيبحر يوم ٤ ديسمبر ، وربما قبل ذلك » . وفي يوم الاثنين ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول يقول : « ورد تلغراف من كامل سليم بأن الأنصارى أبحر ، وتلغراف من الأنصارى أنه يرجو أن يكون قدومه خيراً ، والأول بالإنجليزية والثاني بالعربية » . وفي يوم الثلاثاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول في مذكراته : « حضر الأنصارى أمس » . وعلى أثر وصول الأنصارى تحولت القلعة التي فيها سعد زغلول إلى مركز قيادة ، يعمل بالليل والنهار . . ولكي نعرف كيف كان العمل في تلك الأيام ، ننشر نص خطاب أرسله « الخادم » الأنصارى من جبل طارق إلى سعيد زغلول في القاهرة . ويلاحظ في الخطاب التعبيرات السرية عن « الجرائد الإنجليزية » والمقصود بها التقارير السرية ، « وكتاب الأجرومية » والمقصود به النشاط السياسى في مصر . وهذا هو الخطاب :

جبل طارق في ١٢ فبراير سنة ١٩٢٣

سيدى البك الجليل حفظه الله . السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ، أبنك مزيد أشواق القلبية وأتعشم أن تكون بصحة وعافية . بلغنى معالى الرئيس سلامكم ، فذكرت لكم هذا الشعور الجميل . وإني رأيت أن أكتب لك خطابي هذا ، لأنك

مزيد شكرى وتحياتى القلبية ، وإنى عند حسن ظنكم بى . فلا أخرج من المنزل إلا بأمر معالى الباشا أو الست ، لقضاء بعض مصالح المنزل ، وإن صادف وأردت الخروج ، وهذا نادر جداً للحلاقة مثلاً ، فاستأذن معالى الرئيس فى ذلك . وماحصل هذا إلا مرة أو مرتين فى كل شهر . فإن كنت قد نسيت وصيتكم لى قبل سفركم إلى مصر ، فلا أنسى توصية والدى وأهلى ، كما أنى لا أنسى توصية أربعة عشر مليوناً لا أنسى توصية أصدقائى وأحبائى ، الذين لا تزال إلى الآن تردنى منهم خطابات توصية ، التفانى فى خدمة معالى الرئيس . وبغض النظر عن كل ذلك ، فالعطف والحنان والعناية ، التى يعاملنى بها معالى الرئيس وحرمة ، هى فوق كل ذلك ، مما يجعلنى أسير مودتها . إننى أخدم هنا اعتقادى ، لست كموظف أو أجير ، لكن كشخص حمل بأمانة ، فعليه أن يحسن تأديتها ، فإن خيراً فلنفسه ، وإن أساء فعليها . هذا هو اعتقادى الراسخ . وما أظن مولاي بعد كل ذلك إلا مرتاحاً من جهتى ، فكن مطمئناً ، وطب نفساً .

« معالى الرئيس الآن يقرأ الجريدة الإنجليزية بسرعة ، أكثر من الأول ، ويتكلم كذلك . فنصرف كل يوم من الساعة الخامسة والنصف إلى الساعة الثامنة فى المطالعة الجرائد الإنجليزية ، وفى بعض الأيام فى الصباح ، نصرف ساعة أو أقل أو أزيد ، حسب الظروف ، فى محادثة باللغة الإنجليزية ، وقليل ما يخطئ . وإننى أستفيد فى اللغة الإنجليزية منه ، أكثر مما هو يستفيد منى ، وأنا أخبرك يقيناً أن معاليه الآن صار ماهراً جداً فى الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى العربية ، لا يضارعه أحد ، وهو يحتاج إلى تجربة أكثر فى الترجمة من العربى إلى الإنجليزية . كما أرجو أن أمكن أن ترسل كتب الترجمة الصغيرة المقررة فى ابتدائى ، من سنة أولى إلى رابعة ، لأنه يوجد بها بعض اصطلاحات وقوائد ، لا بأس من أن معاليه يطلع عليها ، كما أنه قد سر جداً

من كتاب « براكتوري » ، الذى أرسله إلينا كامل سليم ، فهو يطالع فيه دائماً :  
ولقد أرسلت إلى الأستاذ كامل أطلب منه بعض كتب ، فلم يفتنى ، فأجرك أن  
تجبره بخطاب بالآيهل فيها ، وهى بأمر معالي الرئيس :  
« وجميع من عندنا بخير ، ويهدئك أركى السلام . »

المخلص  
الأنصارى

• • •

وما يوسف له أن كثيراً من التعليلات السرية التى أرسلها سعد زغلول فى تلك  
الفترة الخطيرة ، عن طريق سعيد زغلول ، قد أحرقت فى أثناء قضية ماهر والقرائى !  
وليس فى مذكرات سعد زغلول أى شىء يدل صراحة على أنه هو الذى يأمر باستعمال  
العتف . . بل إنه كان يردد فى أحاديثه العلانية استنكاره للأغتيالات ! ولكن يظهر  
من بعض صفحات المذكرات فى تلك الأيام أنه كان يبرر هذا العتف ، أو يتبرره  
نتيجة لاضطهاد الإنجليز وطنيائهم وإرهابهم ، ولتمارن عدد من المصريين مع العدو..  
فى يوم الأحد ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول من منفاه بجبل طارق فى  
مذكراته يقول : « ورد البريد أمس ، فيه جرائد لغاية يوم ١٧ نوفمبر ، ورأيت فيها  
بياناً لعلى يكن باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، يتضمن أن قتل إسماعيل  
زهلى بك وحسن عبدالرازق باشا ( عضوى مجلس إدارة حزب الأحرار ) قتل سياسى ،  
ولم يكونا مقصودين به ، بل الحزب ، ويبدى على استغراباً من تقصده ، مع كون  
برجرامه وخطه لم يكن فيها عيب لعائب . وجريدة السياسة تحتل بالقتل والقذح  
فى كتاب المعارضة ، والوشاية بهم ، واتهامهم بأنهم مسئولون عن هذا التحدى ! وقد  
تولى الناس الحرف من هذه الاتهامات ، واتكلمت منها المعارضة ، ولطقت كثيراً

من عباراتها ، واقلبت تزيين القعدين ، بعبارات طويلة عريضة ، وأخذت جريدة اللواء ( لسان حال الحزب الوطنى ) تبالغ فى استنكار الحادثة ، وتحنى باللائمة : مع الطعن بالحياة إلخ . . ولم تعجبنى خطة حافظ عوض لأنه بالغ فى امتداح القعدين مبالغة واضحة ، كما أغرق فى استنكار الحادثة إغراقاً ! ولقد أعجبنى رد محمد أبوشادى ، على ما وجه إلى نقابة المحامين من السكوت عن استنكار الحادثة ، كما أعجبنى بعض مقالات فى جريدة الأمة فى هذا الموضوع . ما كان أحسن للمعارضة أن تقول أولاً : إن التحقيق لم يظهر الجانى ، ولا سبب الجناية ، فن المجازفة اعتبارهما كذلك . ثانياً : على فرض أن تكون الجريمة سياسية ، فلا مسئولية فيها على كتاب المعارضة بوجه من الوجه . وإنما المسئولية على الفاعل لها ، لأن هؤلاء الكتاب لم يكتبوا فى استحلال قتل المحتاتين ، واستباحة دماهم ، ولم الحق ، بل عليهم الواجب ، أن يشهروا بكل من حاول الخروج من صفوف الأمة ، والانضمام إلى صفوف أعدائها ، يفعلون كل ذلك فيهم ، كما يفعلون فى كل من يحاول خرق للنظام والتعلى عليه .

« كنت أحب أن يقولوا ذلك ، ويشرحوه . لا أن ينهتوا . وينكروا ما فعلوه ! » .

## زوجات الزعيم !

وفى نفس اليوم كتب سعد زغلول فى مذكراته :  
« لقد قالت لى اليوم حرمى ، أثناء الذهاب للرياضة فى جنيته المدبنة العامة ، إنها لا تشعر فى نفسها الآن بمحمد على أحد ، ولا بغضب من أحد ، بل تود أن يكون صدرها نظيفاً من كل ما يسيء إلى الغير ، وقلبيها راضياً عن كل الناس .

فأحمدت منها هذا الشعور الراقى ، وشكرتها عليه . وقد قالت لى قبل هذا اليوم ، إنها بمقدار ما كانت تهوى الملابس الفاخرة ، والمجوهرات الغالية ، والأمتعة الثمينة ، وكل ما تترين به النساء والبيوت ، بمقدار ما زهدت الآن فى كل هذا ، وأصبحت هذه الأشياء فى نظرها قليلة القيمة ، مزهوداً فيها ، وكل قرة عينها فى أن ترى بلادها مستقلة ، متمتعة بالحرية التامة . وقالت لى أمس : « إني معك أينما ذهبت ، إذا من الله عليك ، وعلى جميع المبعدين والمسجونين بالفرج ، ولكن إذا جاء الفرج لك وحلك ، فإني أعود إلى مصر ، لكي أكون قريبة من أولئك الذين اشتركت معهم ، فى سبب نكبتهم ، بتحريضهم عليه ( تقصد البيان الذى أصدره حمد الباسل ومقرص حنا وويصا واصف وعلوى الجزائر وجورج خياط ومراد الشريعى وواصف غالى بمقاطعة البضائع البريطانية وبالتحريض على استعمال العنف ، فحكمت عليهم المحكمة العسكرية البريطانية العليا بالإعدام ، ثم استبدلت الحكم بالسجن سبع سنوات مع الشغل فى سجن مصر ، وحلقت شعورهم ووضعتهم فى الزنازين ) .

« ولقد ارتاحت حرى إلى ما روته الجزائر ، من أنهم نقلوا إلى معتقل ألماتة ، وتخصص طاه لهم من عندهم ، وتخصصت غرفة لكل واحد منهم ، وتعين لخدمتهم بعض المساجين . فرحت جداً بهذه الإحساسات واعتبرتها مما من الله بها على فى هذه الحياة ، ولقد أراها فوق ذلك تجتهد فى توفير أسباب الراحة لى ، وتعمل كل ما فى وسعها لإرضائى ، وتتفانى فى شرح صدرى ، وتفريج كربى ، وتفريج قلبى ، جزاها الله أحسن الجزاء عني ، ومتعها بالصحة النامية ، والمعيشة الراضية ، ووفقنى لإسعادها . »



## تعليمات إلى القاهرة !

وفي يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول في مذكراته عن التعليمات التي أعطاها لسعيد زغلول ، المناسبة عودته من جبل طارق إلى القاهرة : « يسافر غداً سعيد ، وقد أوصيته بأن يعطى لكل من مصطفى لطفى المنفلوطى ، وعائلة مصطفى النحاس . يبلغ عشرين جنيهًا مصريًا ، وأن يقول للمدام واصف غالى ( قرينة واصف غالى عضو الوفد المحكوم عليه بالإعدام ) ، إنى مقر كل تصرف يراه واصف غالى . وأن يعطى إبراهيم زغلول مرتبه المأخوذ . وأن يزور المسجونين السياسيين من إخواننا وأن يبلغهم سلامنا وأسفنا ، وأن يمر بعائلاتهم كذلك ، واحدة فواحدة .

« وأن يقابل توفيق نسيم باشا ( رئيس الوزراء ) ويهتبه بالنيابة عنى ، ويلفت نظره لأن يمتهد فى جعل الدستور موافقاً لمصالح الأمة ، مؤيداً لسلطتها ، لأن كل ما أعطى لها باق ، ولغيرها فان ، يستعمل ضدها . وأن يمتهد فى جعل قانون الانتخاب غير مقيد للحرية ، وفى إجراء الانتخابات من غير تدخل الإدارة ، ويحقق ذلك بإجراء تحقيقات عادلة عن الجرائم التى ارتكبت فى عهد الوزارة السابقة ( وزارة عبد الحالى ثروت ) سواء كان الذين ارتكبوها وزراء أو غيرهم ، حتى يظهر البلاد من الأرجاس التى تلوثت بها ، وحماية للبلاد من عودة هؤلاء إلى حكمها ، وأن يفعل ما فى وسعه لإطلاق سراح المسجونين السياسيين قبل المبعدين . . وإذا توفى إلى كل ذلك فإنه يخدم بلاده أجل خدمة ، ويخلد له فى التاريخ أجمل الذكرى .

« وأوصيته ( سعيد زغلول ) كذلك أن يسلم على أعضاء الوفد ويبلغهم بمتمنىيهم ، وشكرى لهم ، واعتادى عليهم . وأن يخبر كامل سليم بأننى مسرور من

سيرته، ممنون من خطته". وأن يلتفت أرباب الجرائد لأن يرسلوها إلى رأساً ، من غير واسطة دار الحماية . وأن يبلغ بعض الكتاب لأن يكتبوا دائماً في تعداد القطائع التي ارتكبتها وزارة « ثروت » ووزارة « عدل يكن » من قبلها . وأن يوضح في الدستور نص يجعل من هيئة المجلس لجنة تكون هي المختصة بالنظر في الدستور ، وتعديله بحسب ما تراه ، وحيث تقوم هذه اللجنة مقام الجمعية الوطنية ، ويكون الدستور الذي تنفق عليه ، وليد إرادة الأمة ، ولا يضيع الزمن في انتخاب جمعية أخرى ووضع دستور آخر . . . وأن تستمر الجرائد على التذكير بمحوادث المنشقين ، وتلاعيبهم بعد الأمة ، وتقضهم لكل ميثاق قبلوه .

### تهريب الشفرة !

وكان سعد زغلول شغولاً بتهريب مفاتيح الشفرة التي مكث شهرين عليها ويعملها مع سعيد زغلول . . والخطة التي وضعت لتصل تعليماته السرية من القلعة في جبل طارق إلى قيادة الثورة والجهاز السري في القاهرة . وكتب هذه الشفرة على ورق خفيف من الورق الذي يكتب عليه النسخ على الآلة الكاتبة ، وطويت عدة مرات حتى تأخذ مساحة صغيرة . ثم تولت صفية زغلول بنفسها خلع كمويب جميع الأحذية سعيد زغلول : زوج الأحذية الذي سيسافر به ، وزوجين من الأحذية في الحقيبة ، وكانت تخلع بنفسها مسامير الكمب ، ثم تحفر في داخل الكمب غنائم لإخفاء هذه الأوراق ، ثم راحت تعلق بنفسها مسامير الكمب كما كانت ، وتضعها في الثراب لكي تبدو الأحذية مستعملة !

. . وكان سعد زغلول قلقاً : هل يستطيع سعيد زغلول الخروج من القلعة إلى

السفينة بهذه الأوراق السرية ؟ هل يفتشه الحراس ؟ هل يفتشه رجال المخابرات ؟  
هل يفتشه رجال البوليس الواقفون على السفينة ؟ .. كان سعد مهتماً جداً بنجاح  
الخطوة التي وضعها ، وبوصولها إلى القاهرة ! .. وزاد قلقه عندما رأى الحراسة  
تشتد في تلك الليلة حول داره على غير المعتاد !

وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ المحدد لسفر سعيد زغلول كتب  
سعد زغلول في مذكراته : « لم أتم البارحة إلا قليلاً » . . ولكن الحقيقة أنه لم يتم  
إطلاقاً ! . . إن كل شيء أصبح الآن يتوقف على خروج ابن شقيقته القاضي  
سعيد زغلول من الميناء ، هل يستطيع أن يضل الحراس ، ورجال المخابرات ،  
والجمر ، ولا يثير شكوكهم ؟ . . لقد نجح سعد زغلول مرة في أن يضل هؤلاء  
جميعاً عندما وضع رسالة في « فرشة » خادمه ، وأرسل هذه الرسالة إلى  
كامل سليم . . فهل ينجح هذه المرة في تضليل المخابرات ؟ !

### شبكة سرية !

نجحت خطة سعد زغلول في تهريب خطته السرية ، ومفاتيح الشفرة ، مع ابن  
شقيقته سعيد زغلول ، وكتب سعد زغلول في مذكراته يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر  
سنة ١٩٢٢ : « سافر اليوم سعيد ، وصحبه الأنصارى إلى البأخرة ، ولم يفتش ! .  
وقد أوصيت سعيد بكل ما تقدم تفصيله ، إلا فيما يختص بما يقوله إلى توفيق نسيم  
رئيس الوزراء ، فقد حذفته منه مسألة إختلاء سبيل المعتقلين حتى لا يفهم أننا  
نلتزم لأنفسنا معونة منه ! »

وفي يوم الأربعاء ٢ يناير ، سعيد زغلول إلى بورسعيد ، وقامت السلطات

البريطانية بتفتيش أمتعته في الباخرة «موريا» فلم تجد شيئاً ! . . وفي يوم السبت ٥ يناير تلقى سعد زغلول بريقة مفتوحة من القاهرة هذا نصها : «وصلنا بالسلامة» ! . . وفهم سعد زغلول من هذه البرقية أن الشفرة السرية والخطة السرية وصلنا إلى قيادة الثورة بسلامة الله ! . وكل ما كتبه سعيد زغلول في مذكراته يوم ٦ يناير سنة ١٩٢٣ عن هذه البرقية أنها تكلفت ٤٦ قرشاً !

وعلى الفور بدأت الشبكة السرية تعمل في قلعة جيل طارق وفي مكتب قاضي غحكمة الزقازيق ، وفي لندن حيث يتولاها الدكتور حامد محمود ، وفي جنيف حيث يتولاها على الشسى . . وبدأ الرسل يتقلون بين الزقازيق وجيل طارق ! . . وبرقيات ترسل بالشفرة إلى لندن ، ثم يرسلها الدكتور حامد بالشفرة من لندن إلى جيل طارق ! . . ولم يكن الجهاز السرى في القاهرة ينتظر هذا التنظيم ليعمل . . لقد كان الدكتور أحمد ماهر يسلم الرسائل إلى القاضي عثمان يوسف ، فيكتبها بالحبر السرى على كتب ، ويرسلها إلى جيل طارق . . وهذه بعض الرسائل التي أرسلت من القاهرة :

### زيادة الاغتيالات !

إلى سعد زغلول

جيل طارق في أول سبتمبر سنة ١٩٢٢ :

طلب الورد ألنبي أمس من ثروت باشا رئيس الوزراء إضافة مواد جديدة لقانون العقوبات بسبب كثرة الحوادث وتوقع غيرها . أبلغ ثروت باشا أمس تعليمات الورد ألنبي إلى مصطفى فخى باشا وزير الحفانية . مطلوب إضافة المواد الآتية إلى

### قانون العقوبات :

- ١ - يعاقب بالإعدام كل من استعمل قتابل أو آلات مفرقة بنية قلب نظام الحكم أو ارتكاب قتل سياسى .
- ٢ - يعاقب بالأشغال الشاقة كل من صنع أو استورد من الخارج قتابل أو ديناميت أو مفرقات .
- ٣ - يعاقب بالإعدام كل من ألف عصاية تقاوم بالسلاح رجال السلطة وكل من تولى زعامة هذه العصاية أو تولى أى قيادة فيها .
- ٤ - من ينضم إلى تلك العصاية ولم يشترك فى تأليفها ، ولم يتقلد فيها قيادة ، يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة .

بى سويف

### الملك خائف !

جبل طارق فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٢ :

إلى سعد زغلول

- طلب توفيق نسيم باشا رئيس الديون الملكى من ثروت باشا رئيس الوزراء بأمر الملك إضافة مواد فى قانون العقوبات لحماية الملك وهى تقضى :
- ١ - يعاقب بالإعدام كل من اعتدى على حياة الملك وحرته .
  - ٢ - يعاقب بالإعدام كل من اعتدى على الملك اعتداء لا يهدد حياته .
  - ٣ - يعاقب بالإعدام كل من ألف عصاية متباعدة لقلب نظام توارث العرش أو تغيير أى شىء فى نظام العرش .

- ٤ - يعاقب بالسجن كل من تطاول على الملك أو سلطته .  
٥ - يعاقب بالسجن لمدة لا تزيد على خمس سنين كل من عاب في الملك .  
وقد بدأ مصطفى فتحى باشا وزير الحفانية يعد هذه القوانين .  
بنى سويف

...

جبل طارق في ٢ أكتوبر سنة ١٩٢٢ :

إلى سعد زغلول :

وقع الملك القوانين المشار إليها في رسالة أول سبتمبر و ٥ سبتمبر .

بنى سويف

...

المعتقلون !

جبل طارق في ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٢ :

إلى سعد زغلول .

أرسل ثروت باشا رئيس الوزراء ووزير الداخلية اليوم خطاباً سريعاً إلى مصطفى فتحى باشا وزير الحفانية رقم ٥٧ يقول فيه : « إن سجون الحكومة أصبحت مزدحمة بدرجة أن المسجونين بها فعلاً يزيدون على المقرر الصحى لها بمقدار ٥٨٥٥ مسجوناً . وعدد المسجونين تحت التحقيق الذين قضوا بالسجون مدة تتراوح بين شهر واثنى عشر شهراً أكثر قد بلغ عددهم ٢٤٨٥ .

بنى سويف

## الجهاز السرى ينتقل إلى الزقازيق !

وابتداء من شهر يناير سنة ١٩٢٣ انتقل مقر الجراز السرى إلى مكتب قاضى محكمة الزقازيق .

فقد صدر قرار بنقل سعيد زغلول إلى الزقازيق . وانهاالت التلاميذ على الزقازيق من سعد زغلول . وبدأ كل شىء يتحرك ويندفع . ويظهر أنه نسي أنه تجاوز الستين ، وأنهك نفسه فى العمل ، فسقط مريضاً . . .

## الموت يقترب !

وبدأ سعد يشعر بدنو الأجل ، وبدأ يفلسف مزايا النفى والاعتقال . فى يوم الخميس ٢٥ يناير سنة ١٩٢٣ كتب سعد زغلول فى مذكراته وهو فى معتقله فى قلعة جيل طارق :

« أشعر الآن بضعف شديد وبدنو الأجل ، يضطرب القلم فى يدى عندما أمسك به ، وترتعب أعصابى ، عندما يقع مالا أحبه ، مهما كان صغيراً ، ويخيف ، قلبى كل طارئ مهما كان ضعيفاً ، ولا أتحمل معارضة فى رأى ، ولا مخالفة فى فكر ، ويشغلنى جواب على خطاب أو تلغراف مدة طويلة من الزمان ، وربما منعى الفكر فيه من النوم ! . . ويلوح لى من هذه الحالة أنى لا أستطيع بعد أن أباشر عملاً مهماً ، ولا أتحمل مرارة الاختلاط بالناس ، والتعرض لمجاوبتهم عما يسألون ، وسؤالهم عما يعملون ، وإرشادهم لما فيه خيرهم ، وإلى ما يوجهون من انتقاد ، ويدرسون من خطط ، وما يؤخذون عليه من قول سمعوه ، أو عمل أدوه . خصوصاً وقد فتحت منافذ كثيرة فى جسم الأمة ، وتشعبت الآراء فيها ، وعجز كل طائفة عن تنفيذ ما تريد يلجئها

إلى أن تلتى تبعته على غيرها ، وتحصر جهدها في محاربته . ولو أن الله يريد بنا خيراً  
ما وفق الإنجليز وأشياهم إلى تفينا عن ميادين العمل لأن ذلك أبعدنا عن مساقط  
التهم ، ومواقع النقد ، وحفظنا من طعنات المنافسين ، وغمزات المحاصرين ، وعصمة  
عن قوة العمل بما لا تحب ، وظهور العجز عن عمل ما نحب !  
سبحانك اللهم ، ما أرسخ حكمتك ، وأحكم تدبيرك ، وما أجل قدرتك .

• • •

ولكن أخبار القاهرة لا تلبث أن تنتزع من فراشه . . إن الأحداث تجري  
بسرعة مذهلة . ويتلقى سعد زغلول هذه الرسائل :

٢١ يناير سنة ١٩٢٣ : قدم توفيق نسيم رئيس الوزراء مذكرة للورد ألكيني  
يقول فيها إن قتل مستر روبنسون من كبار الموظفين الإنجليز وغيره ، هو نتيجة  
سياسة الشدة والإرهاب ، وإغفال أغلبية الشعب ، ويجب أن تغير بريطانيا سياستها  
بدل الاعتماد على أقلية لا قيمة لها ، وأن تحترم إرادة الأمة وتلتفي الأحكام العرفية  
وتبجح الانتخاب لكل مصري .

الزقازيق

• • •

٢٦ يناير سنة ١٩٢٣ : وقعت أزمة بين وزارة توفيق نسيم ، والورد ألكيني . طلبت  
الحكومة البريطانية محذوف لقب ملك مصر والسودان من الدستور ، ويجعله « ملك  
مصر فقط » . للورد ألكيني هدد بخلع الملك إذا لم يمحذوف النص المذكور . معلوماتنا أن  
الملك سيخطع . نسيم باشا قال لنا إنه سيستقيل إذا خضع الملك . الأزمة مستحكمة .  
راجع رسالة ٢١ يناير .

الزقازيق



٤ فبراير سنة ١٩٢٣ : أبلغنا توفيق نسيم أنه سيستقيل رسمياً اليوم . ألح الملك عليه في البقاء فرفض ! اقترح نسيم عقد اجتماع للزعماء في القصر . قال اللورد أللبي إنه إذا عقد مثل هذا الاجتماع فسيدخل الإنجليز ويقبضون على الزعماء لأنهم خالفوا قانون الاجتماعات ! .

الزقازيق

### المحكوم عليهم بالإعدام !

٢٦ يناير سنة ١٩٢٣ : المعتقلون في أمانة يبلغونكم تحياتهم . إنهم يتحملون حكم السجن بشجاعة كما تحملوا حكم الإعدام بشجاعة . استطعنا دخول السجن واجتمعنا بحمد الباسل وويصا واصف ومقص حنا وواصف غالي وعلوي الجزار وجورج خياط ومراد الشريعي في السجن . الاتصال بهم مستمر يومياً . الرسائل متبادلة برغم الحراسة الشديدة .

الزقازيق

وقد رتب الجهاز السري اتصالاً يومياً مع المحكوم عليهم بالإعدام . وكانت للسيدة فاطمة حمد الباسل ابنة حمد الباسل باشا تحمل الرسائل السرية إلى السجن داخل الأطعمة ! .

• • •

جبل طارق في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ :  
من سعد زغلول إلى سعيد زغلول بالزقازيق .

عزيزى سعيد :

أمس أخذت كتابك الثانى المؤرخ ٢٦ يناير . ولكنى لم أستلم خطابك الأول  
المشار فيه إليه . لا أدري إذا كان تاه فى الطريق . أو منعه الرقيب . إلى أشكرك  
على التفاهيل التى أوردتها . أرجو أن تستمر فى إيراد أمثاله . وفى الطريقة التى  
تراسلنى بها . تنشر الجرائد الإنجليزية عن الوزارة أخباراً إما مقتضبة أو متناقضة ،  
ولا يمكن أن ليس له وسائل العلم سواها . أن يستنتج منها نتيجة صحيحة . وعلى كل  
حال فإنى أرجو أن يوفق الجميع لما فيه خير البلاد .

لقد سرتنى أنك وجدت إخوانى فى الباطلة على صبر جميل ، وفى ثبات متين .  
أرجو أن يفرج عنهم فى القريب العاجل . صحتى على ما تركتها من الضعف ،  
خصوصاً ابليهاز المضمي . أما الجو فتقلب . بين البرد الشديد والخفيف ، وكثيراً  
ما تهب العواصف هبوباً لا نستطيع معه الخروج . ولكنهم يقولون إن هذه حالة  
لا تدوم ، واما قليل تزول ، ونستقبل الربيع ، بحمال مناظره . ولعلف سماته .

إن القضية ( التى رفعها سعد على الحكومة البريطانية لإلغاء قرار الاعتقال )  
كانت تأخرت لأسبوعين ، ولكنها ما زالت متأخرة بعد مضيها . ولا بدري فى أى  
يوم يعاد النظر فيها . بهما كان ، فلا معلول لنا إلا على الله القدير العادل . بلغ  
سلامى لشقيقتك ، وقرينها ، وأنجالها . وتبزنك وفهيمه هام ( ثابت ) تسلمان عليكم  
جميعاً أركى السلام .

سعد زغلول

...

## جبل طارق في ٧ فبراير سنة ١٩٢٣ :

إلى سعد زغلول

أطلق الرصاص على المسر أمبلر أحد كبار موظفي السكة الحديد . أصدر اللورد  
الأنبي أمراً بتعيين الكولونيل كوك كوكس حاكماً عسكرياً لمدينة القاهرة والجيزة بسبب  
كثرة الاغتيالات . . . وأصدر الحاكم العسكري أمراً بمنع أى اجتماع في القاهرة .  
كما أصدر الحاكم العسكري أمراً باعتبار عدد من الأحياء مناطق عسكرية لا يجوز  
لأحد الدخول فيها والخروج منها . كل من يقترب منها يطلق عليه الرصاص . المنطقة  
العسكرية تحدد من الشمال بشارع ترعة جزيرة بدران ومن الجنوب بخط السكة  
الحديد ، ومن الشرق بشارع ابن الرشيد ومن الغرب بشارع أبو القرج ، فرضت غرامة  
٦٠٠ جنيه على هذه المنطقة لأن الحادث الأخير وقع فيها !  
اللورد الأنبي تأثر جداً !

الزقازيق

.. .

١٢ فبراير سنة ١٩٢٣ : حدث عمل جريء . ألقى قنبلة على المسكر البريطاني  
في جزيرة بدران . إنها في المنطقة العسكرية الممنوع الاقتراب منها . انفجرت القنبلة  
في مكتب قائد المسكر قطعت ساقيه . منع الإنجليز نشر إصابته . أصيب عدد  
من الجنود الإنجليز .

الزقازيق

## احتلال بيت الأمة

وتلقى سعد زغلول أن السلطة الإنجليزية احتلت بيته ، وطردت كل من فيه ! .  
٢٠ فبراير سنة ١٩٢٣ : هاجمت السلطات البريطانية بيت الأمة ، قام الضباط

ت كله من البدر ورم إلى السطوح . استولوا على كل الورق الموجود  
ملك ، والمكتب في الدور الأول . قامت سيدات إنجليزيات  
ملول وجميع الحادامات . طرد الإنجليز السيدة رتيبة زغلول ولديها .  
ك زغلول موجوداً . أقتلت السلطة الإنجليزية البيت ، وأخرجت كل  
بوليس الحربي البريطاني احتلاله ! .

## الزقازيق

### برقية مفتوحة

فبراير سنة ١٩٢٣ :

يد زغلول بك - الزقازيق .

ن أين رتيبة ؟ تفاصيل حادث المنزل .

### زغاول وصفية

• • •

١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ : رتيبة انتقلت إلى بيت فتح الله باشا بركات . أصر اللورد  
ألنبي أن يتم إخلاء البيت في منتصف الليل وأن يخرج كل من فيه إلى الشارع .  
رفضت رتيبة أن تخرج إلا بالقوة ! قالت أن ليس لديها مسكن تقيم فيه . بعد اتصالات  
قبل اللورد ألنبي أن تبقى إلى الظهر . اللورد ألنبي ناثر دلي منشور الوفد ويقول إنه هو  
الذي يشجع على قتل الإنجليز . أحدث قتل بيت الأمة ضجة كبيرة . أضربت  
أغلب المدارس العليا والثانوية في جميع القطر !

### الزقازيق

جبل طارق في ٤ مارس سنة ١٩٢٣ :

من سعد زغلول إلى سعيد زغلول بالقازيق :

« أسفت لقفل بيت الأمة ، وإن لم أستغرب منه . ولكن الروح التي يريدون إطفاءها ، بقله ، إنما تأوى إلى القلوب ، لا الدور . وتسكن الصدور ، لا القصور . وأرجو ألا يكون قد أزعجكم هذا القفل ، وأن تكون شقيقتكم خرجت من المنزل بهدوء وسكون . فسلم عليها ، وعلى أنجالها ، وزوجها . وقد عاقبة الأمور .

سعد زغلول

\*\*\*

وفي يوم السبت ١٧ مارس سنة ١٩٢٣ كتب سعد زغلول في مذكراته يقول :

« انقطعت عن الكتابة من يوم ٢٦ يناير كسلا ليس إلا ، ساعد عليه وقواه ضعف صحي ، وسيروها من سيئ إلى أسوأ ، أما الآن فقد عدت إلى استئنافها لا فيها من الفوائد ، التي حملتني على التزامها .

« وما حدث في هذه الأثناء هو أن وزارة نسيم استعفت ، لأنها أزدت إصدار الدستور ، فغضب اللورد ألنبي المندوب السامي البريطاني أن تحذف منه النصوص الخاصة بالسودان ، فأبى ، وحصلت مناقشة تبديلت المذكرات فيها ، ورأى اللورد ألنبي أن يتنهز الفرصة ويسقط الوزارة ، فذهب إلى الملك ، وأبلغه رأى الحكومة الإنجليزية في حذف هذه النصوص ! وأرفق لورد ألنبي بلاغ حكومته ، يكتب سافر إلى الملك ، طلب فيه جواباً من الحكومة في ظرف أربع وعشرين ساعة ، وإلا كانت الحكومة الإنجليزية حرة في أن تعمل في مصر وفي السودان ما تشاء ! . . فطلب توفيق نسيم عقد مجلس المشاورة في دار الملك ، فأبى عليه اللورد ألنبي ذلك ، وأأنذره برفض هذا الكتاب المنوع

المجلس بقوة الأحكام العرفية . وأبى اللورد ألتني <sup>الله</sup> يمد في الميعاد إلا بضع ساعات ، فرأت الوزارة ألا تحذف هذه النصوص ، بل تعدل النص الخاص بملك مصر والسودان بأن يكون ذلك بعد المفاوضات ، وبأن عدم الكلام عن السودان لا يخل بما لمصر من الحقوق فيه !

« واشترطت وزارة توفيق نسيم أن تقبل دار الحماية هذا التعديل في ظرف أربع وعشرين ساعة ، فلم تجب دار الحماية ، فاستعفت الوزارة بكتبة ~~الملك~~ في حصول التهديد ، وأنه حصل فجأة . بعد أن كانت المحادثات دائمة بينها وبين دار الحماية بصفة دورية . وقد أرسل إلى الوفد برقيات تنفيذ ذلك ، وأن توفيق نسيم كتب مذكرات لدار المندوب السامي قبل استعفائه ، وعقب حادثة اغتيال رويسون ، يخطئ فيها سياسة الشدة والإرهاب والاتفاق مع الأقلية ، دون الأكثرية ، ويشير بلزوم الاتفاق مع زعماء البلاد ، واحترام إرادة الأمة ، وإلغاء الأحكام العرفية وإباحة الانتخاب لكل مصري ، فاستغنى ذلك إلى أن هنأت توفيق نسيم بتلغراف من هنا . . . غير أن الجرائد الثروتية والعدلية (صحف الأحرار الدستوريين) شوهت الحقائق من قبل ، وأوهمت الناس أن السودان قد ضاع بفعل توفيق نسيم ، فاستاء الكثير منه . ولم يستحسن البعض تلك التهينة ، ومن تأدب في انتقادها نسبها إلى خداع من الوفد لرئيسه ! »

« وقد قبل الملك الاستعفاء ، بعد أن ألح على توفيق نسيم في البقاء ، وأبى ، فاستدعى الملك رؤساء الوزارات السابقين ، واستشارهم في الأمر . واحداً بعد واحد فلم يقبل منهم أحد فيما يظهر . إلا عدل يكن باشا . ولكنه أراد أن الوفد يؤيده ، فلم يقبل الوفد ، فأخفق مسعاه . وقد اتفقت كلمة الأغلبية أخيراً على ألا تؤيد الأمة أية وزارة قبل إعادة المنفيين والإفراج عن المساجين وإلغاء الأحكام العرفية قهراً ! . . . وكان عدل يكن قد وعد بالسعي في ذلك ، وفي نحو تعديل توفيق نسيم . وبقيت البلاد بدون وزارة

من تاريخ استقالة نسيم في أوائل فبراير ، إلى أن وردت التلغرافات اليوم بأن يمي إبراهيم شكل وزارة . . وفي أثناء هذه المدة أطلق عيار ناري على موظف إنجليزي في إحدى حارات جهة السبئية ، ولم يصبه ، ولم يقبض على الفاعل ، فرأت السلطة العسكرية أن تضرب نطاقاً عسكرياً على هذه الجهة ، وأن تغرم أهلها سبائة جنيه ، وأن تعين حاكماً عسكرياً على مصر والبحيزة !

« وبعد ذلك يوم أو ثلاثة أقيت قنبلة في وسط هذا النطاق فقتلت واحداً وجرحت بعض العساكر ، ولم يضبط الجاني . . وكان الوفد نشر منشوراً يظن فيه على سياسة الإنجليز بتأييد عدلى يكن في تشكيل الوزارة ، أو فرض تعيينه . وعدت السلطة هذا المنشور مهيجاً أيضاً ، فقللوا بيت الأمة ، بعد أن حتموا خروج من فيه ليلاً ، ولم يقبلوا أن يبقوا فيه لغاية ظهر اليوم التالى إلا يشق الأنفس ، وبعد أن فتشوا جميع من فيه ، وأخذوا كل الأوراق ، فأحدث ذلك رجة كبيرة ، وسبب احتجاجات شديدة من أغلب الأفراد والهيئات ، وأضررت كثير من المدارس . . فاستدعى الحاكم العسكرى أعضاء الوفد ، ونبه عليهم بأنه إذا حدثت حوادث اعتداء يكونون هم المسئولين فاحتجوا على ذلك ، وتخلوا عن المسئولية .

« ثم في ٢٧ فبراير أقيت قنبلة في شارع نوبار ، بالقرب من جامع أولاد عنان في نحو الساعة الثامنة والنصف ، وأصابت بعض العساكر الإنجليز ، ولم يضبط الجاني ولم يكشف . وعليه ، غرمت السلطة البريطانية الساكنين من الأهالى بتلك الجهة بقرامة أيضاً ! . . وفي يوم ٤ مارس الجارى أقيت قنبلة عند مكتب المخابرات الإنجليزية ولم تنفجر ، وأخرى في مطعم يأوى إليه الإنجليز فأصاب بعضهم . فاشتد السخط من نتائج هذه الاعتداءات ، وقبضت السلطة البريطانية على أعضاء الوفد جميعاً ، وقد كانت من قبل ضبظت كلا من محمود بسيونى ، وعبد الستار الباسل ،

وحسن يس ، ومحجوب ثابت وغيرهم ، وأرسل هؤلاء الأخيرين إلى المحاريق . وقال روتر إن الأولين سيقدمون إلى محكمة عسكرية بتهمة التحريض على الإخلال بالنظام ! . . وقالت جريدة التيمس إنه لم يقبض عليهم فوراً عقب قبلة شارغ فوبار لأنه كان ينتظر أن يتفقوا مع عدل يكن .

### هل ضبطت الرسالة ؟

وكانت الزقازيق تضع أرقاماً للكيب السرية التي ترسلها إلى سعد زغلول ، وكل شهر توضع له أرقام متتالية . . ويبدو أن بعض هذه الكيب السرية كان يضع أو يضبط ! ففي الكتاب الذي أرسله سعد زغلول إلى سعيد زغلول في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ قال : « أمس أخذت كتابك الثاني المؤرخ ٢٦ يناير ، ولكنني لم أستلم خطابك الأول المشار فيه إليه . لا أدري ، إذا كان تاه في الطريق ، أو منعه الرقيب » . وفي الكتاب الذي أرسله سعد زغلول في ٤ مارس سنة ١٩٢٣ يقول تعليقاً على حذف لقب ملك مصر والسودان من الدستور :

« عزيزي سعيد . . ورد كتابك الثالث دون الأول ، وأشكرك على ما ورد فيه من البيانات ، وإنني متأسف لأن يفهم الناس أن السودان ضاع ، لأنهم بهذا الفهم يسهلون الوزارة على طلابها . ممن لا يهمهم السودان ولا مصر . وإنما يهمهم أن تشبع بطونهم ، تخربت البلاد أو عمرت ، اتصل السودان بمصر أو انفصل عنها ! . ثم يضعفون ما بأيديهم من الحجج الدامغة على اتصال القطرين ، وكونهما يؤلفان مملكة واحدة من قديم الزمان ، يرويهما نهر واحد ، وتجمع سكانهما جوامع مختلفة . ويزيد أسى على أن هؤلاء أثروا على عقول البسطاء بأضاليلهم . حتى كادوا ينسون مظالم الوزارة



الروتية ، وفكها بالحرية ، والحياة ، والشرف . . وربما استمالوا بعضهم لرضاء بأن  
تتولى الوزارة شعبة منهم ، ليعيشوا في ظلها ، ويصلوا إلى غايتهم بواسطتها . ولكن  
نرجو أن يخلص الله البلاد من هذه المحنة ، وأن يقيها شر الخادعين .

سعد زغلول

### الإفراج عن سعد !

ثم أفرج الإنجليز عن سعد زغلول وسافر إلى فرنسا للاستشفاء . وعاد محمد  
الأنصارى إلى القاهرة بعد أن قام طوال هذه المدة بكتابة تعليمات سعد زغلول السرية .  
واستدعى سعد الأستاذ كامل سليم من القاهرة ، وسافر إلى فرنسا وبقى مع سعد ،  
وكان سعد هو الذى على عليه تعليماته . . وقد حصلنا على نص تعليمات سعد زغلول  
عن رأيه في الدستور الذى ينشر للمرة الأولى :

« إكس ليبان - فرنسا ، في ٥ مايو سنة ١٩٢٣ :

« عزيزى سعيد :

« ورد خطابك المؤرخ ٢٤ أبريل ، وكذلك الخطابات والتلغرافات التى أرسلتها  
من قبله ، ولم أرد عليها لانحراف صحفى . ولكنى تعافيت بحمد الله ، وأخذت تعود  
إلى القوة . وقد حضر كامل سليم وارتحت لحضوره كما أشرت . إن الإنجليز تظاهروا  
بجباية حقوق الشعب ضد الملك ، فيما كتبوه في جرائدهم ، تضليلاً للأفهام . لأن  
الدستور الذى تظاهروا بجبايته نجاء مشتملاً على كثير من العيوب ، وأخصها أنه  
فتح لهم باباً للدخول منه إلى البرلمان ، واستعماله آلة لتنفيذ أغراضهم ، ولم يكن صدوره  
فجأة ، إلا تدبيراً يراد به التأثير على أفكار الأمة ، وإلهاؤها عن عيوبه ، وحملها على  
الاحتفال به ، ليكون الاحتفال دليلاً على الرضا به ، مع ما فيه من تلك العيوب ! .

«إنه قرر مبدأ سلطة الأمة، ولكنك لا تجد تطبيقاً لهذا المبدأ في نصوبه: ولا تجد عملاً لإمكان تطبيقه في غيرها، إذ أوجب استعمال هذه السلطة بالطريقة المبينة فيه: أى بواسطة البرلمان. ولم يجعل البرلمان ممثلاً لإرادة الأمة وحدها، لأنه جعل للملك الحق في تعيين كثير من أعضائه، ولم يحرم الجمع بين العضوية فيه والتوظيف في الحكومة: وفتح بذلك باباً لأن يكون النائب عن الأمة من عمال الحكومة! ومع ذلك فلم يجعل لهذه الهيئة وحدها الحق في التشريع، الذى هو أكبر مظهر للسلطة، بل جعل للملك شريكاً فيه: وأحاط مسئولية الوزارة بقيود، أضعفت من شأنها، وجعلت الوزارة فى مأمن من عاقبتها في أغلب الأحوال. وأوجب لبعض نصوصه الخلود والتأييد. فحرم تعديلها. وجاز تعديل الباقي، تحت شروط يتعذر في أغلب الأحوال توافرها: واشترط مع ذلك لصحة تعديلها موافقة الملك أولاً على اقتراحها، وثانياً على تقريرها. وفي النصوص الخالدة ما يتعلق بحرية الصحافة، والاجتماعات، وهى النصوص التى جعلت هذه الحرية تحت مراقبة الإدارة، وهذا يستلزم بقاء هذه الحرية تحت الأحكام الاستثنائية، إلى ما شاء الله. . إذا أضفت إلى ذلك كله أن تنفيذ هذا الدستور معلق على أمر لا دخل للأمة فيه، وأن النظام الحالى يبقى معمولاً به. بعد إلغاء قانون الجمعية التشريعية، إلى وقت تنفيذ هذا الدستور، بان لك أن البلاد لم تكسب شيئاً بهذا الدستور، بل بالعكس، خسرت الأمل في أن يكون لها نظام. يضمن أن تكون سلطتها هى النافذة فيه، وتنهياً. بواسطة النفوذ الإنجليزي، الذى رأيت آثاره، في إبعاد الموظفين المحصنين من السرائى: لا عن وظائفهم فقط بل عن وطنهم كذلك— أن يعمل في إدارة البلاد، ويؤثر فيها تأثيراً كبيراً، بدون أن يظهر، أو يتعرض لأقل مسئولية. فهو الذى سيرجع الأمر إليه، في تعيين من للملك حق تعيينه في مجلس الشيوخ وتعيين غيرهم من أعضاء البرلمان

عوماً في الوظائف المختلفة ، إن لم يكونوا معينين فيها قبل انتخابهم ، وهو الذي سيرجع إليه الأمر في مراقبة الصحافة ، بإنذارها ، وإلغائها ، وتقييد حرية الاجتماعات وعدم التصديق على القوانين ، وعدم الموافقة على تنقيح الدستور .

« ومن هنا يتبين لك السر في ترحاب العدلين بهذا الدستور ، وتهليلهم ، وتكبيرهم لصدوره ، بعد أن كانوا قد أعلنوا في طول البلاد وعرضها ، عدم رضائهم بأقل من مشروع لجنة الثلاثين ، لأن ذلك النفوذ يضمن لهم مراكز في الهيئة النيابية ، لم يكونوا يحملون بها ، ومن يعيش ير ! . . أنظر إلى الأحوال الجارية عندكم بعين القلب ، وأدعوا الله أثناء الليل وأطراف النهار أن يخرجكم منها ، ويرزقكم الطمأنينة والأمن . على أنفسكم ، وأموالكم وحریاتكم ، وشرفكم . والإشاعات التي تتردد عندكم عن قرب الإفراج عن المسجونين ، وعودة المقيمين تمصل بي ، وتبعث في شيئا من الأمل ، ولكن علم تحققها يكفر نفسي ويشير عوامل القلب والاضطراب ، فانه أسأل أن يقرب العرج ، ويمتعا بعدله الشامل .

« أرجو أن تسلم على شقيقتك ونجليها ، وزوجها . وتبزيك ( صفية زغلول ) تشاركني في هذه التحية ، والسلام . .

سعد زغلول .

### ملاحظات سعد على الدستور

« لكس ليان - فرنسا ، في ٧ مايو سنة ١٩٢٣ :

« عزيزي سعيد :

« أبليت لك في خطابي السابق بعض ملاحظات عن الدستور ، عقب ما تلوته

عنه في بعض الجرائد ، ولكن بعد أن اطلعت على نصوصه : في الجرائد العربية والفرنسية . الواردة من مصر ، رأيت تعديل بعض هذه الملاحظات ، على الوجه الذي ترونه في الورقة المرفقة مع هذا . ويجمل بي أن أشير إلى أن الملاحظات التي أبدتها حضرة الأستاذ أمين بك الرافعي عليه ، جديرة بالاعتبار ، وبإعجاب كل محب للبلاد . ومن عجب أن العدلين : بعد أن يسيروا إلى عيوب الدستور ، يقولون إن التقاليد البرلمانية تصلح منها ، مع أن هذه العيوب لم توجد خطأ . بل عمداً ، والذين أوجدوها يريدون الانتعاش بها ، ويحرصون كل الحرص على عدم إصلاحها ، وفي يدهم كل القوة لعدم الإتيان بهذا الإصلاح . وأن وزر هذه العيوب ثقل جديداً ، على الذين كان في قدرتهم التوقي منها ، سواء كانوا من أعضاء لجنة الثلاثين ( التي وضعت الدستور ) أو الوزارة الحالية ( وزارة يحيى إبراهيم ) . ويظهر لي من أعمال هذه الوزارة أنها إبراهيمية في الظاهر ، وعدلية في الحقيقة ، ولهذا يخشى كثيراً على الانتخابات ، من تدخل رجلها فيها ، بما يجعل نتيجتها مضرة كل الضرر بالأمة ، إن لم تنتج عيونها ، وتبقى بساتنها ، وحسن انتباهها ، وهذا الخطر كبير والله عاقبة الأمور .

« كنا سروراً عظيماً بقرب الإفراج عن مسجونى المأظلة مقابل دفع مبالغ خمسة آلاف جنيه . ولكننا تكدرنا عندما علمنا بأن السلطة رفضت قبول هذا المبلغ من غيرهم ، ورجو ألا يكون الرجاء قد انقطع من إخلاء سبيلهم ، وأن نسمع في القريب العاجل بالإفراج عنهم ، وعن غيرهم ، وبعودة المتغيين في سيشيل . كانت انحرفت صحتي ، واستمر انحرافها مدة ، ولكنها عادت فتحسنت بحمد الله ، تحسناً عظيماً عن ذي قبل . وربما بقيت هنا إلى ٢٠ الحالى ( مايو ) ثم توجهت إلى ( أوروبا ) للاستشفاء بماها حسب إشارة الطبيب .

« والله المستول في تمام الشفاء .

سعد زغلول

وهذا هو نص المذكرة التي وضعها سعد زغلول عن رأيه في الدستور وأرسلها إلى سعيد زغلول :

« إن الدستور قد اهتم بخدع الأمة أكثر مما اهتم بتحقيق رغباتها ، لأنه :

« أولاً : أوهمها أنه منحها نظاماً نيابياً ، وأنها أصبحت أمة دستورية ، مع أنها رازخة تحت الحكم العرفي ، وحياتها وحريتها ، وشرفها ، وأموالها لا تزال تحت رحمة القائد العام الإنجليزي ، وأبناؤها يساقون إلى السجون ، زرافات ووحدا ، والمتازل تفتش كل يوم ، والحرية تصادر ، بلا سبب يعلن ، أو شبهة تنشر . ذلك لأنه لم يتضمن إلغاء الأحكام العرفية ، بل بالعكس تضمن استمرار إدارة البلاد بالطريقة الحالية ، إلى وقت العمل به ، ولم يوجب هذا العمل من تاريخ صدوره ، بل من تاريخ انعقاد البرلمان ، الذي لم يحدد لانعقاده وقت .

« وثانياً : لأنه قرر أن الأمة مصدر السلطات كلها ، ومع ذلك لم يشمل على تطبيق لهذا المبدأ ولا ترك لتطبيقه ، بل جعل السلطة في الحقيقة للملك ، لأنه قضى بأن يكون لمجلس الشيوخ سلطة معادلة تقريباً لسلطة مجلس النواب ، وجعل للملك حقاً في تعيين عدد كبير من أعضائه ، كما جعل له الحق في التشريع بالتصديق على القوانين أو ردّها ، وبالموافقة على اقتراح تعديل الدستور ، وتقريره ، أو رده ، وفي حلّ أو التواب بلا سبب .

وإذا كان من الخطر ، في بلاد ليس للأجنبي نفوذ فيها ، جمع هذه الحقوق في يد الملك ، الذي يمكنه أن يجذب الأمة إليه ، بجميع الوسائل ، وأن يعتمد على تعاضدها له ، فإن الخطر سيكون أشد وأعظم في مصر ، التي للأجنبي نفوذ شامل فيها ، وهو يزعم أن العرش ، تحت حمايته ، ويبدل جهداً في التفريق بين الملك

ورعيته ، بل يعتبر أن التقريب بينهما جريمة تستحق الإبعاد عن البلاد ، لأن هذه الحقوقي لا يتمتع بها في الواقع إلا ذلك الأجنبي ، وهو إنما يستعملها لمصلحته ، وضد مصلحة البلاد !

ثالثاً : لأنه بعد أن قرر أن حرية الصحافة والاجتماعات مكفولة ، جعل للإدارة الحق في تقييد هذه الحرية ، رعاية للنظام العام ، وما أكثر الظلم الذي ارتكب باسم هذا النظام !

رابعاً : لأنه بعد أن قرر مبدأ مسئولية الوزارة أمام مجلس النواب : أحاطه بقيود يتعذر معها ، في أغلب الأحوال ، تحريك هذه المسئولية ، خصوصاً وحق حل هذا المجلس كالسيف المسلول ، فوق رؤوس أعضائه ، يهددهم بالقطع ، إذا هم تعرضوا لها ، وإصدار الدستور بهذه الكيفية يجعل من المحال إصلاحه ، بطريقة تضمن حرية أفراد الأمة ، وحكم نفسها بنفسها ! » .

انتهت تعليقات سعد زغلول السرية إلى سعيد زغلول قاضي محكمة الزقازيق .

• • •

ولكن لم تكن مهمة هذه الشبكة السرية مقصورة على إيصال تعليقات سعد زغلول السرية إلى قيادة الثورة في القاهرة ، وسامد محمود في لندن ، وعلى الشنسي في جنيف . بل إن الشبكة السرية وضعت خطة لتهريب سعد زغلول من قلعة جبل طارق ، متحدية الأسطول البريطاني . الأبيض في جبل طارق . والجيش البريطاني الذي يحيط من كل مكان بمقر اعتقال سعد زغلول ، والمخابرات البريطانية التي تضعه تحت حراسة دقيقة ومراقبة مستمرة !

إن الرجل الذي كان يمل عليه سعد زغلول تعليقاته السرية في جبل طارق هو الذي سيزيح الستار عن هذا السر العجيب ! .

## لغز الخادم الذى عينه سعد فى البرلمان !

هوجم سعد زغلول وهو رئيس وزراء ، لأنه عين خادمه فى وظيفة فى البرلمان بعشرين جنيهًا فى الشهر ! .. هاجمته صحف المعارضة .. وهاجمه أنصاره ! .. ونهب بعض أعضاء الجهاز السرى إلى رئيس الوزراء سعد زغلول وقالوا له : « كيف تعين خادمك بمرتب عشرين جنيهًا فى الشهر ؟ » .. فاجتسم وقال : « أنتم لا تعرفونه .. وعندما تعرفونه ستطلبون له أكثر من ذلك المرتب البسيط ! »

ومنذ بضعة أيام فقط قال لى « عريان سعد » عضو الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ إن أكبر غلطة لسعد زغلول ، أثارت أعضاء الجهاز السرى ، هى أنه عين خادمه بمرتب عشرين جنيهًا فى الشهر ! .. وكان من غرائب ثورة ١٩١٩ أن خلاياها السرية ، لم يكن يعرف بعضها البعض ! فقد كان هذا الخادم عضواً فى الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ ، منذ بداية الثورة ، وهو الذى كتب عنه كامل سليم سكرتير سعد زغلول « إنه القدائى الأول الذى عرفه فى مصر ! »

إن هذا الخادم يكتب اليوم صفحة من مذكراته ، صفحة حافلة بالحياة والحركة والأسرار والمغامرات ! .. إنه الأستاذ محمد الأنصارى الذى تنكر فى زى خادم .. وخدع السلطات البريطانية والسلطات المصرية ! !  
كتب الأنصارى يقول : .

عزيزى مصطفى أمين

إني أعرفك أنت وعلى أمين ، عند ما كان عمرنا خمس سنوات ، فى بيت سعد زغلول سنة ١٩١٩ ، وكنت أروى لكما كل يوم حكاية ، وتذهبان إلى سعد

زغلول : ترويان له هذه الحكاية ، فيضحك ويضطرب .  
ولكن هناك قصة لم أروها لكما . ولا لأى إنسان آخر ، هي قصة دوزى في  
ثورة ١٩١٩ .  
وهذه هي القصة :

**محمد الأنصارى**  
مدير إدارة بالإدارة التشريعية  
بمجلس الأمة سابقاً

• • •

« كنت قبل الثورة ، أعمل كاتباً أول في القوات الجوية البريطانية . وكان  
مقرنا في منشية البكرى خلف البيت الذى سكنه الرئيس جمال عبد الناصر .  
وفي ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ذهب سعد زغلول إلى دار الحماية وطلب باسم الشعب  
المصرى الاستقلال . وبدأت عملية التنظيم الثورى تحت الأرض على الفور ! . .  
واتصل بى المرحوم الدكتور أحمد زكى مطر . وابن عمى على عزت الأنصارى :  
وأبلغانى أنهما يعملان فى خلية المنشورات الخاصة بالثورة . وأنهما يطلبان منى أن  
أنضم إليهما فى الجهاز السرى لقسم المنشورات . وأن تكون مهتمة بتوزيع منشورات  
الثورة داخل المطار البريطانى ! . . وأن من واجبى أن أؤلف خلايا سرية من العمال  
داخل المعسكرات البريطانية ! . . ثم اتصل بى الجهاز السرى : وقال إن لديه  
معلومات تقول إن الأورطة الرابعة المصرية هى التى تحرس المطار ومخازن التحويل  
للجيش البريطانى . وأن المطلوب هو توزيع منشورات الجهاز السرى فى داخل هذه  
الأورطة !

واتصلت باليوزباشى محمود لطفي - ولا أعلم إذا كان حياً الآن أو ميتاً - وكان



يتسلم منى المنشورات ، التي كنت أربطها على حزامي حول وسطى ، وأدخل بها خيمته في المعسكر : فيأخذها ، ويوزعها على إخوانه الضباط والعساكر . ثم اتصل بى الدكتور أحمد زكى مطر ، وطلب أن نستعد لساعة صفر معينة ، وهي الساعة التي سيتخذ فيها الإنجليز إجراء ضد سعد زغلول . وعندما صدر الأمر ببنى سعد زغلول ، بدأنا نتحرك بالعمل الجدى فى داخل المطار . . . وكنت قد ألقت خلية سرية من عمال المطار البريطانى المصريين ، الذين يعماون داخل (الهانجار) . . . وكانت كل خلية مكونة من اثنين حسب التعليمات . وأبلغتهم أن التعليمات هى أن نحاول حرق بعض الطائرات الموجودة فى المطار ! وقام العمال على الفور بحرق طائرتين ، وتصور الإنجليز أن هذا قضاء وقتل ! . . ثم بعد ذلك صدرت التعليمات بأن نحاول حرق مخزن الذخيرة التابع للمطار ! . . وقام العمال بتنفيذ ذلك . وقد اتهمت بالتحريض ، ولكن جميع العمال شهدوا معى ، وصدر قرار ببراءة ! .

حدث أن أمرت القيادة البريطانية قوة الطيران بأن تشترك بطائراتها فى قمع الثورة ، وإلقاء قنابل على التجمعات فى الأقاليم ، وخاصة فى المدن التى أعلنت استقلالها ، بعد أن قطع الفلاحون السكك الحديدية وأقفلو الطرق ، وأصبح انتقال الجيش البريطانى مستحيلا . . . وصدرت إلى تعليمات الجهاز السرى بأن أحصل على جميع التقارير التى يقدمها الطيارون عن المهام الحربية التى قاموا بها . وكان من بين التقارير ، تقرير من أحد الطيارين يقول فيه بالحرف الواحد : « وجدت سوقا متجمعا فألقيت عليه قنبلة . . وقتل كثيرون » ! وكنت أقدم هذه التقارير بنفسى إلى عبد الرحمن فهمى رئيس الجهاز السرى ، الذى كان يرسلها إلى سعد زغلول فى باريس ، ليثيرها فى مؤتمر الصلح عن فظائع الإنجليز فى مصر .

وكانت قيادة الطيران فى منشية البكرى تتلقى يوميا من قيادة الجيش البريطانى

صورة تقارير القيادة يُعن العمليات الحربية. التي قاموا بها ضد المتظاهرين ، وعدد القتلى الذين قتلهم من المصريين ، وعدد القتلى والجرحى من الجيش الإنجليزي. وكنت كذلك أقدم هذه التقارير إلى عبد الرحمن فهمي . . وحصلت كذلك على صورة أمر أصدرته القيادة البريطانية بتعيين عدد من الضباط البريطانيين المسرحين في وظائف البوليس المصرى والجيش المصرى والإدارة المصرية ، لعدم الاطمئنان إلى المصريين في هذه الوظائف . وبدأت الشبهات تحوم حولي . وتلقيت معلومات من الجهاز السرى للثورة ، بأنه يحسن أن أترك مكانى في قيادة الطيران البريطانى لأنى أصبحت موضع شبهة ١ . . واستقلت في يونيو سنة ١٩١٩ ، وأبلغنى عبد الرحمن فهمي بك أنه قرر تعيينى في سكرتارية الوفد . .

وقد مكثت عاماً بدون أجر ، متطوعاً . ثم أبلغنى عبد الرحمن فهمي أنه تقرر لى عشرة جنيهات مصاريف انتقال ، بعد سنة من عملى مجاناً . . وكانت مهجتى هى طبع المنشورات فى المطابع السرية ، وتدهش إذا علمت أن مطبعتين من مطابعتنا السرية كانتا بجوار سراى عابدين . وكان توزيع المنشورات منظماً ، فكانت خلايا منتشرة فى الأقاليم تسلمها ، وكانت خلايا فى القاهرة تتولى توزيعها ، وفى الوقت نفسه انضم المعلمان عبد العظيم سعودى وعلى الفهلوى وغيرهما من موزعى الصحف للعمل معنا فى خلية أخرى ، وكما نسلهما المنشورات فيضعانها داخل الصحف لتوزع فى جميع الأقاليم قبل أن توزع فى القاهرة . وقد حدث أن طبع منشور الوفد ، بعد نفى سعد زغلول إلى سيشيل ، وفيه قرار بمقاطعة البضائع الإنجليزية ( وهو المنشور الذى حكم من أجله على أعضاء الوفد الذين وقعوه بالإعدام ) . وقام باعة الصحف بتوزيع هذا المنشور علناً ، وإذا بالسلطة الإنجليزية تقبض على جميع باعة الصحف فى القاهرة ، ولم يفتح واحد منهم فـه عن الذى أعطاهم

هذا المنشور . . وعاشت مصر ٢٤ ساعة بدون صحف لأن جميع باعة الصحف كان مقبوضاً عليهم ! .

ثم جاعني الأستاذ كامل سليم سكرتير سعد زغلول ، في أحد الأيام وقال إن هناك مهمة خطيرة ، وأنه متردد في عرضها عليّ ، لأنه يعلم أنني سأرثك إلى ابنة عمي بعد شهر ، وأن هذه المهمة قد تؤدي إلى الحكم بإعدامى ! وهى المهمة التى أشار إليها الأستاذ كامل سليم في مذكراته وهى أن أنتكر في شكل سفرجى وأسافر إلى سعد زغلول في منفاه بجبل طاروق ، وأن مهمتى هى كتابة تعليمات سعد زغلول السرية . وقلت هذه المهمة على الفور ، وبدأت أحاول تغيير ملاعجى وزبى ، وامتنعت عن تناول الطعام ، حتى يرشح وجهى ويظهر الفقر والبهس والناقة على ملاعجى ، ثم ارتديت جلاية وجاكيت ، وحذاء قديماً وطريشاً قديماً . . وأصبح من الصعب معرفتى ! .

وذهبت إلى قلم تحقيق الشخصية ، وكان يباب الخلق ، ووقفت في الطابور الطويل في الشمس ، وضربنى العسكرى بعصاه ، لأدخل في الصف ، ولا أزعجهم ، ثم وصلت إلى الشباك بعد انتظار عدة ساعات ، ودفعت الرصيد وكان ٢٠ قرشاً ، ثم أخذوا بصماتى ، وإذا بي أكتشف أن الذى يأخذ بصماتى صديق لى اسمه إبراهيم عبد العزيز . وذهل عنهما رأتى ! وقلت له : « إنها مهمة وطنية وأرجو ألا تبوح بالسر ! » . . وإذا به يسألنى ويشترك معى في تفصيل وزارة الداخلية ، والإسراع بالإجراءات . . ولو كان كشف أمره لفقد وظيفته ، وفقدت رأسى ، ولكنه تحمس معى لخداع السلطة ! . . وحصلت على رخصة سفرجى ، وأخذنا كامل سليم ، وذهب بها إلى دار المندوب السامى ، وقلمها لم بأننى سفرجى من ( طهطا ) . . وإذا بدار المندوب السامى تظن أن طهطا هى طنطا ، فأرسلت الإدارة إلى طنطا

بالتحرى عني ، والسؤال عما إذا كنت مشتركاً في أى عمل سياسى ؟ وإذا بهم يجدون هناك في طنطا شخصاً يحمل اسمى فعلاً - محمد الأنصارى - وجاءت التحريات بأنه حسن السير والسلوك ، ولا علاقة له بالسياسة ! .

ومنتحني دار المندوب السامى تصريحاً للسفر إلى جبل طارق للعمل كسفرجى لسعد زغلول ! . . وأعطاني الأستاذ كامل سليم تقريراً سريعاً من قيادة الثورة في القاهرة ، فأخضيته في علبة صفيح للطربوش ، صنعنا داخلها غباً سريعاً من الصفيح ، ووضعت في جيبي خطابات ليست ذات قيمة ولا أهمية ، موجهة من أفراد الشعب إلى سعد زغلول . ولم يفتشني أحد في بورسعيد ، إذ أن منظري كان يوصي بأننى سفرجى عادى . . ولكن عند وصولي إلى ميناء جبل طارق جاء بعض ضباط المخابرات البريطانية معهم سيدة ، وفتشوني تفتيشاً دقيقاً ، حتى إنهم كانوا يكسرون الشوكلاته والملبس الذى كنت أحمله معي ! ! ولكنهم لم يشكروا في صندوق الطربوش الصفيح ، لأن الغباً فيه كان محكماً جداً . . ولكنهم صادروا كل ما معي من أوراق - لا أهمية لها ! .

واستقباني على الباخرة في جبل طارق المرحوم سعيد بك زغلول ، ورافقني إلى القلعة ، وقابلت سعد زغلول ، فوجدته يمتلكاً صحة وعافية ، وهنأني على أنني استطعت أن أخدع السلطات البريطانية ، وأخدع السلطات المصرية ، وأخدع المخابرات البريطانية التي تتولى حراسته ومراقبته ! . . وبدأ سعد زغلول بالحديث عن حال الروح المعنوية للبلد ، وعن أثر سقوط وزارة ثروت ، وتأليف وزارة توفيق نسيم ، وعن الدين قبض عليهم في حادث اغتيال حسن عبد الرازق وإسماعيل زهدى ثم سلمته علبة الطربوش الصفيح التي فيها الرسائل السرية ، وأحضر سعد زغلول بعض الفصح وأشعله ، فساح اللحام وأخرج الرسائل السرية ! .

وتتوقف هذه الصفحة من مذكرات الأنصارى ، لتعود إلى مذكرات سعد  
زغلول في هذا التاريخ . .

فتجد أن سعداً يكتب في مذكراته يوم الثلاثاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٢ :

«اشتد البرد، وعصفت الرياح، وكان أعلن الجيش أنه سيأشرف مناورات، بإطلاق  
النيران اليوم حول الساعة العاشرة والنصف صباحاً، مع إشعار السكان بأن يتركوا زجاج  
الشبائيك مفتوحاً، ففعلنا . وانتظرنا حتى حضر الميعاد، ولم يحصل إطلاق نار، ونظن أن  
ذلك لقصف الرياح وشدها . وحضر الأنصارى أنس، وحدثنا عن حال مصر، فقال  
إن روحها المعنوية قوية ، وأن السرور عم الناس عند سقوط وزارة ثروت، وأنهم  
حظروا من وزارة توفيق نسيم ، وصمموا ألا يعيروها ثقتهم إلا إذا حققت مطالبهم ،  
وأولاً إطلاق سراح المعتقلين والمسجونين ، وأن كثيراً من المدارس أضربت استياء  
منها ، وأنهم غير مرتاحين لعدم إعلان الوزارة بروجرامها ، وأن حزب الأحرار  
الدمستوريين أخذ في المبطوط ، وجريدة السياسة باثرة ، وقد أخذ بعض من دفعوا  
مساعدة لما يطلبون ردها ، بإنذارات قضائية ! . . وقد أفرج عن كل الذين كانوا  
حبسوا في تهمة إطلاق الرصاص على حسن عبد الرازق وزهلى بك ، وأن فخري  
عبد النور ( عضو الوفد ) محبوس والمهمة كانت مبدولة في تليفق أدلة ضده ،  
بالتهريض على حوادث الاعتداء على البريطانيين ، ولكن ( القاضي ) عبد الهادى  
الجندي أظهر هذا التليفق ، وأن الذى كان يسعى فيه هو مستر إنجرام ( مدير المخابرات  
البريطانية في مصر ) ، كما قرر ذلك بعض من كان يراد جعله شاهداً ضد فخري  
عبد النور ! . . وأن الملك مسروراً عظيماً بالتصريح الذى أبدته ، وكذلك  
وقع عند الناس موقفاً حسناً ، وأن كاسترو ( رئيس تحرير صحيفة الليبرية ) كلف  
أن ييلغنى أنه متأكد أن الملك وتوفيق نسيم رئيس الوزراء مهتمان بمسألة إطلاق سراح

المعتقلين ، وأن الرجال والسيدات يرددون على بيت الأمة ، ورجال الوفد يباشرون أعمالهم بكل همة ونشاط .

\*\*\*

هذا ما كتبه سعد زغلول عن مقابلته للأنصارى ، ولكن ماذا كتب عن التقرير السرى الذى كان يحمله الأنصارى فى حلبة الطربوش ١٩ . . إن سعد زغلول كتب مطرين فقط بعد ذلك عن هذا التقرير السرى فقال : « وورد معه ( مع الأنصارى ) خطاب من أعضاء الوفد يشرح الحالة شرحاً وافياً . وكذلك ورد من كامل سليم ما يفيد اشتغاله معهم . وسأرد على ذلك » .

\*\*\*

ويعود الأنصارى ليستأنف مذكراته فيقول :

« وبدأ سعد زغلول العمل على الفور . . .

وشعرت منه أنه لا يثق بالملك ، ولا يطمئن إليه ، وأنه يعتبر التفاهم بين الوفد فى القاهرة وبين القصر هو ( هدنة مرحلية ) وأن الصراع لا يلبث أن يبدأ بين الشعب والقصر . . . وكان سعد زغلول لا يوافق على أن تتجه الثورة إلى القصر . وكانت صبغة زغلول تقول صراحة : « كيف تلعب وفرد الشعب إلى قصر الملك لتطالبه بالإفراج عن سعد زغلول ١٩ إن الشعب هو الذى يجب أن يحطم قفص السجن ، لا الملك الذى هو عدو الشعب ! » .

\*\*\*

وقطع مذكرات الأنصارى مرة أخرى . . ونجد فى مذكرات سعد زغلول فى

يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ما يأتى : « أخبرتنى الست ( صفية زغلول ) أنها تأثرت جداً عند ما رأت الوفد يذهبون إلى قصر عابدين ، ويلتسمون الغفوغنى ، إذ افكرت أن هذا الالتباس ضمة من كرامتى ، والنجاح فيه يغفل يدنا عن العمل ، ويسلبنا قوة القيام بالواجب الذى تحملناه . روت لى ذلك ، وهى شديدة التأثر ، فأعجبت بدقة شعورها . وعلو نفسها . وزادت محبتها فى قلبى ، ومنزلتها فى نفسى علواً . ولقد قالت لى إنها اشتركت فى المنشور الذى وضعه الوفد احتجاجاً على الحكومتين الإنجليزية والمصرية ، بخصوص إبعادى فى سيشيل ، مع كون جوها يضر صحتى ، وحرضت عليه ( وهو المنشور الذى حكم من أجله بالإعدام على أعضاء الوفد الذين وقعوه ) وأنها لو خيرت بين أن تسلم روحها ، وخروجهم من السجن ، لاختارت تسليم روحها ! . فامتثلت إعجاباً بها ، وإكباراً لها . ولا ورد التلغراف من أهلهم بقرب الإفراج عنهم ، بكت ، حنائاً عليهم ، وسروراً بهم . وأجابتنى بأنها شعرت عند تلاوته بدافق من السرور ملأ قلبها دفعة واحدة ، حتى فاضت به دموعها .. فما زادنى هذا البكاء منها ، إلا سروراً بها ، وقلت : حقاً إن القلب هو الإنسان ! » .

انتهى ما كتبه سعد زغلول فى مذكراته ، ونعود إلى مذكرات الأستاذ محمد الأنصارى :

« ثم بدأنا العمل على الفور : وبدأ سعد زغلول تعليماته السرية لى كامل سليم فى القاهرة ، وإلى سعيد زغلول فى الزقازيق ، وإلى حامد محمود فى لندن ، وإلى على الشمسى فى جنيف ، وإلى الجمعيات المصرية فى تولوز ، وباريس وبرلين ، وإنسبروك وغيرها . وكان سعد زغلول مهتماً بهذه الجمعيات المؤلفة من الطلبة المصريين فى أوروبا اهتماماً عظيماً ، فقد كانت هذه الجمعيات نشطة جداً ، كانت

على اتصال وثيق بجميع الأحزاب الاشتراكية في أوروبا ، وكان سعد زغلول يرسل عدداً من الزعماء الاشتراكيين في العالم بخطابات مستمرة ، يشرح فيها قضية استقلال مصر . وقد يذهل الناس إذا علموا أن سعد زغلول كان متحمساً لمبادئ حزب العمال البريطاني ، متنبهاً لتقدمه وانطلاقه ، مهتماً بأخبار هذا الحزب الصغير الذي بدأ يكتسح إنجلترا . . وقد لا يعرف الناس أن الزعيم المصري سعد زغلول ساهم مالياً في إنشاء جريدة ( الدلي هيرالد ) ، لسان حال حزب العمال البريطاني ، وأنه اشترى سراً بعض أسهم هذه الجريدة . . وكان سعد زغلول يدرس مبادئ حزب العمال الاشتراكية ، وكان متشوقاً ليعرف نتيجة تطبيق هذه المبادئ في إنجلترا . وقد كانت هذه المبادئ شيئاً جديداً في تلك الأيام . وكان سعد زغلول ينكر علناً أنه مهتم بهذه المبادئ ، وكان حزب المحافظين والأحرار أصحاب الأغلبية وقتها يهتمون سعد زغلول بهذا . . ولكن كنت أشعر منه بهذا العطف وهذا الاهتمام بحزب العمال . ولقد شعرت بهذا عندما أُملي على سعد زغلول إحدى التعليمات السرية — التي اعتبرها أهم تعليمات أهلاها على " طوال تلك الفترة — فقد حدث أن تلقى سعد زغلول عدة تقارير من سفيره الرسمي في لندن ، الدكتور حامد محمود ، وكانت هذه التقارير تؤكد أن مبادئ حزب العمال بدأت تكتسح مبادئ المحافظين ، وأنه يتوقع أن حزب العمال سيتولى الحكم في بريطانيا لأول مرة خلال شهور ، وأن « رامزي ماكدونالد » صديق سعد زغلول وزعيم حزب العمال هو الذي سيؤلف الوزارة القادمة .

وأرسل سعد زغلول تعليماته السرية إلى الدكتور حامد محمود بأن يجتمع بمسرة ماكدونالد ويبلغه أن سعد زغلول يتمنى لحزب العمال النجاح ، لأن مبادئ حزب العمال تؤمن بحرية الشعوب . وطلب سعد زغلول في رسالته أن يكون الدكتور حامد



محمود على اتصال مباشر بزعماء حزب العمال ، وأن يشرح لهم قضية الشعب المصرى ، وأن يطلب إليهم أن يتمسكوا بهم فى الحكم بالمبادئ التى أعلنوها وهم فى المعارضة ! وأرسل الدكتور حامد محمود إلى سعد زغلول أن مستر ماكدونالد سعيد بهذا الاهتمام ، وأنه يؤكد أن حزب العمال لن يتخلى عن مبادئه عند ما يتولى الحكم ! .

### الرسالة الخطيرة !

وعند ما وصل هذا التقرير إلى سعد زغلول استدعاني ، وكان جالساً على مكتبه فى الدور الأول ، فى بيته بجبل طارق وقال لى : « اكتب . . » ، وأمسكت القلم ، وبدأ يملأ على :

مصرى جداً — الدكتور حامد محمود — لندن :

« أبلغ مستر ماكدونالد ، أن الشعب المصرى يتظر من حكومة العمال أن تمنحه الاستقلال التام . وعندما تقول الاستقلال التام ، نعنى جلاء جميع القوات البريطانية عن بلادنا . . . ونعنى أيضاً خلع الملك فؤاد ، إذ أننا نعتبره جزءاً لا يتجزأ من الاحتلال ، فهو معين بقرار من وزير خارجية بريطانيا فى ظل الحماية البريطانية ، ونحن نعلم أن مبادئ حزب العمال تنص على حق الشعب فى اختيار حاكمه .

ولذا فإن فى مقدمة مطالبنا أن يكون انتخاب رئيس الدولة فى بلادنا

المستقلة ، بإرادة الأمة ، وبانتخاب عام مباشر ، وأن يكون ذلك بعد الحصول على الاستقلال التام .

### سعد زغلول

وانتظرنا بضعة أيام . . وإذا بالدكتور حامد محمود يرسل من لندن رسالة سرية إلى سعد زغلول يقول له فيها : « إنني عرضت مسألة خلع الملك على مسرر مكدونالد زعيم حزب العمال ، فامتنع من هذا الطلب ، وقال إن حزب العمال لا يستطيع أن يقبل مثل هذا ، وأنه على اتفاق مع حزب المحافظين وحزب الأحرار في ضرورة بقاء مصر ملكية » .

### حامد محمود

وعندما تلقى سعد زغلول هذه الرسالة السرية ، وتوليت عرضها عليه ، قال سعد بامتناع : « الإنجليز هم الإنجليز ، سواء كانوا من العمال أو من المحافظين ، لعنة الله على الجميع ! » . وبعد شهور تولى حزب العمال البريطاني الحكم ، وثبت أن سعد زغلول كان على حق عندما قال إن الإنجليز هم الإنجليز ! .

### فراش الموت

وتحول بيت سعد زغلول في المنفى إلى مركز لقيادة الثورة ! . وكان سعد يعمل في تلك الأيام ليل نهار ؛ يملئ على التعليقات ، والرسائل ، وهو في مكتبه . . . وهو سائر على قدميه للنزهة . . . وهو جالس في الحديقة . . . ونتج عن هذا أن انهارت قواه الصحية ، بسبب إجهاده في العمل . ذلك لأنه كان يعمل كشاب في

من العشرين ، في الوقت الذي كان يزيد عمره على الستين ! . واشتد المرض فجأة على سعد زغلول ، وناداني إلى غرفة نومه ، وكنا وحدهما ، وقال سعد : « سجل ما أقوله لك كتابة » . وأخرجت قلمي وكتبت : « إنني أخشى أن أموت هنا ، وتنتهي حياة أصحابي المنفيين في ميشيل ، ولا يعرف الشعب حقيقة ما جرى من الإنجليز معي . فقد حدث عند ما كنت في قلعة ( عدن ) ، مع أصحابي ، أن جاعني في سجن ضابط إنجليزي برتبة جنرال ، ومع ضابط كبير آخر ، ومعهما ضابط كبير من المخابرات البريطانية اسمه يعقوب . وطلب يعقوب أن يخرج معي في السيارة . وكان ذلك في أوائل فبراير سنة ١٩٢٢ ، وكان الضابط البريطاني يعقوب يتكلم معي بالعربية ، ويقترح أن أتزده معه ، فوافقت ، لأنني كنت محروماً من الخروج . وركب يعقوب . بجواري ، وركب الجنرال بجوار السائق ، وجرى بيننا الحديث الآتي :

قال لي يعقوب ضابط المخابرات البريطانية : « إنك تستطيع أن تعود إلى مصر ملكاً إذا شئت . ويمكن للحكومة البريطانية أن تحقق لك هذا ، إذا تفاهمت معنا . . وأن المطلوب هو ترك السودان ! » . فرددت على الضابط البريطاني على الفور : « أنا ليس لي ولد ، ولا مطيع في الحياة ، ولا أمل ، إلا استقلال بلادي ، وأن أراها حرة مستقلة . وإنني أفضل أن أكون خادماً في بلد مستقل حر ، على أن أكون ملكاً في مستعمرة بريطانية مستعبدة ! » .

وذهل الضابط البريطاني وقال : « هل ترفض أن تكون ملكاً على مصر ؟ » ، وقلت للرسول : « إنني لا أبحث عن وظيفة ، أما السودان فإنه لازم لمصر ، ولا يمكنها الاستغناء عنه ! » . . . وعندئذ قال ضابط المخابرات البريطاني : « إنك تتعجل في

إصدار هذا القرار الخطير ، وإنى أرجو أن تستشير زملائك في هذا العرض الهام ، فقلت لضابط يعقوب : « إن هذا رأي النهائي ، ولا أقبل أن أستشير فيه أحداً ، هذا هو رأي كل فرد في بلاده ، وأنا أعرف رأي زملائي دون أن أرجع إليهم ! » ، فقال لي يعقوب : « إننى أتركك ٢٤ ساعة لتفكر . . » ، ثم أعادنى إلى القلعة بالسيارة .

وعند ما قابلت زملائي : فتح الله بركات ، وعاطف بركات ، ومصطفى النحاس ، وسينوت جنا ، ومكرم ، ورويت لهم ما حدث ، قاموا وقبلوني ، وعانقوني ، وهم سيكون من شدة الفرح . . وبعد ذلك صدر الأمر بنقلى إلى جزيرة (سيشيل) بمفردى ، عقاباً لى لأننى رفضت أن أكون ملكاً ! وفى البارجة الحربية التى نقلتني إلى سيشيل وجدت ضابط الخابرات يعقوب مرة أخرى ، وطلب منى أن أوقع على الدفتر الذى يحمل ، إقراراً منى بأنه حصلت المقابلة ، وجرى هذا الحديث معه ، فوقع على الدفتر كما طلب ! .

ثم قال لي سعد زغلول : « إن اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية أشار إلى ذلك فى جلسة مجلس العموم البريطانى » ، وأخرج سعد مضبطة مجلس العموم البريطانى ، وفيها قول لورد كيرزون : « لقد يشنا من هذا الرجل الصلب العنيد ، ولم نفهم ماذا يريد منا ، ولا أى مطمع له ! » .

...

حدث كل هذا فى أوائل فبراير سنة ١٩٢٢ . . وبعد ذلك أعلن الإنجليز استقلال مصر ، بتحفظات تصريح ٢٨ فبراير ، وأصبح السلطان فؤاد هو الملك فؤاد ! وهكذا قبل فؤاد الشروط ، فأصبح ملكاً ! ورفض سعد زغلول الشروط ، فقلته البارجة البريطانية إلى جزيرة سيشيل السحيقة !

ومضت الأيام القاسية في منى جبل طارق ! . . وذات يوم شعرت أن سعد زغلول يذوى ، وأنه قد يموت في هذه القلعة ، فإن الجو الذى يحيط به ، والحياة المملة التى يعيشها ، أضعفت قواه ، وحطمت صحته ، وكنت أحس كأنه أسد فى قفص ، يحاول الخلاص ولا يستطيع ! . . وحدث مرة أننا كنا نسير فى الحديقة ، ومعنا عصفورا يغنى فوق شجرة فقلت لسعد : « هل تسمع صوت العصفور ؟ » . قال سعد : « طبعاً يغنى ! لأنه حر طليق ! » ، وتأثرت من هذه الجملة . .

### خطة لتهريب سعد من جبل طارق !

وبدأت أفكر فى طريقة لتهريب سعد زغلول من قلعة جبل طارق ! . وزاد تصميمى عند ما سمعت « الدكتور لوكهولد » الذى يعالج سعد يقول : « لو استمر هنا مدة أخرى فإنه سيموت ! » . . وقررت أن أعمل بأى طريقة على تهريب سعد زغلول ، ولم أخبره بما اعتزمت ، وجلست أضع الخطة ، خطة تهريب سعد زغلول من منفاه ! وبدأت أدرس الحراسة الموضوعة على القلعة ، ومواعيد تغيير الحراس ، ومواعيد البوليس السرى ، والطريقة التى اتبعتها المخابرات البريطانية فى مراقبة سعد . ودرست الطريق من القلعة إلى الحدود الإسبانية . . والحراسة الموضوعة على الحدود . ثم وطلدت علاقته بأحد سائقي السيارات الإسبان ، الذى سيتولى الاشتراك معنا فى عملية تهريب سعد زغلول ، وكانت الخطة أن نهرب سعد زغلول إلى إسبانيا ، ومن هناك يذهب إلى سويسرا ، لأن سويسرا لا تسلم المجرمين السياسيين - وكانت بريطانيا تعتبر سعد زغلول مجرمًا سياسيًا ! - وكانت فكرتى أن سعد زغلول يستطيع فى سويسرا أن يزاوّل نشاطه السياسى ، ويستطيع أن يؤثر فى ثورة مصر ، وهو طليق ، أكثر مما يستطيع وهو مسجون فى هذه القلعة ! .

وكان سيترك في تنفيذ هذه الخطة عدد من أعضاء الجهاز السرى الموجودين في عواصم أوروبا ! ودرست الطريقة التي هرب بها ولي عهد ألمانيا السابق ، الذى كان معتقلا في جبل طارق ، واستطاع الفرار . وقد كان كل المطلوب هو إخفاء سعد زغلول عن الحراس ! وعن البوليس السرى الذى يتبعه على دراجة ، عند ما يراه خارجا من باب المنزل . . وقد وصلت إلى نتيجة بأن تهريب سعد زغلول ممكن بالنهار أفضل من الليل ، لأن النهار مليء بالحركة ، أما الليل فتزداد فيه الحراسة . .

وعرضت الخطة كاملة على سعد زغلول بكل تفاصيلها . وقد كانت الخطة :

١ - يهرب سعد زغلول وجرمه فقط

٢ - تبقى السيدة فهيمة ثابت والطاهى أحمد بدران والحادمة سكيته في داخل المنزل ، ويتظاهرون بأن سعد زغلول لا يزال موجودا معهم . . حتى يتم خروج سعد زغلول من أراضي جبل طارق ، وبعد أن تصلهم إشارة معينة ، بأنهما خرجا من إسبانيا ، يبلغون السلطات باختفائهما ! .

٣ - أعددتا جوازات مزورة ليستطيع سعد وصفيه زغلول الخروج من إسبانيا .

٤ - أعددتا المكان الذى يتزل فيه سعد زغلول في إسبانيا ، ويختفى فيه إلى أن يتم تدبير خروجه من إسبانيا إلى سويسرا .

٥ - رتبنا السيارة التى سيختفى في داخلها سعد زغلول وصفيه زغلول وحصلنا لها على جواز للبرور ! .

ومع سعد زغلول الخطة بكل تفاصيلها دون أن يناقشني فيها . وعندما أتممت عرضها عليه قال سعد : « إنها خطة ممتازة . . ولكني أعطيت هنا كلمة شرف ألا أحاول الحرب ! » .

واهترزت عند ما سمعته ينطق « كلمة شرف » : وعرفت أن لا فائدة من محاولة إقناعه بهذه الخطة التي مكثنا ندرسها حوالى العشرين يوماً ! .

### كلمة الشرف !

وهنا تقطع مذكرات الانتصاري مرة أخرى ، ونبحث عن ( كلمة الشرف ) التي أعطاهها سعد ، وكيف أعطاهها ؟ . . إن مذكرات سعد زغلول تقول إنه أعطاهها يوم وصوله إلى جبل طارق ، فقد كتب يصف وصوله لأول مرة إلى الجبل ، وكيف صعد رجال الحكومة لاستقباله في البارجة الجبرية التي أقلته إلى المنق الجليد ، وكتب سعد يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٢ في مذكراته يقول :

« عند الساعة ٩ حضر القومندان الثاني ، وكان أحياناً يتكلم معي بعض الكلمات وقال : « إنك تنزل هنا على الرحب والسعة ، كضيف لا كسجين ، وستجد منزلاً معداً لك ، فيه كل أسباب الراحة » . فشكرته وانصرف . ثم حضر مستر « جري وود » سكرتير حاكم جبل طارق ، وبلغني سلامه ، وأخبرني بمثل ذلك ، وأظهر كثيراً من اللطف . ثم حضر رئيس أركان الحرب ، وهو يجيد الكلام باللغة الفرنسية ، فبلغني سلام الحاكم العام ، وأنه أعد أوتومبيلين للركوب ، وركوب خدي ، ولكن أحدهما أبطأ ، وانتظرنا حضوره بعد نصف ساعة . فأخذ هذا الرجل يبدى أسفه على هذا التأخير ، وتلطف في القول كثيراً . وقد دعني على ظهر السفينة

قومندانها وضباطها ، وقد وصلت إلى المنزل فوجدته رجلاً ، وله حديقة واسعة ، وفيها كثير من التماثيل المرتفعة والمنخفضة ، ويشتمل على بعض ملحقات مهبورة . ويظهر أن المنزل كان مهبوراً ، ثم أعد حديثاً ، وهو يشتمل على دورين ، كل منهما فيه عدة غرف ، منها الواسع العالي ، ومنها الضيق اللواطي ، وكله مفروش بأشياء لا بأس بها ، وإن كان بينها كثير من القديم البالي . ولما انتهيت من الاطلاع عليه ، حل بي دوار ، وجلست مع هؤلاء في الصالة ، التي كانت راتحة البوية التي تتصاعد منها تضاعف أثره ، ودوار البحر ، وكنت تعباً ، فاستأذنتهم في الراحة .

« وقبل البدء في رؤية المنزل ، وعقب وصولنا ، ناوئي رئيس البوليس السرى ، الذي وجدناه في البيت ، ورقة تشتمل على الأحكام الخاصة باعتقالى في هذه الجهة . فاعترضه كل من السكرتير ورئيس أركان الحرب ، بأن هذا لا أهية له ، وأن هذا شكلى ، لا ينبغي الالتفات إليه . وأخذ أحدهما الورقة ، مانعاً لى من قراءتها ، وألقاها على أحد الكراسى ، وكرر عبارته الخاصة بأنى حر ، بشرط عدم الخروج من الحدود الإنجليزية . . فشكرته ، وطلبت أن يبلغ الحاكم شكرى ، وقد كان أحدهما أشار أثناء وجودى في البانخرة إلى أنه لا مانع من زيارة الحاكم . فقلت إنى أفعل ذلك ، ولكن بعد برهة نزل أحدهما فيها إلى البر ، بحجة استعجاله أحد الأتومبيلين الذى تخلف ، وعاد ، ولما ركبنا الأتومبيل ، سأله عما إذا كنا ذاهبين إلى الحاكم أولاً المنزل ، فقال : « لا . . بل إلى الأخير » ، ففهمت أن الحاكم لم ير أن أراه ، ولم أره إلى الآن ، ولم أجد بالمنزل « جنائى » ، ووجدت فيه خادمتين أسبانيتين ، لا تعرفان غير الأسبانية . وارتحت لهذا الاستعداد لأنى وجدته خلاف ما توهمته ، من الإبعاد لى إلى هذه الجهة



وشكرت الله شكراً جزيلاً . وما وجدته كثير من الأشياء التي تختص بالأكل والشرب ، أى المأكولات والمشروبات ، كما وجدت محل السفرة ولوازمها لا بأس بها ، وكذلك سراير النوم ، وأودعتها ، إذ لم أر مثل ذلك في غير هذه الجهات .

« ومكثت في البيت يومين تعبان من أثر السفر . وكنت أشعر من حين لآخر كأن الأرض تدور بي ، وبنوع من الغثيان . وقد حضر الطبيب من طرف الحكومة ، وفحصني في اليوم التالي ، واستفهم مني عن حالتي ، وأخذ من وقتها يحضر كل يوم ويجلس معي ، وفيه ظرف وأمانة ، وقد أحضر لي خبزاً من لندن ، وأخبرني أخيراً أنه تلقى تعليمات بأن هذا الخبز ( خبز السكر ) يكون على نفقة الحكومة ، ولكن ما يزيد عن العيش كالمربة وغيرها فيكون على حسابك .

وقلت : « إني متشكر » . وفي اليوم التالي لحضوره ، والذي بعده ، تردد على « سكرتير الحاكم . وقال : إن الحكومة قد ربت لك شهرياً خمسين جنيهًا ، وأن الحكومة أودعتها في بنك وتسحب منها ما يلزمك عند الحاجة ، فلاحظت له أن مثل هذا المبلغ كان مرتباً لي في ( سيشيل ) ، ومسموحاً لي مع ذلك أن أجلب من مالي ما أريد ، مع أن بين المعيشة في الجهتين فرقاً هائلاً . فقال : « إن هذا المبلغ ترتب باعتبار أنه أكثر مما كان مرتباً هناك ، وأنه لا جرم عليك في أن تجلب من أموالك ما تشاء ، وأنت حر تمام الحرية فيه » . قلت : « إن كان الأمر كذلك فلا أهمية لما ترتبه الحكومة » . ثم قال : « إن الأفضل إن نودع المبلغ في البنك ، ونرسل إليك دفتر شيكات ، للسحب بموجبه » . قلت : « كما تشاء » .

وانصرف مكرراً عبارة أنك حر ، وأنتك ضيف لا سجين . ولكنني وجدت رجلاً من البوليس يلزم باب المنزل ، ليل نهار ، ويتبعني حيث أسير ، وكان في أول

الأمر يبتعد ، ولكنه كلفه طال الزمان كان يقترب ، فاستغربت من هذه المراقبة المتناقضة لجميع التصريحات السابقة ، وقلت في ذلك للحكيم متعجباً مستفهماً عن هذا الاحتياط ، مع كوني قلت إلى لا أحاول الحرب . قال : « لمن أعطيت هذا القول ؟ إن كنت تعطيه فلا أظن أن هذه المراقبة تبقى ! » . . . وبعد ذلك صادفت في الطريق رئيس البوليس فقال : « إن أعطيت كلمة شرف بألا تخرج من الحديد الإنجليزية ، رفعت هذه المراقبة ! » . . . قلت : « قد أعطيتها » . قال : « كذلك » ورفعها من ذلك الحين .

• • •

انتهت مذكرات سعد زغلول . . ونعود إلى مذكرات الأستاذ الأنصاري :  
« وبعد مدة طويلة علمنا أن الدكتور لوكهلد ، الطبيب البريطاني للعلاج ، كتب تقريراً للحكومة الإنجليزية عن صحة سعد زغلول ، أنها في انهيار مستمر ، وأنه يخشى أن يموت في القلعة ، فيحدث موته انفجاراً في مصر ! . . وفي الوقت نفسه تقدم ٨٠ نائباً من فواب حزب العمال بطلب الإفراج عن سعد بسبب ضعف صحته . . »

« وصدر قرار بالإفراج عن سعد زغلول . . وسافر سعد زغلول إلى ( طلوز ) ، ومنها بالسكة الحديد إلى مارسيلا . وطلب مني أن ألتحق به في مارسيلا . وفي مدينة مارسيلا قابلني الأستاذ حسين نشأت شقيق حسن نشأت باشا ، وكان طالباً بجامعة تولوز ، وكان شقيقه حسن نشأت ينزل في ( أوتيل نوي ) ، وكان تحت مراقبة المخابرات البريطانية ، فإن بريطانيا كانت قد أبعدته عن منصبه في القصر الملكي ، وعن مصر كلها ، وسعى الملك فؤاد في إزالة سوء الظاهر ، وسمحت له السلطات

البريطانية بالعودة إلى مصر . . وجاءني الأستاذ حسين نشأت وقال إنه مكلف من  
ثقيقه حسن نشأت باشا أن أبلغ سعد زغلول الرسالة الآتية ( وأملها على ) :

١ — إن جلالة الملك فؤاد يسره جداً أن يقبل سعد زغلول رئاسة الوزارة بعد  
الانتخابات .

٢ — يؤكد جلالة الملك لسعد زغلول أن الانتخابات ستكون حرة .

٣ — يرجو جلالة الملك من سعد زغلول أن يبعد عنه رجال الخديو ، مثل على  
الشمسي ، وحنى ناجى ، والسيد حسين القصبى . ومسير جاك سيون ( الذى كان فى  
استقبال سعد فى مارسييا ) .

٤ — إن حسن نشأت يعمل فى القصر الملكى كجندى من جنود سعد ،  
ومستعد لتلبية كل تعليماته ، وللتعاون مع سعد فى خدمة البلد .

٥ — إن حسن نشأت رفض أن يكون وزيراً فى جميع الوزارات السابقة ،  
وقد كان هو الذى يؤلفها ويختار من يشاء ويحذف من يشاء ، لأنها وزارات عابرة ،  
ولكنه مستعد أن يدخل وزيراً فى وزارة سعد زغلول لأنه يعلم أنها ستكون وزارة دائمة  
يؤيدها الشعب .

« وقابلت على الفور سعد زغلول فى الفندق الذى يقيم به فى مارسييا ، وعرضت  
عليه رسالة حسن نشأت ، وهز سعد زغلول رأسه عندما قرأ أن الملك يطلب إبعاد  
بعض أنصاره من حوله بحجة أنهم من أنصار الخديو . . وقال : « هؤلاء اشتركوا فى  
الثورة ، وليس من حق أن أبعدهم ! » ، ثم قال سعد زغلول : « وعلى كل حال أنا  
لا أريد أن أكون رئيساً للوزارة ! إن مقعد الوزارة مركز شائن وكل واحد له مطعم  
ومطلب . . سبحانه من يرضى العباد جميعاً . وأنا أشعر أن منصبى كزعيم أمة أكبر

كثيراً من منصب رئيس وزراء ، بل من منصب هذا الملك ! » .

• • •

« ولقد قبل سعد بعد ذلك رئاسة الوزارة ، وكانت هذه غلطة في رأيي ! . . وفي رأي الشخصي أنه لو أن سعد زغلول عين حسن نشأت وزيراً في وزارته ، وعين عبد الحليم البيلى وزيراً في وزارته ، لما قتل السردار ! . . وربما لم يضرب سعد زغلول وهو رئيس الوزارة بالرصاص ! .

محمد الأنصارى

• • •

وهذه السطور القليلة التى ختم بها الأنصارى مذكراته قد تساعد على حل اللغز الذى وجدته فى مذكرات سعد زغلول ! .

## الفصل الثامن .

### ٧ أبظطال ... و٧ مشانق !

### دور المرأة المصرية في الجهاز السرى

الساعة الخامسة والنصف صباحا . دق عتيف على باب بيت حمد الباسل باشا  
وكيل الوفد، ضباط إنجليز، وحنود برياسة الكباشى « أبلت » يقتحمون الباب ،  
ويدخلون غرفة نوم حمد الباسل شاهرين المدافع والمسدسات ، يوقفونه من النوم . .  
ويعلنونه بأن جناب القائد العام للقوات البريطانية فى مصر أصدر أمراً بالقبض  
عليه وتفتيش منزله ومصادرة كل الأوراق التى فيه!!

ويتذكر حمد الباسل أن فى جيب محفظته ورقة خطيرة : إنها خطاب بخط  
يد سعد زغلول ! إنه الخطاب الذى أعاد حمد الباسل إلى الوفد ، بعد أن اختلف  
مع سعد زغلول وانقطع عنه، إنه الخطاب الذى كتبه سعد إليه ليلة القبض عليه  
ونفيه إلى سيشل ، وأرسله مع الحاج أحمد عثمان تابع سعد زغلول الخاص . هكذا  
الخطاب الذى رسم سياسة الثورة بعد القبض على قائدها . إن نص الخطاب  
هو :

« عزيزى حمد

الانجاء إلى اعتقالى . واجبك أن تعود إلى الوفد وتنسئ الخلاف الذى بيننا  
الموقف يستوجب الاتحاد . . رد الأمة هو المقاومة السلبية . . علم التعاون من

الإنجليز . . . مقاطعة البنوك الإنجليزية . . . مقاطعة الشركات الإنجليزية . . . الامتناع  
عن تشكيل أى وزارة . . . مقاطعة السفن الإنجليزية . . . مقاطعة التجارة الإنجليزية . .  
تشجيع البنوك الوطنية . . .

### سعد زغلول

وخشى حمد الباسل أن يقع هذا الخطاب الخطير في يد البوليس الحربى البريطانى،  
فكوّر هذه الرسالة في يده، ثم وضعها في قفه وشرب عليها كوب ماء وبلعها ١ . ٢ . وراح  
الإنجليز يفتشون كل شئ: الرجال والسيدات والتقدم . . . وحمد الباسل نفسه ،  
والسطح ، والبدر ، والمكتب ، ثم يصادرون كل ما في البيت من أوراق ومشتريات ..

وفي الوقت الذى كان يحدث فيه هذا في بيت حمد الباسل ، كانت عمليات  
قبض أخرى تجرى لاعتقال باقى قادة الثورة . وكان سعد زغلول في ذلك الوقت  
مثليا في سيشل ، وكانت الأخبار السرية منقطعة بينه وبين القاهرة ، بسبب  
الرقابة الشديدة الموضوعة عليه هناك . وبقي سعد زغلول في سيشل من يوم ٢٥ يوليو  
سنة ١٩٢٢ إلى يوم ٣ أغسطس سنة ١٩٢٢ يجهل ما يحدث في القاهرة، وفي يوم  
٣ أغسطس ١٩٢٢ كتب سعد زغلول في مذكراته يقول :

« ورد لتلغراف من فخرى عبد النور بتاريخ أمس ، يسأل عن الصحة ويعبر  
عن شعور الألو ، ولكنه ورد بمضيا من « فخرى عبد النور بالنيابة عن الأعضاء  
الجلد . وبعد أن تأكدت جيدا من هذا الإمضاء ، فهمنا أن الأعضاء القدامى  
قبض عليهم وحل محلهم آخرون . ولكننا استهجننا إغفال ذكر أسماء أولئك الآخرين ،  
ورحنا نخمن الأسباب التى دعت لهذا القبض ، ففنا من ظن أنه ربما حدثت أمور  
شديدة ، اتخذها الإنجليز ذريعة للقبض عليهم . . . وخطر ببالى أن الحكومة

متحرشة بهم ، وتلقى مسئولية الحوادث الجنائية ضد الإنجليز عليهم . كما تبين فيما ورد في بركة روتر ، ورد عبد الحائق ثروت باشا رئيس الوزراء على طلب اللورد ألتني المندوب السامي البريطاني التعويض عن المقتولين ، وأن هذا التحرش أدى إلى القبض عليهم ، عندما تسوّت حكومة ثروت بالإنجليز عليهم . ويدل ما تجرّبه السلطة في مصر من الشدة ضد أصحابنا وضد آثارنا ، على أنها تريد عونا من صحيفة الوطن ، حتى لا يكون للاستقلال عنوان ، ولا في صدور الأمة آمال . ولكن الله فوق كل حاكم قاهر ، وهو لا يفلح عمل الظالمين .

وقد أرسل كل من سينوت حنا ومكرم عبيد تليفارين : الأول إلى مدام واصف غالى وحسين الشريبي ، والثاني إلى مرقص حنا . . بالاستفهام عن الصحة للاطمئنان بالجواب . . . .

### يوم الجمعة ٤ أغسطس سنة ( ١٩٢٢ )

« نمت البارحة أحسن من الليالي السابقة ، وأصبحت ميالا إلى اللبس التام ( ارتداء جميع ملابس ) ففعلت ، وأفطرت على كبد الحروف وقلبه كالعادة في العيد الكبير ، ثم جلست لكتابة هذه الكلمات :

« لا يحتمل الشيء في نظر الإنسان أكثر من الحاجة إليه ! . .

« يتألم الإنسان من مصيبة غيره ، بمقدار ما يكون عرضة لمثلها . . فإذا كان في مأمن من وقوع نظيرها عليه ، أو كان واقعا فيها ، خفّ عليه وقعها ! . . بهذا فسرت سر كوننا أننا لم نتألم ألما شديداً لما دلّ عليه تليفارف فخرى عبد النور . . ويخف الأكم كثيراً ، إذا كان متوقعا ، كما في حالتنا . . لأننا نقدر أن الشدة

التي تستعملها السلطة ضد الحرية تزيد هذه الحرية تأججا في الصدور ونماء في النفوس .

« ويل لمن في مصر من الأحرار ، فهم عرضة لكل شر ، ولا تفزع لهم إلا إلى الله الرحمن الرحيم ، فاللهم العطف بهم .

« اليوم العيد الأكبر عندنا ، جعله الله بشير خير ، ثاني أيام النحرس وقائمة أيام السمود . »

### الاثنين ٧ أغسطس سنة ( ١٩٢٢ )

« لم تصل ردود التلغرافات التي أرسلت إلى هنا - إلى كل من مرتضى حنا ومدام واصف غالى وحسين الشريبي - ولم يجيئوا عليها . نأكد لنا تقريبا صحة ما فهمنا من تلغراف فخرى عبد النور الوارد في ٣ أغسطس ، ويصير هذا يقينا إذا لم ترد اليوم تلغرافات بالاجواب . »

### الثلاثاء ٨ أغسطس ( ١٩٢٢ )

« ورد على سينوت حنا وتلغراف من مدام واصف غالى بأنها رأت أمس في صحة جيدة ، ومن حسين الشريبي أنه رأى أخاه كذلك في صحة عظيمة ، وتلغراف من المصري السعدى بالسؤال عن الصحة ، وبأنه حدث اجتماع في العيد في بيت الأمة . . فاستوثقنا من كل ذلك أن القبض تم على أعضاء الوفد . ورحنا فحمن عن الأسباب ، فن تخمن بأنهم أصدروا منشورا شديدا للهجة بالاحتجاج على إيقلائنا هنا ، حتى نزلت بنا الأمراض ، أو كادت تفتك بنا . . ومن قاتل إن الحكومة متحرشة بهم ، وأعلنت هذا التحرش خصوصا في جواب رئيسهم



(عبد الخالق ثروت باشا) على طلب اللورد ألتني التعويض عن قتل الأجانب ،  
وأنها ألقت القبض عليهم تنفيذاً لما تحرشت به . وما بها من حاجة إلى سبب تبديه ،  
لأنها غير مشولة عما تفعل ، لعدم وجود من يسألها ، وربما اختارت هذا الوقت  
ظرفاً لعملها ، لكن البرلمان الإنجليزي معطلا فيه ، والله أعلم وأرحم ! . ويرى  
بعض الإخوان أن هذا القبض آخر نفس تلفظه الحكومة ، ويدل على اشتداد  
الحناء بها ، بقوة الأمة . وأن الإقدام عليه مما يزيد الاضطراب ، ويقوى روح  
المعارضة ، ويزيد نار السخط لديها ! . . . ويرى آخرون أنه دليل قوة الحكومة ،  
وشعورها بضعف خصومها ، وأنها أرادت به — وبما تقلعه من الاضطهادات —  
محو آثارهم ، حتى يخلو الجو لها . . . وفي تصدر فخري عبد النور للزعامة علامة  
على ضعف المعارضة ، كما أن من علاماتها تكلم أساء من تصدروا لقيادتها بعد  
المقبوض عليهم . وأنا إلى هذا الرأي أميل ، وإلى صوابه أشد كرهاً ! .

« وما من زمن مر بمصر من عهد الاحتلال شر من هذا الوقت ، ولا حكومة  
أسوأ من حكومتها . ولا أدري إذا كان الإنجليز عندما أعلنوا استقلالها القبطى قصصوا  
هذه النتيجة ، أى قصصوا أن يكونوا العاملين في مصر ، من غير أن يكونوا مسئولين ،  
لا أمام برلمانهم لإعلان هذا الاستقلال ، ولا أمام العالم . وبهذا لا يخشون حساباً  
ولا عقاباً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . . . »

## وهكذا جاء العيد

الخميس ١٠ أغسطس (١٩٢٢)

« وضعنا أمس جوابات تلغراف المعايدة لترسل اليوم، والتهاني في هذا العيد أقل بكثير عن العيد السابق، ولعل السبب هو القبض على أعضاء الوفد وانقباض الناس، أو شدة خوفهم. ورد تلغراف على سينوت حنا من صديق له بباريس يسأله عن الصحة، فاستنتج منه هو أن مرسله علم أولاً بالمرض، وثانياً باحتجاج أعضاء الوفد عليه، وثالثاً بالقبض عليهم بسبب هذا الاحتجاج. . . ما أكثر أوهام المعتقلين، فهم يتوهمون في كل دقيقة على بابهم أمراً بإخلاء سبيلهم. . . يستنتجون أبعد النتائج من أوهي الواقع، ويؤولون كل حادث لصالح قضيتهم ويتفاءلون من كل خبر. اليوم ورد تلغراف لمكرم من خطيبته «عايدة»، ابنة مرقص حنا، مؤرخ في ٨ أغسطس، بأنها عادت مع العائلة من سوريا، ورأت أباها بخير. . . وآخر مؤرخ ٩ أغسطس من صمويل حنا، ابن أخت مرقص حنا، بأنه رأى مرقص حنا في جلسة اليوم. . . فاستنتجنا من عودة عايدة من سوريا قبل الميعاد أن العودة حصلت بناء على القبض، وأن هذا حصل على الأقل من قبل عودة العائلة بأسبوع، أي من نحو ١٥ يوما. ووقع لدينا هذا أسوأ موقع، لأننا نعلم أن القضاء العسكري في مصر ظالم، وأنه لا معنى للمحاكمة أمامه إلا الحكم بأقصى العقوبة على من أوقعه سوء البخت في الاتهام. . . وأن الحكومة اختارت هذه الطريقة لثلبس الحق بالباطل، وتلجم أفواه المعارضين والناقدين بلجام من حديد. . . وقد أرسل مصطفى النحاس بك تلغرافا إلى فخري عبد الحور بالاستفسار عن أحوال زملائه، ويتوهم مكرم والنحاس أنه لابد من وقوع حوادث جسام بسبب هذه القضية الظالمة، لأن الأمة لم تعد تستطيع صبرا على هذه المعاملة البالغة

حد الظلم والقسوة ، وتريد الحكومة بمثل القبض على أولئك الأحرار والحكم عليهم ، أن يخلو لما ألحق في الانتخابات ، وما يتبعها من الإجراءات التي تمهد بها الطريق لاتفاق تضع به حقوق البلاد ضياعا لا مرد له !  
ويظهر أن القبض حصل في بحر المدة من ٢٧ يوليو إلى ٣ أغسطس ، وقد حارت الأفكار في سببه حيرة شديدة ، والله كشاف الكروب »

### الاثنين ١٤ أغسطس (١٩٢٢)

« ورد على مكرم تلغراف من حرم مرقص حنا بألا يأخذ قلق ، وبأن خطة المتهمين كانت خطة عظيمة ، وقد قالوا إنهم مذنبون ورفضوا الدفاع عن أنفسهم ، « وهناك أخبار سارة بالنسبة لكم أيضا ! » . فأول مكرم وصاحبه - مصطفى النحاس وسينوت حنا - أن المتهمين صرحوا بأنهم مذنبون . . أنهم أتوا العمل الذي نسب إليهم . . أنهم فعلوا ما فعلوه خدعة لأوطانهم ، مخالفين الأوامر ، وللسلطة أن تحكم عليهم بما تشاء . . وهؤلاء الأصحاب يرجعون دائما أن العمل المنسوب إلى القبض عليهم موضوعه منشور فيه احتجاج على معاملتنا وسوء صحتنا .  
. . ولم يقع هذا التأويل من نفسى موقع الارتياح ، لأنه بعيد جدا أن يقول للمتهمون إنهم مذنبون ، ويسهلون بذلك للمحكمة أن تحكم عليهم . . وربما كان القصد من هذه العبارة أن المحكمة اعتبرتهم مدانين ، ولم تسمح لهم بالدفاع كما ينبغي ! . . والاطمئنان الذي تدعو إليه البرقية إنما كان لتفاعة التهمة ، أما العبارة الأخيرة : « هناك أخبار سارة لكم أيضا » ، فربما كانت حرم مرقص حنا قد استعنتها من مصدر موثوق به ، ولم توردها هنا مجرد التطمين في الظروف الحاضرة ، فرماها أن هناك نية في قتلنا . .

والله أعلم . ولا ينبغي أن نذهب في التكهنات إلى بعيد ، ولا أن نميل إلى تأويل يسرنا ساعة ، ثم ينقلب إلى ضده ! »

### الثلاثاء ١٥ أغسطس سنة (١٩٢٢)

« لم أتم إلا نوما متقطعاً . وأصبحت شاعراً بشيء من التعب . وخطر ببالي أنه ربما كانت الخطة المقررة عبارة عن إباء المتهمين أن ينفذوا أوامر ربما كانت صدرت إليهم بالكف عن الاشتغال بالسياسة . فساقوهم إلى الخاكمة . فأصروا على معارضتهم ! . . خطر هذا الخطر بالبال أثناء الأرق والله أعلم . ورأيت في المنام أن نظارة كبيرة عندي كسرت زجاجتها قِطعاً . وشعرت الآن بشيء من الرق في العين اليمنى ! »

• • •

ونقل الإنجليز سعد زغلول من جزيرة سيشل إلى جبل طارق . وهو لا يعرف ما جرى لحمد الباسل وزملائه ! . . وفي يوم الثلاثاء ١٧ أكتوبر (سنة ١٩٢٢) كتب يقول :

« قرأت بكل إعجاب وافتخار مقاله حمد الباسل أمام المحكمة العسكرية يوم محاكمته هو وإخوانه . ووافقه كل إخوانه في التهمة عليه . . مما حق أن يسقط في كل قلب . ويرسم في كل خاطر . ولقد رأيته مطابقاً كل المطابقة لما خمنت يوم ورد لنا في سيشل لتغراف من مدام مرقص حنا بأنهم قالوا إنهم مذنبون . وكانت خطة دفاعهم عن أنفسهم موجبة للفخر والإعجاب ، فقلت إنها لا تكون كذلك إلا إذا كانوا صرحوا بأنهم غير مذنبين : ولا يعرفون لهذه المحكمة سلطاناً عليهم ولا اختصاصاً بهم !

ونازعنى فى ذلك مكرم عيبد ومصطفى النحاس وسينوت حنا . ولقد كان النحاس أشجع معارضة ، ولكن رأيه الذى أصر عليه هو أن المحاكمة كانت بسبب مشورات احتجوا فيها على الحكومة بالنسبة لمعاملتى . وكنت أستبعد ذلك ، لأن مثل هذا الاحتجاج مهما كان شديداً : لاشئ فيه ، ولا يستلزم محاكمة . ولقد صلق تخمينه ( تخمين النحاس ) وكان الحكم عليهم بالإعدام لهذا السبب غريباً جداً ! ولكن أظن أن الخطوة التى سلكوها فى الدفاع هى مما يفخر به كل مصرى ، وهى التى وصلت بالسلطة إلى هذا الحد البالغ من العقوبة ، وهى التى سببت معاملتهم بتلك القسوة البالغة فى السجن .

• • •

وننتقل الآن من سيثل وجبل طارق إلى القاهرة . . . نعرف قصة هؤلاء السبعة الذين حكم عليهم بالإعدام !

وصفهم مراسل جريدة « الحوزنال » الباريسية فى القاهرة بأنهم كانوا سبعة « أسود » فى قفص ! ولكن السجنائين أنفسهم كانوا يشعرون أنهم هم الذين فى القفص ! . . . وفى يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٢٢ دخل ضابط إنجليزى قشلاقات قصر النيل ، وسلم الزعماء السبعة ورقة اتهامهم أمام المحكمة العسكرية البريطانية العليا :

المتهمون : حمد الباسل / ويصا واصف . جورج خياط ، علوى الجزار .

مراد الشريعى . مرقص حنا . واصف غالى .

التهمة الأولى : أنهم ارتكبوا جريمة ضد القانون العسكرى البريطانى ، لأنهم

ارتكبوا جريمة طبع ونشر منشور ، يجرى على كراهية واحتقار حكومة صاحب الجلالة ملك إنجلترا !

**التهمة الثانية :** أنهم ارتكبوا جريمة ضد الحكم العرفي في مصر بتوقيعهم في ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٢ منشوراً الغرض منه إثارة الكراهية ضد النظام الحاضر ، وهذا مخالف لمنشور القائد العام البريطاني في مصر .

وتلا الضابط البريطاني عليهم قرار الاتهام ، ثم سالم : « هل لديكم ما تقولون ؟ » . . . فلم يجيبوا ! . . . لقد رفضوا الإجابة على أسئلة المحقق ورفضوا أن يدفعوا التهمة كانت مصر كلها ورامهم ، وهذا أقوى من أى دفاع ! . . . وقالت جريدة « المورننج بوست » الإنجليزية يوم ٧ أغسطس سنة ١٩٢٢ : بدت القاهرة مدينة شبه مهجورة ، لا حديث للناس إلا محاكمة زعماء الثورة السبعة ، الحملة شديدة ضد حكومة مصر ، كيف سمحت بأن يحاكم سبعة من كبار المصريين أمام محكمة بريطانية ؟ إن وزارة عبد الحالى ثروث باشا تترنح تحت مطارق السخط العام !

وكانت مأساة ! لقد أعلن استقلال مصر في ١٥ مارس ، وقلم سبعة من زعماء مصر لمحكمة بريطانية بعد ذلك بأقل من خمسة شهور ! . . . وفي يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٢ عقدت المحكمة العسكرية البريطانية جلستها الأولى ، مصر كلها خرجت لتشهد محاكمة زعمائها ، مراسلو الصحف الإنجليزية والفرنسية والأمريكية والإيطالية يحتلون الصفوف الأولى .

ودخلت هيئة المحكمة ، كل الأعضاء لإنجليز : الرئيس الكولونيل « لوسن » ، والأعضاء الكولونيل « ويكهام » ، ولماجور « كوك كولسر » ولماجور « كورتس » ، والكابتن « أنجهام » . . . وجلس في كرسي نائب الأحكام المستر « بوستون » المحامي البريطاني . وجلس في كرسي المدعى العام « المستر ماكسويل » !

## كل شيء إنجليزي . . حتى حاجب الجلسة !

وتلا رئيس المحكمة أمرا من القائد العام البريطاني بتأليف المحكمة . . ودخل المتهمون إلى قاعة الجلسة ، فوقف الحاضرون جميعا ! إنها أول مرة يقف فيها الحاضرون للمتهمين ! . . دخل حمد الباسل أولا ، ثم ويصا واصف ، ثم جورج خياط ، ثم علوي الجزائر ، ثم مراد الشريبي ، ثم مرقص حنا ، ثم واصف غالي . وكانوا باسمين ! . . وخلع رئيس المحكمة العسكرية البريطانية نظارته ، وتطلع في وجوههم ! إنه يعجب أن يرى سبعة رجال يستقبلون الموت باسمين ! . . وطلب المحامي الإنجليزي المستر « ماريون » التأجيل . . . ورفضت المحكمة . وقال المحامي إن المحكمة غير مختصة ، وأن تضريح ٢٨ فبراير أعلن أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وأن المتهمين لا يعترفون بهذا التصريح ، ولكنهم يرفضون أن يحاكموا أمام محكمة إنجليزية ! . . واختلت المحكمة للمداولة . . وبعد دقائق عادت تقول إن هذا الاعتراض مرفوض ! . . وقال نائب الأحكام لحمد الباسل : « هل أنت مذنب أو غير مذنب ؟ » قال حمد الباسل : « مع احترامي للهيئة ، وتمسكي بأنها غير مختصة بمحاكمتنا ، وتصميمي على ذلك ، أقرر أنني لست مذنبا ! » فسأله : « وعن تهمة مخالفة منشور القائد البريطاني العام في مصر ؟ » أجاب حمد الباسل : « عن الكل ! » . واتجه نائب الأحكام إلى ويصا واصف وقال : « وأنت ؟ هل أنت مذنب أو غير مذنب ؟ » فقال ويصا واصف : « إن هذه المحكمة غير مختصة ، وأنا غير مذنب ! »

واتجه نائب الأحكام إلى كل عضو من المتهمين ، فأجابوا جميعا نفس

الجواب . . ووقف مستر مكسويل ، المدعي العام ، يقول :

« في ٢٢ يوليو وجد عبد اللطيف محمود — المستخدم في البوطة — منشورات غير معنونة في صندوق الخطابات ، فأوصلها إلى رئيسه ، وظهر أنها منشورات من قيادة الثورة ، منقح عليها من المتهمين . وفي اليوم التالي قبض على رجل في مديرية البحيرة ومعه عدد من نسخ منشور موجه من قيادة الثورة إلى الشعب ، وسأقدم شاهدا هو الضابط مرقص فهمي ليقول لكم ما هي قيادة الثورة ؟ ومن هم أعضاؤها ؟ إنهم كانوا موضوعين تحت رقابة البوليس . إنهم كانوا يلعبون إلى بيت سعد زغلول للاجتماع فيه ، تارة أفرادا ، وأخرى جماعات . لقد فتش البكباشي « أبلت بك » منزل سعد زغلول ، وهو المركز الذي يجتمع فيه قادة الثورة ، وفيه وجدت صورة المنشور ، ومنشورات أخرى كانت تصدرها قيادة الثورة في الماضي . هذا منشور في يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ بإمضاء سعد زغلول يهاجم بريطانيا ! هذا منشور في ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ بإمضاء سعد زغلول ضد بريطانيا ! هذا منشور في ٦ ديسمبر سنة ١٩١٨ بإمضاء سعد زغلول ضد بريطانيا ! هذا تلغراف في ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٨ ضد بريطانيا مرسل إلى رئيس جمهورية أمريكا بإمضاء سعد زغلول ! هذا منشور في أول أكتوبر سنة ١٩١٩ بإمضاء سعد زغلول ضد بريطانيا ! هذا تلغراف ضد بريطانيا إلى رئيس الحكومة الإيطالية بتاريخ ١٣ يناير سنة ١٩١٩ والإمضاء سعد زغلول ! هذا تلغراف أيضا بنفس التاريخ ضد بريطانيا موجه إلى وزير خارجية أمريكا من سعد زغلول ! هذه بركة إلى مجلس العموم !

كل ورقة من هذه الأوراق مخالفة للقانون ! كل منشور يهاجم الأحكام العرفية ! كل منشور يطالب بإخراج الإنجليز من مصر ! إننا ضبطنا في منزل سعد زغلول



ألف نسخة من منشور يحرض على الثورة ، ويهاجم الإنجليز ، ويهدد الحكومة ، ويطالب بمقاطعة البضائع الإنجليزية . . والبنوك الإنجليزية . . والسفن الإنجليزية . . والمخلات التجارية الإنجليزية . . ووجدنا مسودة مكتوبة بالقلم الرصاص ، وعليها تصحيح ، وترجمة فرنسية له ، وجدولا بأسماء من يقومون بتوزيع المنشور . فتشنا منزل حمد الباسل ، وجدنا خطابا من شخص اسمه إبراهيم فهمي يخبره أنه اتفق مع مطبعة كرامة على طبع خمسة آلاف نسخة ، و ينتظر أمره . وضبطنا بمنزل حمد الباسل خطابا إلى جورج خياط بنير إمضاء ، يعرض عليه صورة النداء . إن هذا كله يثبت أن أعضاء هذه الهيئة لا يعملون إلا بعد أن يتفقوا على عملهم ، كل واحد منهم مسئول عن أعمال الهيئة .

وهنا هز المتهمون السبعة رؤوسهم ، علامة على أنهم على اتفاق . وقام الحامي الإنجليزي مستر مارينوت وقال إن الشامين قرروا الاتسحاب . إن كل طلب طلبناه ورفضتموه ا رفضتم التأجيل ، والمتهمون لا يريدون أن يقولوا شيئا . وادعتم قررت أنكم مخصمون فلا عمل لنا هنا !

وانسحب الحامي الإنجليزي ، وتبعه جميع الشامين . . والتفت نائب الأحكام البريطاني وقال : « هل يتقدم أحد للدفاع عن المتهمين ؟ » . وتلفت القضاة إلى مكان الدفاع فوجدوه خاليا ! .. وقال للمعي البريطاني العام إنه يرى أن يرحل كلامه ، لتبحث المحكمة العسكرية للموقف الجديد ، فإن المتهمين ليس لهم من يلمح عنهم ، وهم لا يريدون الدفاع عن أنفسهم !

ورفضت الجلسة ، وعادت بعد الظهر لتستأنف محاكمة زعماء الثورة بنير دفاع ! وقفت للمعي العام يقول : « هذه المنشورات تصور التآمر ضد زغلول بأنه بطل مصر العظيم ! إنها تقول إنه نفى من البلاد بسبب طغيان الإنجليز واستبداد الأحكام العرفية !

إنهم يتهمون حكومة ثروت باشا بأنها تحكم البلاد بالحديد والنار.. افهوا جيداً معنى الحديد والنار ، إنهم يقولون إن مصر ستناضل إنجلترا كما فعلت أيرلندا . وبعد ذلك وقعت حوادث الاعتداء : كل يوم يقتل إنجليزي ، ضابط ، جندي ، موظف ! لقد وجدنا بمنزل سعد زغلول كتاباً صغيراً فيه أسماء جميع المحال التجارية التي تباع بضائع إنجليزية لمقاطعتها ، وجدنا منشوراً عليه توقيع هؤلاء المتهمين بتاريخ ٢٣ يناير سنة ١٩٢٢ يقولون فيه : « على المصريين أن يسحبوا ودائعهم من المصارف الإنجليزية ، كما أن الواجب على جميع المصريين أن يقبلوا على شراء أسهم بنك مصر ، حتى يبلغ رأس ماله مبلغاً يتناسب مع حالة البلاد الاقتصادية ، وبذلك يتسنى له أن يساعد في إحياء المشروعات الوطنية وتنشيط الصناعة والتجارة المصريتين ! » . . .

إن هذا المنشور يطالب التاجر المصري أن يحتم على عملائه في الخارج ألا يشعروا بضائعهم على سفن إنجليزية ، وليس مصري أن يسافر على مركب إنجليزي ! وعلى الحمالين المصريين أن يرفضوا تفريغ السفن البريطانية ، أو لإدخال بضائعها الجدرك وتموينها بالفحم ! . إن المنشور يحتم على كل مصري ألا يعامل شركات التأمين البريطانية معاملة جديدة ، متى انتهت عقود التأمين التي تكون مددها قصيرة جداً ، كالتأمين ضد السرقة أو الحريق أو الإتلاف ، لا يجوز لمصري تجديدها إلا في شركات غير إنجليزية ، إن المنشور يطالب المصريين بتفضيل المصنوعات الوطنية ، والإعلان عنها ، وتشجيع الإقبال عليها في كل مجلس وفي كل مكان ، ويلزم تفضيل التعامل مع التاجر المصري لأن أرباحه تبقى في البلاد ولا تتسرب إلى الخارج ، وبذلك تزيد ثروة البلاد العامة . أما التاجر الإنجليزي فتجب مقاطعته مقاطعة تامة . وكذلك أكل بضاعة مستوردة من أصل إنجليزي . . أو مستوردة بمعرفة وسطاء إنجليز . .

مهما كانت جنسية المتجر ، ولو كان مصرياً ! . . إن المنشور يطالب المصريين

أن ييشروا بهذا النظام الجديد ، ويداع في الجوامع ، والكنائس ، وجميع النقابات ،  
والهيئات المنظمة . . وفي كل عائلة ، وفي كل قرية ، وفي جميع الجهات . إن  
المنشور يعمل كل امرأة في مصر مسئولة عن تنفيذ هذه القرارات ! إن المنشور ينتهى  
بهذه العبارات :

« أيها المصريون . .

« إن المقاطعة وعلين التعاون! أمضى سلاح تملكونه اليوم ، فأحكموا استعماله ،  
ولا تدعوه يسقط من أيديكم فيصير به علوكم وجوهكم ، وذودوا به عن أنفسكم إلى  
النهاية يسلمكم إلى النصر . ، وليكن ذلك عقيدة في أعماق نفوسكم ، وديننا يملك  
عليكم مشاعركم . أثبتوا به أنكم شعب متحد في غايته ، منظم في خطواته ، ذو هزيمة  
صلبة ، وبمجهودات مستمرة ، وتضحيات متوالية . حرام أن تبس أجسادكم صناعة  
إنجليزية بعد اليوم ، وحرام أن تمتد أيديكم لمعاونة إنجليزي ، واعلموا أنه بقدر  
ما يكون إحكامكم في استعمال سلاحكم ، وإجماعكم على تنفيذ إرادتكم ، يكون  
احترامه لعظيم وطنيتكم ، وانحناؤه أمام قوة إيمانكم ، ومتين إجماعكم بحقوقكم . .

« أيها المصريون . . اذكروا على الدوام أن الله معنا ، والحق في جانبنا ، والتضامن  
في صفوفنا ، وأن النصر آت لا ريب فيه »

إن هذا القرار الخطير وقعه حمد الباسل ، وويصا واصف ، وچورج خياط ،  
ومرخص حنا ، وعلوى الجزائر ، ومراد الشريعى ، وواصف غالى .

ثم سكت المدعى الإنجليزي العام قليلا وقال : « إن كل هذا هو الثورة ! ومن  
أجل ذلك أطلب الحكم على هؤلاء السبعة جميعا بالإعدام ! »

وجلس المدعى الإنجليزي العام ، وهو يظن أنه وضع المشقة حول رؤوس  
المصريين السبعة . .

واستدعى رئيس المحكمة الشهود . . وجاء البكباشي « أبلت بك » وضابط  
البوليس يشهدون بأنهم وجدوا هذه المنشورات عند المتهمين السبعة، وبلغت نائب  
الأحكام إلى المتهمين واحداً واحداً : « هل يريد أحد من المتهمين مناقشة  
الشاهد ؟ » فلم يجب أحد . واستدعى أبو بكر الدمرداش بك المفتش بوزارة الداخلية :

س : هل تسلمت في ٣١ يوليو أوراق البكباشي أبلت ؟

ج : نعم ، وكانت الأوراق في غرفة مخومة بالشنع الأحمر .

س : هل فحصت هذه الأوراق ؟

ج : نعم ، فحصت معظمها بمساعدة زميلي عبد السلام محمود المفتش في  
الأمن العام .

س : هلنا الخطاب من على بك ماهر ؟

ج : نعم .

س : هل يقول فيه إنه نظراً إلى سياسة الوفد المستقلة فهو مضطرب إلى الاستقالة ؟

ج : نعم .

س : هل تاريخه أول مارس ؟

ج : نعم .

س : وهذا الخطاب من سعد زغلول في أول أبريل سنة ١٩٢٢ من متفاه في

سيشل يسأل فيه واضحاً غالى عن السبب في علم ذكر اسم على ماهر

في تلفزيون أرسله الزعماء السبعة إليه ، ويتساءل عن سبب خروجه ؟

ج : نعم .

س : هل كل منشور وجدته موقع عليه من هؤلاء المتهمين ؟

ج : نعم .

س : هل وجدت منشورات بمنزل جورج خياط ؟

ج : نعم .

وهنا وقف المدعى الإنجليزي العام وقال : « يجب أن تلاحظوا أن هؤلاء المتهمين كانوا يعلمون أن سعد زغلول قرر أن يتخذ مصر حلو أيرلندا ، التي ثارت على الإنجليز ، وكانت تقتل الإنجليز ! فكانوا والحالة هذه يجب أن يقدروا خطورة نشر منشور كالذي أذاعوه ، والذي يحاكون بسببه ! إن ١٦ جريمة قتل ضد الإنجليز وقعت بعد أن قال سعد زغلول : « فلنعمل كما تفعل أيرلندا ! » . إن الذي فعله سعد زغلول في هذه المرة أكثر مما فعلته أيرلندا ! »

وعاد نائب الأحكام يسأل الأمر دأش بك :

س : هل وجدت في بيت مرقص حنا منشورات مؤرخة ١ مارس و ٢ مارس

و ٤ أبريل و ٢٤ أبريل ؟

ج : لم أفحص أوراق مرقص حنا ، والذي فحصها هو زبيلي عبد السلام بك محمود .

س : هل وجدت منشورات في خفية حمد الباسل موقعة من هؤلاء المتهمين ؟

ج : نعم .

س : هل كانت كلها كذلك ؟

ج : كان بعضها يحمل إمضاء على الشمسي .

س : قل لنا الإمضاءات التي رأيتموها على كل منشور .

ج : إن منشور ١ مارس موقع عليه من حمد الباسل وويصا واصف

وعلى ماهر وجورج خياط ومارق حنا وضرار الشريحي وعطوي

الجزار وعلى الشمسي وواصف غالي . ومنشور ٣ مارس عليه توقيع

هؤلاء جميعا . منشور ٨ مارس هو قرار لجنة السيدات بمقاطعة  
الإنجليز. منشور ٢٤ مارس موقع عليه من المتهمين. منشور ٤ أبريل  
و ٢٠ أبريل موقع عليه من المتهمين .

س : كم نسخة وجدت من منشور ١٨ يوليو في بيت سعد زقلول ؟  
ج : مئات .  
س : ألا يمكن حصر العدد ؟  
ج : ألفان تقريبا .

وسأل نائب الأحكام المتهمين : « هل أحد منكم يريد سؤال الشاهد ؟ »  
فهمزوا رؤوسهم علامة الرضخ البات ، وسئل عبد السلام محمود فقال إنه مضطرب  
بين أوراق ويصا وأصعب منشورا بعنوان : « إلى الأمام أيها المصريون ! إلى  
المقاطعة ! » . ووجد هذا المنشور عند مرقص حنا ، ووجد عند المتهمين كراسة  
خمراء فيها أسماء المحال التجارية الإنجليزية في مصر التي يجب مقاطعتها ، وذكر  
الشاهد أنه وجد عند كل متهم من المتهمين منشورات . ووقف نائب الأحكام  
والتفت إلى حمد الباسل وقال : « هل تريد أن تتقدم إلى المحكمة بصفة شاهد أو  
تقدم لما شهدوا آخرين ؟ » . قال حمد الباسل بصوت رهيب : « كلا ، لا أقدم  
كشاهد ، ولا أريد أن أقدم شهودا . ولكن لي كلمة أريد أن أقولها . . . » . وسئل  
للمتهمين الآخرون نفس السؤال ، الواحد تلو الآخر ، فقالوا ما قال حمد الباسل . . .  
وظهر الغيظ على وجه نائب الأحكام فالتفت إلى حمد الباسل وقال له :

« ماذا تريد أن تقول ؟ » .

ووقف حمد الباسل في ثوبه العربي المهيب وقال :

« باسم الشعب المصري . . . إننا نحن الركلاء عن هذا الشعب ، المكلفون

المطالبة باستقلاله ، ولذا لا نستطيع أن نعترف بأى شكل من الأحوال بقضاء محكمة أجنبية ! ولو أن هذه المحكمة العسكرية الإنجليزية تأخذ بتصريح الحكومة الإنجليزية ، أو تعتبره تصريحاً جدياً ، وهو أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، ككلام حقاً عليها أن تعلن من تلقاء نفسها علم اختصاصها بمحاكمتنا ! إن لكم أن تحكموا علينا ، ولكن ليس لكم أن تحكموا ! . . . مهما تكن العقوبة التي يروق لكم أن تشرّفونا بها ، فإننا ستقابلها بالسرور والقبضار ، لأنها خطوة إلى الأمام في طريق المجد ، الذي تسير فيه مصر إلى مصيرها الخالد ! ولو خرجنا من السجن فسنعود إلى جهادنا مرة أخرى . . . ولو متنا ، فإن مصر لن تموت !

### حكمت المحكمة بالإعدام ، فهتفوا : نحييا مصر !

ثم سأل نائب الأحكام باقى المتهمين ، فقال كل واحد منهم إن تصريح حمد الباسل هو باسماً جميعاً !  
وارتسمت الكتابة على وجوه القضاة ، وسادت فترة من الصمت قطعها نائبات الأحكام بتلخيص القضية ، ثم طلب الحكم على السبعة بالإعدام .  
وانخلت المحكمة للمداولة ، وبعد نصف ساعة عادت إلى الانعقاد ، وبدا على وجوه القضاة أنهم قرروا الحكم بالإعدام ! . . . وقال الرئيس المترجم : « هل للمتهمين : هل لديهم شيء يقولونه لتخفيف العقوبة ؟ » ، فأسلم المترجم واحداً واحداً ، فلم يجيب أحد منهم ! .. وتوجه المترجم نحو حمد الباسل وقال : « هل لديك شيء تقولونه لتخفيف العقوبة ؟ » .  
حمد الباسل : لا . . .

المترجم : ويصا واصف ؟

ويصا واصف : لا . . .

المترجم : مراد الشرعبي ؟

مراد الشرعبي : لا . . .

المترجم : علوي الجزار ؟

علوي الجزار : لا . . .

المترجم : جورج خياط ؟

جورج خياط : لا ، مفيش . .

المترجم : مرقص حنا ؟

مرقص حنا : كذلك . .

المترجم : واصف غالي ؟

واصف غالي : كذلك . .

فقال رئيس المحكمة : إن المحاكمة انتهت ، وسنعرض الحكم على القائد العام البريطاني .

وصاح حمد الباسل : « نموت ونحيا مصر ! » . . ودوت المحكمة كلها بهتاف

كالرعد : « نحيا مصر . نحيا الاستقلال . نحيا سعد زغلول ! »

وكان الهاتف رهيبا ، وتلفت رئيس المحكمة وراه ، ثم أسرع في خطاه

واجتمع القضاة ، وأصدروا الحكم بالإجماع بإعدام المتهمين السبعة . . وأرسلوا الحكم إلى

اللورد ألنبي المندوب السامي البريطاني ، فصادق عليه ، وأرسله إلى وزارة الخارجية

البريطانية لتصادق عليه ، وطلب الموافقة على تنفيذ الإعدام . واجتمع مجلس

الوزراء البريطاني وبحث الموضوع الخطير . . ورأت أغلبية الوزراء أن تنفيذ

الإعدام سيؤدي إلى اندلاع ثورة لا نهاية لها .



وقرر مجلس الوزراء البريطاني تعديل الحكم على كل منهم بسبع سنوات ،  
وغرامة خمسة آلاف جنيه .. وأرسل لورد ألنبي يعرض على التخفيف .. ورد وزير  
الخارجية البريطانية بأن مجلس الوزراء لا يريد تغيير قراره .. وأدخل الزعماء إلى  
السجن في صباح يوم السبت

### قيادة جديدة وبيان جديد

وفي ظهر يوم السبت تألفت قيادة جديدة من : شيخ العرب المصري السعدى ،  
ومحمد نجيب الغرابي الحامى ، والسيد حسين القصبي ، وفخرى عبد النور ،  
والدكتور نجيب إسكندر - الطيب بمصلحة الصحة - والشيخ مصطفى القبايى ،  
العالم بالأزهر ، وراغب إسكندر الحامى .

وأصدرت قيادة الثورة الجديدة بيانا من نار ، أشد من البيان الذى حكم  
من أجله على السبعة بالإعدام ! .. وفى مساء يوم السبت نفسه أطلق مجاهدين النار  
على مستر براون مدير قسم البساتين . وفى يوم السبت جرح اثنان من البريطانيين . .  
وقامت مصر كلها : مظاهرات فى الشوارع ، إضرابات فى المدارس ، نساء  
يقفن أمام القشلاق البريطانى يهتفن بالإنجليزية والعربية بسقوط الإنجليز ، حرق  
عربات الترام . . وفى يوم الاثنين ذهب البكباشى « سن » مفتش البوليس إلى  
قشلاق المنيل ، وقابل مع قائد المعسكر السبعة المتهمين ، وكان بعضهم يلعب  
الورق ، والبعض يدخن السجائر ، فتلا البكباشى « سن » الحكم عليهم بالإعدام ..  
ثم سكت .

ولم يتحركوا . . !

وعاد بعد دقيقة يقول إن الحكم عدل إلى سبع سنوات . . فوقفوا جميعا وهتفوا :  
 « لتحي مصر ! » ، واستأنفوا لعب الورق . وعقب ذلك حضر مئات الجنود  
 البريطانيين ، ونقلوا المعتقلين في سيارة عسكرية إلى سجن مصر .  
 وفي يوم الاثنين أصدرت قيادة الثورة بيانا جديداً من نار !

### اعتقال أعضاء القيادة الجديدة !

وفي يوم الثلاثاء أصدر القائد البريطاني أمرا بالقبض على محمد نجيب الغرابي ،  
 وفخرى عبد النور ، ومحمود فهمي النقراشي ، والشيخ مصطفى القاياتي ، وحسن  
 يس ، ووضعوا في السجن الحربي البريطاني في القلعة ، ثم نقلوا إلى ثكنة قصر  
 النيل . وكتبت جريدة المورنج بوست في يوم ١٩ أغسطس مقالا بتوقيع الكولونيل  
 جيمس العضو بالبرلمان الإنجليزي جاء فيه أن أنصار سعد زغلول أبلغوه أنهم قرروا  
 القيام بعملية قتل عامة ضد الإنجليز لإخراجهم من البلد . . وفي يوم السبت  
 ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٢ نشرت الوثائق المصرية أمرا من اللورد ألنبي قائد عام  
 القوات البريطانية في القطار المصري والمندوب السامي البريطاني بمصادرة أموال  
 محمد الباسل وزملائه . . وفي يوم الاثنين قبضت السلطات البريطانية على حامد  
 العبد ، وعبد الرؤف العبد ، وصالح الدين العبد ، وحسن سلامة الحامي ، ومحمود  
 فاضل ضابط الكشافة النوية . .

وقامت إضرابات في كل مكان . .

وبدأ الجوينتر بالانفجار . .

وكان الإنجليز قد عرفوا أنهم يجب أن يعملوا شيئا لمحاولة تخفيف الضغط العام،  
 فأعلنوا يوم ١٨ أغسطس أنهم نقلوا سعد زغلول من منفاه السحيق في جزيرة سيشل

بالحيط الهندى إلى صخرة جبل طارق ! وكان الأطباء قد أجبنوا على أن جوميشل سيقتل سعد زغلول . ولكن الرأى العام لم ير فى هذا ترضية كافية ، واستمرت الحوادث ! . . وشاع أن الإنجليز يعاملون الزعماء المسجونين أسوأ معاملة ، فقامت قيادة الرأى العام : أضرب الطلبة ، أضرب عمال المتابر . واضطرت القيادة البريطانية أن تطلب من الحكومة نشر بلاغ رسمى ، فى يوم الثلاثاء ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٢ أصدرت وزارة الداخلية البلاغ التالى :

« إن السبعة المحكوم عليهم من المحكمة العسكرية مسجونين فى سجن المنشية بالقاهرة (سجن مصر الآن) وهم لا يؤدون أى عمل ، ويعاملون بنفس المعاملة التى يعامل بها المحكوم عليهم من المحاكم القنصلية والمختلطة . وما أشنع عن خلق رؤوسهم غير صحيح ، وطعامهم يأتىهم من الخارج تحت مراقبة تودى بكل عناية » .

واستمرت المظاهرات ! . . واضطرت القيادة البريطانية إلى تسير دوريات إنجليزية فى شوارع القاهرة للإرهاب . واستمرت الحوادث والاعتقالات ! . وفى يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٢ كتبت جريدة (الويكلى ستيمستر جازيت) مقالا افتتاحيا قالت فيه : « الحالة فى مصر تدعو إلى الجزع الشديد ، فمن لا ينتصر لسعد زغلول ، إنما تقرر الحقيقة ، فإنه يفعل ما فعله « دى فاليرا » . . ولكن يجب أن نعلم أنه من حماقة أن نجعل معارضة الحكومة ومعارضة الحماية البريطانية ذنبا يحاكم عليه مرتكبه أمام المحاكم العسكرية البريطانية العليا . إننا لو فعلنا ذلك لوجبت معاقبة مصر كلها ! » .

• • •

وحاش الشعب يمشى أمام سجن مصر بالليل والنهار . . يهتف ويصرخ . . ويحاول أن يوصل صوته إلى السبعة الموحدين داخل الزنوزات !

## في الزنانات .. مع المجرمين!

نحن الآن في عنبر رقم ٧ « أفرادى » بسجن قرو ميدان ١ العنبر فيه ١٢ زنانة ،  
من رقم ٣١ إلى رقم ٤٢ :

الزنانة رقم ٣١ فيها محكوم عليه بالسجن سنة ، لأنه ضبط يتاجر بالأفيون ..  
الزنانة رقم ٣٢ فيها « حمد الباسل » عضو الجمعية التشريعية ، محكوم عليه بالسجن  
٧ سنوات أشغالا شاقة ، لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز ضد الحكومة ..  
الزنانة رقم ٣٣ فيها محكوم عليه بالسجن ثلاث سنوات في جريمة هتك عرض ،  
الزنانة رقم ٣٤ فيها « مرقص حنا » نقيب المحامين في المحاكم الأهلية ، محكوم عليه  
بالسجن ٧ سنوات أشغالا شاقة ، لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز ضد الحكومة !  
الزنانة رقم ٣٥ فيها محكوم عليه بالسجن ٥ سنوات في جريمة الاشتراك في قتل ..  
الزنانة رقم ٣٦ فيها « ويصا واصف » نقيب المحامين أمام المحاكم المختلطة ،  
محكوم عليه بالسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة ، لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز  
ضد الحكومة . الزنانة رقم ٣٧ فيها « مراد الشريعي » عضو الجمعية التشريعية ،  
محكوم عليه بالسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة لنفس السبب . الزنانة رقم ٣٨  
فيها محكوم عليه بالسجن سنة ونصف سنة في جريمة سرقة مواشى .. الزنانة  
رقم ٣٩ فيها « جورج خياط » ، محكوم عليه بالسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة  
لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز ضد الحكومة . الزنانة رقم ٤٠ فيها « علوى الجزائر »  
عضو الجمعية التشريعية ، محكوم عليه بالسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة  
لنفس السبب . الزنانة رقم ٤١ فيها محكوم عليه بالسجن ثلاث سنوات ، لجريمة

ليف عصاية لتهريب المخدرات. الزنزاة رقم ٤٢ فيها « واصل غالى » ، محكوم عليه  
 لسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة ، لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز ضد الحكومة .  
 والشاويش عبد المادى المسئول عن العنبر رقم ٧ ( افرادى ) لن يسمع لنا  
 دخول الزنزانات ! إن المسجونين فى هذه الزنزانات لا يسمح لهم القانون بمقابلة  
 حد ! ولكننا نستطيع أن ندخل الزنزاة مع مرقص حنا ، قبيب الحمامين ، ووزير  
 لشغال والمالية بعد ذلك ! . . إننا ندخل هذه الزنزانات مع مذكراته التى  
 بعثت عليها ، التى هى - فى رأى - من الأجزاء التى تنتم مذكرات سعد زغلول  
 رسائله السرية وقصص أبطال الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ . إنها مذكرات رجل  
 نكح عليه بالإعدام ! . . ولنترك مذكرات مرقص حنا تروى القصة من أطراف :  
 آتينا إلى قشلاق قصر النيل ، ثم إلى المحكمة العسكرية البريطانية العليا ،  
 إلى الزنزاة رقم ٣٤ بسجن قره ميدان !  
 كتب مرقص حنا فى مذكراته يقول :

### عمليات القبض ! - ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٢

« اليوم الساعة السادسة صباحا ، استيقظت من النوم على نقر الباب ، وإذا  
 أمور قسم عابدين ، ومعهم ضابط إنجليزى وعساكر إنجليز ، دخلوا المنزل ،  
 طلبوا منى أن أرافقهم إلى قشلاق قصر النيل . اجتهدت أن أتكلم فى التليفون ،  
 يعلونى أحد لأن الجميع نيام . لا يوجد أحد فى المنزل سوى ، لأن زوجتى  
 أولادى بالشام ، والخدام لم يحضر الآن . لبست ونظمت حقيبى ، فأنزلنا الجنود .  
 جئت المنزل محاطا بنحو الثلاثين عسكريا إنجليزيا ، ومعهم أوتوبيل كبير ( لورى )  
 كيو فيه ، أما أنا فركبت مع الضابط فى عربة أخرى عادية . وصلنا قصر النيل ،

فوجدت هناك حمد الجاسل ، وواصف غالى اللذين حضرا قبل بلحظة صغيرة . طلبوا منى أن أذكر كل ما أريده من المنزل ، ففعلت . حضر بعد ذلك مراد الشريف فى الساعة الحادية عشرة ، وقد حضر مباحا من سبالوط ، وعندما علم بقرار القبض علينا قدم نفسه . ثم حضر طوى الجزار الساعة السابعة مساء ، لأنه كان فى شيين الكيم ، اعتقدا كلنا أن الغرض من القبض علينا هو التنى إلى خارج البلاد ، كما كان شأن سعد وأصحابه . قبض على واصل غالى وهو مريض ، كان عند والديه ، أما زوجته فتأية فى أوريا .

## ٢٦ يوليو سنة ١٩٧٢

وحضر وصفا واصف اليوم ، وقد قام من رأس البر لىلا ، ولم يمهله النهار ، حتى لا تحصل مظاهرات . لم تفهم سبب القبض علينا ، ولا الداعى للباشراية ، ولم نعلم بتهمة موجهة ضلنا . إنهم لظالمون ومعتوهون ، سياسة خرقاء ان توصلهم إلى شىء : أعلنا التمكر كثيرا ، فلم نجد مسوفا لهذا القبض ، إذ لم نرتكب أقل مخالفة للقانون أو النظام . استولى على الكدر ، لعدم وجود زوجتى وأولادى بمصر ، ولا أظنه يزول حتى يحضروا . مكنت مع واصل غالى فى غرفة واحدة ، إننى أميل إليه بكل جوارحى ، وأعتنى به ، وأرق إليه لا كأخ فقط بل كأبن . لم يحضر زائر لنا ، وإنما زارنا الجنرال كومنجرىف قائد القوات البريطانية فى مصر ، وكان ظريفا جدا ، وأنا الذى توليت الحديث معه ، لأننى أنا الوحيد الذى يعرف الإنجليزية . يظهر أن الزبارة ممنوعة . . لماذا ؟ بعث بتلغراف لأولادى بالشام . إننى أفكر فى حلم عند وصول هذا التلغراف إليهم ، وهم لم يحض عليهم بالشام أكثر من ١٥ يوما قريبا .

## ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٢

« حضر اليوم جورج خياط ، أخبرنا أنه قبض عليه بالإسكندرية . قضى الليل بقشلاق مصطفى باشا ، ثم سافر إلى مصر حتى وصل إلينا . وقد أخبرنا أنه علم من توفيق دوس بك المحامي أن التهمة الموجهة إلينا هي المؤامرة على قتل الإنجليز . »

## ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٢

« قرأنا في الجرائد ما نقلته من تلغرافات لندن ، عن الصحف الإنجليزية ، من أننا حرصنا على القتل وعلى أعمال القوة ، وأن مستر هورمسورث وكيل الخارجية البريطانية صرح بذلك في البرلمان ، ردا على سؤال وجه إليه في مجلس العموم . إن غياب أولادى لم يقدنى الشجاعة لحظة واحدة . ولكنه ملأنى ألما وكدرا . كل منا يتشجع ويشجع إخوانه ، كل منا يتصور أنه الشجاع ، وبعضهم لا يفرق بين الألم والشجاعة ، ولكننا دائبون على لعب الطاولة ، والورق ، والضحك ! . . أرسلنا احتجاجا إلى لورد ألنبي على تصريحات مستر هورمسورث وكيل وزارة الخارجية في مجلس العموم البريطاني ، وقلنا له إننا نحاربك بسلاح الحق والعدل والقانون ، بالسلاح المشروع ، ونحتج على نسبة أعمال التهديد إلينا »

## ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٢

« لقد فحصت نفسى فحوصا دقيقا : هل أنا خائف ؟ كلا وألف كلا ! إنما أنا متألم لغياب أولادى ، ويلوح لى أنى أشد زلاى تعلقا بزوجتى وأولادى ، إلى وائى أنه إذا حضر أولادى ، يزول ألمى تماما ، وليكن مايريد الله . قال بعض

الحامين لأحد الزملاء إن المنشورات لا توقيع عليها ، فيمكن إنكارها ! إن المسألة ليست مسألة دفاع ، وإنما مسألة كرامة ، واحترام شخصي . بل أكثر من ذلك ، إنها مسألة أمة بأسرها ، أضلنا على عاتقنا الدفاع عنها ، فكيف ننكر عملنا ؟ ونحن إنما وكلنا من قبل الأمة للقيام بهذا العمل ، وهو عمل مشروع ، والبيان بيان مشروع ، ولا يتقرب ضميرنا أى وزير أو خطيئة . وقد ذكرت الجرائد أن مستر هورسورث وكيل الخارجية البريطانية عاد فصرح بالبرلمان أن الغرض هو إبعادنا عن الحياة العادية ، لتتمكن وزارة ثروت باشا من المضي في عملها ! إن هؤلاء الناس لا يستحيون من الله ولا من الناس ... بعد أن يتهمنا أمام العالم أجمع بأننا مجرمون ، نحرضنا على أعمال القتل والقتل ، لا يخلج من التصريح بأن الغرض مجرد إبعادنا من وجه الوزارة ! . لا عدل ولا شرف ولا حياة ! وإذا لا يكتفون إذن بالإبعاد ؟ . . . نشرت الجرائد أنه تقرر إحالتنا على محكمة عسكرية نهائيا . ساءنا ذلك كل الإساءة ، وآلمنا جداً ، ولكننا تسلحنا بسلاح الشجاعة والحق ، ومغيبنا في أحياتنا اليومية كالعادة ، غير أن نومنا غير هادئ ، ووددنا لو أنه تقرر نفينا إلى خارج البلاد ، ذلك خير من محاكمة ظالمة !

واصف غالى ليس معنا ، لأنه نقل إلى المستشفى بسبب مرضه .

٣٠ يوليو سنة ١٩٢٢

« حضر مأمور قسم عابدين ، وأخبرنى أنهم سيفتشون منزلى ، وسألنى عن المفاتيح . وعلمت أن منازل بعض زملائى فتشت ، أو ستفتش اليوم . فهمنا من ذلك أن قرار الإحالة على محاكمة عسكرية بريطانية صحيح . فى الظهور ، علمت أن التفتيش تم ، وأنهم أدخلوا بعض الأوراق من منزلى ، ومن منازل الآخرين ،



باعدوا مراد الشريعى فلأنهم لم يجدوا بمنزله شيئا . لم أهتم بذلك على الإطلاق ،  
 بأن أوراق كلها أوراق عادية ، وكذلك زملائي ، وقد استغرق اهتمامي ملاً فؤادي ،  
 بودة أولادي . فهمنا أننا سنحال — طبعا — بالتهمة التي ذكرها مستر هورسورث  
 كانت شائعة في البلد ، وهي التحريض على الإجرام . ولاشك أن ذلك كان يحرك  
 ما كنا ، ولكننا كنا في شجاعة تامة . وبما يستلفت النظر أني ظننت دائماً أن المسألة  
 زلية وشكيلة أكثر منها حقيقة ، لأن الله لا يرضى الظلم بهذه الشناعة ! »

### ٣١ يوليو سنة ١٩٢٢

« ماذنبنا ، سوى أننا دافعنا ، بنام الشرف والهمة والإخلاص ، عن بلادنا  
 من حقوقها ؟ هل هذا جرم ؟ في عرف من ؟ إن العقاب على هذا الأمر كالعقاب  
 على الأكل والشرب . . لا يمكن أن يصل الظلم إلى هذه الدرجة ! غريب أن يسمى  
 سه شريفاً ذلك الذي يسمى الدفاع عن الوطن إجراماً ! إن الدفاع عن الوطن  
 مبيلة سامية ، كيف يكون شريفاً وهو يعاقب الناس على الفضيلة ؟ كيف يكون  
 ريفاً ذلك الذي يستعمل قوته وسلاحه ضد أمة عزلاء ، ليسطو عليها ، ويغتالها  
 دمه ؟ ما الفرق بين هذا وبين العصابة التي تقبض على المارين ، فتسلبهم أموالهم  
 زافهم ؟ ما حاجته في ذلك ؟ إن حجة الإنجليز أن أمتهم محتاجة إلى هذه البلاد !  
 من السارق في حاجة إلى ما يسرق ؟ إن صبح ذلك ، كانت الأمم الصغيرة  
 حق لها في الحياة ! إنهم يريدون عقابنا لابتلاع اللقمة ! فليكن ! ولكن ماذا  
 بد أولئك المصريون الذين يتولون الحكم ، ويدفعون الإنجليز إلى هذا العمل ، وبأى  
 كف أصفهم ؟ إن أخط الكلمات لا تكفي لوصفهم ! »

## ١ أول أغسطس سنة ١٩٢٢

« إن الله رحيم كريم . لقد أبقى على تضامنتنا ، فأبقى على مظهر الأمة المصرية وشرفها أمام العالم ؛ حصل اليوم التحقيق ، فوجدنا الضابط نائب الأحكام ، ومستر ماكسويل المدعى العام ، ثم محمد بدر الدين مراقب الأمن العام . لم يسألنا الضابط الإنجليزي القائم بوظيفة نائب الأحكام ، سمع الشهود بأننا أعضاء في الوفد . . ثم سمع شهادة بأن البيان الأخير طبع ونشر . ثم سمع شهود نفتيش بيوتنا »

## ٢ أغسطس سنة ١٩٢٢

« انتهى الأمر ! تأكدنا من إحالتنا على محكمة عسكرية ، لكن ماهي التهمة ؟ لم نفهمها ! فكرنا في تعيين محام للاستشارة ، قررنا استدعاء أحمد حسن وبجدي ، وانتخبنا المحامي « مورتى » الذي لم نجد سواه بسبب إجازات الصيف . »

## ٣ أغسطس سنة ١٩٢٢

« حضر توفيق دوس وأخبرنا أن قرار الاتهام سيعان إلينا قريباً ، وأن مستر مكسويل المدعى العام العسكري العام يشتغل به . حضر أحمد حسن المحامي في المساء ، وأفهمنا أنه علم بالتهمة ، وأنها المؤامرة والتحريض على القتل . إن ثروت يريد أن يبقى على كرسيه ، مهما ضحى في سبيله من الضحايا ، ولا غرابة في ذلك لأنهم لا قلب له ولا ضمير ! وثروت يخدم بلاده ! ! إن هذا المضحك مبلر ! إن هذه الخدمة تستلزم التضحية ، بل هو يهزأ بمن يضحى بنفسه ، ويرى أن الحكمة والمهارة

أن ينال المرء مبتغاه الشخصي بأى وسيلة من الوسائل ، وأن التضحية مهزلة وجنوناً . .  
عاد واصف غالى من المستشفى ، صحته أحسن كثيراً ، وعدت إلى الاهتمام به  
وبصحته . .

#### ٤ أغسطس سنة ١٩٢٢

« زارنى أولادى وزوجتى اليوم ، إني لا أستطيع أن أعبر عما شملنى من الفرح  
والسرور والجلل عند مقابلتهم . لقد تغيرت ! جاءوا وزال منى كل ألم ، وظهر  
على البشر والفرح . فعلاً أصبحت رجلاً جديداً ، سرفى جداً أنهم مملوون شجاعة .  
كلهم يكادون أن يكونوا مسرورين للشرف الذى نالنى ، رغمًا عن ألمهم الطبيعى  
لابتعادى عنهم . ومن الصدف الغريبة أن قرار الاتهام وصل عند وصولهم ،  
مع أن اليوم هو اليوم الأول من أيام عيد الأضحى ! ولاشك أن الإنجليز قصدوا الإيلام  
بإرسال قرار الاتهام لنا فى هذا اليوم بالذات !

اطلعنا على قرار الاتهام ، وإذا بالتهم مضحكة ، مى الطعن على الحكومة !  
والحقيقة أننا لم نطعن على الحكومة ، بل على الوزارة ، ولعقاب على هذا ، والطعن  
على الحكومة جنحة ! . . لماذا عدل الإنجليز عن تهمتهم الأولى ؟ إنهم لا يبالون  
بالأدلة ولا بالقضاء . وأى تهمة ، هذه التهمة الجديدة ؟ ألم يكن من الأشرف  
أن يعدلوا عن الاتهام بالمرّة ؟ »

#### ٥ أغسطس سنة ١٩٢٢

« اطلعنا على نص قرار الاتهام ، وعلى نص الأوراق التى ضبطت عندنا ،  
لا شئ ، لا شئ سوى البيانات والخطب . علمت أن الخزانة التى فى بيتى نقلت

إلى القسم . لقد كنا وطننا النفس على مقابلة الحقنة مهما بلغت ، وقد انتظر بعضنا الحكم بأقصى عقاب ، لأن من يتهمنا كذبا بأننا نخوض على أعمال القوة ، لا يقف أمام أى حكم ظالم . كنت أعتقد أن الإنجليز ، رغمًا عن سياستهم الخرفاء ، لا يمكن أن يرتكبوا ظلما شخصيا . ولكن حادثة دنشراى أولا دلتنى على أن لورد كرومر رجلان : رجل الحياة العادية . ورجل السياسة . وأن رجل السياسة لا يقف أمامه الظلم الشنيع ١ . . ورأيت حوادث ظلم أخرى من عام ١٩١٩ إلى الآن ، ولكنى مع ذلك كنت لأجزم بالظلم الشخصى ، لأنى اعتدت ألا أكون رأيا جازيا إلا بعد الاطلاع على كل مايجرى فى المسألة . ولكن حادثتنا دلتنى على أن الإنجليز لا يقفون مطلقا أمام الظلم ، وأن السياسة لا تقف أمامه ١

نحن نخوض على القتل ؟ . . نحن قتلة ؟ أنا قاتل ؟ إنهم يعلمون حق العلم أن هذا كذب ومستحيل . ومع ذلك قلت فى نفسى : لعل ضميرهم دفعهم إلى تعديل هذا الاتهام ، وبالاتهام الجديد ، ولعلمهم يريادون بهذا الاتهام الجديد مجرد عدم الظهور بالفشل . إن للحق سلطانا لا يغلب ١ . . وصلتنا ورقة بأن الجلاسة تحدت ليوم الأربعاء ٩ أغسطس أمام المحكمة العسكرية البريطانية العليا . هل ندافع عن أنفسنا ؟ وكيف ندافع ؟ اتفقنا على الدفاع بعدم اختصاص المحكمة العسكرية ، أما الموضوع فاختلطنا فيه : اثنان منا - واصف غالى . وأنا - صممنا على عدم الدفاع فى الموضوع بتاتا . لأننا لانعترف للمحكمة باختصاص ، ولأنه لا يلىق منا ، ونحن وكلاء الأمة . أن نسلم بهذا الاختصاص ، هذا فضلا عن أننا أمام محكمة عسكرية لاندرى للدفاع من قيمة أمامها . ومهما كان الأمر . فإن الدفاع إنكار لخطتنا وبرناجنا . وقد انضم حمد الباسل إلينا ، بسكوته أولا عن المعارضة مع الآخرين . ثم بتصريحه برأيه . أما الآخرون فصمموا على الدفاع . وفعلا

أعزوا إلى المحامين أن يحضروا ، فأخذ مجدى وأحمد حسن ومستر مورتى فى تحضير الدفاع ، فتركناهم يفعلون ، مع بقائنا على رأينا »

## ٦ أغسطس سنة ١٩٢٢

« عدنا إلى اللداوة فى أمر الامتناع عن الدفاع ، فلم ننجح فى إقناعهم . واستمر المحامون يحضرون الدفاع ، ويلوح لى أنهم جميعا يجهلون أحكام القانون الإنجليزى ، ويتخبطون . و« سابا حبشى » يساعدهم ، ولكنه يرى رأينا فى عدم الدفاع . وكل من يزورنا يعجب بخطة عدم الدفاع ، ويعيب الدفاع جداً . قلت لواحد منهم : « إن زوجتى أيضا ترى عدم الدفاع » . فأجابنى منفعل : « أما أنا فزوجتى ترى أن أبيع أملاكى ، وأدفع الثمن لمن يدافع عني ! » . وبعد مداوات طويلة لم يغير واحد منهم رأيه . وأحاط بى الألم بسبب هذا الخلاف ، لأنه لاشك عندى أن عدم الدفاع أشرف ، وأسمى ، وأليق بمركزنا ، وأننا نخدم بذلك بلادنا خدمة عظمى أمام العالم أجمع .

إننى لم أياس مع ذلك من النجاح ، فلننتظر ! . . سرورى مع ذلك لا يفارقنى ، لأن زوجتى وأولادى يرددون على »

## ٧ أغسطس سنة ١٩٢٢

« سافر مستر مورتى المحامى الإنجليزى عنا لطلب التأجيل من المندوب السامى البريطانى ، فلم يقابله المندوب ، وعلى ذلك فالقضية ستنظر يوم الأربعاء ٩ أغسطس ، أخطرنا بذلك . أى عدالة هذه ؟ عدالة شكلية لاحقيقية ! عدنا للتكلم بشأن الامتناع عن الدفاع : الأغلبية للدفاع : ويصا واصف ، وعلوى الجزار ، وجورج خياط ،

ومراد الشرعي . ولكن مراد الشرعي يعز عليه ألا يكون في صف المتشددين ، ولو أنه يقول بضرورة الدفاع . وبعد الظهور كانت الستات موجودات ( زوجات المتهمين ) فشددت مدام واصف غالى ودام مرقص حنا في ضرورة عدم الدفاع . ويظهر أن هذا أثر على مراد الشرعي ، فطلب من واصف غالى أن يجهز ما نقوله في الجلسة ، فجهره واصف غالى بالفرنسية ، وعدلنا فيه ثم ترجمناه . وكان هذا سببا في أن المعارضين لم يجسروا على المعارضة ، وبذلك فازت الأقلية وتخذ قرارها فعلا . وارتاح الحضور (زوجات المتهمين ) لهذا القرار

## ٨ أغسطس سنة ١٩٢٢

« انتهينا من قرار عدم الدفاع ، وقد سرت ، وسرت زوجتي وولدي يوسف مرقص حنا بهذا القرار كل السرور ، وكلفت بتلاوة البيان في الجلسة . وحضر حمد الباسل في غرقى ، ورجاني أن أتركه يتلو هذا البيان ، فركته له ، وأجبت إلى طلبه بلامناقشة ، فسر ذلك جدأ ، وأنا شعرت أنني إذا لم أجهه كان سيتألم جدأ . إذن سنحاكم غداً ! فليكن ! إن وصف التهمة الأخير جعلنا لانتألم مطلقا ، أما الوصف الأول الذي ذكره مستر هورمسورث وكيل وزارة الخارجية البريطانية بمجلس العموم ، وذكرته الجرائد الإنجليزية ، فكان مؤلا لنا جدأ ، لذاته على الخصوص ، ولا قد يتسبب عليه . أما الوصف الحالى فشر ، ولكنه مكذوب كالأول ، لأننا لم نطعن على الحكومة ، بل طعننا على الوزارة ، وهذا مباح ، وبغيره يصعب الوزير إلها ، كلما فعل شيئا وجب التسبيح بحمده . . إن الإنجليزي ، وهو الرجل البرلماني الضمير ، لا يمكن أن يفسر هذا جرما ، اللهم إلا إذا كان المقصود ارتكاب الظلم علنا ، وبغير حياء ، ولاخوف من الله ، وأظن هذا هو المقصود ! »

## ٩ أغسطس سنة ١٩٢٢

« قمنا صباحا ، ونحن هاشون ، ولو أن بنا بعض القلق . سرنا إلى المحكمة مخفوريين ، ولما وصلنا ودخلنا الجلسة ، وقف لنا الحاضرون إجلالا ! وعلمنا أن وقت دخول المحكمة لم يقف لها إلا القليل ! السيدات بالجلسة ، وهن جالسات بالقرب منا . طلب المحامي مستر مورقي عدم الاختصاص ، بعد أن طلب التأجيل ، ورفضت المحكمة ، رفضت المحكمة عدم الاختصاص أيضا ! . انسحب جميع المحامين الموجودين ، بعد أن أبان المحامي مستر مورقي أنه لا يقصد بانسحابه التعدي على المحكمة ، ولكنه مكلف بطلب عدم الاختصاص فقط .

خلت أربعة صفوف لانسحاب المحامين ، وكان لذلك تأثير هائل على الحضور وعلى المحكمة ! . . ظهر الارتباك الشديد على المحكمة ، وحينئذ أمر القاضي المترجم أن يسأل : هل من محام بالجلسة عن المتهمين ؟ . . فلم يجاوبه أحد . . ثم أمر القاضي المترجم بأن يسأل : هل من وكيل عن المتهمين ؟ . . فلم يجاوبه أحد : وسمنوا الشهود . . وفي كل مرة طلب القاضي منا أن نوجه أسئلة للشاهد ، فرفضنا ! أجبتنا على السؤال عن التهمة بالنفي . واستمرت الجلسة صباحا ، وبعد الظهر وقد قابلنا أولادنا في الصباح ، وفي الاستراحة بالمحكمة »

## ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٢

« استمرت الجلسة صباح اليوم . تلا حمد الباسل التصريح باسمنا ، وتلاه القاضي بالإنجليزية ، وكانت الترجمة جاهزة ، قدمناها له . كان لهذا التصريح تأثير بليغ ، إنه تصريح تاريخي ، وموقف بديع ! . . وأثناء سماع الشهود

كان بعض المتفرجين يقول إن عدم الدفاع خطأ ، خصوصاً عندما نال المدعى العام  
مستر مكسويل إن جرائم قتل الإنجليز زادت بسبب بياناتنا ، ولكن تلاوة التصريح  
قضت قضاء تاماً على هذا الضعف ، وأظهرت قيادة الثورة في مؤلف كريم جليل ،  
جدير بالأبطال والشجعان .

وقال رئيس المحكمة إنه سيرفع الحكم إلى القائد العام البريطاني . ونادينا :  
لتحى مصر ، وليحى الاستقلال . . .

## ١١ أغسطس سنة ١٩٢٢

« إذن نحن مذنبون ، طبقاً لقرار هذه المحكمة الغربية ! . إذن الطعن على الوزير  
معاقب عليه ، كما قال القاضي الإنجليزي بيرستون إنه لرأى غريب ، من قبل قاض  
إنجليزي على الخصوص ! إذن هي سياسة في سياسة ! إذن هي رواية وتصوير !  
لا شك في ذلك ولا ريب . . إننا لم نرتكب شيئاً ، إن منشوراتنا غير معاقب عليها  
طبقاً للقانون المصري وطبقاً للقانون الإنجليزي . . ما أحقر هذه السياسة التي تغير الرجال ،  
وتسخر الرجال ، وتوجد الرجال الذين يرتكبون الظلم ، ويعاونون الظالمين !  
إن المستبد الذي يأمر بالظلم ، ويحمل سرليته ، لأشرف من ذلك الذي يشترك  
في ارتكاب الظلم وراء مهزلة صورية ، ويخلف أشكال قانونية ! . كيف يقسم  
هؤلاء الناس اليمين ، ثم ينساقون وراء رأي البير ، ويرتكبون الظلم لأن السياسة  
تريد هذا الظلم ؟ » .

## ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٢

« إننا ننتظر — على كل حال — حكماً متناسباً مع الجريمة الموهومة ! وقد أخبرنا  
أن الحكم سيكون بالغرامة ، أو بالسجن ستة أشهر مع وقف التنفيذ ! هل هذا



صحيح ؟ لاندري ! ولكنى لا أزال أعتقد أنه مهما كان الحكم ، فلن يقبل اللورد  
النبى إلا أن يلغيه لأنه لاجرم على الإطلاق ! . . ولكن هل توجد فجالة ؟  
ألسن وأهما ؟ إن سيداتنا وأولادنا مستعدون لقبول الحكم أيا كان ! إنهم مستعدون  
أن يتحملوا بعدنا عنهم زمنا ما ، ونحن على مثل هذا الاستعداد . إننى سعد زغلول  
وأصحاب سعد زغلول لا مبرر له على الإطلاق ، بل هو ظلم محض ، لكن - على  
الأقل - لم يلوثوا العدالة القضائية بارتكابه ويجعلها تمثل مهزلة ، نتحمل فيها مسئولية  
هذا الظلم .

أما أن يسلك الإنجليز معنا طريق القضاء - صوريا - وأن يرتكبوا الظلم باسم  
العدل والقانون ، بل باسم الله الذى أقسموا به ! إن هذا أزال ما كان باقيا عندى  
من شيء من الاعتقاد بأن الإنجليز لا يمكن أن يرتكبوه ! . . ومع ذلك فلننتظر !  
لقد أعجب الناس إعجابا شديدا بموقفنا أثناء المحاكمة ، ولاشك أننا أعطينا مثل  
الشجاعة والبطولة والكرامة . إن هذا لربح عظيم لنا ، ولصبر وللمصريين . إن كان  
الإنجليز يظنون أنهم بذلك يخدمون سياستهم ومركزهم فى مصر ، فهم مخطئون خطأ  
فظيحا ، لأن هذه السياسة تؤدى إلى العكس تماما . إن الذى فهمناه . وفهمه ،  
أن اللورد ألبنى المندوب السامى البريطانى ينساق فى هذه السياسة بمشورة المستر  
إيموس المستشار القضائى ، وأن مستر إيموس هذا هو العوبة فى يد ثروت باشا .  
إنى أعرف إيموس ، وأعرف أنه رجل واقعى ، فكيف يسير بهذا الذى يخالف  
سليقته تماما ؟ . . لاشك أنه منسوق بثروت باشا وأعوانه ،

١٣ أغسطس سنة ١٩٢٢

علمنا أن جنابة فظيعة ارتكبت أمس على مستر براون وأولاده . . إنه لجرم  
شنيع . هل هو سياسى ؟ إن كان سياسيا . وهذا مالاأظنه ، فالمسئولية واقعة على سياسة

الاضطهاد والشدة التي يسلكها الإنجليز . تكدرنا كلنا لوقع هذه الخنايا ، إن المهرض على هذه الخنايات ، إن صبح أنها سياسية ، هم رجال هذه السياسة البريطانية ، لا مطالبة الأمة بحقها . إن المصريين أمة هادئة ساكنة لم تكن تعرف الجرائم السياسية ، فن دفعها إليها ؟ أنتم وسياستكم دون سواكم . ومن الغريب أنهم ورجالهم وبوليسهم لا يعرفون الجناين ، ويقولون إن الجرائم وبياناتنا هي المخرضة عليها .

## الإعدام !

١٤ : أغسطس سنة ١٩٢٢

« الساعة الحادية عشرة صباحا ، أخطرونا أن ضابطا بريطانيا سيحضر ويتلو علينا الحكم . اجتمعنا : . حضر الضابط ومعه مترجم ، وهو أحمد أفندي رفاعي على ما ظن . تلا الضابط الحكم باللغة الإنجليزية ، فإذا هو قاض بالإعدام ! ووقف الضابط عند ذلك ، وترجم المترجم الحكم بالإعدام . ثم استمر الضابط البريطاني . وقال إن اللورد الذي خفض الحكم إلى الأشغال الشاقة سبع سنوات ، وغرامة خمسة آلاف جنيه .

صاح حمد الباسل : « تمينا مصر ! . . وفي الحال دعوت دينا وأصف للعب الطاولة ، وبدأنا نلعب ، وإذا بحمد الباسل يلومنا على ذلك ، ويقول إن هذا غير طبيعي : كيف يحكم علينا بهذا الحكم وأنتم تلعبون الطاولة ؟ فكففنا عن اللعب . والواقع أن هذا الحكم لم يؤثر علينا مطلقا ، ولا أزال اعتقد أنها مهزلة ، وأنه يستحيل أن يضرنا علينا تنفيذ هذا الحكم . وجاء الضابط الإنجليزي ، ونبهوا علينا بالاستعداد للقيام إلى سجن قره ميدان بعد عشر دقائق .



صباحاً ! . . . عندنا شايوش اسمه عبد الهادي . يبيكي كلما رآنا . أو كلما أقفل الباب علينا ! علمنا أنه مفروض علينا البقاء في الزنزانة مقفلة إلى ميعاد الطواير ، وبأكل كل واحد في زنزانتة ، وهي مقفلة » .

## ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٢

« تعب واصف غالى تعباً شديداً من الزنزانة ، حتى قال : إني أكاد أكون في حالة فرح . إني ميت لا محالة . شكرونا تعبنا لأنفسنا ، فإذا بنا متألون جداً من هلمه الحال . ومن وجودنا وسط القتلة والمجرمين . سمح لنا بالأكل من منازلنا . كتبنا لشكوى اللواء وتنجهام باشا مدير السجون ، فقبل لنا إنه يجب أن يكتب كل منا شكوى على جدة . لأنه لا يجوز لنا الاجتماع معاً ، ولا الكلام معاً ، ففعلنا . . . واصف غالى تعب جداً ، ونحن كذلك . جاء الطبيب وهو الدكتور حجار ، ففحصنا وسمح بالسريرونهارا لبعضنا . يزورنا طبيب صباحاً ، وطبيب مساءً ، وكل منا له الحق في أن يعرض نفسه عليه في أى وقت شاء . أحد الأطباء يتحاشانا جداً . ويريد أن يكتفى بخيره شره ! قيل لنا إن كل شيء في يد الحكيمباشي . زارنا الحكيمباشي . وهو رجل نحيف ، ناشف ، ذو وجه ضئيل . لاءمعى له ، ولاشكل محدود . إن أشد آلامنا من وجودنا بالزنزانة المقفلة . علمنا أن مأمور السجن عبد الرحمن سرى نقل ، لأن اللواء وتنجهام باشا مدير السجون كلمه ليلا تليوني : فلم يجده ! » .

## ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٢

« حضر المأمور الجديد أمين حافظ ، وشهرته غير حسنة . لا يسمح لنا بإبقاء شيء

فى الزنزانة سوى الصابونة ! حتى فرشة الأسنان يجب أن تكون بأمر الطبيب ، وملابس النوم تنقل للمخزن ! فرش السرير عبارة عن مرتبة قش وبطانيى صوف خشن جداً ، والمخلدة قش أيضا . وهى واطية ، ولرفعها أضع بطانية مطبقة تحتها ! أكاد لا أكل إلا القليل ظهرا، أما ليلا فلا أكل مطلقا سوى قرقوشة واحدة، أو قطعة جبنه . والباقي كله يأخذه الشاويشية . وصلتنا الكتب ، وقد تسليت نوعا بها ، ولكنى أقرأ وأنا متضايق . الضباط عبد الرحمن يضايقنا ، يمنع فتح الباب ، أو اجتماعنا ، ولكننا مع ذلك لانهمم له ، إن عقليته كعقلية نفر ! الدخان ممنوع ، ولذلك أبطلته ، الجرائد محرومة . نقل واصف غالى للمستشفى اليوم صباحا ، فسيرتاح طبيعا أكثر منا .

## ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٢

« كل الضباط والشاويشية يأسون لحالتنا ، ولكن الشاويشية أشجع من الضباط ، وأكثر إحساسا من الضباط ! لاحظنا أن الضباط جبناء للغاية ، يخافون اللواء وتنجهم كل الخوف ، بل يرتجفون منه ! وإذا حدثناهم ، لا يستحون أن يقولوا لنا : « هل يرضيكم قطع عيشنا أو نقلنا ؟ » . إلخ ! ويتجاهلون أننا ضحينا بأنفسنا ! ثبت لنا من جديد أن الإنجليز لا يستسيغون ولا يرقون إلا الجبناء ، والأشخاص الذين يكونون آلة بين أيديهم . لا شخصية مطلقاً هؤلاء الضباط !

أجتهدت فى قراءة الجرائد . إن بعض المستعملين الصغار أكثر من الكبار شجاعة وإقداما ، واستعدادا للتضحية فى سبيل راحتنا . . . واجتهدت أن أكل ظهرا مع مراد الشريعى ، وكان الشاويش يغمض عينيه ! »

## ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٢

« إن الضباط عبد الرحمن لا يرى أمام عينيه سوى وظيفته ، والمحافظة عليها ، وعدم إغضاب إله اللواء وتجنههم باشا مدير مصلحة السجون ! لا يحسن الكلام ؛ ولا يعرف التلطف ، فإذا أراد ، ظهر بجلاله أنه يخالف طبيعته ! هو وأمور السجن يخافان أن يحسنا معاملتنا ، أو يتساهلنا في مواعيد التضييق ! إنهما يكتفیان . بالقول بأن حالتنا لن تستمر ! إن عدم إضاءة الزنزانة يتعبنا ، ويقولنا جدا ، فما معنى هذا ؟ ولماذا يحرم المسجون من النور ، مع أن النور يعينه على القراءة والكتابة ، أى على الاشتغال بشيء حسن ، وبترية نفسه وتغذية روحه ، وإتمام معلوماته ، فلماذا يحرمون هذا في السجن ؟ هل الغرض التعذيب أو الإصلاح ، خصوصا في سجن معد لمرتكبي الجنح ؟

رأينا اليوم الجلد ، وهو فظيع جداً ، جدير بقرون الوحشية ، أوزن الظلمات . ومن الغريب أن جميع الضباط والشاوشية يرونه طبيعيا وضروريا ! وهناك عقوبة أخرى وهى حبس التأديب ، وهو حبس في غرفة لا شبك فيها ، سوى منور في السقف ، وبها برش وجردل ، ويأكل المسجون فيها خبزا وماء فقط ، ولا يخرج في الطابور ! وقد اقترح بعضهم ( الضباط حسن صفوت ) أن تكون مظلمة ، بلا نور مطلقا نهائيا ، أما ليلا فالنور محرم في كل مكان ، عدا الفسحات للشاوشية والخبراء . . . فظائع في فظائع ! . . لاشك أن المحبوس يخرج وأخلاقه قد انحطت ، وفؤاده قد تعود القساوة والشر ، يخرج وهو أسوأ مما كان ، بل ربما كان طيبا فيخرج شريرا . . لا طريقة للتربية أو التعليم على الإطلاق في السجن ، أما الورش فالحمل فيها

سطحي ظاهري ، وأما الوعظ في الأسبوع مرة ، فلا قيمة له ولانتيجة .  
علمنا أننا لن نشغل في الورش ، ولا في أى شيء . ، بعد انقضاء العشرة  
الأيام الأولى ، التى يسمونها أيام الحجر الصحى ، أى عدم الاختلاط .

٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٢

« حركة غير عادية ! عدو من كل جهة ! نزع كل شيء زائد من الغرف !  
إقفال الزنانات كلها ! سكون تام ! إسراع في التنظيف ! .. من كل جهة تسمع :  
« الباشا جاء . . الباشا حضر ! » . نعم حضر اللواء وتنجهام باشا : إله السجن ،  
وشيطانه ، كما نشاء ! ارتعدت مفاصل الموظفين ، وارتجت قلوبهم ، وكل منهم  
يطلب إلى الله أن يخرج الرجل بغير أن يلاحظ عليه نقصا في عمله ، أو عيبا في  
تصرفاته ! ونحن كذلك أقفلت علينا الأبواب ! وبعد خروجه علمنا أن حمد الباسل  
قابله . فأخبره وتنجهام باشا أنه يخاطر وزارة الداخلية بشأن النظام الذى يتبع معنا ،  
ولم يصله رد للآن ، وأنه يود مساعدتنا ، وأنه وضعنا تحت النظام السياسى من تلقاء  
نفسه ! أما الحكم فيبقى بوضعنا في ليمان أبى زعبل ! وقال وتنجهام باشا إنه  
في انتظار رأى « الباش وزير » ! لاأظن أنه مسرع في الرد ، بل يعتمد الإبطاء ! »

### المرأة المصرية في الجهاز السرى

انتهت مذكرات المرحوم مرقص حنا باشا نقيب المحامين ، ووزير الأشغال  
والمالية . . ولعل من أهم مافى هذه المذكرات دور المرأة المصرية وكيف استطاعت  
زوجات المتهمين من قادة الثورة إقناعهم بأن يرفضوا الدفاع عن أنفسهم ،  
ولو أدى ذلك إلى الحكم بإعدامهم ، فوقفوا هذا الموقف العظيم . . ولكن المرأة المصرية

لعبت في هذا الوقت بالذات دوراً جريئاً ! في تلك الأيام أصدرت السلطة البريطانية العسكرية أمراً بعدم ذكر اسم سعد زغلول ، لافي جريدة . ولا في مجلة . ولا في كتاب . ولا في منشور ! .. وجمعت صفية زغلول زوجات المثهبين السبعة . وعدداً من السيدات المشتغلات بالحركة الوطنية . وقالت لمن إن الإنجليز منعوا ذكر اسم سعد لكي ينسأه المصريون . وينجب أن نتحدى هذا القرار ، وأن نؤلف خطايا من كل سيدة من السيدات الموجودات ، مهبتها أن تكتب على كل ورقة بنكوت بالعبودية والإنجليزية جملة « يحيا سعد » !

ومكثت السيدات بضعة أيام يعملن ليل نهار في بيت سعد زغلول ! أحضرن كل مالديهن من أوراق البنكوت ، وما لدى أهلهن . وأصدقائهن . . ثم طلبت صفية زغلول محمود فهمى النقراشي وأحمد ماهر وأبلغتهما بقرار خطايا السيدات . وبدأت تنتشر في كل البيوت عمليات الكتابة على أوراق البنكوت . . ثم اتصل الجهاز السرى بصياقة الحكومة في الأقاليم ، وراحوا يكتبون كلمة « يحيا سعد » على كل مايلمعون من جنيهاات الضرائب ! ثم اتصل الجهاز السرى بموظفي خزانة وزارة المالية . وتمسوا للفكرة وبدأوا هم الآخرون يسهرون الليال في كتابة كلمة « يحيا سعد » . . وانضم المصريون الذين يعملون في البنوك والمعامل التجارية إلى هذه الحركة السرية . وفوجئ الإنجليز بأن كل ورقة بنكوت في مصر كتب عليها « يحيا سعد » ! . . حتى إن الوزراء قبضوا مرتباتهم أوراق بنكوت مكتوب عليها « يحيا سعد » ! وكبار الإنجليز في الحكومة المصرية قبضوا مرتباتهم وعليها كلمة « يحيا سعد » ! وبلغ من حماس صغار التجار وقتئذ أنهم كانوا يرفضون قبول أى ورقة من فئة الجنيه ليس مكتوب عليها « يحيا سعد » ! وكانوا يقوون للشترى : « هذا جنيه برانى » ! !



وهاج اللورد اللنبي ، وهاجت وزارة ثروت ، وفكروا في إلغاء أوراق البنكنوت ! ولكنهم كانوا يحتاجون إلى طبع أوراق بنكنوت جديدة في لندن ، وكان هذا يستغرق في تلك الأيام ستة شهوراً ثم بدأت حملة اشترك فيها سعاة البريد ، وهي أن يكتبوا كلمة « يحيا سعد » على كل خطاب . . ثم بدأ كل من يرسل خطاباً يكتب كلمة « يحيا سعد » ! وصادرت مصلحة البوستة الخطابات الأولى ، ثم فوجئت بأن كل خطاب مكتوب عليه « يحيا سعد » . . حتى خطابات الحكومة الرسمية ! وفي الوقت نفسه بدأت حملة كتابة « يحيا سعد » على كل جدران البيوت ، أو بناء حكوى !

وغنت المطربة منيرة المهدية أغنية : يا بلح زغلول . . يا حليوه يا بلح ! . وخرجت مصر كلها تغنى في الشوارع : يا بلح زغلول ! واضطرت السلطة البريطانية أن تلغى قرارها بمنع ذكر اسم سعد زغلول في الصحف !

ثم حدثت قضية الحكيم على الزعماء السبعة . . وإساءة معاملتهم في سجن قره ميدان . . وبدأت خلايا السيدات تعمل ! خطابات تصل إلى زوجات الوزراء ، تهديدات بالقتل ! أصبحت كل سيدة عضواً في جمعية « اليد السوداء » ! إن خطابات التهديد التي كانت تصل إلى كل وزير في الوزارة وصلت إلى متوسط مائة خطاب في اليوم ، من كل بلد وكل قرية في مصر ! . . وعجزت الحكومة والأمن العام عن أن يعرفوا أين توجد جمعية اليد السوداء ، التي تهدد بقتل الوزراء إذا لم تحسن معاملة المسجونين السبعة . وانزعجت زوجات الوزراء وبنات الوزراء ! وانزعجت زوجات كبار الموظفين الإنجليز في مصر . . واضطر مجلس الوزراء برياسة ثروت أن يصدر قراراً تحت هذا الضغط - بإلغاء قراره بأن يرتدى الزعماء السبعة ملابس السجن الزرقاء !

• • •

وفي ملوكرات مرقص خنا (يوم أول سبتمبر سنة ١٩٢٢) كتب يقول :

« الساعة الواحدة بعد الظهر أخبرنا اللواء وتنجهام باشا مدير مصلحة السجون بأن نلبس ملابسنا . . في الحال خلعنا ملابس السجن ، ولبسنا ملابسنا العادية . وقد استبشر الجميع بأن ذلك فائحة امتيازات أخرى ، وقال وتنجهام باشا إنه سيحضر غداً لمقابلتنا . »

## ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٢

« حضر وتنجهام ، وقابلنا جميعاً بالمكتب . وانفعل جورج خياط لمجرد عدم وجود الكراسي للجلوس عليها في غرفته ! فصرخ بأعلى صوته : « أحضر لنا الكراسي » وأمر الشاويش بإحضارها ! ثم جلس على الترابيزة حتى تجمىء الكراسي . - فأحضرت الكراسي على الفور . . وقال لنا وتنجهام باشا إنه سيسمح لنا بالتدخين ، وفتح الزنزاة نهاراً ، وأخذ حمام بالمستشفى ، واستعما ، محلات الراحة الخاصة بالضباط ١١ »

## خلايا سرية للعمل في السجن

ولم تفعل المرأة المصرية هذا فقط ! إنها نظمت خلايا سرية لعملية التهريب داخل السجن ! فبرغم الحراسة الشديدة ، وبرغم تعليمات وتنجهام باشا . . وبرغم ذعر الضباط من سعادة الباشا اللواء ، فقد بدأت الرسائل السرية تدخل السجن ! وبدأ قادة الثورة يتصلون من الزنزاة بسعد زغلول في جبل طارق ، وبقيادة الثورة في القاهرة . واستمرت عملية الضغط على الإنجليز . . وتقرر نقل المعتقلين من سجن

مصر إلى معتقل في ألماتة . . ولكنه معتقل يحرسه الإنجليز ! كان الشاويش المصري عبد الهادي هو الصلة بين زنانات سجن مصر ، وخلايا السيدات السرية ! كان هو الذى يوصل الرسائل السرية ! وفوجئ الجهاز السرى للثورة بأن الحراسة على قادة الثورة السبعة في معسكر ألماتة الحربى يتولاها الإنجليز وحدهم ! الديدبان على باب المعسكر إنجليزى ، الحراسة داخل المعسكر من جنود وضباط البوليس الحربى البريطانى ، طبيب المعتقل إنجليزى ، الخدم الذين يعملون في المعسكر كلهم من الإنجليز ! وصدرت التعليمات إلى خلايا السيدات بأن تبحث عن زوجات الضباط والصلوات الإنجليز الذين يتولون العمل في معسكر الاعتقال . . ومحاولة عمل صداقات معهم . ولكن المحاولة فشلت ، لأن الضباط الإنجليز كانوا يصابون بالذعر إذا رأوا مصرى أو مصرية بقرب بيوتهم ، بسبب كثرة الاغتيالات !

وكانت السيدة إستر فهمى ويصا ، هى التى ترأس الخلية التى تقوم بإرهاب زوجات الإنجليز ، وبإثارة الرعب في قلوبهن إذا لم تتحسن معاملة الزعماء المعتقلين !! وانهالت رسائل التهديد بالقتل على زوجات كبار الموظفين الإنجليز في مصر ! وتلقت زوجات موظفى دار المنسوب السامى البريطانى خطابات باللغة الإنجليزية هذا نصها : « إن سبع سيدات مصريات محرومات من أزواجهن لمدة سبع سنوات ، إن سبعة من قادة الثورة يعاملون في معسكر الاعتقال معاملة المجرمين . إذا لم تتحسن هذه المعاملة فوراً فستحرمين من زوجك ، لا سبع سنوات فقط ، وإنما إلى الأبد ! » وأصبحت زوجات كبار الموظفين الإنجليز في دار المنسوب السامى برعب ! وفشلت المحاولات التى بلها اللورد ألبنى لتهديتهن ، وأصدر لورد ألبنى تعليمات بأن توضع حراسة مشددة على زوجات موظفى دار المنسوب السامى البريطانى ، وعلى بيوتهن ، ولكن هذه الإجراءات لم تؤد إلى إزالة الذعر المنتشر ! وعندما ذهب

السيدة إستر فهمى ويصا بعد ذلك لمقابلة اللورد ألنبي تطلب منه إصدار الأمر بتحسين معاملة المحكوم عليهم ، اعترف المندوب السامى بأن جميع زوجات الموظفين فى دار المندوب السامى تقلمن بنفس الطلب !

ولكن نقل المحكوم عليهم من سجن مصر إلى معسكر الجيش البريطانى عقّد مشكلة الجهاز السرى ! . . وذات يوم جاء للجهاز السرى تقرير من خلية السيدات فى مصر الجديدة بأن مسز « كاترين كار » هى زوجة السيرجنت كار الصول فى الجيش البريطانى الذى يشرف على الحراسة الليلية للمعتقلين . . وأن والدها أيرلندى من حزب (السين فين ) ، وأنه قتل برصاص الإنجليز من بضع سنوات . . وأنها مستعدة أن تقوم بأى خدمة ، وأن زوجها تحت سيطرتها التامة !

وبدأ على الفور الاتصال بمسز كاترين كار ! ورتب معها الجهاز السرى أن يسلمها الرسائل السرية ، ويتولى السيرجنت كار وضعها فى سلة طعام العشاء التى تقدم للمعتقلين ! وهكذا لا يعرف المعتقلون من الذى وضع هذه الرسائل السرية فى طعامهم ! . . واستمرت العملية بهذه الطريقة الغريبة !

### صفية زغلول فى الزنزانة !

ولم يستطع الجهاز السرى أن يهرب الرسائل السرية فقط إلى المحكوم عليهم بالإعدام ، وإنما استطاع مرة أن يهرب إلى داخل السجن صفية زغلول نفسها ! . . فقد رأت قيادة الثورة أنه لو استطاعت صفية زغلول أن تدخل المعتقل وتقابل زعماء الثورة المعتقلين لرفعت روحهم المعنوية ! ولكن كيف يحدث هذا ، وهناك

أوامر مشددة بعدم الزيارة ١٩ . . وذهب بعض أعضاء الجهاز السرى إلى الضباط النوبتجى فى المعتقل ، وقالوا له : إن هناك سيدة عجوزاً ، ترغب فى زيارة المعتقلين ، إنها أمهم جميعاً ! فقال الضباط الإنجليزى : كيف يكون لكل هؤلاء الأشخاص المختلفى الأسماء أم واحدة ! قالوا له : « إنها أمهم الروحية التى ربّهم جميعاً ! . . إنك حاربت يا سيدى ، وعرفت معنى الحرب ، فتصور أنك كنت معتقلاً فى قبضة الألمان ، وأن والدتك ، أو سيدة مثل والدتك ، طلبت السماح لها بأن تراك قبل أن ينفذوا فيك حكم الإعدام ، فهل كنت لا تتألم إذا رفض الحراس الألمان أن يسمحوا لها بزيارتك ١٩ ! »

وتأثر الضباط النوبتجى وقال : « هل تعدنى السيدة بالألّا تسعى لتهريب المعتقلين أو لعمل أى شىء من شأنه أن يوقفنى فى مسئولية عسكرية ؟ . . » وقدم أعضاء الجهاز السرى هذا التعهد ! . . وفوجئ " حمد الباسل وزملاؤه بأن رأوا أمامهم صفية زغلول ! وبقيت معهم حوالى الساعة ، تشجعهم ، ثم انصرفت دون أن تعرف السلطات البريطانية بهذه الزيارة !

### تقرير سرى فى سلة الطعام!

وتكررت الرسائل السرية !

وذات مساء فنج مرقص حنا سلة الطعام التى فيها عشاؤه ، ووجد فيها تقريراً سرياً من الأستاذ عبد القادر حمزة - الذى كان يعمل فى جهاز المعلومات للثورة - وهذا هو نص التقرير السرى أنشره كاملاً ليرى القراء طريقة التقارير السرية التى يكتبها الجهاز السرى للمعلومات لقيادة الثورة :

## « سيدى الأستاذ مرقص بك

« كان مستر كار - نائب المندوب السامى البريطانى ... قد طلب من إبراهيم راتب (عضو الوفد) أن يحملنى على مقابلته ، وذلك منذ ثمانية أو تسعة أيام . وقد بلغنى ذلك ، ولكنى تأنيت ، كما أخبرتك أمس ، حتى تكرر الطلب ، وحيثئذ تواعدنا على المقابلة فى دار الحماية ( دار المندوب السامى ) فى الساعة السادسة والنصف بعد الظهر من يوم الاثنين الماضى ، واستمر الحديث من الساعة السادسة وخمس دقائق إلى الساعة الثامنة . بدأ مستر كار بأن قدم لى سيجارة ، وقال : يظهر أننى معروف بينكم بأننى رجل شديد الغلظت : لا . . ولكنك معروف بيننا أنك راغب فى إصلاح ما فسد ، بيد أننا لا نرى لهذا الإصلاح أثراً . . فابتسم مستر كار وقال : « إذن لى سمعة حسنة إلى حد ما ، ويمكننا حيثئذ أن نتكلم بصراحة » . فضحكت وقلت : « لاتتمجل ، فإنك لم تصلح بعد شيئاً ، أن تصلح كثيراً ، لترفع المظالم التى ارتكبت » .

« ثم كلمنى مستر كار كلاماً طويلاً ، لا أرى لزوماً لكتابته هنا : « خاص بى . وإنما أذكر مجمله ، فأقول إنه صرح لى بأنه كان الأمر باعاً إلى وإفقال جريدة البلاغ ، لاعتقاده أنى عملت إظهاره أمام المصريين بمظهر الرجل الذى يدبر المؤامرات ضدهم ، ومن ذلك ما كتبت عنه ، فى دعوته على باسا يكن وبعد الخالق ثروت باشا إلى ذهيته ، وفى حضوره وليمة فى كلوب محمد عزى ثم الأحرار الدستوريين . وقد قلت له هنا : « لماذا تكره أن يعرف عنك أنك صديق لهؤلاء الناس ، فى حين أنهم أصدقاؤك صلاً ؟ » . فقال : « نعم إنى أعرفهم ، ولكنى لا أدبر مؤامرة معهم » . قلت : « إن الرجل القوي الذى يعرف أنه يستطيع بقوته أن ينفذ ما يريد ، ليس محتاجاً إلى تدبير مؤامرات ، إذ المؤامرات إنما تكون من

تُشأن الضعيف الذى يريد أن يصل من طريق الحيلة إلى ما لا يصل إليه من طريق القوة . وأنت على كل حال تخدم وطنك . وتنفذ سياسة لحكومتك ، أما الذين لا يخدمون وطنهم ، بل يعملون بالعمالة على إلحاق الكذى بوطنهم . فهم الآخرون ! » : فقال مستر كار : « أنت تعنى بذلك عدلى باشا وثروت باشا ، وأمثالهما ، وكأنك حينئذ تريد أن تقول إنى أترك لهم أن يتآمروا على ، ويخدعوني » ، ثم تبسم وقال : « أشكرك على هذا المديح ! » قلت : « قد لا يخدمونك أنت شخصياً ، ولكنهم — على كل حال — خدعوا ساستكم طول العام الماضى ، وجعلوكم تعتقدون مالا يمكن أن يكون ! » .

وقال لى مستر كار إنه فى الواقع دعا عدلى باشا وثروت باشا إلى ذهيته ، ودعا أيضاً مستر إيموس ( المستشار القضائى ) ، ولكن كان الغرض من الاجتماع تقديم خدمة لمصر ، لأنه كان قبل ذلك بيوم قد تكلم مع عدلى باشا فى إلغاء الأحكام العرفية ، وكانا قد اتفقا على ذلك ، ولكن بما أنهما رجلان سياسيان ، وإلغاء الأحكام العرفية يستلزم البحث فيه من الوجهة القضائية ، فقد طلب عدلى باشا أن يحضر معه فى اليوم التالى ثروت باشا . وطلب مستر كار أن يحضر مستر إيموس ، وذلك للبحث فى المسألة من أوجهها القضائية . وبعد أن شرح لى مستر كار ذلك قال : « هذا كان الغرض من الاجتماع فى ذهيته ، فهو اجتماع كان يراد منه تقديم خدمة لمصر » . فقلت : « لو أننى عرفت ذلك ، لقبلت أن أكون واحداً من المجتمعين ، ليكون فيكم على الأقل واحد من غير الرجال الذين وضعوا سياسة ٢٨ فبراير » . واستمر الكلام على هذا النحو قليلاً ، ثم انتقل إلى الانتخابات ، واشترك المنفيين والمجرنين والمعتقلين فيها ، وهو ما كتبته لكم أمس ولا لزوم لإعادته .

« وتكلمنا فى سعد زغلول وعدلى باشا ، فكان من رأيه أن عدلى باشا هو الرجل

الوحيد الحكيم في مصر ، فقلت له : « إن عدلى باشا رجل خلقتموه أنتم - وعصديموه بنفوذكم ، ولولا ذلك ، ما كان له وجود ، وأنتم تعرفون ذلك - ولكنكم ترون فيه رجلا يقبل منكم إعطاء الألقاب ، دون مدلولاتها ، فأنتم تؤيدونه لهذا الغرض وحده » . فقال مستر كار : « ولكن سعد باشا ليس رجلا عملياً » . قالت : « وهل تظن حينئذ أنه شاعر ، يعيش في الخيال ، أو تظن أنه عديم التجربة ؟ » . قال : « أعترف بأنه خطيب ، ولكن لا أظنه يزيد على ذلك » . قلت : « لا يقول ذلك إلا رجل يجهل سعد باشا » . قال : « لا تؤاخذنى ، فإنى - في الحقيقة - لم أعرفه ، ولم أحادثه ، لأننى حليث عهد بمصر وساستها » . قلت : « لو أنك عرفت وحدته ، لكان لك فيه رأى آخر ، ولعرفت أن الرجل الذى عالج منصب الوزارة عدة مرات والذى شهد له كل الذين احتكوا به في العمل - سواء كانوا إنجليزاً أو غير إنجليز - بالمقدرة والكفاءة ، ليس خيالياً ، ومع ذلك ألم تقرأ تقرير لجنة ملتر ٢ » . فقال مستر كار : « نعم ، قرأته جيداً » . قلت : « وهل رأيت فيه أن العمل الذى كان سعد باشا يعمل في مفاوضاته مع لجنة ملتر كان عمل رجل خيالى ؟ » قال : « ولكن سعد باشا لم يقبل مشروع ملتر » . قلت : « لم يقبله ، غير أنه قدم تحفظات تجعل كلمة الاستقلال التى فيه ، ذات معنى ، فرفضتم أنتم ، وبعد وفضيكم هذه التحفظات ، اضطرتهم إلى إعطاء أمرها ، وهو إلغاء الحماية ، وإقالة بعض المستشارين في الوزارات ، ولم تستفيدوا من هذا الإعطاء شيئاً » . فقال مستر كار : « وماذا تريد ؟ إن سعد باشا هو شخصية غير مرغوب فيها في لندن » . قلت : « وماذا ؟ هل لذلك من سبب غير ما نعرفه من أنكم لا تريدون أن تعرفوا المصري بشىء اعترافاً صحيحاً ؟ » فقال : « لا أدري » . ولم يرد أن يجيب !

• • •



وانتقل بي مستر كار بعد ذلك فجأة إلى البروجندا التي للمصريين في لندن ، فقال : « كان من أعظم غلطات سعد باشا أنه احتجى في جريدة الديلي هيرالد ( لسان حال حزب العمال البريطانى ) . إنها جريدة محقرة ، تعطى الإنجليز صورة سيئة في كل ما تكتب فيه ! » . فقلت : « لا أعرف ما هى قيمة حكمك هذا على جريدة الديلي هيرالد ، لأنى لست خبيراً بالجرائد الإنجليزية ، ولكن أى ذنب لسعد باشا فيما فعله ؟ ضع نفسك مكانه ، وقل لى بإخلاص هل كنت تفعل غير ما فعله ؟ إنه ذهب إلى لندن ، وبحث فيها عن جرائد توصل آراءه إلى الرأى العام البريطانى ، فلم يجد غير الديلي هيرالد ، فاشترى بعض أسهمها ، فهذه الجريدة تدافع الآن عنه ، وعن آرائه ، وعن القضية المصرية بالإجمال دفاعاً عادلاً ! » . قال مستر كار : « لو كنت مكان سعد باشا لقطععت صلي بالديلي هيرالد ! » فقلت له : « لا أصدق أنك ترفض أن يكون لك نصير فى بلد أنت محتاج فيه لكل من ينصرك ، ومع ذلك كيف تتصور أن يقطع سعد باشا الآن صلته بهذه الجريدة ؟ » . قال مستر كار : « ما عليه إلا أن يكف عن أن يدفع لها النقود التى يرسلها إليها من وقت لآخر » . قلت : « اسمح لى أن أقول إن معلوماتك فى هذا خطأ محض ، فإنه لا سعد باشا ولا أحد غيره من أنصاره دفع لهذه الجريدة نقوداً . أما قطع الصلة فع أنه غير مرغوب فيه ، فهو مستحيل أيضاً ، لأنه لا يمكن تصويره إلا فى حالة واحدة ، هى أن يبيع سعد باشا الأسهم التى فى يده ، فهل نظن أنه إذا عرضها للبيع يجد من يشتريها ؟ » . قال : « كلا » . قلت : « إذن ليس القطع ممكناً ، وهو غير مرغوب فيه كما قلت لك ، لأننا محتاجون لكل جريدة ترفع صوتنا فى لندن » . فقال مستر كار : « أنتم تعتمدون أيضاً على رجل غير محترم فى نظر الرأى العام البريطانى ! » . فقلت : « من هو ؟ » . قال : « هو

لأنجلون ديفيز . . إنكم تدفعون له نقوداً لتشتروا خدمته . ولكنه لا يمكن أن ينفياكم بشيء . أتريدون نصيحة مني ؟ أوصيكم بأحد تتمدوا على رجال مثل مستر « سپور » الرجل المحترم ا . . . قلت : « ذاك تصور أن المال لديها كثير ، لا نعرف ماذا نفعل به . حتى ندفعه لمناهة الجريدة . أو هذا الرجل . . أؤكد لك أنني لم أعلم إلى هذه الساعة أن أحداً من المصريين يدفع لمستر « لأنجلون ديفيز » نقوداً ا . . . فقال مستر كار : « أنت إذن لا تعرف ما هنالك . . فاستخير تعرف الحقيقة ا . . . قلت : « ألم تصادروا أموال الثروة ؟ وأموال الزغوليين ؟ لا . لا . دع هذا ، إذا أردت أن تعرف نظرية المصريين في استعانتهم بأحرار إنجليز . فنظرتهم هي أنهم يرحبون بكل من يؤيدهم منهم ، ويرفع صوتهم ، وهم لا ينظرون في ذلك إلا إلى شيء واحد هو خدمة قضيتهم » .

وتكلمنا بعد ذلك في الدستور ، فقال مستر كار : « ما رأيك فيه ؟ » . قلت : « رأي أنه ناقص ، ومعتل التنفيذ » . فقال : « أحب أن أعرف شيئاً من انتقاداتك على الدستور في ذاته ؟ » . قلت : « أول هذه الانتقادات أنه لم يذكر حدود الدولة المصرية ، وأنه أغفل السودان ... » ، فقاطعتي قائلاً : « لا . لا . . . دع مسألة السودان جانباً ، وكلمني في غيرها » . قلت : « إننا نحن المصريين لا يمكن أن نتنازل عن التمسك بالسودان ، ومع ذلك فهناك غير هذا النقص . . في الدستور نقائص رجعية كثيرة ، منها أن الدستور قرر حرية الصحافة ثم هملها ا . . » .

وكان نص الدستور أمامه ، فأخذه مستر كار ، وقرأ المادة الخاصة بحرية الصحافة ثم قال : « إنك تشير بذلك إلى القيد الأخير في المادة ؟ » . قلت : « نعم . وهو قيد مبهم ، تستطيع معه كل حكومة مستبدلة أن تزهد الصحف ، بدعوى

المحافظة على النظام الاجتماعي ! « فضحك وقال : « إنني أحب ذلك ! » قلت :  
« أنت إذن عدو الصحافة ! » .

\* \* \*

وسألني مستر كار عن انتقاد آخر ، فقلت : « إن حرية الاجتماع قررت ،  
ثم هدمت ! وإن المسؤولية الوزارية قررت ، ثم أعطى الوزراء مخرجاً منها بإرجائهم  
الاقتراع ثمانية أيام ، كى يتسع لديهم الوقت ، لنس الدساتر واستالة النواب ! » .  
فقال : « إن أمراً كهذا يوجد في دستور بولندا ! » . قلت : « ألم تجدوا لنا  
إلا دستور بولندا تأخذ منه ؟ » . وسألني مستر كار عن انتقاد آخر ، فقلت :  
« إن المادة الخاصة بتعديل الدستور تجعل التعديل مستحيلاً ، إذا لم يكن الملك  
راضياً به ! » . فنزعني مستر كار في ذلك ، وقال : « إن البرلمان يستطيع أن  
يجبر الملك على التعديل ، كما يجبره على أى قانون آخر ، بالطريق البرلماني » .  
قلت : « كلا ! أنت غلطى في هذا » . قال : « بينى وبينك نص المادة ! » .  
قلت : « اقرأها ! » . فبحث مستر كار عنها ، ثم قرأها بإمعان وقال : « صدقت :  
ولكن الملك فؤاد لا يحسر على أن يقف في وجه الشعب ! » . قلت : « وهل الدستور  
يوضع ، ليكون منظوراً فيه أن هذا الملك يحسر ، وذاك لا يحسر ؟ » . فقال : « إنني  
مندهش من ملاحظتك هذه ، فقد كنت أظن أنكم لا تذكرون سلطة الملك ! » .  
قلت : « إذن كنت تظن أننا إذا طلبنا السلطة للشعب فإنما نطلبها ونحن لا نعرف  
معناها ! » . قال : « وماذا كنتم تقولون لو أن الدستور صدر ، كما كان نسيم باشا  
قد وضعه ؟ » . قلت : « كنا نحتج أكثر مما نحتج اليوم ! » .

عبد القادر حمزة

ولقد كان ما يضايق حكومة المحافظين في إنجلترا اتصالات سعد زغلول بالاشرايين

فى إنجلترا . وأنه اشترى أسهماً فى جريدة ( الدبلى هيرالد ) لسان حال حزب العمال ، وأنه كان على اتصال مستمر بأحد الاشتراكيين المتطرفين وهو مسر « لانجلدون ديثيز » من العمال المتطرفين . وكان المحافظون يتهمون العمال بأن مبادئهم هدامة ستخرب بريطانيا !! وكانوا فى فرع من الاتصال الوثيق بين سعد زغلول وبينهم ، وكان مما يشير الإنجليز أيضاً أعمال العنف التى يقوم بها الجهاز السرى . التى لم تقطع طوال الثورة ! لقد استطاع الجهاز السرى أن يجعل حياة الموظفين الإنجليز فى مصر غير محتملة ! إن بين يديّ برقية أرسلها لورد ألنبي أثناء الثورة إلى لورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية هذا نصها : « من الفيلد مارشال الفيكونت ألنبي ، إلى ماركيز كيرزون أوف كيدلستون . ( وصلت ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢١ تلغرافياً ) : « القاهرة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢١ : إن مستشار وزارة الداخلية ، ومستشار وزارة المالية بالنيابة ، ومستشار وزارة المعارف ، والمستشار القضائى بالنيابة ، مجتمعون على أن أى قرار لايعترف بمبدأ استقلال مصر ، أو أى قرار يتمسك بالحماية من المؤكد أن يثير مغامرة خطيرة تؤدى إلى ثورة فى أنحاء البلاد ، وتؤدى إلى فوضى إدارية ، وتجعل الحكم مستحيلاً . من المستحيل مباشرة أى سيطرة بريطانية بدون التعاون المصرى الكامل فى كل فروع الإدارة . ظهر ذلك فى ربيع ١٩١٩ عندما حدثت محاولة للحكم بدون وزارة مصرية ، ومع إضراب جزء كبير من الموظفين المصريين . ولم تكن حكومة جلالة ملك بريطانيا مستعدة لتقديم إرضاء جوهري لأمانى الشعب المصرى فسيكون من المستحيل تكوين أى وزارة . . لقد استطاعت قوتنا العسكرية الشديدة وهى تعمل بعنف ، أن تحافظ على قدر معين من الأمن للحياة والممتلكات فى المدن الكبرى ، ولكن المهمة ستكون أكثر صعوبة فى الأقاليم » ( انتهت برقية لورد ألنبي السرية ) .

واستمرت حوادث العنف والاعتقالات ضد الإنجليز ، إلى أول فبراير سنة ١٩٢٢ ..  
وبدأ الإنجليز يلوحون بإلغاء الحماية ! وأعلنوا أن لورد ألنبي سافر إلى لندن ليتفق  
على إعلان الاستقلال !  
ولكن الجهاز السرى لم يؤخذ بالألفاظ !

\* \* \*

أصدر نائب اللورد ألنبي المندوب السامى البريطانى أمراً إلى البوليس بعمل  
دوريات مسلحة ، برياسة ضابط إنجليزى ، تقف عند مفترق الطرق ، لتفتيش  
المارة راجلين أو ركوباً وضبط ما معهم من الأسلحة ، وإطلاق الرصاص فوراً  
على كل مسلح يحاول الفرار من التفتيش ! واحتلت الدوريات العسكرية جميع  
منافذ الشوارع الكبرى فى العاصمة ، وتمحلت فى جميع الأحياء بالليل والنهار :  
وكانت توقف السيارات والعربات الحنطور وعربات النقل ، وتفتشها ! وتوهمت  
أن أعضاء الجهاز السرى يتنكرون بالملايات اللف ، ويخفون داخل الملايات اللف  
المسلحات . . ! وتقرر الاستعانة بسيدات مالطيات - من اللائى يعملن فى الجيش  
البريطانى - لتتولى السيدات تفتيش المصريات المشتبه فيهن ! وأصدر نائب اللورد  
ألنبي أمراً إلى السلطات البريطانية فى يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٢٢ بتفتيش ١٣٤٠ منزلاً  
ومحلات تجارياً فى العاصمة فى جميع الأحياء ، بحثاً عن الأسلحة التى يقتل بها الإنجليز !  
ولكن الاعتقالات استمرت .

\* \* \*

وفى ١٥ فبراير سنة ١٩٢٢ أطلق مجهولون الرصاص على المستر . برايس  
هوبكنس . أحد كبار الموظفين الإنجليز فى مصر ، وحمل إلى المستشفى فى حالة  
خطرة . وفى ١٧ فبراير سنة ١٩٢٢ وجدت جثة المستر . جوردان . أحد كبار

الموظفين الإنجليز ملقاة في شبرا بعد قتله بالرصاص . وفى ١٨ فبراير سنة ١٩٢٢ أطلق الرصاص على «مستر براون» أحد كبار موظفي وزارة المعارف بجوار داره في جاردن سیتی . وفى ١٨ فبراير سنة ١٩٢٢ أيضاً أطلق الرصاص على المستر «بيتش» المهندس بمصلحة السكة الحديد في جهة المطرية . وفى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٢ وجهت القنصليات البريطانية في جميع المدن التحذير التالى إلى جميع رعايا بريطانيا :

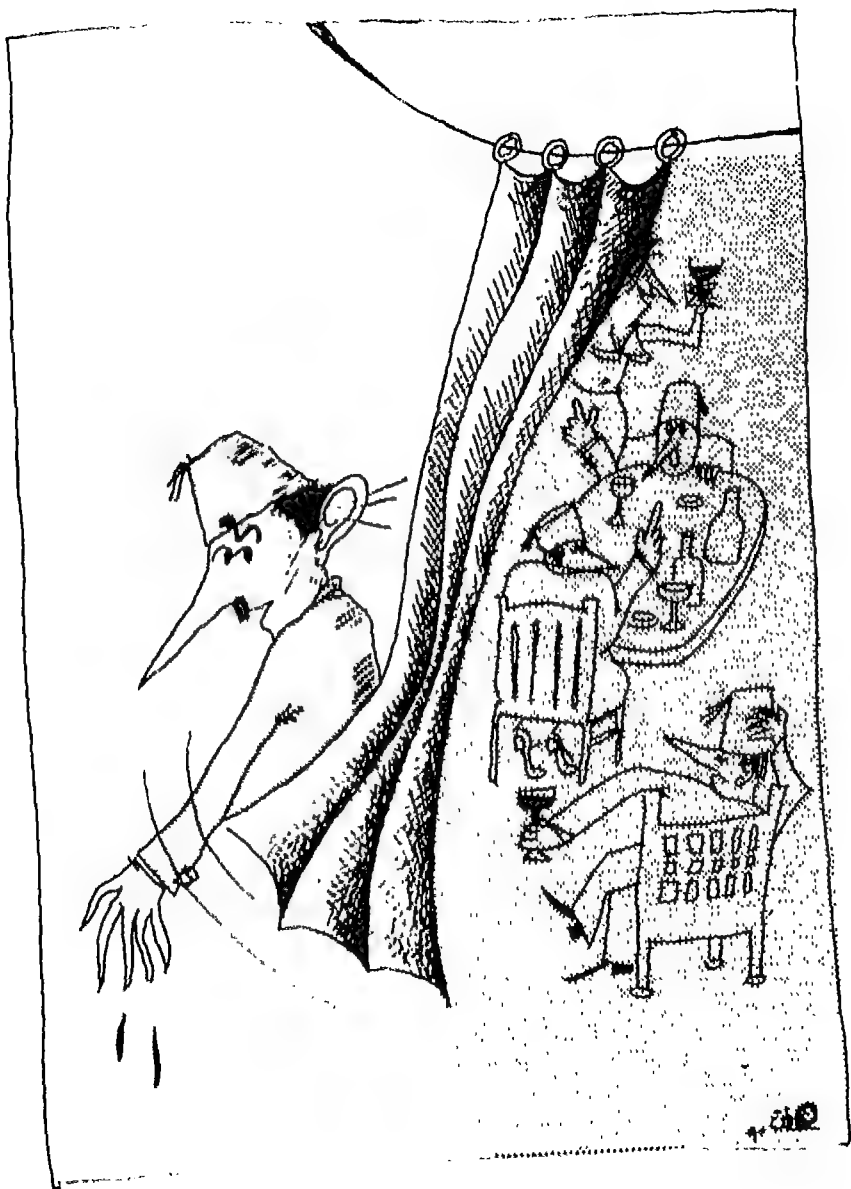
« نظرا للحوادث الأخيرة ، تنذر القنصلية البريطانية جميع الرعايا البريطانيين ألا يسيروا في الأماكن الخالية خصوصاً بعد الظلام . وأن يسيروا ، بقدر الأمكان ، مع رفقة غيرهم . ويجدر بالرعايا البريطانيين ، فوق ذلك ، أن يحملوا مسلحات » .

• • •

وفى يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٢٢ أذاعت وزارة الداخلية المصرية البلاغ التالى :

« نصبح القنصل البريطانى لجميع الرعايا الإنجليز بأن يتسلحوا بالمسدسات ، ولا يسيروا في الأحياء غير المطروقة أو في الظلام منفردين » . وفى نفس اليوم اتصل قائد عام الجيوش البريطانية بالسلطان فؤاد وأبلغه أن الموظفين الإنجليز في الحكومة المصرية في ذعر ، لأنهم لا يستطيعون أن يسيروا في الشوارع في المدن إلى أعمالهم ، ويطلبون أن يركبوا سيارات للذهاب إلى أعمالهم والعودة منها ، وأمر السلطان باتخاذ اللازم لإجابة طلب القائد العام . وفى يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٢ كتبت جريدة ( الإچیشیان جازيت ) تقول إنها تسجل الخزي والعار على الشعب المصرى بسبب هذه الاغتيالات المتكررة على الرعايا الإنجليز ، ورفض المعرير الذين يشاهدون هذه الحوادث التبليغ عنها ، والشهادة ضد المعتدين . ثم قالت :

« إن الحكومة المصرية رخصت على أثر وقوع هذه الاعتداءات المتكررة ، لجميع الموظفين الإنجليز في الحكومة المصرية بركوب سيارات على حساب الحكومة المصرية ذهاباً وإياباً ، من دورهم إلى أماكن أعمالهم وبالعكس ! »





## الفصل التاسع

**سرّ الأسطر الستة المشطوبة !**  
**القصر يدير المؤامرات لا غتيال زعيم الثورة**  
**المسدس الذى اخفى بعد إطلاق**  
**الرصاص على سعد !**

فى مذكرات سعد زغلول ستة سطور مشطوبة — شطباً غليظاً ، حتى لا تظهر كلمة واحدة أو حرف واحد من هذه الكلمات المختفية ! — ويغلب على الظن أن سعد زغلول هو الذى شطب بنفسه هذه الكلمات من مذكراته . . . فها هى هذه السطور المشطوبة ؟ . . . ولماذا شطبها سعد زغلول ؟ . . . لأنها بتاريخ يوم الأحد ١٤ يونيو سنة ١٩٢٥ ، وكان سعد زغلول خارج الحكم ، بعد مصرع السردار بسبعة شهور ، وبعد القبض على الدكتور أحمد ماهر والقراشى ، وبعد أن أعلن الملك فؤاد والإنجليز حرباً شعواء على سعد ، وحاصروا بيته ، وطاردوا رجاله ، وراحوا يتهمونونه بأنه هو الذى دبر قتل الإنجليز ، وأنه خارج على العرش ، وأنه يريد الجمهورية ، وبعد أن حل الملك فؤاد مجلس النواب مرتين . وكانت المرة الأخيرة فى أول يوم انعقد فيه مجلس النواب ، لأن المجلس انتخب سعد زغلول رئيساً وأسقط عبد الحالى ثروت باشا مرشح الأحزاب التى كان يؤيدها القصر فى تلك الأيام ! وبعد أن أنشأ الملك حزب الاتحاد للقضاء على سعد زغلول !

فهل شطب سعد زغلول هذه السطور الستة لأن فيها أشياء خطيرة ، ولأنه عرف أن بيته عرضة للتفتيش ، فرأى أن يحذف هذه السطور ويمر عليها غلة مرات حتى

لا تظهر ولا تبين ! فلا بد أن هذه السطور خطيرة جدا ، لأن المذكرات مليئة بالآراء الخطيرة التي لم يحذف سعد زغلول كلمة منها !

إنني حاولت أن أقرأ ما وراء الكلمات المشطوبة في المذكرات نفسها . فلم أستطع ، ولم أجد خيطاً رفيعاً . أستطيع أن أؤكد به ، ليوصاني إلى العبارات المحذوفة . ولست أعرف لماذا لم يقطع سعد زغلول الورقة كلها ؟ لعله أراد بذلك أن يضع المؤرخين الذين ستقع في أيديهم المذكرات أمام لغز محير ، يقفون عنده طويلاً ، ويحاولون أن يكتشفوا سره الغريب . . . ولكنني أستنتج أن سعد زغلول كتب في هذه السطور المشطوبة أنه يأسف لأن ثورة ١٩١٩ لم تمض في سياستها لنخلع الملك فؤاد وإعلان الجمهورية ، وأنه يتهم الملك فؤاد بأنه دبر اغتياله أكثر من مرة ! . . . ولكن كيف يمكن للمؤرخ أن يستنتج هذا الاستنتاج الخطير الكبير ، مع أنه لا توجد كلمة واحدة في السطور الستة المشطوبة ، يمكن أن تقرأها العين : أو المنظار المكبر ؟ كيف يمكن الكشف عن مجهول ، أو عن شيء مظلم ، حالك السواد ، ليس فيه أي بصيص من نور ؟

ونحاول أن نشمل عوداً من الثقاب التي طرقتنا في هذا الظلام . إن صفحة المذكرات بين أيدينا ، هياكل الكلام في الصفحة المشطوبة نفسها يدل على أن المحذوف هو شيء عن الملك فؤاد ، أو شيء عن الملك فؤاد والورد الذي الذي كان يؤيد الملك ، وكان يعارض بشدة في نخله ، أو إعلان الجمهورية ، ويعتبر وجوده على العرش لا يقل أهمية عن جيش الاحتلال ! فهل المحذوف من الكلمات يتعلق بهذا ؟

ولكن لا يمكنني هذا للاستنتاج الذي وصلت إليه . . . ولهذا لا بد من أن نشمل عوداً ثقاب آخر ، لعله يساعدنا أكثر على الرؤية في الظلام . . . إن المكتوب في هذه

الصفحة يتعلق بمقابلة جرت بين الأستاذ حسن صبري بك المحامي - الذي صار فيما بعد حسن صبري باشا رئيس مجلس الوزراء في عام ١٩٤٠ - وبين الملك فؤاد .

لقد كتب سعد زغلول يقول : « أخبرني اليوم حسن صبري بك المحامي أن حسن نشأت باشا ( رئيس الديوان الملكي بالنيابة ) دعاه لمقابلة جلالته ، فذهب في الساعة الثالثة ، ومكث لديه إلى ما بعد الساعة الرابعة ، فوجده ( الملك ) مصفر الوجه ، مكتئباً . وسأله الملك عن الحالة . . فعرض « حسن صبري » أنها سيئة . وقال له الملك : « إنه عاملني ( يقصد عامل سعد زغلول ) أحسن معاملة ، وأنه كان ينتظر أن أنهي المسألة المصرية بالمفاوضة ، فما أنهيتها . وأنه اجتهد في جبر خاطري الكثير بعد إخفاقها ، بتلغراف مملوء بالالطف والعطف ، وأنه كان متفقاً معي على الرضا بما وصلت إليه ، ولكن من حولي غيروا فكري ، وأنى قابلت لطفه بالأخطا الذين اجتمعوا أمام السراي هاتفين : « الثورة أو سعد ! » . ثم قال ( الملك ) إنه يجب الاتحاد والوفاق ، وأن الاتحاديين ( حزب القصر ) يسعون في الاتحاد بأن يضموا إليهم السعديين والدستوريين ، وضم الأخيرين ذماً شديداً . ولم يوقر الملك عدلي ( يكنى باشا ) ولا حسين رشدي باشا ، ولا عبدالحق ثروت باشا ، ولا إسماعيل صدق باشا . وطعن ( الملك ) في غيرهم من الوزراء الدستوريين طعناً بليغاً ، إلى غير ذلك مما لا أذكر تفصيله . ولم يتضح لي الغرض من هذه المقابلة ، ولكن يظهر أنها لحمل حسن صبري على أن يكون في صفه ، وأن يذكره بخير ، وألا يكون مع الخديو ، والله أعلم . وإنني أثبت هذه الرواية بكل تحفظ ، وقد أخبرني فتح الله ( بركات باشا ) أن حسن صبري أكد عليه مراراً أن يكتم خبر هذه المقابلة إلا عني ، ونقل ( حسن صبري ) أن المؤدعين للورد ألبني ( المندوب السامي ) في المحطة كانوا قليلين ، وأن من بينهم أحمد نخشة » .

ثم بلى ذلك ستة سطور مشطوبة . . فهل انتهى الكلام عن الملك هنا ، وهل السطور المشطوبة هي عن اللورد ألدبي مثلا ، لمناسبة استقالته من منصب المندوب السامي وسفره إلى لندن ؟ . . قطعاً لا . . لأن سعد زغلول يقول بعد هذه السطور المشطوبة مباشرة : « فاتفى أن أذكر فيما قاله جلالتة لحسن صبرى أن الوزراء حملوه على حل مجلس النواب ، واستعانوا عليه بالإنجليز ، وكانوا يريدون إلغاء الدستور أيضاً » .

انتهى الكلام الموجود في الصفحة التي بها السطور الستة المشطوبة ! ومعنى هذا أن الجزء المشطوب بين الكلامين هو قطعاً عن الملك فؤاد ، كما يظهر بوضوح من سياق الحديث .

ولكن أين ما يجعلنا نستتبع أن الكلام هو عن الملك فؤاد ، وأنه دبر اغتيال سعد زغلول مرتين ؟ . . إن الذى نعلمه ، ويعلمه الذين عاصروا سعد زغلول ، أنه كان يعتقد أن الملك فؤاد أراد أن يغتاله بعد عودته في عام ١٩٢٠ من مفاوضاته مع لورد ملر ، وأن السلطان فؤاد علم أن سعد زغلول أثار في المفاوضات الرسمية . أن معنى الاستقلال هو خلع السلطان فؤاد ، لأنه أثر من آثار الحماية البريطانية ، ولأنه معين بقرار من وزير الخارجية البريطانية ، ولأن الاستقلال معناه هو أن ينتخب الشعب حاكمه انتخاباً حراً ، بعد جلاء القوات الإنجليزية ، ولهذا السبب دبر السلطان فؤاد مؤامرة لاغتيال سعد زغلول في أثناء قيامه برحلاته في الأقاليم ، وأنه اتفق مع عبدالحق ثروت باشا نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وقتئذ ، ومع مستر كين بويد مدير المخابرات البريطانية ، ومع محمد بدر الدين بك مراقب الأمن العام ، على هذا الاغتيال !

ولكن علمنا وعلم المعاصرين لا قيمة له أمام التاريخ ، فالتاريخ يترك وثائق

ومستندات ، وهو لا يعترف بالمذكرات ، ولا برواية الشهود ، بعد مضي أكثر من أربعين سنة على الحوادث !

وهكذا نعود إلى الظلام من جديد . . نعود لنشعل عوداً ثالثاً من النقاب ! . .  
لقد أذعنا من قبل في فصل سابق نُس: التعليمات السرية التي أرسلها سعد زغلول من باريس يوم ١٥ أبريل ١٩٢٠ إلى عبدالرحمن فهمي رئيس الجهاز السري في القاهرة، وقد جاء فيها عن مركز السلطان بالحرف الواحد : « يمكن محاربة هذا المشروع بالنشرات السرية التي يجب أن تتضمن التحذير من الاقتراب من هذا المركز (مركز رئيس الدولة) إلا بإرادة الأمة ، وبناء على انتخابها ، بعد الحصول على استقلالها التام ، وأن كل قبول لهذا المركز ، تحت سلطة الإنجليز ، مهما كان اسم هذه السلطة - حماية أو مخالفة - يعد خيانة للأمة » . . وعلى أثر هذه التعليمات طبع الجهاز السري مئات الألوف من المنشورات تقول إن الشعب وحده هو الذي ينتخب رئيس الدولة ، بعد حصول مصر على استقلالها التام ، وأن السلطان فؤاد - الذي يجلس على العرش ، في ظل الحماية البريطانية - هو خائن للأمة ! . .  
ولكن هذه التعليمات التي أرسلها سعد زغلول يومها ، كانت تعليمات سرية ، ولم تظهر إلا بعد ذلك بأربع وأربعين سنة . . فلعل السلطان فؤاد لم يعرف يومها بنوايا سعد زغلول نحو الجمهورية ، ولكننا نجد بعد ذلك من الوثائق ما يدل على أن الملك فؤاد علم بنوايا سعد زغلول ضد العرش . . ففي الصفحة رقم ٢٠٣٣ من مذكرات سعد زغلول يصف اجتماعه مع اللورد ملتر في وزارة المستعمرات البريطانية في يوم ٩ يونيو سنة ١٩٢٠ ، بحضور عدلى يكن ومحمد محمود ولطفى السيد ، وكيف قال سعد زغلول : « إننا لا نمانع أن تشتمل المعاهدة على التصريح بأن مصر دولة حرة مستقلة دستورية . جمهورية أو ملكية ، لا مانع من اشتغال المعاهدة على ذلك » . . وفي صفحة ٢٠٥١

من مذكرات سعد زغلول ، ورد أن مستر رولند مندوب اللورد ملتر في المفاوضات عرض عليه برفقة من لورد ملتر إلى اللورد ألتني المندوب السامي يقول فيها إن المفاوضات ستكون على أساس أن مصر مملكة دستورية ، وأنه لم يحصل كلام في المفاوضات على مركز السلطان ولا على قانون الوراثة ، وأن المفاوضات ستكون بأمر السلطان ، وأن سعد زغلول اعترض على ذلك في حضور عدلي يكن لمندوب ملتر . وقال بالحرف الواحد : « نحن نرفض أن نتفاوض بأمر السلطان بالاشتراك مع أى إنسان كان ، بل لا نقبل هذا السلطان ! » . ولقد كان عدلي يكن هو أحد أمهات أسرة محمد على . وابنته متزوجة من شريف صبرى شقيق زوجة السلطان . . وليس من المعقول أن يخفى ما حدث في لندن عن السلطان !

بل لقد ظهر أن سر الخلاف بين عدلي وسعد هو هذا الموضوع بالذات ، وإن كان قيل يومها إن الخلاف كان على رئاسة المفاوضات . فالخلاف هو أن سعد زغلول رفض مشروع الاتفاق الذي قدمه لورد ملتر ، وكان عدلي يكن وأنصاره يطالبون بقبوله . . ولقد كتبت أقوال كثيرة في هذا الصدد في كتب التاريخ !

لماذا لم يوافق سعد على مشروع ملتر ؟ ! إننا نجدنا وثيقة تثبت أن من أسباب هذا الخلاف ، بل في مقدمتها . تمسك الإنجليز بالعرش ! ! وأن سعد زغلول كان مستعدا لأن يقبل معاهدة مع بريطانيا ، إذا اعترفت بحق الشعب في أن يختار حاكمه . . وكان سعد يعتقد أنه إذا تخلص الشعب من الحاكم الذي عينته بريطانيا بقرار من وزير خارجيتها ، استطاع الشعب بعد ذلك أن يتخلص من الإنجليز أنفسهم !

وهذه هي نفس خطوات ثورة ٢٣ يوليو ، فلولا أنها تخلصت من الملك ، ثم

تخلصت من أسرة محمد علي كلها . لما استطاعت أن تتخلص من حيش الاحتلال البريطاني ولكن الإنجليز في عام ١٩٢١ تمسكوا ببقاء السلطان ، اعتبره قاعدة بريطانية لا تقل أهمية عن جيش الاحتلال وبقاء الموظفين الإنجليز ...يطرين على حكومة مصر ! . . . وقد كان الدكتور حامد محمود هو رسول سعد زغلول السرى . وكان المستر بلنت المؤرخ البريطاني المشهور وصديق عرابي ، هو الواسطة بين سعد زغلول ولورد ملتر في المفاوضات . .

إذن فلنشعل عود ثقاب آخر . . ونجد في مذكرات سعد زغلول تقريراً سريعاً كتبه الدكتور حامد محمود عن مقابلته لمستر بلنت ، والتقرير مؤرخ ٢ و ٣ يناير سنة ١٩٢١ وهو بخط الدكتور حامد محمود ، وفيه ما يأتي : « وقد أسف جداً ( مستر بلنت ) على ما أخبرته به من تشدد الإنجليز بعدم خلع السلطان ، وقال إنها نقطة مضرة جداً بمصر ( مع أني أخبرته من قبل عن هذه المسألة نفسها . ولكنه نسي ) . ومستر بلنت يقول أيضاً إن السلطان لن يستمر مدى الدهر ، وكفى أخبرته أنه قبل أن تتحل علاقات السلطان مع مصر لسبب من الأسباب ، سيكون السلطان قد ألحق بمصر كل الضرر بمقتضى هذا المشروع ( مشروع المعاهدة ) .

\* \* \*

وتقرير حامد محمود لسرى يدل بوضوح على أن سعد زغلول كان يعمل على أن تتضمن المعاهدة بين ر وبريطانيا إعطاء الشعب الحق في خلع السلطان ، وفي انتخاب حاكمه ، بينما أن الإنجليز يصرون على بقاء السلطان ، لإصرارهم على بقاء قوة حربية في مصر ، وإصرارهم على أن تكون لهم امتيازات في الحكم ، وألا تعقد أى معاهدة بدون رأيهم !

ولقد كتب سعد زغلول في مذكراته صفحة ٢٢٦٨ : « إن التشبث ببقاء

السلطان . مع كراهية الأمة وأغلب الإنجليز له . وبأن الدول في الامتيازات لهم .  
وأن تكون لهم قوة حربية . وألا تعقد معاهدة سياسية بدونهم . كل ذلك يدل دلالة  
واضحة على أنهم يريدون الاحتفاظ بثقافة الحماية دون اسمها . ولو كنت أمتأ مع  
هذا على بقائنا متمتعين بما تركوا لنا من حرية التصرف في أمورنا الداخلية . لكنني  
أول القائلين بالانفاق . ولكن وجود مثل هذا السلطان مع وجود الإنجليز في وظائفهم  
أول الأمر . كل هذا يلزمنا ألا نقبل هذا الانفاق . لأنه يحتوي على عوامل التخريب  
التي لا بد أن تؤثر في البناء الجديد قلد تمامه »

• • •

ولقد بدأ الانقسام بين عدلي وسعد على هذه المسألة . وهذا يفسر إصرار السلطان  
على أن يؤلف هو وفد المفاوضات . وعلى ألا يكون وفد المفاوضات ممثلاً للشعب  
المصري . وإنما ممثلاً لسلطان مصر ! فالسلطان إذن . عرف أن سعد زغلول كان  
يريد أن يتخلص منه . ولهذا كان من الطبيعي أن يحاول هو أن يتخلص من سعد  
زغلول . ومن الثورة كلها ! وإذا كان سعد يستطيع أن يتخلص من السلطان بثورة ،  
فإن السلطان يستطيع أن يتخلص من سعد برصاصه !

وبقي أن نثبت أن الإنجليز أرادوا التخلص من سعد زغلول ! . . إن من الطبيعي  
أن يفكر الإنجليز في التخلص من سعد . ولكن المسألة لا يكتفى فيها بالاستنتاج .  
إننا نريد أن نثبت هنا كيف اتحدت إرادة السلطان وإرادة الإنجليز على أن مصلحة  
الطرفين في التخلص من سعد زغلول بعد أن عاد إلى مصر في أبريل عام ١٩٢١ ،  
واستقبل استقبال الفاتحين وأصبح كذا وصفته جريدة التيمس يوم وصوله ( أعظم  
رجل في العالم ) !

وقال عبد العزيز فحشى في مذكراته . . . استقبل الشعب سعد زغلول استقبال



الفاحين، أى أنه لم يبق في البلد أمير ولا وزير ولا حفير إلا هرع الملاقاته.. رؤوس عالية تنحني.. . وتشبث سعد بأنه رئيس الأمة ، فله رئاسة الوفد ، فنبه عدلى إلى أن دعواه خطيرة ، لأن للأمة رئيساً واحداً ، هو — إذ ذاك — عظمة السلطان فؤاد . . وعلى الرغم من ذلك أبى سعد إلا الرئاسة ، ولما كانت إجابته إلى طلبه مستحيلة ، يأبأها كل نظام ، فقد رفضها عدلى . عندئذ قامت القيامة ، وأخذ سعد يخطب قائلا عبارته المشهورة : « إن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس ! »

فهل يكتفى كل هذا ؟ . . لا . . بل يجب أن نشعل عدة أعواد أخرى من الثقاب لئلا نرى على ضوءها ما كان يجري وراء الستار ! وهنا نجد أن خير ما نفعل هو أن نأتي بصورة كاملة للموقف في مصر بعد أن بدأ الخلاف يدب بين سعد زغلول وعدلى . . فقد حدث أن دعا سعد زغلول في تلك الأيام عدداً من أعضاء حزب العمال في مجلس العموم البريطانى الذى يمثل المعارضة لزيارة مصر ، ليشهدوا بأنفسهم سياسة حكومتهم الغاشمة ضد الشعب المصرى ، وكيف أنها فرضت على أغلبية الشعب المصرى المفاوضات الذين يفاوضونها في الاستقلال ، بغير إرادة هذا الشعب ، حتى أصبح « جورج الخامس هو الذى يفاوض جورج الخامس » بتعبير سعد زغلول المشهور . وأصبحت حكومة « عدلى يكن » بفزع من هذه الدعوة ، وإنى أعتمد هنا على مذكرات مستشار عدلى يكن باشا نفسه في المفاوضات في تلك الأيام ، وهو الدكتور يوسف نحاس الذى صحبه مع الوفد الرسمى إلى إنجلترا وفرنسا . وهنا نحن نشعل العود الأخير من علبة الكبريت لئلا نرى على ضوءه ما يجري في الظلام !

## ثروت يستنجد . . بعدلى يكن !

كتب الدكتور يوسف نحاس في مذكراته « صفحة من تاريخ مصر السياسي الحديث » صفحتى ٥٤ و ٥٥ :

« دعانى عدلى يكن باشا إلى الغداء في فندق ( ماجستيك ) بمدينة فيشى . تحدثنا طويلا . نفص كل منا لأخيه مكنون قلبه . تلقى عدلى خطاباً من الوزارة الخارجية البريطانية جاء فيه أن ثروت ( نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ) لا يوافق على سفر أعضاء من البرلمان البريطانى إلى القصر المهرى ، وذلك خشية أن يكون وجودهم سبباً في اضطراب الأمن العام ، على أن لورد كيرزون ( وزير الخارجية البريطانى ) لا يستطيع أن يأبى عليهم جوازات السفر ، اللهم إلا إذا طلبت الحكومة المصرية إليه ذلك رسمياً ، لأن منهمم تصرف خفيلر ضد الحرية ، بيد أن عدلى يكن باشا رئيس الوزراء لا يريد أن يتحمل تبعه هذا الطلب المريع الرسمى .

فأعددت مشروع رد قلت فيه : « إن أولئك البرلمانيين يستطيعون السفر ، ولكن بصفتهم الشخصية . على ألا يباح لهم التحرى في المسائل السياسية أو التدخل في أمورنا الداخلية ، لأنه ليست لهم صفة رسمية ، أو توكيل لذلك ، وأن زغلول سيستخدمهم في إذكاء الاضطرابات القائمة ، فما يساور ثروت من مخاوف له ما يبرره ، وفضلاً عن ذلك فإن البلاد قد أعلنت بكل صراحة استنكارها لكل تدخل أجنبي في مسائلنا الداخلية ، وما علينا إلا أن نضع تحت نظر لورد كيرزون هذه الاعتبارات ، تاركين له الحرية في أن يرفض التصريح بإعطاء جوازات السفر ، أو أن يقيد إعطاءها بشروط . وقد تسلم عدلى منى مشروع الخطاب الذى وضعته ، على أننى لم أعلم النص الذى

وضعه بالاشتراك مع رشدي باشا نائب رئيس الوزراء ، وكان ( عدلى ) قد استدعاه من أجل ذلك .

ولم تستطع حكومة المحافظين أن تمنع نواب المعارضين من حزب العمال من السفر إلى مصر . . وسافروا إلى مصر فعلا . وبدأ سعد يقوم برحلات في الأقاليم ، ومعه نواب حزب العمال . الذين يشهدون بأنفسهم من استقبال الشعب كيف أن حكومة لويد جورج تفاوض حكومة عدلى يكن التى تمثل الأعيان فقط ! . . وأبرق ثروت برقية سرية إلى عدلى يكن يقول له فيها : « إن حكمدار بوليس بورسعيد الإنجليزي حاول أن يمنع سعد زغلول من الزيارة فصاح فيه سعد : « أنت جبان ! » وتراجع الحكمدار . وشتم سعد زغلول الحكومة »

\* \* \*

وكتب الدكتور يوسف نحاس في مذكراته صفحة ٦٠ : « ذهبت لمقابلة عدلى صباح يوم ٢ أكتوبر ، فلما التقينا قلت له : « كيف تسمح حكومتنا بأن تُشتم على ملأ من الناس ؟ وأن يُرمى حكمدار البوليس — وهو يقوم بتأدية واجبه — بأنه جبان والحكومة لا تحرك ساكناً ، ولا تتخذ أية إجراءات بشأن هذه التصرفات المثيرة ؟ . . إن نفوذ سعد يمتد ، وأسهمه في صعود ، وإن وصول النواب البريطانيين — وقد كنا نتوقع أن يكون وجودهم صدمة للوفد — قد شد أزره ، وقوى من نفوذه ، كل ذلك يعزى وأنت يا باشا صامت لا تقول شيئاً » ، وطالبت بتوجيه نداء إلى الأمة نناشدتها أن تغلذ إلى السكينة والاتحاد . وكان عبد الحميد بدوى ( باشا ) حاضراً أثناء الحديث ، فعارض رأيي قائلاً : « إن سواد الشعب لا يستسيغ مثل هذا النداء ، وقد يكون من الأجدى أن نوجه نداء إلى سعد شخصياً ، أما أن نتوجه إلى البلد بنداء ، فقد يؤوّل هذا بأننا قد أصبحنا من المستضعفين » . فرددت قائلاً : « إن ما ألاحظه على وقدنا ،

والإسكندرية احتفالا عظيما ، وخرجت لتحييتهم في الطرقات جموع مختلفة الألوان ،  
مختلفة الأشكال ، وقد سارعت الحكومة فأصدرت الأوامر المشددة لمنع المظاهرات .  
وعلى الرغم من ذلك ، فإن شروعات صغيرة تطوف الشوارع هائفة أسعد والاستقلال ،  
ويظهر على الحكومة شيء من التردد المؤسف ، فقد وجهت وزارة الداخلية إلى سعد  
زغلول يوم أمس كتابا مفاده أن زيارته لمدينة طنطا غير مرغوب فيها ، لأسباب  
تتعلق بالأمن العام ، ونفس هذا التنبيه قد أعطى إلى مستر سوان ( أحد زعماء حزب  
العمال البريطانى ) وزملائه ، من الجنرال كوينجريف ( القائد العام لقوات الاحتلال  
فى مصر ) . . وفى المساء حصل تغيير كلى ، فإن هذين الحظرين اللذين انتشر  
أمرهما انتشارا عظيما وصارا حديث الناس ، قد ألغيا ، وأصبح سعد والنواب البريطانيون  
أحرارا فى تنقلاتهم يذهبون حيث يشاءون . ولك أن تتصور الأثر المكدر الذى أحدثه  
هذا التراجع فى أنحاء البلاد ، والتشجيع الذى ظفر به أصدقاء سعد ، ويؤكدون أن  
هذه التعليلات الأخيرة مصدرها لندن ، وعلى كل حال فإنه فشل غير مستحب  
للحكومة لأنه يقلل من هيبتها ، وكان بالاستطاعة تفادى هذه السقطة ، مادامت  
الحكومة عامة منذ أمد بعيد بالمهدف الحقيقى الذى تهدف إليه زيارة النواب البريطانيين  
لمصر ، وإنى شخصيا لأحجل متألما من كل ذلك . . »

ثم يقول الدكتور يوسف نحاس فى صفحة ٦٩ : « وبعد أن اطلع صدق على  
هذا الخطاب قال لى : « إن من بين أعضاء وفدنا كثيرا من منتقديه ، منهم محمود  
عزى وزير الحرية الذى تفوه بالكلمات الآتية : « إن مفاوضاتنا يعضون فى مفاوضاتهم  
كما لو كانوا نساء ! » . . وأكد لى صدق أن هذه الكلمات قد قيلت فعلا ! »

الاستخفاف بالصحافة وعدم اكترائه للرأى العام وللجماهير ، إن هذه الروح هي أكبر عدو لنا ، وهي أشد إضراراً بنا من أى شىء آخر ، ولا يصح فى الأذهان أن نقول إن الجمهور لا يفهم ، ويجب علينا ألا ندع وسيلة ما من شأنها أن تشعر البلاد بوجودنا ، وأننا لم نحد - ولن نحد - ولا قيد شعرة عن برنامجنا ، وهذا النداء سيكون وثيقة من الوثائق التاريخية .

ويظهر أن بدوى لا يعبأ كثيراً بالتاريخ ، إذ أنه قال هازاً كتفيه : « ها . . ها . . التاريخ » !!

ذهبت إلى عدلى فى الساعة الثالثة بعد الظهر فقال لى إنه قد وصلت أخبار جديدة أكثر تفاؤلاً ، « وأن روح المصريين يا عزيزى لعظيمة جداً ، فقد أبرق إلى ثروت أن سعداً قد قبل مقابلة فاترة فى بورسعيد ، وأن فشله فى المنصورة كان ذريعاً » . . ولكن ثروت نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية كان يحدع من القاهرة عدلى يكن رئيس الوزراء فى باريس ! فالواقع أن الشعب خرج كله لاستقبال سعد زغلول وضيوفه فى الأقاليم !

### يتفاوضون كالنساء !

وفى مذكرات الدكتور يوسف نحاس صفحة ٦٨ :

باريس - الثلاثاء ٤ أكتوبر سنة ١٩٢١ :

« زرت إسماعيل صدق باشا فى غرفته ، وأطلعت على كتاب وصلنى من أشيل صقلى ( رئيس تحرير جريدة الحورثال ديكير ) جاء فيه أن مستر سوان وزملاءه النواب البريطانيين هم بين ظهرانيها منذ خمسة أيام ، وقد احتفل بهم فى القاهرة

## الأمير عمر طوسون

في هذا الوقت أيضاً بدأ كبار الملوك ينفضون نهائياً عن سعد زغلول ، وينضمون إلى معسكر عدلي يكن . وفي صفحة ٧٠ كتب الدكتور يوسف نحاس في مذكراته يقول :

« باريس -- الأربعاء ٥ أكتوبر سنة ١٩٢١ : اجتمعت بعدلي أنا وإسماعيل صدقي ، وقلت له إن محمود أبو النصر كتب إلى بأن البرنس عمر دالوسون قد تخلى عن سعد وأخذ ينتقده . فقال لي عدلي : « عرفت الآن لماذا أرسل إلى عمر طوسون برقية تحزية في وفاة قريبة لي قرابة بعيدة ! » .

## الإنجليز سيقبضون على سعد

وكتب الدكتور يوسف نحاس في مذكراته صفحتي ٩٥ و٩٦ :

« الأربعاء ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ : في الساعة الثانية والنصف قابل المستر لويد جورج (رئيس الوزراء البريطاني) عدلي يكن باشا (رئيس الوزراء المصري) وكان كيرزون وزير الخارجية مع المستر لويد جورج ، فاستأذن كيرزون بالانصراف . واعتذر لويد جورج بأنه غير متمكن من اللغة الفرنسية واستحضر آنسة لترجم الحديث ، ولكنها لم تكن تتحدث اللغة الفرنسية حديثاً يمكنها من اضطلاعها بمهمتها ، فاضطر عدلي أحياناً أن يصحح ترجمتها . . وقال لويد جورج لعدلي : « إن مايلدره زغلول ضدنا في مصر من بذور الحق قد نفرتنا ، وأجفل رأينا

العام والبرلمان والوزارة .. وإن زغلول لأكبر عدو لاستقلالكم ، وإنه لرجل لا يحتمل .. ونحن ننتق بك ولكن ليس لنا الثقة بوزارة برئاسة زغلول .

ثم قال الدكتور يوسف نحاس : « إن عدلى لتساوره الشكوك خشية أن يلقي البريطانيون القبض على زغلول ! »

• • •

وفي صفحتي ٩٣ و ٩٤ كتب الدكتور يوسف نحاس مستشار عدلى باشا في مذكراته : « استرضيت مع عدلى باشا في سيارته ظهرا ، فألقيت حالته المعنوية متداعية ، وعادته آلام معدته التي كان يشكو منها ، فأخذت أسرى عنه . . . سلمت معه بأن القوضي ضاربة أظنانها في البلاد ، وأبدت شديدة أسنى لضعف ثروت وقلت إنه كان من الواجب عليه أن يحول بين سعد ورجلته إلى الصعيد . فكان جواب عدلى أن المستر سكود الذى ناب عن اللورد ألفني ( المندوب السامي البريطاني ) في أثناء تخليه في إجازة ، عارض هذا المنع الذى أصدره ثروت ، فلم يكن في وسعه إلا التسليم ، وهذا لشما هو بغيض ! . . »

• • •

انتهت مذكرات الدكتور يوسف نحاس مستشار عدلى يكن في المفاوضات . ولكن ماذا فعل ثروت باشا عندما أصر أحد النواب العمال على أن يسافروا مع سعد زغلول إلى الأقايم ؟ . . هنا وضعت الحطة للتخلص من سعد زغلول ! خطة المحاولة الأولى لاغتيال سعد ، التي نستنتج منها أن سعداً أشار إليها في السطور الستة المشطوبة في مذكراته . . وهنا تنتهى علية الكبريت التي معنا . . فقد أشعلنا كل أعواد القناب التي كانت فيها !

## أراد الملك قتل !

لا تزال السطور الستة في مذكرات سعد زغلول مطموسة . إننا أضأنا شعاعا بسيطا في ظلامها الدامس ، وليلها الأسود ، ولكننا لم نستطع أن نضيء كل النور ! إن خبراء الخطوط الذين فحصوا السطور المشطوبة تبينوا فيها حرف « ك » في آخر كلمة ملك ، مكتوبا في هذه السطور خمس مرات ، بنفس الطريقة التي يكتب بها سعد زغلول كلمة « الملك » ، ومعنى هذا أن سعد كرر في هذه السطور الستة المشطوبة اسم الملك فؤاد خمس مرات ! فالحديث المشطوب — إذن — كان عن الملك . وقد قلنا إن سعد زغلول كان يتصور دائما ، منذ عام ١٩٢١ أن السلطان فؤاد — الذي أصبح فيما بعد الملك فؤاد — اتفق مع عبد الحالق ثروت باشا ( نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية سنة ١٩٢١ ) ومع الإنجليز ، على قتله ! . . . ولكن لم يكن لدى سعد زغلول دليل على الجريمة . . . كان لديه وقائع ، وشبهات ، وشكوك ، وريب ، وكان لديه كذلك خطة اغتياله كما قدمها له جهاز معلوماته في أثناء رحلته في الصعيد . . . ولقد رأى سعد زغلول من التصرفات التي حدثت في رحلته ما جعله يتأكد من هذه المعلومات ، ويعتقد أن خطة اغتياله كانت مسألة متفقا عليها بين جميع السلطات !

\* \* \*

وقد تلقى سعد زغلول في أثناء رحلته في الصعيد مذكرة من جهاز المعلومات في الثورة ، وترك للأستاذ محمد الأنصاري عضو الجهاز السري لثورة ١٩١٩ أن يروي في مذكراته ما حدث :



« انتدبت من الجهاز السرى لمراقبة سعد زغلول في رحلته النيلية إلى الصعيد . وقبل أن نصل إلى أسيوط تلقيت من جهاز المخابرات في الثورة مذكرة خطيرة بادرت بعرضها على القور على سعد زغلول وهذا نصها : « وضع محمد بدر الدين مراقب الأمن العام خطة لقتل سعد زغلول في الصعيد ، وعرض الخطة على ثروت باشا رئيس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية فأقرها ، وعرضها على اللورد ألكسندر المنتدب السامى البريطانى فأقرها ، وعرضها على السلطان فؤاد ، فأقرها ، باعتبار أن هذا هو الطريق الوحيد للخلاص من الثورة ! . . وكانت الخطة في متهى البساطة :

- ١ - أن يرتدى عدد من الخفراء ملابس الأهالى .
  - ٢ - أن يتحدثوا شعبيا في أسيوط عند وصول سعد زغلول .
  - ٣ - أن يكذب محمد بدر الدين إلى سعد زغلول يحذره من النزول من الباخرة النيلية في أسيوط ، مخافة الاعتداء على حياته من الجماهير !
  - ٤ - أن يصدق سعد زغلول أن الجماهير تريد أن تعتدى عليه ، ويستحذى الحكومة وينزل إلى أسيوط ، ليظهر بأنه الزعيم الشعبى . .
  - ٥ - يحدث شعب ، ويطلق الرصاص ، ويصاب سعد زغلول برصاصات . .
- وتصبح الحكومة غير مسؤولة عن قتله لأنها حذرتة ! .

هذا هو ما ورد في مذكرات الأستاذ محمد الأنصارى عضو الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ . ولكن كل هذه التفاصيل استنتاجات أو أخبار حصل عليها جهاز المخابرات للثورة في تلك الأيام ، وقدمها إلى سعد زغلول . . ولكنها ليست إثباتات يمكن أن يعتمد عليها التاريخ في إصدار حكمه في جريمة كهذه !

• • •

وكتب الأستاذ محمد الأنصارى في مذكراته :

« وحدث بعد ذلك أن وصل إلى الباخرة ضابط بمصرى من قبل الأميرالاي محمود سامى «مد الأورطة المصرية المراقبة على شاطئ النيل في أسيوط ، وسلمنى رسالة سرية من محمود سامى إلى سعد زغلول هذا نصها : «بلغتنا معلومات أن الحكومة تريد اغتيالكم عند وصولكم إلى أسيوط . إن ضباط الأورطة وبنودها مسمونون أن يحموكم بأرواحهم . إننا نطلب أن ترسو الباخرة « نوبيا » في حدود الشاطئ المحدد للأورطة ، لتكون في حمايتها وحراستها ، حفاظاً لحياة زعيمنا من مؤامرة الاغتيال » . وعرضت الرسالة السرية على سعد زغلول ، فأمر بأن ترسو الباخرة حيث طلب الأميرالاي محمود سامى ، الذى كان من أنصار ثورة ١٩١٩ . ولكن محاولة اغتيال سعد زغلول استمرت . . وقد أطلق الرصاص فعلا على الباخرة في المكان الذى كان يقف فيه سعد زغلول ليخطب إبلماهير أ ولكن الرصاصة لم تقتل سعد زغلول ، وإنما قتلت أحد أنصار الحكومة وهو نجفير تنكر . . . »

انتهت هذه الصفحة من مذكرات الأستاذ محمد الأنصارى عضو الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ .

### خطاب إلى السلطان

وقد كتب سعد زغلول خطابا إلى السلطان فؤاد يحث فيه على حكومته ويتهمها في الخطاب بأنها : « عمدت أخيراً إلى أخطر الوسائل ، وأشدّها سلباً للطمأنينة ، وضراً بالنظام ، ذلك أنها أباحت لبعض المتتمين للوزارة بأن يستأجر بعض الأشرار ، ويؤويهم بأسلحتهم وعصبيهم في أسيوط ، لإحداث بعض الشغب

عند قدومنا ، وفعلنا أحدهم بأن هدموا الزيتيات التي كانت منصوبة ، وضربوا المختطفين ، وأغرقوا بعضهم ، وأسألوا دم الآخرين . وتأكدنا أن الإشارة التي أعطيت لارتكاب هذا الشعب كانت من أحد المكلفين بحفظ النظام ، وعرض القبض على المشايخين السفاكين ، أمر مراقب الأمن العام بمنى من التزول إلى المدينة ، وكتب إلى بلك ، ولم أرد معارضته منعا للفتنة ، وضنا لأيام ملككم أن تخضب بالدماء ، فبارحنا أسويط إلى جرجا .

« غير أننا علمنا في أثناء الطريق من مصادر موثوق بها ، أن مدير جرجا أخبر مراقب الأمن العام (محمد بدر الدين) بأنه سيحدث في سوهاج عند قدومنا إليها أشد مما حدث في أسويط ، وأنه أمر مأموري المراكز بأن يرسلوا المتشردين والمشبهين مع الأسلحة إلى سوهاج ، كما أنه جمع فيها أغلب عساكر بلاد المديرية ، وأكثر خفرائها ، في رضى الأهالى ، وكلف كل غلبة أن يستحضر من ناحيته عددا من الأنصار بنبايتهم ، وتنقل في المراكز أمس ، وعقد عدة اجتماعات حث الناس فيها على أن يعارضوا بالقوة زيارتي لمدينة سوهاج » .

• • •

وفي صفحة ٣٧١ من كتاب سعد زغلول للأستاذ العقاد قال : « كان مدير الأمن العام والمفتش . الإنجليزي يطوفان الأقاليم لتحريض كل من يأنسون فيه معارضة لسعد على المقاومة ، والاستعداد للمهاجمة . وفي أسويط أعدت « الإدارة » مئات من الخفراء لابسين الملابس الأهلية ، مزودين بسلاح الحكومة . وأرسلت في دار على مقربة من مرمى السفينة أناسا من أتباع السراة المنبشرين عن الوفد المصرى - يتبعونهم للخدمة والعصبة لا للرأى السيامى والعقيدة » .

وفي صفحة ٣٧٢ من نفس الكتاب : « وبينما كانت جماهير القرى تلتق بأنفسها

في غمار النيل ، وتستهدف للضرب والقتل والفرق لتسبح إلى الباخرة وتسمع سعد زغلول متأنها ودعائها ، كان المديرين والموظفون في كل مكان يحولون بين سعد والزبول إلى البرصافة من الجماهير ، ومحافظة على حياته من الأعداء السياسيين .. ولم لا ؟ . . . ظل عددا من هؤلاء كان مستعدا في غمار المجتمعين بأسير لإطلاق الرصاص على سعد ، والنتيجة بحياته ، بين الخفاء المشغولين بالمحافظة على النظام والجماهير المشغولة بالدفاع عن نفسها أو الملهولة من هول الحادث الشنيع ! ،

### من الذي أطلق النار ؟

وعندما أطلقت النيران في أسير قتل أحد الخفاء المتكررين وقيل إن الذي أطلق الرصاص هو الأستاذ حامد جودة . وتقدم حامد جودة فعلا معترفا بالقتل طالبا سماع الشهود من الفريقين ، حتى يكشف بذلك المؤامرة كلها ، فأبى المحقق أن يدون في محضر التحقيق هذا الإقرار . وكان سعد زغلول يؤكد أن الرصاص أطلقه رجال الحكومة ، وأنه هو الذي كان مقصوداً بهذا الرصاص ! . . . وكان ثروت باشا نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية يؤكد أن هذه تخيلات في رأس سعد زغلول . . . وأن الذي أطلق الرصاص هم أنصار سعد وحدهم ، وأن الخفير قتل برصافة أحد أنصار سعد زغلول ! . . . وجاء النائب العمومي وقال إنه حقق المسألة وثبت أن الرصاص أطلق من أنصار سعد زغلول فعلا ، وأن الرصاصة التي قتلت الخفير هي من رصاص أنصار سعد زغلول ! . . . ووجدت الحكومة بتقديم أنصار سعد زغلول إلى محكمة الجنايات بتهمة القتل العمد !

واجتمع الوزراء برئاسة ثروت وبحضور النائب العام ، وبحشا في تقديم سعد زغلول نفسه إلى محكمة الجنائيات بتهمة أنه المحرض على إحداث شغب في أسبوط ، وأنه حرض على الاعتداء على رجال السلطة التنفيذية ، وأن أنصاره هم الذين أطلقوا الرصاص ، وقتلوا خفير الحكومة ! وتحمس الوزراء لتقديم سعد زغلول إلى محكمة الجنائيات ، وتحمس معهم النائب العام الذي تولى بنفسه التحقيق ! . . وكان المقصود من هذا تغطية مؤامرة اغتيال سعد زغلول في أسبوط ! . . وفيجأة توقف التحقيق ، وبقي السر في هذا. التوقف مكتوما من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٥٨ ، عندما نشر الدكتور « سيدنى سميت » الطبيب الشرعى مذكراته ، وهو الذى فحص جثة الخفير وجثث الذين أصيبوا بالرصاص في أسبوط ، وظهرت الحقيقة ! وفى صفحتي ٨٨ و ٨٩ من المذكرات يقول الدكتور سيدنى سميت بالحرف الواحد :

« كان سعد زغلول يقوم برحلة خطائية في الصعيد عندما وقعت بعض الاضطرابات ، وأطلقت النار على بعض الأهالى ، وأدت تحريات النيابة إلى أن كل الضحايا أصيبوا بنيران أنصار سعد زغلول . وفحص الدكتور عامر الجثث فلم يطمئن إلى صحة استنتاج النيابة ، وأرسلت العينات إلى معمل الطب الشرعى لفحصها ، فلم يظهر من العلامات التى بالجثث أنها ناتجة من رصاص مسدسات أو شحنة من طلقة نارية . بل كانت العلامات مطابقة للطلقات المربعة الشكل التى يستخدمها خفراء الحكومة الرسميون ! واستطعت أن أتأكد من ذلك عندما اكتشفت طلقة أحد الخفراء ملتصقة بالدم في داخل أحد الأتواب ! وقدمت تقريراً برأى إلى النيابة العامة ، وقلت إن النار أطلقت من رجال الحكومة لا من رجال سعد زغلول ! وكان من الواضح أن هذا التقرير يزعم الحكومة كثيراً ، لأن الحكومة

أعلنت في تصريحات رسمية علنية أن أنصار سعد زغلول هم الذين أطلقوا النار ! . .  
وأرسل النائب العام في طلبى ، وسألنى النائب العام : « لماذا تفترض يا دكتور أن  
خبراء الحكومة مسئولون عن هذه الوفيات بإطلاق النار ؟ إن أمامى دليلا حاسما  
على أن أنصار سعد زغلول مسئولون وحدهم عن إطلاق النار ، وعن كل طلقة  
من الطلقات » . قلت : « قد يكون الأمر كذلك يا صاحب السعادة ، ولكن إذا  
كان هؤلاء الناس قد قتلوا بيد أنصار سعد زغلول ، فلا بد أن أنصار سعد زغلول  
مزدودون بأسلحة حكومية وبلخائر حكومية ! » قال النائب العام : « يؤسفنى أن  
تقف هذا الموقف ، وإنى أود - نظرا للأدلة التى عرضتها عليك - أن تعيد النظر  
فى تقريرك ! » . قلت : « يا صاحب السعادة ، إن تقريرى يتعلق بما وجدته فعلا ،  
ولن أعيد النظر فيه . إن ما تفعلونه بتقريرى أمر لا يهمنى ، ولكنى لا أستطيع أن  
أغير التقرير ! »

« وهذا ما كان . ألغت الحكومة المحاكمات التى كانت على وشك أن تبدأ ،  
وأخشى أن يكون تقريرى قد وضع على الرف ، إذ أننى لم أسمع عنه كلمة بعد  
ذلك ! » .

• • •

انتهت مذكرات الدكتور سيدنى سميث كبير الأطباء الشرعيين فى مصر  
فهل يكفى هذا لإثبات أن ثروت باشا ، وبدر الدين مراقب الأمن العام ، اللذين كانا  
يعملان مع السلطان والورد أللبنى ، هما اللذان دبوا اغتيال سعد زغلول ؟ !  
لا بد من وثيقة أخرى تؤيد كل هذا ! لا بد من اعتراف ، أو شهادة مكتوبة تقول  
صراحة إن ثروت باشا وبدر الدين دبوا فعلا اغتيال سعد زغلول فى أثناء رحلاته فى  
الأقاليم فى تلك الأيام . . . وهنا نجد مذكرات قاضى كان رئيسا لمحكمة استئناف

مصر ، إن فيها الدليل الخطير ! ففي مذكرات عبد العظيم راشد باشا رئيس محكمة استئناف مصر ، ووزير الأشغال السابق ، كتب في يوم ٧ مارس سنة ١٩٢٨ ، بعنوان « حديث مع محمود يوسف رشاد باشا » :

« قال لي محمود رشاد باشا إن ثروت باشا ، عند زيارة سعد باشا للمنصورة — وكان رشاد باشا عندئذ مديرا للدقهلية — كان ثروت يريد قتل سعد باشا بالفعل ، لأن بدر الدين بك (مراقب الأمن العام) يومئذ حضر إلى المنصورة وأسرّ الأمر إلى حاكمدار البوليس قائلا له : « نريد أن نخلص من سعد باشا هنا » ، فنقل الحاكمدار الأمر إلى المدير (محمود رشاد باشا نفسه) . وحضر حمام يقول إنه يريد أن يمشي في حفلة سعد باشا ومعه ١٥٠ نفرا من البحر الصغير لينادوا : « يحيا عدلي باشا ! » . وعلم المدير محمود رشاد باشا أنهم يحملون نبايت ، وقال المدير للمحامي أمام بدر الدين ، إنه إذا فعل ذلك فسوف يحبسه هو ومن معه . وعندئذ اعترض بدر الدين ، وطلب في النهاية إلى المدير رشاد باشا أن يطلب تعليقات ثروت باشا (وزير الداخلية) تليفونيا ، وأبى المدير رشاد باشا ذلك . ثم تلقى المدير رشاد باشا تليفونا من ثروت باشا يقول له : « سيحضر عندكم سعد باشا ، وبالطبع سيحصل هيجان في الخيمة ، والباقي معروف ! . فاهمني ؟ » . . . ويفسر رشاد باشا (مدير الدقهلية يومئذ) ذلك مع ما قاله بدر الدين للحاكمدار ، بأن ثروت باشا كان يريد قتل سعد زغلول ! » .

ثم تمضي مذكرات عبد العظيم راشد باشا فتقول : « وأضاف رشاد باشا إلى ما تقدم أنه لام محفوظ باشا على ما صنع نحو سعد باشا بأسبوط . ويقول رشاد باشا إن جواب محفوظ باشا كان بمثابة اعتراف ، حيث قال : « إنه طلب منه قتل سعد باشا ، ولكنه رفض ! » .

انتهى ما كتبه المرحوم عبد العظيم راشد باشا رئيس محكمة استئناف مصر في مذكراته . وقد كان سعد زغلول واقفا من المؤامرة التي دبرها السلطان فؤاد والإنجليز وثروت باشا لاغتياله ، وعهدوا إلى محمد بدر الدين بالتنفيذ . ولقد أطلق محمود النحاس عضواً للجهاز السري لثورة ١٩١٩ الرصاص عقب ذلك يشهور على محمد بدر الدين ، فأصابه في صدره بجروح بليغة ولم يقتله . . وعندما مات بدر الدين بعد ذلك بثلاث سنوات موتاً طبيعياً ، بأزمة قلبية في قطار بفرنسا ، وكان الملك قد أنعم عليه بلقب الباشوية ، وأصبح بدر الدين باشا ، كتب سعد زغلول في مذكراته يوم الجمعة ١٢ يونيو سنة ١٩٢٥ يقول :

« نعت أخبار أوروبا وفاة بدر الدين باشا في السكة الحديد بين مرسيليا وباريس . وكثير من الناس شمتوا فيه ، ولكن لا ينبغي أن يشمت في الموت شامت ، لأنه مصيبة عامة لا يخلو منها إنسان ، ولا يعرف أحد متى تنزل به ، ولا بأى أرض تدركه . على أن الشتمات في عمومها ، من أخلاق الأدياء ، لا من صفات الشرفاء . . »

انتهت قصة محاولة اغتيال سعد زغلول الأولى . . ولكننا نريد أن نثبت أن الملك فؤاد أراد أن يختال سعد زغلول مرتين ، وأن السطور المشطوبة في مذكراته تشير إلى ذلك . والمحاولة الأولى قد وقعت عام ١٩٢١ ، وبعد أن فشلت المحاولة بشهور قبض الإنجليز على سعد ونفوه إلى عدن ثم إلى سيشل ، ثم إلى جبل طارق . وهنا قد يقول قائل : « لعل الملك فؤاد أراد ، في المرة الأولى ، أن يقتل سعد زغلول بالرصاص في عام ١٩٢١ ، ولعله في المرة الثانية أراد أن يقتله سياسياً . . »

والواقع أن الملك فؤاد تحالف مع الإنجليز ووزارة زيور باشا وأعلنوا الحرب على سعد زغلول بعد اعتقاله عقب مصرع السردار . . وكانت حرباً شعواء ، قاسية ، مستمرة ، وحشية ، استعملت فيها كل الوسائل والأسلحة للقضاء على سعد زغلول



وثورة ١٩١٩ . . وفي مذكرات سعد زغلول صورة هذه الحرب ، وأسبابها ، وهي صورة أيضاً عن الطبقة العالية وأصحاب المناصب الكبيرة ، الذين لا يستطيعون أن يصمدوا للظفان ، ولا أن يشتوا أمام الاضطهاد ، وكيف جله وقت من الأوقات كان كبار موظفي الدولة يعاملون بسعد زغلول كمنبوذ ، يخشون مصافحته ، ويتخفون من محادثته ، خشية أن يغضب السلطان !

وكتب سعد زغلول في مذكراته يوم ١٠ مايو سنة ١٩٢٥ : « الحالة العامة الآن في البلاد رديئة جداً ، فإن الحكومة أصبحت استبدادية ، بالمعنى المطلق ، فهي لا تحترم حقاً ، ولا عدلاً ، ولا قانوناً ، ولا تحجم عن أى منكر يحقق غرضها ، وغرضها إلغاء النهضة القومية ، وإماتها ، بحيث ينصرف الناس عن الاشتغال بالسياسة ، ويعدلون عن المطالبة بالاستقلال عدولاً تاماً ، ويستبدلون الحركة العامة التي ابتدأوها ، وخطت بهم خطوات واسعة ، بالسكون المطلق عنها ، وبذلك ينهياً لما الوصول إلى الحصول على مجلس نواب من المسلمين الذين لا هم لهم من الحياة ، إلا أن يملأوا بطونهم وجيوبهم ، وحينئذ تتمكن من الاتفاق مع الإنجليز على ما يرضيهم ! . . والوسائل التي توصل - في اعتبارها - إلى هذا الغرض متعددة ومختلفة ، ومنها الترغيب والترهيب للموظفين ، بترقية كل من يكون فيه استعداد لأن يتخلى عن ذمته وعقله للحكومة ، فلا يستحسن إلا ما استحسنست ، ولا يستقبح إلا ما استقبحست ، ولا يتردد في تنفيذ ما أرادت ، مهما كان فيه من الظلم والغدر ، أو بحرمان كل من قعدت ذمته عن اتباع هواها ، وأيت أخلاقه أن يظلم ظلمها ، من كل ترقية ، وإبعاده عن مكان راحته ، إلى مكان تكون متوافرة فيه أسباب الشقاء ، أو برفته ، أو تنزيل درجته . . ومنها تعطيل مصالح الذين يكون فيهم شعور وطني وحياة قومية ، وضرب من يمكن ضربه منهم ، وسجنهم ، والتمثيل بهم ، بسبب ، وبغير سبب ، وتلفيق التهم الباطلة عليهم ! »

وكتب سعد زغلول في مذكراته يوم ٣ يونيو سنة ١٩٢٥ : « كنت أمس بمأتم إبراهيم سعيد باشا ، وجلست بجانب الشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر ، وسمعت منه الحذر . محادثتي ، فأردت أن أفسد عليه حذره ، فأقبلت عليه ، أسأله معنى آية كان يتلوها المقرئ من القرآن ، فأخذ يشرحها : ولكن بصوت عال ، علوا مخالفا لعادته ، ولا ينبغي أن يكون عليه مجلس يتلى فيه القرآن ! . . وفهمت من تعليقه صوبه ، أنه يريد بها الإشهاد على أنه لم يحادثني في غير أمر شرعي ! . . وعند خروجي من الحيمة رأيت أحد المديرين ، فلم يكلمه يسلم حتى ولتي مسرعا ! ولا عدت من التزعة إلى المأتم ، فمر جميع من المنصرفين من المأتم من أمامي سراعا ، حتى لا يسلموا ، وما عرفت منهم أحدا . أوردت ذلك إشارة لما ألم بالنفوس من ضعف ، وما حل بالعزائم من خور . وليس هذا وحده دليل هذه الحالة ، ولكن أدلتها لاتخفى . ولقد يصعب على أن أفهم أن الإنجليز يسارعون إلى خطة تقويتنا من هذا الضعف وتخرجنا من هذا المأزق ، لأنهم يكونون إذن حقيق ، وما عهدناهم كذلك . إن تلك غمة ليس لما إلا عناية الله تكشفها ! »

• • •

وفي يوم ٥ يوليو سنة ١٩٢٥ كتب سعد زغلول في مذكراته يقول : « لا أمل أصلا إلى ما تناقله المقرئون من دار المندوب السامي ، ويعطوفون به على الأذهان ، من أن الإنجليز غير راضين عن الحالة الحاضرة ، ويريدون تبديلها ، وأنهم غير راضين عن الملك وبحل فخته نشأت باشا ! . . يقولون هذا ، ولا يأتون بقصة لعدم هذا الرضاء ، وكل الدلائل تدل على أن جلالته سائر في طريق تؤدي إلى غايتهم ، وهي التي ترى إلى إضعاف الحركة الوطنية ، بل إلى إماتتها . وهذا حزب الاتحاد ،

يتقدم كل يوم في هذا الطريق ، بما تجمع له الإدارة من الأمراء ، وماتسوق إليه من الأعضاء ، وما يبيته في صدور الناس من الخوف من الملك ، ومن اتقاء غضبه ، بعدم الاستمرار في مناصرة السعديين والإنسلاخ عنهم ، إلى هذا الحزب المشنوم . نعم هذا اعتقادي ، ولولا بقية حياة في كثير من الناس ، لالتمسوا منهم ( الإنجليز ) إنقاذهم . ولكن هل يتخذ القط القار إذا وقع في الفخ ؟ وهل يبقى اللص على مال طلبه منه المسروق ؟ . . يارب ! لا سبيل للنجاة إلا منك ، وبالاتكال عليك ، ولوت شريف ، خير من اللد ! »

• • •

ولكن الذي قرأناه بين السطور المشطوبة يوحي إلينا بأن محاولة القتل لم تكن محاولة قتل سياسي فقط ، وإنما هي محاولة قتل بالرضا ! وأن الملك فؤاد حاول أن يقتله مرتين ! . ونعود نقلب صفحات مذكرات سعد زغلول من آخرها ! إننا نقف فجأة أمام إحدى صفحات مذكراته في عام ١٩٢٦ ، ونجد فيها شيئاً ، أو أشياء ، قد تصلح أن تكون خيطاً يوصلنا إلى ما نريد . إن سعد زغلول يكتب يوم الأربعاء ١٩ مايو سنة ١٩٢٦ ما يأتي : « كان قد زارني محمد عجب باشا ( صديق الملك فؤاد ) ووزير المالية السابق من بضعة أيام ، واستسحقني ببعض عبارات لينة ، ووجدت من نفسي عطفاً عليه ، ولكنني سمعت أمس من محمد محمود خليل عبارات عنه لا تظمن الخاطر من جهته ، وتشير إلى أنه من أنصار السراي وأعداء الوفد . وقد غابت عن ذاكرتي هذه العبارات ، ولكن أثرها باق في النفس . وبهذه المناسبة يؤسفني أن تصور أملاً في الذين تبخلوا عنا ، ونلاحظ أن ما لاحقنا من أذى ، كان مصدوره معاملتنا من خير . حضر الباشا المذكور عند وصولنا إلى هذه النقطة ، واستأذن علينا في الصعود إلينا فأذن له ، ونحن في انتظار لقائه ، جعل الله منه خيراً ! . »

وجاء عجب ، وقال إنه من بضعة أيام قابل الملك ، فوجدته متأثراً من التهجيم عليه ،  
فدافع عنى أمامه ، بما لم أفهمه تمام الفهم . وقال عجب إنه تكلم فى الأمر مع 'عدل'  
باشا طويلا ، ولكنى لم أفهم منه ما الذى انتهى إليه كلامهما . وكل ما فهمته منه ،  
وهو كثير الكلام ، وكثير التكرار ، أن الاتفاق مع الملك لازم لمصلحة الأمة ،  
وأنه يجب السعى إليه ، فوافقته كل الموافقة على ذلك ، وأوضحته له أننى لم أفعل  
شيئا ضد هذا ( الملك ) . . وأنه أحزننى أن يستغل الملك حادثة السردار ضدى ،  
وأن يصرف همه لإسقاطى ، ولكن الله لم ينجح مسعاه ، وأظهرنى عليه مرتين !  
ولا أدرى لماذا هو ضدى ، مع أنى لا أحاسه فى شيء ، ولا أزاحمه على شيء ،  
فله عرش الأصناف ولى عرش القلوب ، أعرف أيهما أرفع ! لقد حافظت على احترامه  
ووقفت عند الواجب له . وحدث أنى استفهمت فى أحد الأعياد ما إذا كان يقابلنى  
إذا حضرت ، فلم أفر بخطاب . وإنى أحترمه ، ولكن لا أعبد إلا الله . ومن  
المستحيل أن أذهب إليه بغير دعوة منه إلخ . . وجاء فى كلامى له أن الملك  
لا يملك أن يعطينى ما يرضينى ، فلا أرغب فى رتبة ، ولا نيشان ، ولا وظيفة ،  
ولا أريد إلا أن أموت حرا ، كما ولدت حرا ، وسيان همدى غضبه ورضاه إلخ . . .

\* \* \*

انتهى ما كتبه سعد زغلول فى مذكراته يوم ١٩ مايو سنة ١٩٢٦ ، ويهمنى  
من هذه السطور ثلاثة ، هى قول سعد : « أحزننى أن يستغل الملك  
حادثة السردار ضدى ، وأن يصرف همه لإسقاطى ، ولكن الله لم ينجح مسعاه ،  
وأظهرنى عليه مرتين » . . فاما المرتان اللتان أظهر الله فيهما سعد زغلول على الملك  
فؤاد وجعله يفشل فى مسعاه ! ؟ إننا عرفنا المرة الأولى فى محاولة اغتيال سعد زغلول  
فى عام ١٩٢١ أثناء رحلاته فى الأقاليم . . فاما المرة الثانية ؟ . . لعل سعد

زغلول يقصد محاولة اغتياله في يوليو سنة ١٩٢٤ عندما كان رئيسا للوزارة . ولكن الغريب ، والمريب ، أن سعد زغلول لم يكتب في مذكراته سنة ١٩٢٤ كلمة واحدة عن حادث إطلاق الرصاص عليه في ١٢ يوليو سنة ١٩٢٤ ، ولا عن التحقيق الذى يجرى ، ولا عن القاتل ، ولا عن المحرض ! . : مسع أن سعد زغلول اعتاد في مذكراته أن يكتب كل شيء : إذا أصيب ببرد ، إذا أصيب بعسر هضم ، إذا ارتفعت كمية السكر ، إذا أصيب بأرق ، إذا ارتفعت درجة حرارته .. ولكنك لا تجد كلمة واحدة في تلك السنة كلها عن الرصاصات التى أطلقت عليه ، لا بعد الحادث ، ولا بعد خروجه من المستشفى ، ولا بعد ذلك بشهر ، أو بشهرين أو ثلاثة أشهر !

ونقلب مذكرات سعد زغلول في عام ١٩٢٥ .. وفجأة نتوقف قليلا ! في يوم الجمعة ١٢ يوليو سنة ١٩٢٥ ، كتب سعد زغلول في مذكراته يقول : « في مثل هذا اليوم من العام الماضى ، كان الاعتداء على حياتى في محطة القاهرة ، وكان لهذا الحادث رجة عظيمة ، في مصر وأبنائها . واليوم ليس له ذكر ، لاقى جريدة ، ولا في كتاب » . إن هذه السطور القليلة فيها مرارة ، ولكن فيها شكاً وريبة ! . ما هو السر في الستار الذى أسدل فجأة على محاولة اغتيال سعد زغلول ؟ وإذا هذا الصمت المريب ؟ إن سعد زغلول يبدو في هذه السطور كأنه يرى أن سرا خفيا هو الذى أدى إلى إسدال الصمت والنسيان على هذا الحادث الخطير . فلمصلحة من هذا الصمت الذى يبدو فيه من الثثرة أكثر من الكلام ؟

ولكن بعد صفحات من المذكرات يبرز بطران غريبان بين هذه السطور الكثيرة ! ففي يوم الأربعاء ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٥ كتب سعد في مذكراته عن علاقة حسن نشأت بمحمود إسماعيل في قضية السردار ، ثم قال : « وأكيد لي أسس

بعضهم أن مكتب محمود اسماعيل - أثناء وجود حسن نشأت بالأوقاف - عثر فيه على رصاص ، وقُدِّم إلى نشأت فأخلجه ، ولم يظهر له من بعد أثر . . ولقد كان نشأت وكيلًا لوزارة الأوقاف عندما أطلق الرصاص على سعد زغلول في يوليو سنة ١٩٢٤ ، فهل يقصد سعد زغلول أن لهذا الرصاص علاقة بالرصاص الذي أطلق عليه وهو رئيس للوزراء ١٩ وهل هو يريد أن يقول إن نشأت وكيل الأوقاف له صلة بمحاولة اغتياله وهو رئيس للوزراء ١٩ وخاصة أن نشأت كان في ذلك الوقت على صلة وثيقة بالملك ، وكان مستشاره الأول ، حتى إنه عين بعد حادث إطلاق الرصاص بأسابيع وكيلًا لديوان الملك ورئيسًا له بالنيابة ! . ولكن هذه الإشارة العابرة لاتدل بعد على اتهام صريح ولا تؤيد كل التأييد استنتاجنا بأن السنة السطور المشطوبة من المذكرات تقول إن الملك فؤاد هو الذى دبر اغتيال سعد زغلول وهو رئيس للوزراء ! . . ولهذا يجب أن نغضى فى البحث والتنقيب لعنا نجد فى العتبات التالية ما يؤكد حملتنا وتخميننا واستنتاجنا بأن سعد زغلول قال فيما قال فى السطور المشطوبة إن الملك هو الذى دبر محاولة اغتياله وهو رئيس الوزراء .

### إشاعات فى كثير من الجهات !

ونغضى قلب مذكرات سعد زغلول . . وإذا بنا نجد شيئًا خطيرًا ، لعله يزيد الضوء كثيرًا على السنة السطور المشطوبة شطبًا غليظًا فى مذكرات سعد زغلول . فى يوم الأربعاء ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ كتب سعد زغلول يقول بالحرف الواحد : « الإشاعات متواترة فى كثير من الجهات بأن الاعتداء على حياتى كان بتدبير نشأت ( رئيس الديوان الملكى بالنيابة ) ، وأن أخا المتهم مستعد لأن يبدى معلومات هامة فى هذا الخصوص » . وهذا اتهام خطير ، ولا يكتبه سعد زغلول إلا إذا كان

واثقاً مما يقول ، فإن كل ما كتبه عن الإشاعات ، عن التحقيق في قضية السرداز مثلاً ، ظهر أنه منقول عن التحقيقات بدقة ! فما الذي جعل سعد زغلول يسجل هذه الإشاعات المتواترة ؟ لابد أن لديه معلومات — أو على الأقل شكوكا — في أن تدبير إطلاق الرصاص عليه كان من حسن نشأت باشا ، وهو وكيل للأوقاف ومستشار للملك ، ولكن هل حسن نشأت باشا هو الذى دبر الاغتيال ، وهل دبره بدون علم الملك ؟ ! وهل من المعقول أن يقتل الملك رئيس وزرائه ؟ إن والد الملك فؤاد فعل هذا الشيء مع وزيره الأول ! ! . . . فى صفحة ٧٤ من كتاب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى « عصر إسماعيل » يروى المؤلف أن الخديو إسماعيل قتل وزيره الأول إسماعيل صديق باشا وزير المالية ، فاستدعاه إلى قصر عابدين وصحبه إلى قصر الجزيرة ، حيث قبض عليه وأمر بقتله ، وألقى بجثته فى النيل . وقال الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى ذلك : « ولعمري إن هذه الوسيلة فى التخلص من الرجل ، ليست بما تستسيغه الشرائع والنظم والأخلاق ، فإن اغتيال الناس غدرا عمل لا يليق أن يصدر من النبلاء بله الملوك والأمراء . فهل يمكن أن نستنتج من هذا أن الملك فؤاد أراد أن يفعل مع رئيس وزرائه سعد زغلول ما فعله جده محمد على من قبل ، وما فعله أبوه ؟ »

ولكن لماذا يحاول الملك فؤاد قتل رئيس وزرائه سعد زغلول ؟ لقد كان سعد يحاول أن يخلع السلطان فؤاد فى الثورة ، وحاول أن يخلع الملك فؤاد وهو فى جبل طارق ، وحاول أن يكون من حق الشعب تعديل مواد الدستور وبينها النصوص الخاصة بالعرش . ثم جرت الانتخابات وقال سعد زغلول الأغلبية ، وتظاهر الملك فؤاد بأنه سيحترم إرادة الأمة . . . وراح فؤاد يتظاهر بصداقة سعد زغلول ، فلماذا يدبر اغتياله ؟ . . . إن سعد زغلول مفسر على اتهام





وأُقلعه البوليس بصحوبة ! وظهر أن اسمه عبد اللطيف عبد الحافظ ، وهو طالب طب  
 بإحدى جامعات ألمانيا ، وُضِل إلى القاهرة قبل وقوع الحادث بشهر ، وعمره ٢٢ سنة .  
 وقتل سعد زغلول إلى قاعة الاستراحة في المحطة ، والدم يتدفق منه . ورأى سعد  
 الناس ييكون ، فقال لهم : « لا تحزنوا ، إذا مات سعد فإن مبدأه لا يموت ، أنتم من  
 بعلى فاستمروا في تنفيذ برنامجكم الوطنى . لنمت في سبيل الوطن .. نموت  
 نحن وليحي الوطن ! لا تكتسبوا ولا تهتموا . إلى الأمام دائما ، إلى الأمام ! »  
 وقتل سعد إلى المستشفى ، واستطاع الأطباء استخراج رصاصة . ولكن الرصاصة  
 الثانية بقيت في جسمه لم يستطيعوا استخراجها لأنها كانت تحت القلب . وبقيت  
 في موضعها إلى أن مات سعد بعد ذلك بثلاثة أعوام ! . إن إطلاق الرصاص  
 على رئيس الوزراء يحدث مثله في كل بلاد العالم ، إن جميع قادة العالم تعرضوا لحوادث  
 الاغتيال والمحاولة الاغتيال . . . ولكن الشيء الغريب أن المسلس الذى استعمله الجاني  
 في محاولة اغتيال سعد زغلول ، اختفى . . على الرغم من أن الجاني أكد أن ليس  
 له شركاء ! . . ولكن الشيء الأغرب أن الأستاذ محمود سليمان غنام الذى شهد  
 في التحقيق بأنه رأى الضابط إنجرام بك يضع المسلس في جيبه ، وإذا بالضابط  
 الإنجليزى ينكر في التحقيق أنه وضع المسلس في جيبه ، ويقول إنه وضع في جيبه  
 يد منشته السوداء التى كسرت في الزحام ! . . وأكد محمود غنام أنه رأى إنجرام  
 بك يأخذ المسلس من يد الجاني ، ويضعه في جيبه . . وجاء عدد كبير من الشهود  
 يدلون بهذه الشهادة نفسها . . وأمر النائب العام بوضع إنجرام بك بين عدد  
 من ضباط البوليس الإنجليز ، وأجرى عملية عرض له أمام الشهود . . وإذا بالشهود جميعا  
 يخرجون إنجرام بك ، ويقولون إنه هو الذى أخذ المسلس من الجاني ووضعه في جيبه !  
 والشيء الغريب الثانى أن حسن نشأت باشا وكيل وزارة الأوقاف يومئذ سارع

إلى حضور التحقيق ، ليلا ونهارا . بينما وكيل الأوقاف ليس له علاقة بالتحقيقات وكل ما هو معروف عنه أنه أقرب المقرين للملك فؤاد ومستشاره الأول ، وسيطه لدى سعد زغلول ! . . . والشئ الغريب الثالث أن القصر الملكي كان مهتماً بإثبات أن عبد اللطيف عبد الخالق مجنون، وجاء الطبيب الإنجليزي الدكتور روجن باشا كبير أطباء الأمراض العقلية يشهد بأن عبد اللطيف عبد الخالق مجنون ! . . . والشئ الغريب الرابع أنه اللين كانوا يشرفون على التحقيق من رجال البوليس كانوا تحت إمره لإنجرام بك وكيل الحكماء الذي أخفى المسدس أداة الجريمة في محاولة اغتيال رئيس الوزراء . . . والشئ الغريب الخامس أن البوليس لم يظهر اهتماماً بأن يعرف الذين كانوا على علاقة بالطالب عبد اللطيف عبد الخالق في ألمانيا ، والذين شجعوه على العودة فجأة إلى القاهرة بدون سبب معقول . وأن إنجرام بك قال من اليوم الأول أن المتهم مجنون ولا داعي للبحث عن شركائه . فإذا لم يكن له شركاء فأين اختفى المسدس ؟ هذا سؤال لم يحاول إنجرام بك ولا غيره الإجابة عليه !

والشئ الغريب السادس أنه بغد استقالة سعد زغلول مباشرة ، حفظ التحقيق ! . . . والشئ الغريب السابع أنه بعد أن أودع عبد اللطيف عبد الخالق مستشفى الأمراض العقلية . صدر أمر من المستشفى بأن يمنع أى شخص من زيارته، إلا بعد الاتصال بصاحب الدولة أحمد زيور باشا رئيس الوزراء الجديد ووزير الداخلية ! . . . والشئ الغريب الثامن أنه بعد ذلك بعامين نشرت مجلة السياسة الأسبوعية مسابقة في الشطرنج ، فإذا بالفائز الأول فيها هو عبد اللطيف عبد الخالق فزيل مستشفى المجانين . والمفروض أنه مجنون ، فكيف يستطيع مجنون أن يحل مسابقة عويصة في الشطرنج ؟ هذا سؤال لم يستطيع أحد أن يجيب عليه ! ! . . . والشئ الغريب التاسع أنه عرف بعد أن أذيع أن الملك فؤاد أرسل إلى سعد زغلول رسالة

لمناسبة إصابته يقول له فيها: «إن صحتك آمن شيء في الدولة»، بعد هذه الرسالة الرقيقة عرف أنه عندما جاء خبر إطلاق الرصاص على سعد إلى الملك فؤاد - وكان يومها في قصر المنتزه في الإسكندرية - قال الملك فؤاد لسعيد ذو الفقار باشا كبير الأمانة ، تليفونيا : « اذهب وزر سعد باشا . . فإذا كانت إصابته قاتلة فتستمر التشريعات . وإذا لم تكن قاتلة ، تلغى التشريعات ! . . » وذهب سعيد ذو الفقار باشا ومعه الدكتور محمد شاهين باشا طبيب الملك الخاص إلى المستشفى ، وعرفا أن الإصابة غير قاتلة . . وصدر الأمر بإبطال تشريعات عيد الأضحى !

وكان سعد زغلول يشعر أن في جريمة الاعتداء على حياته شيئا مريباً . . ثم بدأت المعلومات تتسرب عن تدبير حادث الاعتداء ، ومن هنا كتب سعد زغلول في مذكراته يقول إن الإشاعات تواترت عن أن حسن نشأت هو الذي دبر الاغتيال ! . . فلقد قيل إن عواصم أوروبا كانت في ذلك الوقت مليئة بمجواسيس القصر الملكي ، وبرجال الملك فؤاد ، فقد انتهز الملك الفرصة - قبل الانتخابات - وملاً جميع مناصب المفوضيات المصرية في الخارج برجال القصر ، وبغاسيب القصر وعماله القصر ! وكان نشاط هؤلاء العملاء على أشده في ألمانيا ، بسبب نشاط جمعيات الطلبة فيها ، وبسبب ما تردد يومها من أن للخبير السابق اتصالات ببعض المصريين في ألمانيا . . وحدث أن عرف أحد عملاء القصر الطالب عبد الطيف عبد الخالق الذي كان يدرس الطب ، ثم تحول إلى دراسة الكيمياء وعرف أنه مخبول وأنه مفرور وأنه مصاب بداء العظمة فراح يملأ رأسه بأفكار : هي أنه يستطيع أن يقضى على سعد زغلول ، وأنه إذا تخلص منه استطاع أن يؤلف حزبا ، ويمتدحه ويحقق لمصر ما لم يستطعه سعد زغلول ! . . والذين عرفوا عبد الطيف عبد الخالق في ألمانيا من الطلبة المصريين يقولون إنه كان من السهل التأثير عليه ، سهل الانقياد وهو

فى الوقت نفسه غريب الأطوار ، مملوء بأفكار العظمة ، وأنه يرغب فى أن يقوم بعمل ضخم . واتصل عميل القصر الملكى بالملك فؤاد ، وعرض عليه الفكرة ، فرحب بها الملك . . واتصل الملك بصديقه إنجرام بك فرحب بالفكرة . فالإنجليز المشعلون يريدون أيضا التخلص من سعد زغلول . وكان الملك فى تلك الأيام قد ضاق بسعد زغلول بسبب الخلاف بينهما على تعيين أعضاء مجلس الشيوخ . الملك يقول إن هذا من حقه ، وسعد زغلول يقول إن الملك يملك ولا يتكلم ، وأن هذا من حق الوزارة لا من حق الملك . . وهدد سعد باستفتاء الشعب . وتخضع الملك لسعد زغلول !

وكان جميع الموظفين الإنجليز فى الحكومة المصرية ساخطين ، لأن الوزراء يتدخلون فيما لا يعينهم . . وقد تمرد الموظفون الإنجليز أن يكونوا هم الحكام . . وبدأ سعد زغلول فعلا يتخلص منهم واحدا واحدا . . وتضايق الإنجليز . لأن سعد زغلول انتصر على الملك فى معركة تعيين الشيوخ . وكان هذا فى الأيام الأولى لتأليف الوزارة . وتظاهر الملك بأن هذه المسألة لم تترك أثرًا فى نفسه . ولكنه أضمرها ضد سعد زغلول . . ثم كان أن جىء بعبد اللطيف عبد الحائق إلى القاهرة ، وبكث فيها بضعة أسابيع يراقب سعد زغلول . ثم أعلن فى الصحف أن سعدا سياتفر فى يوم السبت إلى الإسكندرية ، ليحضر تشريفات عيد الأضحى . وحددت الصحف موعد السفر . وكانت هذه هى الفرصة المطلوبة . . ثم ذهب عبد اللطيف عبد الحائق مع رجل القصر الخفى إلى محطة القاهرة ، وأطلق عبد اللطيف عبد الحائق الرصاص . . وانتزع إنجرام بك المسلس منه ووضعه فى جيبه ، ثم انتهز فرصة الزحام وأعطاه لرجل القصر الخفى الذى كان مع عبد اللطيف عبد الحائق فى المحطة ! ! ومعنى هذا بوضوح أن هناك شركاء كانوا يعلمون بالحدث وموعده ، وأنهم أشاعوا على الفور أن أرميا هو الذى ضرب سعد زغلول بالرصاص ، لتحويل الأنظار

عن القصر . . ثم لما فشلت هذه المحاولة قال رجال القصر أنفسهم — وفي مقدمتهم سعيد ذو الفقار باشا كبير الأمراء — إن القصر لديه معلومات بأن هذه حركة دبرها الخديو عباس مع رجال الحزب الوطنى ، وأن نشأت باشا قال نفس هذا الكلام للمحققين الذين اتجهوا هذا الاتجاه الكاذب ، وتأهوا فيه . ثم عندما تبين للملك أن المحققين تأكدوا من أن هذا الاتهام مخلق . . أوعز إلى زوج ابنته محمود فخرى باشا وزير مصر المفضى فى باريس بأن يبرق للحكومة المصرية بأن هناك مؤامرة من الخديو عباس لخلع الملك فؤاد . وبعد ذلك استدعى حسن نشأت باشا محمود فهمى القيسى مدير الأمن ، وأبلغه أن لدى القصر معلومات بأن هناك مؤامرة لقلب نظام الحكم ! . وإذا بالتحقيق يتوقف فى محاولة اغتيال سعد زغلول ، وينقلب إلى تحقيق فى مؤامرة دبرها الخديو لخلع الملك ! . . وهى مؤامرة وهمية لا أساس لها !

وبين يديّ مذكرات المرحوم مرقص حنا باشا وزير الأشغال فى وزارة سعد زغلول ، وأحد أعضاء الوفد الذين حكم عليهم بالإعدام . . إنه يكتب بتاريخ يوم السبت ١١ يوليو سنة ١٩٢٤ فيقول : الساعة ٧:١٠ صباحا ، كنت أنا والغرابى (نجيب باشا الغرابى وزير الأوقاف) بالصالون الملحق بقطار الساعة ٧ والدقيقة ١٥ ، فى انتظار باقى الوزراء للسفر إلى الإسكندرية لحضور التشرىفات فى اليوم التالى وهو يوم العيد ، وإذا بهتاف من الجماهير العديدة ينبثنا بحضور سعد ، تلاه حضور حاجب على عجل ، متزعج انزعاجا شديداً وأخبرنا أن سعد أطلق عليه الرصاص . فنزلنا مهرولين نحوه ، واخترقنا الجماهير للوصول إليه . وجلدناه محمولاً على كرسى ، وأوصل إلى قاعة من قاعات المحطة ، ومعه الدكتور حسن كامل ، ثم حضر مظلوم باشا (رئيس مجلس النواب) . ثم كشف الدكتور على صدره فلذا به مصاب فى ثديه وذراعه اليمنى ، والدماء تسيل منهما . وقد كان

حافظاً لكل قواه ، ويوصينا بأن نستمر من بعده على مبدئه ، ويوصى الجماهير بأن تستمر في جهادها إلى الأمام .

وطال بنا الانتظار ، ولم يحضر طبيب ولا جراح ، ولم يهتوا له ما ينقل عليه إلى المستشفى . وأخيراً نقل على كرسية إلى عربة المستشفى ، فأبى سعد أن يحمل إليها . فقتل في الأتومبيل إلى مستشفى (بابايانو) . ونظراً لأنه معطل بسبب سفر الدكتور ، نقل إلى مستشفى الدكتور على إبراهيم رامت ، وهناك بقي إلى أن خرج منه يوم الخميس ١٧ يوليو .

« وثبت من قرائن التحقيق أن الجريمة دبرت في برلين وفي مصر ، بواسطة الحزب الوطني أو بعض رجاله ، بالاتفاق مع الخديو . والحجة الظاهرة أنهم يريدون إحداث اضطرابات ، حتى يتمكن الخديو من الرجوع إلى العرش ! وقد كان المقروض من المؤامرة قتل سعد زغلول والوزراء وأعضاء الوفد وإحداث اضطرابات ، وللوصول إلى الغرض الأخير أشاعوا بعد ارتكاب الجريمة أن القاتل «أرمي» الجنسية ، ليدفعوا الجماهير إلى الالتحام مع الأجانب ! . وقد انتشرت الإشاعة في لحظة واحدة في جميع أنحاء القطر ، مما يدل على أن هناك تدبيراً لنشرها فجأة في كل مكان . ومن الغريب أن المسلس الذي ارتكبت به الجريمة وهبطه بعض الطلبة أخفى . . بعد أن أخذه بالقوة عسكري بوليس . . » (انتهت مذكرات مرقص حنا باشا)

ومذكرات مرقص باشا التي كتبت في يومى ١٢ و ١٧ يوليو سنة ١٩٢٤ قاطعة بما استنتجته سعد زغلول بعد ذلك من أن المراد كان إطلاق إشاعة الخديو والحزب الوطني وقبل ذلك الأرمي ، للتضليل وإخفاء أن القصر هو الذى كان وراء إطلاق الرصاص على سعد . . ولقد ثبت أن الحزب الوطنى بعيد عن هذا الحادث ، وثبت أن الخديو عباس لا علاقة له بهذا الحادث . ولم يكن له من القوة والنوذ والسلطان ما يعمل في

استطاعة أنصاره القلائل أن ينشروا هذه الإشاعة في جميع أنحاء القطر في وقت واحد!... وإنما الملك فؤاد نفسه هو الذي كان يملك هذه القوة في تلك الأيام!

\* \* \*

وفي يوم الأحد ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٤ كتب مرقص حنا باشا في مذكراته:  
« الساعة ٣ بعد الظهر : بعد أن تناولنا الغداء في منزل سعد حجاز واصف غالى باشا (وزير الخارجية) الوزراء ، وأطلعنا على تلفراف وصله من محمود فخري سفير مصر في باريس ، أخبره فيه أن شخصا يدعى (كرياس) أبلغه أن هناك مؤامرة لقتل الملك والوزراء ، وإحداث اضطرابات في يوم ١٥ أغسطس يقوم بتنفيذها قائد تركي موجود بفندق الكونتنتال تحت اسم مستعار ، واسمه الحقيقي أحمد شكرى باشا ، وآخر أرمنى يدعى (تكران) موجود في لوكاندة (ونلسور) بالإسكندرية تحت اسم مستعار ، وثالث موجود بشارع العباسية نمرة ١٧ ، ورابعة تدعى « إميليا فلتينا » مقيمة بشارع الرمل نمرة ٨٤ ، واثان موجودان على ظهر باخرة آتية من أمريكا وتصل إلى مصر في أواخر يوليو ، وأن أوراق هذه المؤامرة موجودة بشارع العباسية وبشارع الرمل ! . . وأن هناك آخر ترسل إليه الخطابات باسم مستعار من شبك البوسطة . . وقد أعلن سعد أنه قادم للإسكندرية يوم الثلاثاء ليبحر يوم الجمعة لأوروبا للاستشفاء ثم للمفاوضات ، إن تهيأت الظروف لصالح مصر ».

انتهت مذكرات مرقص حنا باشا ، وقد ثبت بعد ذلك أن هذه المؤامرة من أولها إلى آخرها لا أساس لها من الصحة ! وأن المقصود بها صرف النظر عن التحقيق الذى يجري فيمن هو الذى وراء إطلاق النار على سعد زغلول ، ومن هو الذى أختفى المسمس ؟ . . هذا كله هو الذى جعل سعد زغلول يتهم في مذكراته الملك فؤاد ونشأت باشا بأنهما دبرا اغتياله !

ولقد رأيت أن أرجع إلى الدكتور حسن نشأت رئيس الديوان الملكي بالنيابة في تلك الأيام . فكلفت الأستاذين « أحمد زين » نائب رئيس تحرير الأخبار و « محمد فهمي عبد اللطيف » رئيس قسم المراجعة . بسماع أقوال الدكتور حسن نشأت في هذه الاتهامات . وهذا هو تقريرهما عن الاجتماع الذي عقده معه في مكتب أخبار اليوم بالإسكندرية : هذا هو النص الحرفي لأجوبة حسن نشأت عن الأسئلة . وقد لاحظنا أنه يتهرب من الإجابة . وأنه يحاول أن يبنى عن نفسه أي علاقة بجادث إطلاق الرصاص على سعد زغول بطريقة تثير الشبهات . وقد أبلغنا أنه مستعد للإجابة على أية أسئلة أخرى لو أردنا . . فسألناه : « في مذكرات سعد زغول ما يشير إلى أن الملك فؤاد هو الذي دبر اغتيال سعد زغول وهو رئيس الوزارة في ١٢ يوليو سنة ١٩٢٤ . عندما أطلق عليه شاب يدعى عبد اللطيف عبد الخالق الرصاص في محطة القاهرة ؟ » .

وأجاب الدكتور نشأت : « ليس من المعقول أن يكون الملك فؤاد قد دعا سعد زغول لرئاسة الوزارة في أوائل عام ١٩٢٤ ويدبر اغتياله في يوليو سنة ١٩٢٤ وأثناء توليه الحكم . وقد كان سعد زغول يومها يستعد للسفر إلى لندن والتفاوض مع الإنجليز . . » . وسألناه : « وفي مذكرات سعد زغول ما يشير إلى أنك أنت الذي دبرت جادث الاعتداء على حياة سعد زغول ! » . وأجاب الدكتور نشأت : « هذا غير صحيح ! » . . . وسألناه : « وفي مذكرات سعد زغول أنه في سنة ١٩٢٤ عندما كنت أنت وكيلا لوزارة الأوقاف . وكان سعد زغول رئيسا للوزارة ، عثروا في غرفة مكتب محمود إسماعيل بوزارة الأوقاف على رصاص . ونقل هذا الرصاص إلى مكتبك ، ثم اختفى بعد ذلك ؟ » ومحمود إسماعيل هو أحد الذين أعدوا قضية مصرع السردار ؟ » . وأجاب حسن نشأت : « أنا لا أذكر ذلك . وإنما أذكر أن البوليس



حضر إلى في ليلة من الليالي ، وكنت في الإسكندرية ، وأخبرني أن هناك محاولة لاختيالي ووضعوا حراسة مشددة لمدة أسبوعين على منزلي ، ولكن لم يحدث شيء . . . وسألتاه : « ألم تحقق النيابة معك في هذا الموضوع خلال التحقيق معك في حادث السردار ؟ » وأجاب حسن نشأت : « لم تسألني النيابة في حادث السردار إلا عن واقعة واحدة ، هي إذا كان عبد الحليم البيلي جاء يطلب مني نقل عمود إسماعيل من دمنهور إلى القاهرة ؟ »

\* \* \*

ونستأذن الدكتور حسن نشأت في أن تقطع باقي التقرير لنقول إنه يبدو أن سيادته قد نسي نظراً لأن الحادث وقع منذ أربعين سنة ، ولكن الوثائق لا تنسى أبداً : إن بين يدي صورة فوتوغرافية للتحقيق التي أجراه المرحوم محمد طاهر نور باشا النائب العام في قضية مقتل السردار مع حسن نشأت باشا . . وقد استغرق ١٩ صفحة في القضية ، من صفحة ٢٧١ إلى صفحة ٢٨٩ ، واستمر ثلاث ساعات إلا ١٥ دقيقة ( طبقاً لما جاء في نص التحقيق ) . ولم يسأل النائب العام في هذا التحقيق الدكتور حسن نشأت كشاهد ، بدليل أنه لم يطلب منه أن يحلف اليمين . . فقد بدأ النائب العام التحقيق في صفحة ٢٧١ بما يأتي : « فتح المحضر في يوم الأحد ٢٢ جماد الآخر ١٣٤٤ الموافق ١٠ يناير ١٩٢٦ الساعة التاسعة و٣٠ دقيقة إفرنكي صباحاً ، بالمكان والمدينة السابقة . . حيث استحضرننا حسن نشأت باشا ، وبسؤاله قرر اسمه كما ذكر أن عمره ٣٧ سنة ومولود ومقيم بمصر . . ثم بدأت الأسئلة ، لم يذكر فيها النائب العام أن حسن نشأت باشا أقسم اليمين ، فالنائب العام إذن كان يسأله كمتهم ، لا كشاهد ! . . هذا أولاً . . أما مسألة الرصاص فقد ورد في صفحة ٢٨١ من التحقيق مع حسن نشأت باشا ما يأتي بالحرف الواحد :

ج : ( من النائب العام ) هل تذكر لما كنت وكيلًا لوزارة الأوقاف أنه ضُبط  
رصاص بأحد الدوايب الموجودة بالمكتب الذى يشتغل فيه محمود إسماعيل ؟

ج : ( من حسن نشأت باشا ) فى يوم من الأيام قررت ضم قسم إلى قسم آخر ،  
وعد قسم الإيرادات إلى قسم الزراعة . وعند نقل الأمتعة من غرفة إلى الغرفة الجديدة ،  
أحضرت لى - لا أذكر إذا كان إبراهيم بك فهمى وقتها ، أو مصطفى أفندى الماحى  
سكرتيرى - نحو عشرين رصاص من حجم ريفولفرات ( مسدسات )  
الحبس المصرى ، فى جريدة لا أذكر اسمها ، وإنما التفت إلى تاريخها فكان  
سنة ١٩١٩ . وقال لى إن هذا وجد فى دولاب فى إحدى الغرف - بنوار مكتب  
محمود إسماعيل . وكان هذا فى أوائل سنة ١٩٢٣ أو أوائل سنة ١٩٢٤ لا أذكر ،  
ولم أعر اسم محمود إسماعيل أى اهتمام أكثر من غيره . غير أنى تذكرت التحقيق  
الذى كان يعمل فى مسألة خطاب تهديد أرسل لبحى باشا إبراهيم فطلبت منهم  
أن يسألوه ، فعادوا وقالوا لى إن الدولاب معد لاستعمال جميع الموظفين الموجودين فى  
هذه الغرفة ، ولا يمكن البت بالمرة فى أنه لمحمود إسماعيل . ولما رأيت أن الجريدة  
الملفوف فيها الرصاص هى من سنة ١٩١٩ . فكرت أن أحد الموظفين كان عنده  
هذا الرصاص فى سنة ١٩١٩ . ولما صدرت أوامر السلطة العسكرية بإعدام ما يوجد  
من هذا ، أخفاه فى الوزارة . وهذا لم يمنعنى من اتخاذ الاحتياطات . فقد حضر  
عندى القيسى باشا فى حينها بمكتبى وأخبرته بالمسألة ، وطلبت منه أن يلتفت ويراقب  
محمود إسماعيل هذا . وقد قال لى إن منزله فُتش بالفعل فى مسألة خطاب التهديد ، وأنه  
مراقب بالفعل ، وترك الأمر .

وفى صفحة ٢٧٩ ينتهى التحقيق مع حسن نشأت . . وفى نفس الصفحة يبدأ

تحقيق. مصطفى حننى بك رئيس النيابة مع محمود فهمى القيسى باشا مدير الأمن العام الذى خلف اليمين ، ثم بدأ سؤاله طبقا لما جاء فى صفحة ٢٩٠ :  
 س ( مصطفى حننى بك ) : هل تذكرن سعادتك أن حسن نشأت باشا أبلغكم أمرا يتعلق بمحمود إسماعيل فى سنة ١٩٢٣ أو سنة ١٩٢٤ ؟

ج ( من محمود فهمى القيسى باشا ) : أما فى سنة ١٩٢٣ فلا يمكن أن يكون حصل تبليغ فى أوائلها ، لأنى انتدبت للعمل بصفى وكيل للأمن العام فى ١٠ أبريل من السنة المذكورة ، وعلى كل حال فلم أبلغ عن شىء خاص بمحمود إسماعيل المذكور فى نفس السنة ولا فى سنة ١٩٢٤ .

س ( من مصطفى حننى بك ) : حسن نشأت باشا قرر فى أقواله أنه فى زيارة من سعادتك له أبلغكم خبر العثور على رصاصات فى دولا ب بالقرب من مكتبة محمود إسماعيل وطلب من سعادتك مراقبة هذا الشخص ، والالتفات إليه ؟  
 ج ( من محمود فهمى القيسى باشا ) : لا ، لم يحصل !

انتهى ما نقلناه حرفيا من محضر التحقيق فى قضية السردار . ومن الغريب أنه فى هذا التحقيق بالذات وردت جملة عجيبة على لسان حسن نشأت باشا فى صفحة ٢٨٧ من التحقيق أثارت اهتمام النائب العام للدرجة أنه وضع بجوارها علامة (+) . وهذه الجملة التى قالها نشأت فى التحقيق هى بالحرف الواحد : « لو أراد شخص عاقل إسقاط سعد باشا نهائيا ، ألم يكن قتله أسهل من قتل السردار ؟ » . وهنا يحسن — أمانة للتاريخ — أن أنقل سؤال النائب العام وجواب حسن نشأت كما هو :  
 س ( من النائب العام ) : هل علمت بأن شفيق منصور قرر فى التحقيقات الأولى أن محمود إسماعيل كان معرضا على ارتكاب الجريمة من أشخاص بكرهين سعد باشا ويقصدون بها إسقاطه ؟

ج (منه حسن نشأت باشا) : قرأت هذا في الجرائد السعدية . وأعتبره سخيفا إذا كان المقصود بذلك هو شخصي لأنه ماذا يقصد بمثل هذه الجريمة ؟ إن كان إسقاط سعد باشا أى تقديمه استقالته فقد قلصها بالكتابة فعلا يوم ١٤ نوفمبر ، وما زالت موجودة في محفوظات الديوان العالي ، لأنه سوى عليه أن يسحبها . أما إذا كانوا يريدون بالإسقاط إسقاطا في نظر الأمة . فأظنهم يعلمون أنه لا يمكن إسقاط سعد باشا بمثل هذا . وفوق هذا لو أراد شخص عاقل إسقاط سعد باشا نهائيا ألم يكن قتله أسهل من قتل السردار ؟

انتهى محضر التحقيق في قضية السردار ، ونعود إلى رد الدكتور حسن نشأت عن الاتهامات ، سأله أحمد زين ومحمد فهمي عبد اللطيف : « الذين حضروا التحقيق في قضية إطلاق الرصاص على سعد زغلول يقولون إنك حضرت هذا التحقيق وأنت وكيل وزارة الأوقاف ، فلماذا تمحضر التحقيق وتتهم به هذا الاهتمام ، وليس من اختصاصات منصب وكيل وزارة الأوقاف التحقيق في جريمة محاولة قتل رئيس الوزراء ؟ » . وأجاب حسن نشأت : « أنا لم أحضر التحقيق في حادث اغتيال سعد زغلول . والذي حدث أن الملك فؤاد لاحظ تباطؤا في التحقيق ، وإظهارا لعطفه على رئيس وزرائه ، أرسلنى أسأل عن السبب فقال لى سعد زغلول إن المسألة انتهت ولا يعتدى على سعد زغلول إلا مجنون ! »

وهنا نستأذن الدكتور حسن نشأت في أن نقطع تقريره لحظة لنقول إنه جاء في كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد « سعد زغلول » صفحة ٤٥٣ ما يأتى بالحرف الواسد . « وأشرف على التحقيق بعض الوزراء . واستمر على الإشراف عليه حسن نشأت باشا وكيل وزارة الأوقاف يومذاك . وبعد بحث طويل أحيل الجاني إلى الكشف الطبي ، فقرر الدكتور روجن كبير الأطباء العقلين أنه مجنون ، وتقرر

اعتقاله في مستشفى المجاذيب، وهو المعتلى الوحيد على الوزراء الذى صار إلى هذا المصير .

انتهى رد الدكتور حسن نشأت نائب رئيس الديوان الملكى في عهد الملك فؤاد وانتهى ردنا عليه !

• • •

وتلقيت من السيد فؤاد صالح رئيس إدارة تفتيش النيابات سابقا الكتاب التالى :  
 « كنت أعمل مع مستر هيوز مدير إدارة النيابات ، وعندما وقع حادث الاعتلاء على سعد زغلول انتدبت لحضور العرض ، وتحقيق واقعة اختفاء المسلس ، وكانت الإشاعات بدأت تتهم الملك فؤاد والإنجليز بأنهم أرادوا قتل سعد زغلول . وتساءل الناس عن سر اختفاء المسلس ، وجاء شهود يشهدون بأنهم رأوا المتهم يأتى بالمسلس عقب إطلاق الرصاص على رصيف المحطة ، وأن إنجرام بك وكيل الحكمدار انتقط المسلس ووضعه في جيب بتطلونه الخلقى . واستدعت النيابة إنجرام بك ومعه ثلاثة من الضباط الإنجليز يشبهونه في الطول، والعرض - فقد كان قارع الطول يمتلى الجسم - وأجرت النيابة في حضورى العرض في الغرفة التى يشغلها الآن موظفو نيابة أمن الدولة بالدور الثانى بمحكمة مصر . . وإذا بجميع الشهود يتعرفون على إنجرام بك ! وكان من بينهم الضابط حسين فخرى الذى كان يعمل ياورا لرئيس الوزراء . ثم انتقلت مع رئيس النيابة إلى الغرفة المجاورة . . ووجه رئيس النيابة سؤالاً لإنجرام بك ، فلما بإنجرام بك يهدده بالرفق ! . . وأكد الضابط حسين فخرى أن إنجرام أخذ مسلس القاتل ووضعه في جيب بتطلونه الخلقى ! وراح إنجرام يشتم أمام المحقق ، ورفح كرسيا أراد أن يضربه به ! . . وجلست وأثبتت كل هذا في التحقيق وأقبلت المحضر ، وسلمته إلى المرحوم سيد مصطفى باشا رئيس النيابة وقتئذ :

ثم اختفى المضر من ذلك التاريخ ! ولا يوجد له أثر في النيابة ! ولقد وجدت من مباشرى التحقيق أن الجريمة تمت بتدبير من الملك فؤاد والإنجليز ، وإنجرام بك هو الذى رسم الخطة ، وهو الذى طُلب من عبد اللطيف عبد الحالى ادعاء الجنين !

ولإى أعلن هذه الشهادة للحق والتاريخ . .

**فؤاد صالح**

رئيس إدارة تفتيش النيابة سابقا

## وهنا نفتح قوساً كبيراً !!

. إن حادث إطلاق الرصاص على سعد زغلول وصجز البوليس عن أن يكشف عن شركاء الجنائي أو يجد المسدس الذى ارتكب به الحادث ، كان يجب أن يفتح صيني قائد ثورة ١٩١٩ لحقيقة خبطيرة وهى أن الجهاز السرى للدولة لا يمكن الاعتماد عليه. وكان من الخطأ أن الجهاز السرى للثورة توقف عن العمل بعد تولي سعد رئاسة الوزارة ، فإن هذا الجهاز الذى كان يقاتل ، ويكشف عن المؤامرات ، ويقوم بعملية المخابرات للثورة ، كان يجب أن يبقى تحت الأرض في الوقت الذى تتولى فيه الثورة الحكم ! ولقد كان سعد زغلول على حق عندما تولى الوزارة ولم يختر في أول الأمر أى عضو من أعضاء الجهاز السرى في وزارته ، وإذا كان سعد زغلول يتحدى الإنجليز ويختار اثنين من قادة الجهاز في منصب وزير المعارف وفي منصب وكيل الداخلية فإن هذه المظاهرة الوطنية أفقدت الجهاز السرى فاعليته. فلم يكن من الممكن أن يتولى أحمد ماهر وزارة المعارف ويدبر الجهاز السرى في الوقت نفسه

أو أن يتولى النقراشى منصب وكيل الداخلية وإدارة الأجهزة الأخرى السرية . إن العمل فى الجهاز السرى لثورة يحتاج إلى تفرغ ، يحتاج إلى ١٤ ساعة من العمل المتواصل ! وقد كان يحسن أن يكتفى أحمد ماهر والنقراشى بعضوية البرلمان ، وبإصلاح تنظيم الجهاز السرى ، استعدادا ليوم موعود ! . فإن الثورات تخطئ خطأ كبيرا إذا وضعت كل أوراقها فوق المائدة ، بل يجب أن تحتفظ دائما بورقة مغطاة فى يدها ، تستطيع أن تكسب بها فى الوقت المناسب ، وتستطيع أن تتحرك بها إذا شلت الأجهزة العلنية ، أو توقفت عن العمل نتيجة إصابتها بضربة مفاجئة !

ولسنا نعرف ما الذى جعل سعد زغلول يغير - بعد سبعة أشهر - سياسته فى الحكم عن سياسته فى الثورة . فالمعروف أن سعد زغلول عارض فى أن يكون أحمد ماهر والنقراشى عضوين فى الوفد ورفض أن يوقعا قرارات الوفد التى كان يوقعاها باقى الأعضاء ، فنفيا إلى سيشل أو يحكم عليهما بالإعدام ، أو يعتقلا فى قشلاق قصر النيل أو فى الواحات بينما كان سعد زغلول قد أعطاهما تفويضا بأن يتوليا اختيار أعضاء الوفد من قائمة تركها معهما قبل نفيه إلى سيشل ، تحوى قائمة بأسماء الطبقات التى تحمل كل واحدة منها محل الأخرى إذا اعتقلت أو حكم عليها بالإعدام !

فكيف رأى سعد زغلول أن اللذين طما حق اختيار أعضاء الوفد لا يكونان عضوين فى الوفد ؟ السبب أنه أراد أن يعيد الجهاز السرى للثورة عن الظهور . أن يقيه قوة خفية تعمل تحت الأرض ولا تصل إليها يد الإنجليز . . وقد يدعش القارىء إذا علم أن اسم النقراشى وأحمد ماهر لم يظهر كعضوين فى الوفد إلا بعد وفاة سعد زغلول ! وعندما أريد انتخاب خليفة له ، قال الأعضاء : كيف لا يكون فى الوفد العضوان اللذان توليا اختيار أعضاء الوفد ؟ وعندما فقط ظهر

اسما ماهر والتقراشي كمضوين في الوفد . فإذا كان هذا هو مبلغ حرص سعد زغلول على بقاء الجهاز السرى بعيدا عن القيادة السياسية الظاهرة ، وعن الظهور على مسرح السياسة ، فلماذا لم يستمر سعد على هذه الطريقة الثورية البعيدة النظر ؟ . . لو حدث هذا لما أفلتت الخلية التي اغتالت السردار من سيطرة الجهاز السرى ، ولوجد قادة الجهاز السرى وقتا للسيطرة على جميع الخلايا ، وتنظيمها وإعدادها لليوم الذى يصطلم فيه سعد مع الملك ، أو مع الإنجليز ١ . . ولو كان لابد من الاستفادة من الذين يديرون الجهاز السرى بإشرافهم في وزارة الثورة ، فقد كان لابد من تخصيص عضو آخر في الجهاز لتولى هذه القيادة . . وعندئذ كان في استطاعة الجهاز السرى - وهو تحت الأرض - أن يحفظ للثورة انطلاقها وانفادها وقدرتها على الضرب واستعدادها للانطلاق . . ولما حدث الشلل للثورة عقب القبض على أحمد ماهر والتقراشي وعبد الرحمن فهمي . . إن الذي يدير الجهاز السرى للثورة لا يجوز أن يكون وزيرا ، أو وكيل وزارة ، أو في أى منصب كبير في الدولة . ويجب أن يشر أن العمل الخفي الذي يقوم به أهم بكثير من العمل الذى يقوم به الوزير ! . . ولأنك في أنه لو حدث هذا لاستطاع الجهاز أن يكشف بعيونه المؤامرة على قتل سعد زغلول ، والمؤامرة على اغتيال السردار ، ومؤامرة الملك مع الإنجليز . . ولكن الخطأ أن أعضاء الجهاز السرى تحولوا إلى سياسيين وخروجوا على المكشوف ، وانتقل نشاطهم من تحت الأرض إلى منبر البرلمان . . وهكذا انقطع التيار الكهربائي الذى يربط القاعدة بالقيادة ، وتحول الجهاز السرى إلى جهاز سياسى يدير الانتخابات ، ويرشح النواب ، ويشترك اشتراكا واضحا في الحكم . . ولا يمكن أن يقال هنا إن سعد زغلول أراد أن يسترضى قادة الجهاز السرى بتعيينهم وزراء . . فإن الذين يتعاملون ويسمون حتى إنهم يتصارعون



على الموت ، لا يصغرون ويتزولن للتنافس على مقاعد الوزارة . . الذين كانوا يتطلعون إلى المشاق ، لا يخفضون عيونهم طمعا في مقاعد الحكم . . ومن هنا نعتقد أن أكبر خطأ لثورة سنة ١٩١٩ أنها أوقفت نشاط جهازها السرى بعد أن تولت الحكم . ليس معنى هذا أن يستمر الجهاز في القيام بارتكاب الحوادث . . ولكن معناه أن يبقى النظام السرى ويدعم نفسه ، وينظم صفوفه ، ويزيد عدد خلاياه ، ويكون أشبه بالقلب للثورة : ينبض ويتحرك ويدير أعضاء الجسم ، دون أن تراه العيون !

وهذا هو الذى كان يحدث في ثورة ١٩١٩ . . كان الوفد واللجنة المركزية للوفد هما الصورة التى تظهر أمام الجماهير : توقع البيانات ، وتلقى الخطب ، وتقيم الزيارات ، وتوقع الاحتجاجات . . بينما الجهاز السرى يقوم بالأعمال الخطيرة والأساسية للثورة، ولتصور ماذا كان يحدث لو أن الجهاز السرى تحرك بعد مصرع السردار ؟ . . ما كان رئيس الوزراء أحمد زور يستطيع أن يبقى في الحكم ٢٤ ساعة . . وما كان الملك فؤاد يستطيع أن يبقى على العرش بضعة أيام . . وما كانت بريطانيا يبوارحها وأساطيلها ومظاهراتها الحربية في الشوارع بقيادة أن توقف انطلاق ثورة ١٩١٩ وتحولها من ثورة إلى حركة سياسية ، تتبع الأساليب السياسية في المظاهرات والاجتماعات والانتخابات ! . . وقد يكون علو سعد زغلول أنه يشعر بأن الشعب لم يكن مستعداً للقتال المستمر . . فقد كان يشكو بعد مصرع السردار من روح التخاذل من كثيرين من الذين حوله . . ومن أن عدد زائريه قد قل . . وأن الحماسة قد خفت . . ولكن الرد على ذلك أن وجود الجهاز السرى كان قادراً أن يحول هذا الحمول إلى نشاط ، وهذا للسكين إلى حركة ، وهذا التواكل إلى انطلاق . . ولا توقفت الثورة ، وأصبح كل هدفها إقادة

زعماء الجهاز السرى من المشقة ! ولما ترك الجهاز السرى الملك يدبر المؤامرات لاختيال  
 زعيم الثورة ، ويتحالف مع الإنجليز لإبادة سعد !

وهنا تقفل القوس الكبير ١١ . .

لقد بقى المسلسل الذى انطلق فى صدر سعد زقلول لنزا !

وبقى الرجل الذى صحب القاتل إلى المحطة لنزا !

وبقى جنون القاتل لنزا !

إلى أن جاء سعد زقلول فى المذكرات . يقول إن الملك فؤاد هو الذى دبر  
 اغتياله . . ومن الطريف أن الأطباء الذين قرروا أن عبد اللطيف عبد الحالى  
 مجنون ، ذكروا فى تقاريرهم أن من دلائل جنونه - كما ورد فى صفحة ٥ من تقريرهم - أنه  
 فكر فى تأليف حزب ضد دولة سعد باشا وأغلبية البلاد ! فقد رأى خمسة أطباء أن  
 هذا دليل على الجنون ! وكان تاريخ هذا التقرير ١٥ نوفمبر ١٩٢٤ . وبعد ٤٥ يوما  
 فقط - أى فى أوائل يناير ١٩٢٥ - ألف الملك فؤاد حزب الاتحاد . . وكان هدفه  
 أن يكون ضد سعد وأغلبية البلاد !

ولم ير أحد وقتها سببا لاقتراح إسالة صاحب الجلالة إلى مستشفى المجاذيب !  
 ولقد كان من أخطاء الجهاز السرى أنه عجز عن الكشف عن المسلسل  
 الخفى ، وهو الذى كشف عن مئات من الخبايا والأسرار . وكان يضرب المثل  
 بقوة جهاز المعلومات للثورة وكفايته ، حتى إنه لم يحدث مرة أن قررت السلطة  
 العسكرية البريطانية اعتقال أحد أعضاء الجهاز السرى ، أو أحد زعماء الثورة ،  
 إلا وعلم به جهاز المعلومات قبل تنفيذ القرار . . فكان يخفى من يتقرر  
 أن يخفى . . وكانت الأوراق السرية كلها تحرق فيدخل رجال السلطة البريطانية  
 ويفتشون المنازل فلا يثرون على أى ورقة هامة . . ولا أى دليل !

# الوثائق الخطية



خطاب الدكتور محمد حنفى إلى مصطفى أمين .

شور ٣٥

## اين السلطان

في البدء حتى من جنة التبريد على وجهه اقتده المراء ، ثم في الأرض السابعة يسمى  
من سواد الآجر والطين الأبيض ، معش الصرين ، في (الستان) يعني القللي السخرة ، وأما كل  
العلم الطري ويظهر بنت الحق وتادم اعتاد ، وفي (جاذين) هي وفود الزور حيث  
ممرات الاستقبال والتفتين ، حال السبق لا كما كبر من قبل ، لا سيما كبر الامم  
بالحيا أفراس قلم والامة في مائة مناسبات واجامات فرده ، نفس من دور لك ، والامة بجرم  
طبا (وطن) أن على أكثر من خمسة من أشتا ليجادته انما لم يسم ووطنهم من التكتبات  
والقولات .

أقوم على رأس الامة رجل لا يخره - موز الامة ، وبولي غيلدا من لا خذال فيه الصخرى  
صوت صرخات تلوينا الغاية .

نظرا يوم تولى « فزاد » أنه رجل ، مولى باطلا لانه قشأ بها ونسب ، فما باله لا تبعه مظهر  
العلماء للفقركه وما باله لم يأت شي من عالم أسرار الظلمين ، مثل « عزبي » هو « جازي » أو « يسلم  
« كقوره » ، بشرتهم مثل « ذاتي » هو « القيروى » ، بطلافتهم مثل « ليولوى » بطلانهم مثل « نيزروز » من  
ثم ما باله قد انفس في حاة للذات والشهوه ، وما باله تطلب عليه في وقت تحب على اللبيليا أن يستمر  
ثم منه ان الماتة لعلها لم ولن يستوع وتلخر في الاموال والاوضاع  
أهلا لوان تصور بش ، أهلا عصر شراء أصبار في ذلك ، أما كانت الامة تهرب الى منزل سعد  
وخلول ، ويخرج قسطنطين تركه ورجل حرسه الى ( حله السان ) ، لينظر هل موت ( حله ) أم كان من  
الظلمين

مرضى منصف ( - طعة مصر للتعصب ) على القويس كال الدين ضلل مالم ضل أبو ( حقيق ) ووجد  
الأنبياء من عه رجلا زعماء ، لا يدري من أمور ذلك : شاة نهر والفرصة بأجلده على القويس ،  
ليتوا على يده ملك بجموع على أمت الارحوم سلقه .

وعلى « اد اند ديت في الأرض » تلك عروش ، سمعت أنباء ، وسمعت أيقنة أنبي من  
الأمم « وكيد » ( حكومتى ) بغير أفراس ) من عباس كبد . زمت أحسنه فراس ، وفرط روسياه



عزیز من صفی امین  
 انجمن افریقہ انت و ہم امینہ عندنا کماہ عمر کا جس سنو تانہ بتا کہ  
 راجدوں ۱۹۱۹ء کو کشت اردو کا جو پریم کتابہ آؤنڈ قبائلیہ احمد  
 بول، شریانیہ کہ ضدہ الکتابہ انظومک و یلرب  
 دیکھہ ضاک قہہ لم اودھا۔ تاکا ولا لوی انسانہ جس قہہ  
 دورین ۱۹۱۹ء  
 و قہہ جس انصاف

محمد الانصاری  
 مدیر ادارہ مالاداع الشریعہ  
 محلہ المرحہ ساہیا

خطاب محمد الانصاری الی مصطفی امین

عزیز من صفی امین  
 امین  
 انا تا جو آؤنڈ لریا مائلہ ہوا دوسرا مرحوم پریم سبیر کا محمد شریعت  
 لیلیٰ القسبہ ہم محمد تا بعد بریسیہ لوز راو و ثورہ سلطانہ  
 و ان امین۔ قدم لسیا رنک قصہ مدہ کرائی السریۃ عبد الجبار لری  
 و ثورہ ۱۹۱۹ء  
 تا۔ قترجہ مدہ تدعو جمیع اصحاب لوز لری ورحیا و مدہ قترجہ مع سبارکم  
 لعدہ مدہ۔ الی لری۔ لظہر۔ لقرہ لریم مدہ لری لوز لری  
 محمد حبیب  
 ۱۹۱۹ء

صورتہ خطاب عضو الجہاز السری الی مصطفی امین

اما تذكران فيكفين تفكر برك لعل انه هذا يستدبر ملك  
 صبر الذي لا يفكر به  
 ومن يستدبرك يا كبريائي واخبروني والوجهاب به بسا ومنه  
 معديه للثبات لولا ملك في ملكها واحد  
 وهو عذري انكم ستفيع واكرم متفيع وانتم ترون اهل  
 دونه انتم لم انكم في المسألة لا دونه ملقة ولا أحب انه  
 انكم في ملقة انت به المحبوس فانتم لم انكم ملقة لا دونه  
 دانا فخر حقيق ولكن أحب انه آكره عينا في نفسه الاحياء  
 وانما كنت لك فاحمد فتكون فاحمد لك من دونه انما تفوق  
 فيكم كما تشاء بالادارة اما انتقم منكم او الارتفاع بالتفهم  
 والناجيد والتموير والودال والودال والقلب  
 فضل في أي اسلوب وانتم ها كل او فضل في دونه من  
 الى دار اخبار البسم بكم في منبرها وشيئا لا دونه  
 الودال الما لديه في سبل رقة المعانة المبرية  
 عذري مصطفى

اسم عبد شوك محمد في حيد استلوك في دار النام متقب  
 راقيل تينا في وشكرو العظيم  
 كنفوا لانت في ١٩/١/١٩٩٩  
 محمد بن محمد  
 محمد بن محمد



économique, et cette raison majeure : « L'Alsace ne saurait se passer de la Haute-Silésie. Au contraire, la Pologne n'en a pas besoin. »

Il y a plus : la Délégation allemande soutient que la Pologne elle-même n'est qu'un *faux* pays de population indiscutablement polonaise. Elle nous enseigne ainsi le pouvoir d'un moine hors de sa place. « Indiscutablement ! Qu'est-ce qui, à ce compte, est indiscutablement polonais ; quel pays, quelle province est indiscutablement - quoi que ce soit ? Rien, que ce qui est allemand. Ainsi Dantzig et ses environs, la Prusse orientale, la Prusse occidentale, *Moselle* et les cercles qui l'entourent. Tout ce que l'Allemagne veut garder est indiscutablement allemand, tout ce qu'elle ne veut pas perdre n'est point indiscutablement polonais. Comment renoncerait-elle à Dantzig, puisque, à tous les coups, elle y gagne ? Elle y gagne un plein milliard : « En raison de l'affirmation que la Haute-Silésie, quoique habitée par une *plupart* de Polonais, est *à* proportion *de* 1 à 1 (1250000 contre 650000, d'après le recensement allemand de 1910), désire rester allemande, accorde la lettre d'envoi, — et la Réponse est bien plus explicite, — les Puissances consentent à ce que la question de savoir si la Haute-Silésie doit faire partie de l'Allemagne ou de la Pologne soit affirmée par le vote des habitants eux-mêmes. — Au *premier*, elle y a gagné du charbon : « Afin d'empêcher que l'Allemagne ne soit *orbicairement* privée des matières nécessaires à sa vie industrielle, un article a été ajouté au traité, prévoyant qu'elles produits minéraux, y compris le charbon, produits dans tout le territoire de la Haute-Silésie, pourraient être achetés par l'Allemagne *à* des *conditions* que par les *puissances* eux-mêmes. » Songez donc ! « La séparation prévue de la majeure partie de ce territoire constituerait une violation, que rien ne justifie, de l'organisation géographique et économique de l'Empire allemand. » Enfin, *sur* ce point, *indiscutablement*, l'intérêt de l'Empire allemand ! *Il même*

En Alsace-Lorraine, Dieu merci, il ne gagne ou ne perd rien et ne perd pas un pied, pas une pierre. La lettre d'envoi est muette sur ce sujet, à quelques récriminations appuyées de lances et spéciale *édition* : « *Il* que l'Allemagne ne soit *évidemment* abandonnée. La Réponse se contente de répondre en substance que non seulement la question est *polonaise* qu'elle ne sera pas posée. Sur le terrain bouillier de la Sèvre, s'il n'est pas fait de concessions nécessaires se rappelle qu'à la suite d'une des notes *supra* citées, le comte de Brockdorff-Rantzau, une concession a toujours été faite, en



لم أفتح قفص لحرة أربعين ربيعاً سنة  
ولكنني اعتقدت انه أفتح قفصاً لحرة مرة بعد ان ورد اسم  
في اوراق المرحوم سعد زغلول السرية التي ينشرها  
السيد الوستا زعطين امير في اخبار اليوم  
وبما قبلت صغراً ان اذكر لذلك مرة في حياتي  
قصة التعليقات السرية التي كان يرسلها  
زغلول مع باير الى قيادة الثورة بالقاهرة  
حيث ان  
المستشار بكلمة النقص  
ايها

خطاب من الرجل الذي كان يحمل رموز تعليقات الثورة سنة ١٩١٩

عزيزي الوستا زعطين امير  
تحية لمحب  
لهذه قصة من قصص المرحوم السري  
في ثورة ١٩١٩ اقدمك الى تعليقات  
انه تعرف صفة سرية من صفحات  
تلك الثورة  
دار جوبيل التوحيد في صنع امير  
صوملة لثورة بالثورة بين يدي الحبل  
الحاضر  
١٩١٩/٨/٢٦  
٤٩٠٠٠٠

خطاب من الشاب الذي أتى قبيلة على رئيس الوزراء يوسف وهبة باشا سنة ١٩١٩

کتابخانه عمومی

۱۰۰  
 ۱۰۱  
 ۱۰۲  
 ۱۰۳  
 ۱۰۴  
 ۱۰۵  
 ۱۰۶  
 ۱۰۷  
 ۱۰۸  
 ۱۰۹  
 ۱۱۰  
 ۱۱۱  
 ۱۱۲  
 ۱۱۳  
 ۱۱۴  
 ۱۱۵  
 ۱۱۶  
 ۱۱۷  
 ۱۱۸  
 ۱۱۹  
 ۱۲۰  
 ۱۲۱  
 ۱۲۲  
 ۱۲۳  
 ۱۲۴  
 ۱۲۵  
 ۱۲۶  
 ۱۲۷  
 ۱۲۸  
 ۱۲۹  
 ۱۳۰  
 ۱۳۱  
 ۱۳۲  
 ۱۳۳  
 ۱۳۴  
 ۱۳۵  
 ۱۳۶  
 ۱۳۷  
 ۱۳۸  
 ۱۳۹  
 ۱۴۰  
 ۱۴۱  
 ۱۴۲  
 ۱۴۳  
 ۱۴۴  
 ۱۴۵  
 ۱۴۶  
 ۱۴۷  
 ۱۴۸  
 ۱۴۹  
 ۱۵۰  
 ۱۵۱  
 ۱۵۲  
 ۱۵۳  
 ۱۵۴  
 ۱۵۵  
 ۱۵۶  
 ۱۵۷  
 ۱۵۸  
 ۱۵۹  
 ۱۶۰  
 ۱۶۱  
 ۱۶۲  
 ۱۶۳  
 ۱۶۴  
 ۱۶۵  
 ۱۶۶  
 ۱۶۷  
 ۱۶۸  
 ۱۶۹  
 ۱۷۰  
 ۱۷۱  
 ۱۷۲  
 ۱۷۳  
 ۱۷۴  
 ۱۷۵  
 ۱۷۶  
 ۱۷۷  
 ۱۷۸  
 ۱۷۹  
 ۱۸۰  
 ۱۸۱  
 ۱۸۲  
 ۱۸۳  
 ۱۸۴  
 ۱۸۵  
 ۱۸۶  
 ۱۸۷  
 ۱۸۸  
 ۱۸۹  
 ۱۹۰  
 ۱۹۱  
 ۱۹۲  
 ۱۹۳  
 ۱۹۴  
 ۱۹۵  
 ۱۹۶  
 ۱۹۷  
 ۱۹۸  
 ۱۹۹  
 ۲۰۰  
 ۲۰۱  
 ۲۰۲  
 ۲۰۳  
 ۲۰۴  
 ۲۰۵  
 ۲۰۶  
 ۲۰۷  
 ۲۰۸  
 ۲۰۹  
 ۲۱۰  
 ۲۱۱  
 ۲۱۲  
 ۲۱۳  
 ۲۱۴  
 ۲۱۵  
 ۲۱۶  
 ۲۱۷  
 ۲۱۸  
 ۲۱۹  
 ۲۲۰  
 ۲۲۱  
 ۲۲۲  
 ۲۲۳  
 ۲۲۴  
 ۲۲۵  
 ۲۲۶  
 ۲۲۷  
 ۲۲۸  
 ۲۲۹  
 ۲۳۰  
 ۲۳۱  
 ۲۳۲  
 ۲۳۳  
 ۲۳۴  
 ۲۳۵  
 ۲۳۶  
 ۲۳۷  
 ۲۳۸  
 ۲۳۹  
 ۲۴۰  
 ۲۴۱  
 ۲۴۲  
 ۲۴۳  
 ۲۴۴  
 ۲۴۵  
 ۲۴۶  
 ۲۴۷  
 ۲۴۸  
 ۲۴۹  
 ۲۵۰  
 ۲۵۱  
 ۲۵۲  
 ۲۵۳  
 ۲۵۴  
 ۲۵۵  
 ۲۵۶  
 ۲۵۷  
 ۲۵۸  
 ۲۵۹  
 ۲۶۰  
 ۲۶۱  
 ۲۶۲  
 ۲۶۳  
 ۲۶۴  
 ۲۶۵  
 ۲۶۶  
 ۲۶۷  
 ۲۶۸  
 ۲۶۹  
 ۲۷۰  
 ۲۷۱  
 ۲۷۲  
 ۲۷۳  
 ۲۷۴  
 ۲۷۵  
 ۲۷۶  
 ۲۷۷  
 ۲۷۸  
 ۲۷۹  
 ۲۸۰  
 ۲۸۱  
 ۲۸۲  
 ۲۸۳  
 ۲۸۴  
 ۲۸۵  
 ۲۸۶  
 ۲۸۷  
 ۲۸۸  
 ۲۸۹  
 ۲۹۰  
 ۲۹۱  
 ۲۹۲  
 ۲۹۳  
 ۲۹۴  
 ۲۹۵  
 ۲۹۶  
 ۲۹۷  
 ۲۹۸  
 ۲۹۹  
 ۳۰۰  
 ۳۰۱  
 ۳۰۲  
 ۳۰۳  
 ۳۰۴  
 ۳۰۵  
 ۳۰۶  
 ۳۰۷  
 ۳۰۸  
 ۳۰۹  
 ۳۱۰  
 ۳۱۱  
 ۳۱۲  
 ۳۱۳  
 ۳۱۴  
 ۳۱۵  
 ۳۱۶  
 ۳۱۷  
 ۳۱۸  
 ۳۱۹  
 ۳۲۰  
 ۳۲۱  
 ۳۲۲  
 ۳۲۳  
 ۳۲۴  
 ۳۲۵  
 ۳۲۶  
 ۳۲۷  
 ۳۲۸  
 ۳۲۹  
 ۳۳۰  
 ۳۳۱  
 ۳۳۲  
 ۳۳۳  
 ۳۳۴  
 ۳۳۵  
 ۳۳۶  
 ۳۳۷  
 ۳۳۸  
 ۳۳۹  
 ۳۴۰  
 ۳۴۱  
 ۳۴۲  
 ۳۴۳  
 ۳۴۴  
 ۳۴۵  
 ۳۴۶  
 ۳۴۷  
 ۳۴۸  
 ۳۴۹  
 ۳۵۰  
 ۳۵۱  
 ۳۵۲  
 ۳۵۳  
 ۳۵۴  
 ۳۵۵  
 ۳۵۶  
 ۳۵۷  
 ۳۵۸  
 ۳۵۹  
 ۳۶۰  
 ۳۶۱  
 ۳۶۲  
 ۳۶۳  
 ۳۶۴  
 ۳۶۵  
 ۳۶۶  
 ۳۶۷  
 ۳۶۸  
 ۳۶۹  
 ۳۷۰  
 ۳۷۱  
 ۳۷۲  
 ۳۷۳  
 ۳۷۴  
 ۳۷۵  
 ۳۷۶  
 ۳۷۷  
 ۳۷۸  
 ۳۷۹  
 ۳۸۰  
 ۳۸۱  
 ۳۸۲  
 ۳۸۳  
 ۳۸۴  
 ۳۸۵  
 ۳۸۶  
 ۳۸۷  
 ۳۸۸  
 ۳۸۹  
 ۳۹۰  
 ۳۹۱  
 ۳۹۲  
 ۳۹۳  
 ۳۹۴  
 ۳۹۵  
 ۳۹۶  
 ۳۹۷  
 ۳۹۸  
 ۳۹۹  
 ۴۰۰  
 ۴۰۱  
 ۴۰۲  
 ۴۰۳  
 ۴۰۴  
 ۴۰۵  
 ۴۰۶  
 ۴۰۷  
 ۴۰۸  
 ۴۰۹  
 ۴۱۰  
 ۴۱۱  
 ۴۱۲  
 ۴۱۳  
 ۴۱۴  
 ۴۱۵  
 ۴۱۶  
 ۴۱۷  
 ۴۱۸  
 ۴۱۹  
 ۴۲۰  
 ۴۲۱  
 ۴۲۲  
 ۴۲۳  
 ۴۲۴  
 ۴۲۵  
 ۴۲۶  
 ۴۲۷  
 ۴۲۸  
 ۴۲۹  
 ۴۳۰  
 ۴۳۱  
 ۴۳۲  
 ۴۳۳  
 ۴۳۴  
 ۴۳۵  
 ۴۳۶  
 ۴۳۷  
 ۴۳۸  
 ۴۳۹  
 ۴۴۰  
 ۴۴۱  
 ۴۴۲  
 ۴۴۳  
 ۴۴۴  
 ۴۴۵  
 ۴۴۶  
 ۴۴۷  
 ۴۴۸  
 ۴۴۹  
 ۴۵۰  
 ۴۵۱  
 ۴۵۲  
 ۴۵۳  
 ۴۵۴  
 ۴۵۵  
 ۴۵۶  
 ۴۵۷  
 ۴۵۸  
 ۴۵۹  
 ۴۶۰  
 ۴۶۱  
 ۴۶۲  
 ۴۶۳  
 ۴۶۴  
 ۴۶۵  
 ۴۶۶  
 ۴۶۷  
 ۴۶۸  
 ۴۶۹  
 ۴۷۰  
 ۴۷۱

[illegible]

## فهرست

٥	..... مقدمة الكتاب المتنوع
	<b>الفصل الأول :</b>
٩	..... * سعد زغلول يعمل لإعلان الجمهورية !
	<b>الفصل الثاني :</b>
٦٥	..... * الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ .. كيف تم تكوينه وما هى أعماله ؟
	<b>الفصل الثالث :</b>
٨٥	..... * الثورة ترد على الارهاب الانجليزى
	<b>الفصل الرابع :</b>
١٠٧	..... * حرب القنابل والاغتيالات !
	<b>الفصل الخامس :</b>
٢١٥	..... * القبض على رئيس الجهاز السرى : التهمة هى : خلع السلطان !
	<b>الفصل السادس :</b>
٢٣١	..... * أزمة فى لندن من أجل عبد الرحمن فهمى !
	<b>الفصل السابع :</b>
	* خطة جديدة للجهاز السرى يرسمها سعد فى المنفى بين جبل طارق والزقازيق
٢٦٧	..... * تهريب الرسائل السرية فى الأحذية !
	<b>الفصل الثامن :</b>
٣٢٧	..... * دور المرأة المصرية فى الجهاز السرى
	<b>الفصل التاسع :</b>
٣٨٧	..... * المندس الذى اختفى بعد إطلاق الرصاص على سعد !

---

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٨٥٦ / ١٩٩٠

---

الترقيم الدولى 3 - 0081 - 08 - 977 ISBN

---

« تصدر مطبوعات كتاب اليوم »

# الكتاب الممنوع

أسرار ثورة ١٩١٩

[ في جزئين ]

للكاتب الكبير  
مصطفى أمين



انتظر صدوره في يناير



## الكتاب الممنوع

.. في هذا الكتاب ملحة ثورة ١٩١٩ خاصة جانبها الخفي  
كيف دارت الحرب الخفية بين الجهاز السري للثورة وبين مخابرات  
بريطانيا التي كانت عظمى وقتئذ . كيف استطاع شعب فقير جانح  
أن يمرغ اكبر قوة وقتئذ في الوحل . لقد ظل زعماء الثورة وزعماء  
جهازها السري صامنون دائما لأن الوقت لم يكن مناسباً لاداعه  
اسرارها

واخيرا .. نشر مصطفى امين الاسرار الكبرى للثورة في هذا  
الكتاب . في عام ١٩٦٣ بدا محاوله نشر هذا الكتاب ولكن قراراً  
صدر وقتها بمنعه . كان مصطفى امين شاهداً على أحداث الثورة  
منذ البداية . إذ ولد في بيت الأمة وعاش فيه . ثم وجد نفسه بعد  
ذلك صديقاً لزعمائها الذين انتمنوه على اسرارهم . ومن خلال هذا  
الموقع الفريد يقدم دراما الثورة . وجوانبها السرية جدا .  
وتراجيديا الشهداء البسطاء الذين سقطوا . ستقرأ عن كل منهم في  
هذا الكتاب الذي كان ممنوعاً . واصبح الآن متاحاً للجميع

( مطابع الاخبار )

٥  
جنيهاً